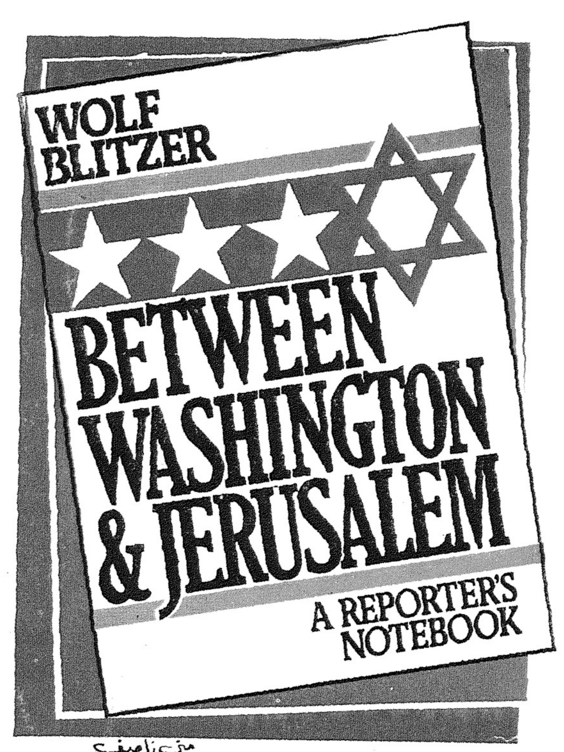
الهيئة العامة للإستعلامات

كتب مترجمة (٧٩٢)



بين واشنطن وإسرائيل

تأليف : وولف بليتزر

بين واشنطن واسرائيل

مراسـل صحفى

المؤلف : « وولف بليتزر »

تمهيـــــد

كان اليوم هو الأربعاء الموافق السادس من شهر ابريل عام ١٩٧٧ . وكان الرئيس المصرى انور السادات قد اختتم لتوه محادثات استغرقت يومين مع الرئيس الأمريكى الجديد جيمى كارتر . وحسب المتبع فى واشنطون ، قبل الرئيس المصرى استضافة مؤتمر صحفى فى بلير هاوس ، وهو المقر الرسمى للضيوف الأجانب،ويطل مباشرة على شارع بنسلفانيا القريب من البيت الأبيض .

فى ذلك اليوم ، ترك السادات بشخصه تأثيرا يفوق ما تركه لدى ظهوره فى التليفزيون . فقد بدا أطول قامة واكثر وسامة وكان يرتدى حلة مقلمة داكنـــة اللون ونظيفة للغاية . وبالرغم من أنه بدأ يتصبب عرقا من تأثير الحـــرارة المنبعثة من أضواء آلات التصوير ، فقد احتفظ بهدوئه فى مواجهة ما طرح عليه من اسئلة . وأصر على أنه شغوف باقامة سلام مع اسرائيل ، فى حالة ما اذا وافقت اسرائيل على اقامة دولة فلسطينية فى الضفة الغربية وغزة . قال : « كل شىء يعود الى حالته الطبيعية بعد ذلك » .

وقد أوحت تلك اللفتة البســيطة للبعض منا بأن شيئا من التغير سوف يحدث . فقد احتشد خمسون صحفيا فى غرفة معيشة صغيرة نســبيا فى بلير هاوس . وكانت السفارة المصرية (مثلما تفعل عادة السفارات العـــربية فى واشنطون) تقصر الدخول الى مقار المؤتمرات الصحفية على الضيوف المدعوين فقط حتى تتجنب أن تضطر للسماح لممثلى وسائل الاعلام الاسرائيلية بالدخول. واليوم فتحت السفارة المصرية ابواب مؤتمراتها الصحفية لكافة المؤســـســـات الصحفية المعتمدة لدى البيت الأبيض ، ويعود الفضل فى ذلك الى السفارة .

وقبـــل أن تبدأ مرحلة السؤال والجواب ، طلب السفير المصرى اشرف غربال من الصحفيين أن يفصحوا عن هوياتهم وعن أسماء المؤسسات التى ينتمون لها قبل أن يوجهوا أسئلتهم الى الرئيس . وعندما وقف صحفى أمريكى معروف جيدا ، وينتمى الى احدى شبكات التليفزيون الكبرى ، واعلن اسمه واسم المؤسسة التى ينتمى اليها ، أومأ السادات برأسه معبرا عن تقديره وهو ينفث دخان غليونه الذى يحتفظ به دائما . وقال « أستمر » وقد بدت عليـــــه امارات السعادة لكونه محط انتباه الجميع .

وقرب انتهاء المؤتمر الصحفى ، رفعت يدى . ولدهشتى دعانى غربـــال على الدور . وفى ذلك الوقت ، ربما لم يكن يعلم من أنا ، بالرغم من أنه يعلم الآن .

قلت : « ولف بليتزر ، من الجيروساليم بوست » متجها بنظرى مباشرة الى اعين السادات الذى لم يبد اى انفعال ، واستطردت قائلا : « سيادة الرئيس انك تبدو مخلصا فى سعيك من اجل السلام . فلماذا لا تفعل شيئا تبرهن به على ذلك لاسرائيل ؟ قد يكون فى مقدورك بدء اتصال انسانى مباشر مع سرائيل فلماذا لا تسمح بتبادل الزيارات بين الصحفيين أو الرياضيين أو المثقفين ؟ » . توجهت بهذا السؤال ، وفى ذهنى دبلوماسية البنج بونج الجديدة التى بشرت منذ بضع سنوات بتطبيع العلاقات بين الولايات المتحدة والصين . وكنت اعتقد بأنه عن طريق مثل هذا الاتصال المباشر قد تتغير كافة التصورات . كما أن التنازلات التى بدت مستحيلة قد تصبح فى متناول الأيدى .

وقد رد السادات بقوله : « ان جانبا من النزاع العربى الاسرائيلى نفسانى ، وليس لدى شخصيا اعتراض على ذلك . ولكن صدقنى ، ان شعبنا ليس مستعدا بعد ولذلك بعد تسعة وعشرين عاما من الكراهية واربعة حروب وشعور بالمرارة . ان كل ما حدث يتعين اتخاذه بالتدريج . ومتى انتهت حالة الحرب باتفاقية للسلام ، فمن المفترض أن نوقع عليها جميعا فى جنيف ، واننى اعتقد ان كل ذلك سيصبح يسيرا للغاية » .

وفى وقت لاحق ، توجهت الى مبنى الصحافة القومى ، وانا اظن أن رد السادات كان بالفعل معقولا تماما بعد سنوات الصراع بين الدولتين . وبعثت بروايتى عن المؤتمر الصحفى وكان الموضوع الرئيسى الذى ظهر على الصفحة الأولى لصحيفة الجيروساليم بوست صباح اليوم التالى . اذ كان العنوان الرئيسى هو (السادات يقول : « التطبيع بعد اقامة دولة فى الأراضى المحتلة»).

وبعد مرور سبعة أشهر ، فى نوفمبر عام ١٩٧٧ — على الرغم من أنه لم تكن هناك اتفاقية بين اسرائيل ومصر لانهاء حالة الحرب بينهما ، ناهيك من قيام دولة فلسطينية — اذهل السادات العالم باعلانه عن استعداده لزيارة القدس والقاء خطاب فى الكنيست . وقد تردد أنه أرجع لسؤالى بعض الفضل فى اثارة سلسلة الأحداث التى قادته الى اتخاذ قراره . وبعد أسبوعين وفى اوائل شهر ديسمبر ، قمت بزيارة القاهرة مع أول مجموعة من الصحفيين الذين يمثلون وسائل الاعلام الاسرائيلية . وقد عقدت اجتماعا مطولا مع مدير وكالة انباء الشرق الاوسط شبه الرسمية المصرية ، محمد عبد الجواد . وكان عبد الجواد قد رافق السادات الى واشنطون بصحبة آخرين من كبار المحررين والناشرين المصريين وذلك خلال شهر ابريل الماضى . وابلغنى عبد الجواد حقيقة انه بعد انتهاء المؤتمر الصحفى الذى عقده السادات ، وجهت اليه ومحررين آخرين الدعوة لتناول طعام العشاء مساء ذلك اليوم مع الرئيس المصرى فى بلير هاوس . وذكر عبد الجواد ان سؤالى الى السادات ضرب على وتر حساس . وقال : « ان الرئيس سألنى فى حفل العشاء عما اذا كان مراسلى

قد بعث بملاحظاته عن المؤتمر الصحفى الى الوطن ، فقلت للسادات أنه نعم ، لقد بعث بكل كلمة ـ باستثناء ما قلته لمراسل صحيفة الجيروساليم بوست .

ونقل عبد الجواد عن السادات تساؤله « لماذا لم يبعث ذلك ؟ » فاجبته قائلا : « لأننى أعتقد ياسيادة الرئيس أن ردك كان بالغ الحساسية . لقد قلت انك مستعد شخصيا للاتصال مباشرة باسرائيل غير أن شعبك لا يريد ذلك . ولم أكن متأكدا مما اذا كان يتعين علينا ابلاغ الشعب فى مصر بذلك » .

وكان السادات ، طبقا لرواية عبد الجواد ، منزعجا بشكل واضح . وأصدر اليه الرئيس المصرى توجيها بمغادرة المائدة ، والاتصال بالمراسل مباشرة ، كما أصدر اليه تعليماته بابلاغ رواية منفصلة حول ذلك السؤال والرد عليه وقال السادات « اننى أريد لشعبى أن يعرف كل ما أقوله الى العالم فى الخارج » .

وقد نفذ عبد الجواد ما طلبه منه الرئيس بطبيعة الحال .

وعندما أعود بالذاكرة فاننى أرى الآن ذلك الحدث مع السادات كعلامة هامة فى تاريخ حياتى الصحفية ، الذى بدأ فى عام ١٩٧٢ ، عندما أصبحت مراسلا أجنبيا لوكالة أنباء رويتر البريطانية فى مكتبها بتل أبيب ، ثم توليت منصب مراسل صحيفة جيروساليم بوست فى واشنطن . وقد تعلمت خلال تلك الفترة أن من الممكن أن يكون ثمة فرق كبير عندما يوجد المرء فى المكان المناسب فى الوقت المناسب وعندما يوجه السؤال المناسب .

تحظى صحيفة الجيروساليم بوست بسمعة من الدرجة الأولى فى الولايات المتحدة وفى انحاء العالم . ونظرا لان تلك الصحيفة تصدر باللغة الانجليزية فانه مما لاشك فيه أنها أكثر الصحف الاسرائيلية شعبية بين الامريكيين ، على الرغم من أنها ليست أكبرها وتحقق النسخة الدولية الاسبوعية لتلك الصحيفة توزيعا ضخما داخل الولايات المتحدة وبالاخص بين أفراد الطائفة اليهودية .

ويقرأ الكثيرون من غير اليهود الجيروساليم بوست ، من بينهم رجال الكونجرس وأعضاء مجلس الشيوخ وكبار المسئولين الامريكيين بوزارة الخارجية ، وفى البيت الابيض والبنتاجون . ونظرا لأن الجيروساليم بوست تعتبر صحيفة جادة وهامة وأنها تصدر باللغة الانجليزية . فقد اعتادت المصادر الدبلوماسية فى العاصمة الامريكية التى تعتبر المصدر الرئيسى لكافة المراسلين الاجانب ، اعتادت على أن تكون مستعدة للرد على بعض اسئلتى على الاقل . وتحبذ تلك المصادر عموما ، حتى وان كانت غير معلومة الاسم ، أن تتاح لها الفرصة للاطلاع على ما قالته .

كما عملت مراسلا لصحف اسرائيلية أخرى فى واشنطن خلال السنوات السبع الماضية . فكتبت تحت اسم « زيف بليتزر » لصحيفة عال همشمار وهى

جريدة صباحية صغيرة (زيف فى اللغة العبرية معناها ذئب) وعملت أيضا مراسلا لصحيفة يديعوت أحرنوت أكبر الصحف الاسرائيلية تحت اسم « زيف باراك » (باراك فى اللغة العبرية تعنى البرق او الحرب الخاطفة) .

ولكل من صحف الجيروساليم بوست وعال همشمار ويديعوت أحرنوت وجهات نظر واهواء مختلفة خاصة برؤساء التحرير تشمل الكيان السياسى للدولة فى واقع الامر ، ومع كل فقد حاولت دائما فيما بعثت اليهم من رسائل أن أكون منصفا وموضوعيا وأن أفضل تلك الروايات التى تعتمد على الجانب الاخبارى عن تلك التى تعتمد على التحليل . وقامت تلك الصحف عموما بنشر رواياتى بدون اى تعديلات ملموسة فى التحرير ، على الرغم من أن العناوين الرئيسية التى يتولون كتابتها عادة ما تعكس ميولهم الخاصة . وانى أعتبر أنه من قبيل الاطراء لشخصى أن يوجه لى النقد والمديح على مر السنين من قبل محررين ، ساسة وقراء اسرائيليين ينتمون الى جناحى اليمين واليسار فى السياسة الاسرائيلية .

وفيما عدا الصحافة الاسرائيلية ، كتبت للعديد من دور النشر اليهودية الأخرى من بينها صحيفة الجيويشى كرونيكل اللندنية ، وعدة صحف ومجلات يهودية أمريكية أسبوعية مثل حداسة والبرزنت تنس . وبالاضافة الى ذلك نشرت لى مقالات فى صحف النيويورك تايمز ، والواشنطون بوست ، ولوس أنجلوس تايمز ، والنيوريبابليك وكذلك وول ستريت جورنال ، وصحف ومجلات أخرى عديدة . وبطبيعة الحال ، كان مجال تخصصى هو الشرق الاوسط .

ويعنى تمثيل الصحف الاسرائيلية فى واشنطن التركيز بصفة رئيسية على سياسة الولايات المتحدة تجاه الشرق الاوسط ، مع تأكيد خاص على أحدث التحولات فى العلاقات الامريكية الاسرائيلية . وهذا بدوره ، يعنى اقامة اتصالات جيدة مع السفارة الاسرائيلية فى واشنطن : مع السفير والوزير والدبلوماسيين والملحقين الآخرين هناك ، الذين لابد أن يظلوا على اتصال وثيق بأى شىء يحدث فى واشنطون يكون له علاقة بحكومتهم . وتعنى تقارير الفحص اقامة علاقات طيبة مع مصادر أمريكية كذلك ، خصوصا فى وزارة الخارجية والبيت الابيض والبنتاجون والكونجرس وجهات أخرى ترتبط ببيروقراطية السياسة الخارجية الضخمة التابعة للحكومة الامريكية . كما تعنى ذلك تنمية علاقة مع خبراء المحافل الاكاديمية المتخصصين فى شئون الشرق الاوسط ، اذ سيتاح لهم فى كثير من الاحيان الحصول على معلومات لا تتوفر عموما للصحفيين وبالاضافة الى ذلك ، من الممكن الافادة بدرجة كبيرة فى بعض الاحيان بجهود الدعاة من بين أفراد الطائفة اليهودية عن طريق

تقديم معلومات وتوجيهات خاصة بموضوعات معينة حيث انهم ، أيضـــا ، يقضون الكثير من وقتهم في الانشغال بالعلاقات الامريكية الاسرائيلية .

ان التعرف على الكثير من الشخصيات الجـذابة يعـد واحـدا من افضل مزايا العمل فى واشنطن فيما يتعلق بالصحف الاسرائيلية . فعنـــدما وصلت الى واشنطون فى بادىء الامر ، على سبيل المثال ، كان جوزيف سيسكو لا يزال يشغل منصبمساعد وزير الخارجية لشئون الشرق الادنى وجنــوب آسيا والخبير الاول فى شئون الشرق الاوسط بوزارة الخارجية الامريكية وقد خلفه بعـد ذلك فى هذا المنصب الفـريد أثرتون وهارولد سوندرز ، ونيكولاس فيليوتس ، وريتشـــارد ميرفى . ولكل من هؤلاء أسلوبه وطريقتـه فى حـــل المشاكل ، على الرغم من اننى ادرك الآن ان مواقفهم اثناء شغلهم لهـــذا المنصب كانت متشابهة للغـاية كالمعتاد فى القضايا الرئيسية المتعلقة بالنزاع العربى الاسرائيلى .

وفى السفارة الاسرائيلية ، كنت اتبع عن كثب الســـفراء سمحا دينتز وافرايم أفرون ، وموشى ارينز ، ومائير روزين . فكل من هؤلاء كان له اسلوبه الخاص ايضا . غير انه كان يمكنهم ، شأنهم شأن زملائهم الدبلوماسـيين فى جهات اخرى ، ان يعلموا ان ثمة حدودا يتعين على الســـفارة أن تعمـل فى نطاقها بصرف النظرعمن يتولى المسئولية .

اذن ، هذا الكتاب هو خلاصة اكثر من اثنى عشر عاما من الخبرة الشخصية فى تغطية تقلبات العلاقات الامريكية الاسرائيلية . ولقد اتيحت لى فرصـــة الاطلاع على كل جانب من جوانب تلك العلاقة المعقدة والفريدة . وقد اكتشفت اثناء ذلك انه لم يكن هناك نقص فى الكتب التى تتنـاول الجوانب المختلفــة لاسرائيل ومجتمعها أو السياسة الامريكية فى الشرق الاوسط ، غير انه ليس ثمة مجلد شـامل فى الحقيقة يركز بصفة منفـردة على حـدود العـــلاقة بين الدولتين .

ولما كنت اكتب لحســاب صحف اسرائيلية ، فانه من المفهوم ان عـددا كبيرا من الاشخاص اصبحوا يعتقـدون اننى اسرائيلى . وعلى حين اننى لست كذلك ، اذ اننى امريكى ، وعندما كنت اعيش فى اسرائيل ، كان يتعين على اما دراسة اللغة العبرية ومواد اخرى فى القـدس او ان اعمـــل لحســاب وكالة انبـاء رويتر . ولم اصبح ابدا مواطنا اسرائيليا . غير أننى اصـــبحت اتكلم اللغـة العبرية بطلاقة ، كما اصبحت تلك احـــدى المزايا التى كانت لدى كمراسل صحفى وبالرغم من أن هناك الكثرة من الاسرائيليين الذين يعرفون اللغة الانجليزية وبنفس القدر من الاهميـة ، فان الاسرائيليين الذين تعتبر مفرداتهم فى اللغة الانجليزية محدودة يحتمـل بدرجـة اكبر ان يتحدثوا الى

المراسلين الامريكيين الزائرين بلغة الشعارات والكليشيهات وليس بعبارات دقيقة . ودائما ما أعرب عن استيائى لاستمرار أجهزة الاعلام الامريكية الكبرى فى تعيين مراسلين لدى اسرائيل لا يتحدثون اللغة العبرية وهم يفعلون نفس الشىء فى عواصم اجنبية أخرى ، وهو شىء مؤسف فى حقيقة الامر بالنسبة لمن يستقبل الاخبار التى ترد اليه عن طريق المترجمين — اى الشعب الامريكى — وليس ثمة هيئة اعلامية أجنبية جادة تقوم بايفاد مراسل لها الى واشنطن لا يتحدث اللغة الانجليزية ، فهل تتصور محاولة تغطية جلسة للكونجرس أو لمؤتمر سياسى قومى عن طريق الاستعانة بمترجمين للغة الانجليزية ؟

ونظرا لان المادة الخاصة بهذا الكتاب قد جمعت أثناء عملى كمراسل حيث تمت بتغطية كثير من الموضوعات فى واشنطن والقدس وجهات أخرى فقد حصلت على طائفة كبيرة من المعلومات الهامة التى لا تتاح لباحثين يقتصر جهدهم على ملفات الحفظ والمقابلات الرسمية ، فى حين بعثت برسائل حول الكثير من ذلك الى دور نشر مختلفة على مدى سنوات ، ولذا فان ملفاتى استمرت فى الانتفاخ ولسبب أو آخر ، فان بعض هذه المادة لم تطبع مطلقا . ودائما ما يحصل المراسل على معلومات « ليست للنشر » بمعنى أنه لا يمكن استخدامها . غير أنه يمكن بمرور الوقت الافصاح عنها — وهو ما فعلته فى هذا الكتاب .

ولقد قمت بمراجعة كل ما كتبته عن الموضوع — آلاف المقالات بالمعنى الحرفى — بالاضافة الى معلومات لم يبلغ عنها من قبل ، تم معظمها من مفكرتى .

وهكذا ، فان معظم المادة الاصلية لهذا الكتاب تاتى من ملاحظات شخصية ومقابلات مباشرة . وقد حاولت أن أجعل المصادر والاحصائيات والحقائق الاخرى التى استشهدت بها واضحة كلما أمكن فى النص الفعلى وليس فى الهوامش . كما أن معظم الاقوال المستشهد بها بصورة مباشرة جاءت من خلال جلسات مهى جرت على طريقة سؤال وجواب . وتم الاستشهاد بمقتطفات من الخطب وجلسات الكونجرس والمؤتمرات الصحفية ومحافل علنية أخرى دونتها فى مفكرتى نظرا لاننى كنت موجودا لديهم عندما قدمت أصلا تلك الملاحظات .

وقد شجعنى الكثيرون على تاليف هذا الكتاب ، ومن بينهم جماعة كبيرة من قرائى . وكانت تجربة رائعة أن أعمل لحساب زميلين محررين فى صحيفة الجيروساليم بوست ، هما آرى رات وأروين فرنكل . فقد تحملت

الكثير منهما ، كما أننى ممتن على وجه الخصـــوص لهيلينا شفارتيز ، وسـوزان رابينر من مطبعة جامعة اكسفورد بنيويورك ، اللتين ساهمتا فى وتوف المشروع على تدميه ومتابعته حتى النهـــاية . وكانت المساعدة التى تدمها ونترى وارى كيلر وراشيل تور كبـــيرة وذلك خلال تنفيذ المراحل الاخيرة من تاليف الكتاب ، كما اعطـــانى والداى المحبان سيسيا وديفيد بليتزر المقيمـــان فى بفــــالو بنيويورك القاعـــدة الاساسية والثقـــة اللتين كنت فى حاجـــة اليهما واللتين بسببهما سوف أظل مدينا لهما . واخـــــيرا ، كانت زوجتى لين وابنتى الانا تجسدان الحب والالهام الدائمين اللذين كانا حافزا لى على السير فى الاتجـــاه الصحيح .

مقـــــــــدمة

ظلت الولايات المتحدة تواجه دوما مأزقا لدى رسم سياستها الخاصـــة بالشرق الاوسط ، اذ كيف يتسنى لواشنطون الاحتفـــاظ بروابط قـــويه مع اسرائيل — وهى الحليف الذى يعتمـــد عليـــه والذى لديه أصدقاء عديدون فى الولايات المتحدة يتميزون بالنشـــاط الســـياسى — وفى نفس الوقت تقـــيم علاقات قوية مع العـــالم العـــربى الغنى بالبترول والذى يتمـــيز بأهميـــة استراتيجية ؟

فمنذ حصلت اسرائيل على اســـتقلالها فى عام ١٩٤٨ ، استطاعت الحكومات الديموقراطية والجمهورية المتعاقبة فى الولايات المتحدة أن تمـــارس لعبـــة شـــد الحبل الدقيقة تلك ، وكان بعضها ، بطبيعـــة الحال ، أفضل من بعضها الآخـــر . ومع كل ، لا يمكن الانكار بأنه على مدى تلك الفترة نمت العلاقات الامريكية الاسرائيلية وترعرعت ، ومن ثم حدث تقـــارب مستمر بين الدولتين فى شتى المجالات : العسكرية والسياسية والاقتصادية والتعاون الاقتصادى كذلك .

خذ ، على سبيل المثال ، العلاقات العسكرية . ففى عـــام ١٩٤٨ فرضت حكومة ترومان على اسرائيل ضمن دول اخرى حظرا على السلاح على المستوى الاقليمى ، مما اضطر اسرائيل — التى كانت وقتئذ تخوض حربها من أجل الاستقلال ضد جيوش خمس دول عربية مجاورة — لان تلجأ الى كافة أنواع المصادر للحصول على الأسلحة التى كانت فى أمس الحاجـــة اليها . وكانت هناك عمليات تهريب للأسلحة من الولايات المتحدة الى اسرائيل الامر الذى أدى الى القاء القبض على بعض الامريكيين ، من يهود وغير يهود على حد سواء وصدور احـــكام عليهم بالسجن . وكان الاتحاد السوفيتى من بين سائر الدول ، الذى أعطى الضـــوء الأخضر لتشيكوسلوفاكيا لكى تبيع بعض الأسلحة فى غضون تلك الحرب . وكان لتلك الصفقة الفضل فى تمكين اسرائيل من أن توقع اتفاقيات الهدنة مع جيرانها العرب فى عام ١٩٤٩ .

وفى ظل التعاون الوثيق بين الدولتين فى الوقت الحاضر ، يسهل تناسى أمر الحظر المبدئى على السلاح الذى فرضه ترومان على اسرائيل وظل قائما على مدى الخمسينيات بشكل جوهرى وأنه ليس قبل مطلع الستينيات عندما قامت الولايات المتحدة بابرام أول صفقة كبيرة لبيع السلاح لاسرائيل ، وهى صـــفقة تضمنت نموذجا قديما من صواريخ هوك المضادة للطائرات . ومنذ ذلك الحين ، بطبيعة الحال ، اتسع نطاق العلاقات العسكرية الأمريكية الاسرائيلية على وجه

السرعة ، وبخاصة بعد حربى عام ١٩٦٧ و عام ١٩٧٣ . وظلت اسرائيل لعدة سنوات أكبر دولة متلقية للقروض العسكرية الامريكية .

وقد حدث نفس التغير من الناحية الدبلوماسية . ففى غضون العقدين الاولين منذ قيام اسرائيل ، لم يتلق رئيس الوزراء بن جوريون دعوات متكررة من واشنطون لزيارتها . وكثيرا ما مرت سنوات قبل أن توجه دعوة رسمية لمسئول اسرائيلى لزيارة البيت الأبيض . غير انه منذ عام ١٩٦٧ باتت مثل تلك الزيارات الرسمية الاسرائيلية شيئا مألوفا . فقد قام مناحم بيجين رئيس وزراء اسرائيل السابق الذى تولى هذا المنصب فى عام ١٩٧٧ بزيارة واشنطون ما يقرب من اثنتى عشرة مرة ، اكثر من عدد المرات التى قام فيها أى رئيس حكومة أجنبية اخرى بزيارتها فى غضون نفس الفترة .

وهكذا ، يتضح ان التحالف الامريكى الاسرائيلى فى الثمانينيات كان على مستوى مختلف تماما عنه فى السنوات السابقة .

ومما هو لافت للنظر ان العلاقات الامريكية مع العالم العربى تحسنت ايضا على مدى نفس العقود الثلاثة . فواشنطون ، اكثر من موسكو ، تحظى اليوم باهتمام زائد من قبل فئة كبيرة من الرؤساء العرب الذين يتطلعون الى دعم مصالح بلادهم الوطنية . ويرجع ذلك من ناحية بالتأكيد الى تقدير العرب بأن الامريكيين وحدهم لديهم القدرة السياسية على تغيير السياسة الاسرائيلية ، وعلى الرغم من ان السوفييت أمدوا العرب بالدعم العسكرى ، الا أن الخيار العسكرى ضد اسرائيل لم يثبت فعاليته فى فرض تغيير المواقف الاسرائيلية .

وبطبيعة الحال ، لاتزال ثمة خلافات حادة بين واشنطن والقدس فى عدة مجالات ، غير أن كلا من الدولتين ادركت أنه يجب عليها الابقاء على تلك الخلافات داخل حدود معينة — لان قيام علاقات قوية ووثيقة بين الدولتين تخدم مصالحهما القومية بصرف النظر عن هوية الحزب السياسى الذى يتولى السلطة فى الولايات المتحدة او فى اسرائيل . وليس القصد من ذلك بالتأكيد الاشارة الى أن يتفق كلاهما دائما حول كل مسألة هامة. فليس كل حليف لامريكا، مهما كان وثيق الصلة بها ، يتفق مع واشنطون دائما . فثمة توترات منتظمة بين الولايات المتحدة وبين دول أوربا الغربية والكنديين والمكسيكيين واليابانيين وحلفاء آخرين وثيقى الصلة بها . ولكن ، كما فى حالة اسرائيل ، فان تلك الخلافات ، حتى عندما تكون خطيرة لا يسمح لها أن تهز الاسس التى يقوم عليها التحالف باكمله .

وقد اتجهت فئة كثيرة من المراقبين الى التركيز على النواحى السلبية للعلاقات الامريكية الاسرائيلية . ويبدو أن المراقبين فى كلتا الدولتين مستعدون بشكل يكاد يكون دائما للكشف عن الخلافات المتكررة بين واشنطون والقدس على طريق السعى الى احلال السلام بين العرب واسرائيل وهناك من يتطلع فى كلتا

العاصمتين الى الكشف عن أن الدولتين تسـيران « نحـو صدام حتمى » أو أن مواجهة شاملة بينهما تلوح فى الافـق .

وقـد كشف هارفى شيرمان فيما كتبـه فى عدد صيف عام ١٩٨٠ من مجلة أوربيس عن شعور حاد بتلك التحفظات (*) .

ومنذ حرب عام ١٩٧٣ على وجه الخصوص ، ترددت تلك التكهنات القائمة بشكل منتظم ، بصرف النظر عما اذا كانت الادارة التى تتولى السلطة فى واشنطون ديموقراطية أم جمهورية ، أو حكومة حزب العمل أم الليكود فى القدس . ولكن اذا القينا جانبا مدى ما وصلت اليه العلاقات من توتر أو صعوبة ، والتى كانت فى بعض الاحيان بالغة الصعوبة — لم تحدث قطيعة كاملة بين الدولتـين ، وتأسيسا على تلك الخبرة التاريخية فان من غير المحتمل الى حد كبير أن تحدث مثل هذه القطيعة فى المستقبل المنظور . فقـد استطاعت العلاقـات الامريكية الاسرائيلية أن تتجاوز التـوترات الهائلة التى صاحبت الحرب اللبنانيـة فى عـام ١٩٨٢ .

وبالرغم من ذلك ، فان العلاقات بين واشنطون والقدس تسير فى اطـار مجموعة من التحفظات لدى كلتا العاصمتين وأن فهم تلك التحفظات يعد ضروريا لفهم السبب الذى يجعل العلاقات الامريكية الاسرائيلية تتارجح اليوم .

ومن الواضح ، أنه ليس فى خدمة المصالح القومية لاسرائيل أن تجد نفسها فى مواجهة حقيقية ، لاية فترة طويلة ، مع الولايات المتحدة ، ونظرا لان اسرائيل ، المعزولة بشكل متزايد فى كافة أنحاء العالم ، عليها أن تعتمد على الولايات المتحدة أكثر فأكثر فى المجالات الاقتصادية والعسكرية والسياسية ، فان كل حكومة تتولى السلطة فى القدس لابد أن تضع دائما وجهة النظر الامريكية فى الاعتبار . وثمـة عامل آخر يلقى بثقله على أذهان صانعى السياسة الاسرائيلية يتمثل فى حقيقة أن الولايات المتحدة هى موطن مايقرب من ستة ملايين يهودى ، مما يجعلها أكبر طائفة يهودية عددا فى العالم ويقدم هؤلاء اليهود الامريكيون مساعدة اقتصادية

(*) (من الصعب ملاحظة الحالة الحقيقية للعلاقات الامريكية الاسرائيلية فى اى وقت وقد يعزى ذلك للفوارق الغريبة فى حجمها وتاريخها وحتى فى أنظمتها السياسية الديموقراطية . وزيادة على ذلك ظل ارتباطهما وثيقا الى حد ان المعرفة الدولية لأى خلاف محلى — مهما كانت محدوديتها — تستأثر فى الحال بالعناوين الرئيسية لوسائل الاعلام فى كلتا الدولتين . وقد تتعرض العلاقات الامريكيـة الاسرائيلية فى الواقع لمـا اسماه أحد المراقبين بأعراض « جيفالت » : وهى أن يسيطر على المرء فى اى يوم شعور بأن (أ) السماء تسقط فوق الدولتين ، أو (ب) أنها ستسقط غدا ، أو (ج) أنها سقطت أمس ولكن كلتا الدولتين من الغبـاء بحيث لا تستطيعان فهم ذلك) .

اضافية لاسرائيل من خلال مساهماتهم فى جمعية النداء اليهـودى الموحد وشراء سندات اسرائيل بالاضافة الى هدايا نقدية مباشرة للقضايا الاسرائيلية الاخرى . وتبدأ كل حكومة اسرائيلية دائما عملية صنع القرار بحافز ذاتى يجعلها تتجنب أن تضع نفسها فى صراع مع الحكومة أو الشعب الامريكى . وهذا لا يعنى أن تفعل اسرائيل دائما كل ماتريده الولايات المتحدة منها ولكنه يعنى أن رد الفعـل الامريكى المحتمل سوف يكون عاملا مؤثرا فى قرارات اسرائيل .

ومن المهم بنفس القدر ادراك ان العلاقة ليست طريقا ذا اتجاه واحد ــ وهو بالتاكيد ليس كذلك فى الثمانينيات ، فثمة اسباب هامة غير الشفقة والتطابق فى السمات ، حدث بالادارات الامريكية ، ديموقراطية كانت أم جمهورية الى تأييد اسرائيل . ولاتزال العوامل الاخلاقية التى تبقى على طول الامد والمتعلقة بقيـام اسرائيل من بين بقايا الدمار التى تكمن وراء تلك العلاقة بالاضافة الى القيـم الديموقراطية المشتركة . بيد أن الاسباب الديموقراطية اضحت اكثر اهميـة اليوم حسب قول طائفة كبيرة من المسئولين الامريكيين والاسرائيليين . واسرائيل، بعد كل ذلك ، تمتلك أقوى قوة عسكرية فى الشرق الاوسط . ومن المسلم به فى حالة افتراض حدوث مواجهة تقليدية مع الاتحاد السوفيتى أو أى عدد آخر أن يحصل مخططو الدفاع الامريكيون على تأييد اسرائيل ، وهو تأييد من الممكن ان يكون حاسما فى شرقى البحر المتوسط .

وفى عام ١٩٨٤ كان للولايات المتحدة ٣٦٠،٠٠٠ جنـدى فى غرب أوربا وما يقرب من ١٣٥،٠٠٠ جندى فى الشرق الاقصى . وفى الشرق الأوسط كان لها ما يقرب من ١٢٠٠ جندى يخدمون ضمن قوات حفظ السلام فى سيناء . وثمـة سببان يبرران هذا الاختلاف : أولا ، رفضت الدول العربية حتى المعتدلة منها ، قبول اية قواعد أمريكية دائمة على أرضها . وفضلت العربية السعودية ودول عربية أخرى صديقة للولايات المتحدة وجودا أمريكيا غير مباشر . ثانيا : توصل مخططو الدفاع الامريكيون الى ان وجودا امريكيا على نطاق واسع فى غرب أوربا والشرق الأقصى قد لا يكون ضروريا ، وذلك راجع من ناحية الى ان اسرائيل ، بعد تعبئة احتياطيها فى خلال اثنتين وسبعين ساعة ، تستطيع ان تجمع جيشا على درجة عالية من الكفاءة والاختبار فى ميدان القتال ويمكن الاعتماد عليه قوامه اكثر من ٤٠٠،٠٠٠ جنـدى مزودين بالمعدات ولديهم القـدرة على استخدام بعض افضل الأسلحة التقليدية فى العالم ــ معظمها وارد من الولايات المتحدة . واسرائيل ، بطبيعة الحال ، ليست على وشك ارسال هؤلاء الجنود لكى يخوضوا حروبا لصالح الولايات المتحـدة ، ما لم تتوصل الحكومة الاسرائيلية بتأييد الشعب الاسرائيلى ، الى ان ذلك يعد فى صالح اسرائيل أيضا . غـير ان مخططى الاستراتيجية الامريكية يمكنهم ، على أدنى مستوى . افتراض أنه فى حالة حدوث مواجهة على نطاق حرب باردة فى الشرق الأوسط فان الولايات

المتحدة لن تكون وحدها التى تواجه قرار اما الزام قواتها الخاصة بالتصدى لهذه المواجهة أو تشهد هزيمة حليفتها .

وهكذا ، فانه بالمقارنة لما يتعين على الولايات المتحدة القيام به كل عام للدفاع عن حليفاتها الأخريات فى غرب أوربا والشرق الأقصى ، تبدو المساعدات الاقتصادية والعسكرية التى تقدمها الولايات المتحدة لاسرائيل صفقة حقيقية .

قال السناتور الجمهورى رودى بوشفيتس ، عن ولاية مينيسوتا ورئيس اللجنة الفرعية للعلاقات الخارجية لشئون الشرق الأدنى وجنوب آسيا التابعة لمجلس الشيوخ ، عنها « انها ميتزيا » وهى الكلمة المستخدمة فى اللغة البديشية بمعنى صفقة . ويدرك السناتور أن معظم الشخصيات الهامة فى واشنطون لا ترى بالضرورة نفس الشىء ، ويرجع ذلك لحد كبير الى أن المساعدات التى تقدمها الولايات المتحدة لحلفائها الآخرين تأتى أساسا ضمن الميزانية الضخمة للبنتاجون ، فى حين ان المساعدات الاقتصادية والعسكرية الامريكية لاسرائيل تتخذ نفس الصفة فى قانون المساعدات الأجنبية على مستوى العالم ، غير أنه لكى توضع المساعدات المالية التى تقدم لاسرائيل فى منظورها السليم ، قال بوشفيتس ، انه ينبغى مقارنتها بالمساعدات التى يتعين على الولايات المتحدة أن تقدمها سنويا لحماية غرب أوربا واليابان . والذى يرجوه كثيرا هو وبعض أعضاء الكونجرس الآخرون أن يتم نقل البرنامج السنوى للمساعدات العسكرية الامريكية لاسرائيل من قانون المعونة الأجنبية الى ميزانية الدفاع ، وهو المجال « الذى تنتمى اليه » — وتلك خطوة من غير المحتمل حدوثها ، نظرا لأن وزارة الخارجية الامريكية تعتمد على المعونة الضخمة لاسرائيل فى الحصول على موافقة الكونجرس على قانون المعونة الخارجية كل عام فالمعونة الخارجية ليست بالقضية التى يكسبها كثير من رجال القانون بيد أن المعونة لاسرائيل أمر مختلف .

وفى عام ١٩٨٣ ، كلف بوشفيتس مساعديه باعداد مذكرة تفصيلية تحدد بالضبط مدى ما يتعين على الولايات المتحدة ان تنفقه على حليفاتها الأخريات وكانت الأرقام ، التى عرضت ببساطة أرقاما مذهلة . وكان وكيل وزارة الخارجية للشئون السياسية لورنس ايجلبرجر ، فى معرض استفسار قدمه بوشفيتس أمام لجنة العلاقات الخارجية فى ٣٠ نوفمبر ١٩٨٢ ، كان قد قدر تكاليف الولايات المتحدة النقدية التى تنفق سنويا لحماية أوربا بما يتراوح بين خمسين وثمانين بليون دولار . وقدر ديفيد كاليو أستاذ العلوم السياسية بجامعة جون هوبكنز فى مقال كتبه فى مجلة الشئون الخارجية عدد ربيع عام ١٩٨١ ، ما أنفقته الولايات المتحدة فى الدفاع عن حلف شمال الأطلنطى فى عام ١٩٨١ بما مقداره ثمانون بليون دولار ، وقد كتب كاليو يقول :

ليس بالامكان تقديم كشف دقيق بتكاليف القوات الامريكية المشتركة فى حلف شمال الاطلنطى نظرا لان معظم عناصر تلك القوات لها اكثر من

فرض واحد وانه فى اية مواجهة على نطاق واسع مع حلف وارسو سوف يتم استخدام كافة القوات الامريكية . ومع كل ، تقدر الولايات المتحدة فى ردها مؤخرا على الاستفسار الخاص بتخطيط الدفاع لحلف شمال الاطلنطى ، تقدر تكاليف القوات المرتبطة رسميا بالحلف بحوالى واحد وثمانين بليون دولار أو حوالى واحد وخمسين فى المائة من الميزانية الكلية للدفاع للسنة المالية ١٩٨١ .

كما أوضح بوشفيتس أنه ، على خلاف احلفاء الآخرين للولايات المتحدة ، الذين دابوا على رفض تخصيص نسبة كبيرة من مواردهم المالية كنفقات الدفاع مثلما تفعل الولايات المتحدة ، فان اسرائيل فى السنوات الاخيرة تخصص حوالى خمسة وعشرين فى المائة من اجمالى انتاجها القومى للدفاع — وهو سبب رئيسى للمتاعب التى يعانى منها اقتصادها اليوم . (زادت الولايات المتحدة خلال الفترة الأولى لادارة ريجان انفاقها فى مجال الدفاع الى حوالى سبعة فى المائة من اجمالى انتاجها القومى) .

كما ذكر بوشفيتس ان نسبة كبيرة من المعونة هى على هيئة قروض تقوم اسرائيل بسدادها مع الفوائد دائما . ففى عام ١٩٨٤ ، سددت اسرائيل الولايات المتحدة أكثر من بليون دولار ديونا سابقة مستحقة ولم تتاخر على مر السنين عن السداد . وقد سددت اسرائيل للولايات المتحدة خلال الفترة من عام ١٩٧٣ حتى عام ١٩٨٤ اكثر من سبعة بلايين دولار .

وجاء فى مذكرة بوشفيتس ان « اسرائيل حصلت خلال الفترة من عام ١٩٧٣ حتى عام ١٩٨٢ على ٢٠٫٦ بليون دولار على هيئة معونة اقتصادية وعسكرية يتم سداد نصف المبلغ تقريبا . ونفس الشىء لا يمكن أن يقال عن نفقات الولايات المتحدة الخاصة بحلف شمال الأطلنطى . ففى خلال عشر سنوات ، تلقى الاسرائيليون حوالى ربع ما انفقته الولايات المتحده على حلف شمال الأطلنطى فى عام ١٩٨١ وحده ، وأكثر قليلا من سدس ما سوف تنفقه الولايات المتحدة فى السنة المالية ١٩٨٣ على الحلف . واعترف بوشفيتس بأن اسرائيل فى بعض الاحيان ، يمكن أن تكون حليفا « صعبا » ، ولكنه اكد ان حلفاء أمريكا الآخرين يتصفون بنفس الصفة ، وأنهم فى العادة يبعثون على الضيق بدرجة اكبر مما يفعله الاسرائيليون . فاليابان ، على سبيل المثال ، لديها ميزان تجارى ايجابى مع الولايات المتحدة يتراوح ما بين ثمانية عشر الى عشرين بليون دولار . ويقول بوشفيتس ، أن اليابانيين ، فيما يتعلق بالتجارة ، يصعب الى حد كبير التعامل معهم كحليف . وان هذا العجز التجارى الامريكى مع اليابان وحدها يؤثر بشكل مباشر على مشاكل البطالة فى الولايات المتحدة . ولتنبه اذا ماقارنت المنتجات يفتح اسواقها

تماما للسلع الأمريكيــة ، فان معــدل البطالة فى الولايات المتحدة سوف ينخفض فى الحال وبشكل مؤثر . كما انه فى حالة قيــام اليابان بزيادة انفاقها فى مجال الدفاع من المستوى المحدود الذى يقل عن واحد فى المــائة من اجمالى انتاجها القومى فانه من غـــير المحتمل أن تتمكن من الاحتفاظ بقــدرتها على التميز عــلى الولايات المتحدة فى مجال المنافســـة . ونفس الشىء يمكن أن يقــال عن غرب أوربا وجهودها العدوانيــة للســيطرة على بعض أسواق الولايات المتحــدة التقليــدية وبالأخص فى مجال المنتجات الزراعية . ويقول بوشـفيتس أن « اسرائيل لا تسبب عجزا تجاريا كبيرا للولايات المتحدة » .

وقد برهنت اسرائيل على أنها تستطيع القيام بدور هام فى دفع المصــالح الامريكية فى السياسات الاقليمية . واوضح الامثلة على ذلك ما حدث فى سبتمبر عام ١٩٧٠ ، عندما قامت اسرائيل ، بناء على طلب الولايات المتحدة ، بحشــــد قواتها على طول الحدود الاسرائيلية مع سوريا لعرقلة الغزو ، غزو ســـورى للاردن الذى كان وقتئذ منخرطا فى حرب اهلية مع منظمة التحرير الفلسطينية . وقد فعلت اسرائيل ذلك على الرغم من أنها لاتزال فى حالة حرب رســـمية مع الأردن .

كما اتاحت اسرائيل الفرصة للولايات المتحدة ، على مر السنين ، لفحص المعدات العسكرية السوفيتية التى استولت عليها . كما أن التعـــاون بــين المخابرات الامريكية والمخابرات الاسرائيلية يجرى على نطاق واسع ولمصلحة الجــانبين .

وقد تحدد مدى الصداقة بين اسرائيل والولايات المتحدة فى وثيقة مميزة ، غير أنها ليست ملحوظة بدرجة كبيرة ، قدمتهــا جين كـــيرك باتريك المندوب الامريكى فى الامم المتحدة الى اللجنة الفرعية للاعتمادات التابعة لمجلس الشيوخ حول العمليات الخارجية فى مارس ١٩٨٣ . اذ أوضحت فى دراستها انـــه خلال الدورة السابعة والثلاثين للجمعية العامة للامم المتحدة فى عــــام ١٩٨٢ كانت اسرائيل اكثر الدول التى صوتت فى جانب الولايات المتحدة . واتفقت واشنطون مع القدس فى ٨٦ر٢ فى المائة من الاصوات بالمقارنة لــ ٨٠ر١ فى المائة مع بريطانيا و ٧٦ر٦ فى المائة مع المانيا الغربية و ٧٠ر٧ فى المائة مع ايطاليا و ٧٦ر٢ فى المائة مع اليابان . وعلى الطرف الآخر من الميزان اتفق الاتحاد السوفيتى مع الولايات المتحدة بنسبة ٢٠ر٦ فى المائة فقط وحصلت البانيا على نسبة ٨ر٨ فى المائة . فى حين حصلت الدول العربية المعتدلة ، امثال السعودية العربية ومصر والاردن على نسبة تقل عن ٢٥ فى المائة . بينما كانت النسبة التى حصلت عليها الدول العربية المتطرفة امثال ليبيا والعراق وسوريا اقل من ٢٩ فى المــائة . وابرزت دراسة كيرك باتريك بشكل حاسم مكان لا يبدو واضحا فى كثير من الأحيان : أن اسرائيل حليف طبيعى لواشنطن مع الكثير من المصالح الدولية المرادفة .

كما اثرت الحقائق السياسية المحلية ، وبالاخص وجود طائفة يهودية امريكية قوية متماسكة ونشيطة سياسيا ، اثرت فى سلوك كل ادارة امريكية فلا يزال من المستحسن سياسيا تأييد اسرائيل ومن الخطر معارضتها .

ولا تزال تلك الاعتبارات الاستراتيجية والسياسية ، حسب ترتيبها الزمنى ، مرتبطة بالعامل الاخلاقى . فقد قامت اسرائيل فقط بعد ما تعرض اليهود للابادة اثناء الحرب العالمية الثانية . وكانت الولايات المتحدة فى ظل حكم هارس س . ترومان الدولة الاولى التى أعلنت اعترافها الدبلوماسى الرسمى باسرائيل. ومنذ ذلك الحين ، حظى هذا الالتزام الادبى بتأييد كل رئيس للولايات المتحدة .

ومن مظاهر العلاقة التى لا يمكن تجاهلها أن الولايات المتحدة ايدت اسرائيل قبل ان ترى اية ميزة استراتيجية من وراء ذلك .

وقد انعكس ذلك بشكل واضح اثناء المؤتمر الذى عقده الناجون من حرب الابادة فى واشنطون عام ١٩٨٣ .فقد حرص منظمو المؤتمر ، الذين احضروا آلاف الناجين وأبناءهم الى واشنطون ، فى تصريحاتهم العامة دائما ، على وصف المؤتمر بانه غير سياسى . ولكن ، منذ البداية ، ادرك المشتركون فى المؤتمر تماما . الفائدة السياسية التلقائية لابد أن تعود على اسرائيل من خلال هذا الحدث فى العاصمة الامريكية ، وحول العالم بالفعل . فكثير من المواطنين الاسرائيليين كانوا هم أنفسهم من الناجين . وثمة اعتقاد شائع فى الولايات المتحدة بأن الملايين الستة من اليهود لم يكونوا ليهلكوا جميعهم لو ان اسرائيل كانت قائمة فى الثلاثينات والاربعينات . وحتى امريكا اغلقت ابوابها فى وجه المهاجرين اليهود فى تلك الايام . وقد اتفق المسئولون الاسرائيليون والعناصر السياسية الفاعلة من اليهود الامريكيين على أن رفع درجة الوعى العام بشأن الابادة (ثلث يهود العالم هلكوا فى غضون تلك السنوات القليلة) كانت ستؤدى الى خلق تعاطف وتأييد زائدين لاسرائيل . وليس باستطاعة دعاة تأييد العرب ومعاداة اسرائيل ممن هم على درجة عالية من التعصب تقدير تلك العلاقة . ومع كل ، فثمة جهد متعمد فى نفس الوقت لعدم المبالغة فى اقامة هذه العلاقة . كما أن الكثيرين ممن نجوا لا يقبلون اثارة شبح الابادة لتبرير كل سياسة اسرائيلية . وقيل ان القيام بذلك انما يؤدى الى التقليل من شأن الابادة وذكرى أولئك الذين راحوا ضحيتها .

ولم يكن لزاما علىمنظمى مؤتمر واشنطن استخدام القوة لتاكيد وجهة نظرهم فى الحصول على تأييد قوى من جانب الولايات المتحدة لاسرائيل ، فذلك أمر مفهوم دائما . فهم يستطيعون مجرد ترك اعمالهم وكذلك وجودهم تتحدث عنهم أنفسهم . وقد بدا التأثر الواضح على الرئيس ريجان وهو يتحدث الى ١٥٫٠٠٠ شخص فى افتتاح المؤتمر الذى عقد فى الكابيتال سنتر بواشنطون والذى تأثر بما شاهده وسمعه . كما بدت الدموع فى عيون

زوجتــه نانسى وهى تشهد لم شمل الناجين ومحرريهم من افراد الجيش الامريكى وبدا التأثر بحــادث الابادة على شخصيات اخرى مرموقة من صانعى السياسة الامريكية . وقد تحــدث جورج بوش نائب الرئيس الامريكى فى حفل الكونجرس . ووجهت الدعوة الى زعماء مجلس النــواب ومجلس الشيوخ للتحدث الى حاضرى المؤتمر والتقى الكثيرون من أعضــاء الكونجرس ومجلس الشيوخ على انفــراد بناخبيهم ممن نجوا من حادث الابادة . وقد اثير موضــوع اسرائيل بشكل ثابت غير متغير . وبدون اعلان او دعاية كثيرة ، وتلقت قضية اسرائيل دفعة كبيرة بصورة تلقائيــة . وقد ادرك الدبلوماسيون الاسرائيليون جيــدا هذه الحقيقة مثلما فعــل دون شـــيلانسكى نائب الوزير بمجلس الــوزراء والذى كان ممثلا شخصيا لبيجين فى المؤتمر وقد وعد ريجان فى خطــابه الذى القاه فى المؤتمر للناجين بأن « الامن الذى يظل مأواكم الآمن هنا وفى اسرائيــل ، لن يتعرض مطلقا للخطر » .

وقد قوبل هذا التصريح بعاصفة مدوية من التصفيق .

وربط بعض المتحدثين فى المؤتمر بكل شدة بين اسرائيل وحادث الابادة . وقوبل ادوارد كوش عمدة مدينة نيويورك الصريح بالتصفيق الحماسى فى الحفل الختامى الذى اقيم بالقرب من النصب التذكارى بواشنطون عندما دعا الى تأييد أقوى من جانب الولايات المتحدة لاسرائيل والقدس ، « عاصمتها الموحدة » . وندد بمنظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها منظمة ارهابية تحاول انهاء ما كان هتلر قد بــدأه .

واتخذت اللجنة التنفيذية للمؤتمر فى اجتماعها الذى عقد فى ١٤ ابريل عام ١٩٨٣ بالاجماع قرارا جاء فيه : « نحن على بينة من أن وقتنا ثمين وأن مسئوليتنا كبيرة وأن لدينا دورا فريدا نقوم به » كما قالت الوثيقة ان : « ولاءنا لشــعب اسرائيل لا يتزعزع ويجب ان نبرهن على هذا التأييد » .

وكان جيمى كارتر قد تأثر تأثرا بالغا بحادث الابادة وتأثيــره الدائم على اسرائيل . وقد بعث بوصفه رئيسا للجمهورية لايلى ويزل ، أحد الناجين من حادث الابادة وهو مؤلف وفيلسوف سلسلة من صور استطلاعية التقطت لمعسكر اعتقال أوشفيتز خلال الفترة من ٤ ابريل ١٩٤٤ الى ١٤ يناير ١٩٤٥ . وقــد التقطت الصور بواسطة طائرات أمريكية واخرى بريطانية وتظهر فيها بوضوح غرف الغاز والمحرقــة وكذلك سجناء يجرى تطعيمهم ضــد المرض ويصطفون لوشمهم . وقد أثارت الصور التى سمحت هيئة الأرشيف القومى ووكالة المخابرات الامريكية بنشرها ، اثارت من جديد التساؤل الذى يبعث على القلق حول السبب فى عدم قيام الحلفاء بقصف خطوط السكك الحديدية التى كانت تنقل الضحايا الى المعسكر . وقد ثبت من نشر الصور أن الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى كانتا تعلمان بوجود المعسكر قبل نهاية الحرب بعام على الاقل .

وقد اشير الى أن صور اوشفيتز التقطت بالمصادفة تقريبا . وكانت الطائرات تقوم بالفعل بالتقاط صور لمصنع آى . جى . فاربن الذى ينتج الوقود المضغوط على بعد اقل من خمسة اميا ل. وقد قصف المصنع خلال السنة الاخيرة للحرب . وكان تدمير خطوط السكة الحديد الممتدة الى آوشفيتز فى ذلك الوقت كفيلا بعرقلة نقل ما يقرب من نصف مليون يهودى مجرى كان يجرى نقلهم الى ذلك المعسكر .

وتعد مواجهة تلك الضغوط المؤيدة لاسرائيل عوامل حاسمة تستهدف الحد من درجة التعاون والصداقة الامريكية ــ الاسرائيلية الوثيقة . كما أن الحاجة الى الاحتفاظ بعلاقات وثيقة مع العالم العربى تعتبر بطبيعة الحال ، أهم سبب ذكر ، بالاخص منذ عام ١٩٧٣ ، عندما هددوا بامكانية قطع امدادات النفط العربى ، وزاد نفوذ دول البترودولار . وكثفت الجهود الرامية لتهدئة العلاقات الامريكية الاسرائيلية . واصبح قطاع العمل الضخم وشركات النفط الكبرى وشركات البناء العملاقة التى لديها استثمارات ضخمة فى العالم العربى وكذلك امريكيون آخرون يساندون بوجه عام القضية العربية ، اصبحوا ضالعين بفاعلية اكثر فى محاولة التاثير على عملية صنع القرار . وقد اعتبر الكثير من المراقبين الضغوط التى مارسوها اثناء مناقشة مجلس الشيوخ لصفقة الأواكس للسعودية عام ١٩٨١ بأنها كانت حاسمة . واشتدت المعركة التى شهدها الراى العام بين جماعات الضغط المؤيدة لاسرائيل والجماعات الاخرى المؤيدة للعرب بشكل مثير فى السبعينيات .

ومنذ عام ١٩٧٣ ، كانت هناك شبه مواجهات عدة بين واشنطون والقدس وتلك جرت بين ادارات كل من نيكسون، ونورد ،وكارتر ،وريجان وبين حكومات اسرائيلية برئاسة كل من جولدا مائير ، واسحق رابين ، ومناحم بيجين ، واسحق شامير . وكان هناك ، على سبيل المثال ، الضغط المبدئى من جانب الولايات المتحدة ابان الايام الاخيرة من حرب عام ١٩٧٣ لتحرير الجيش الثالث المصرى المحاصر بالقرب من قناة السويس ، وكذلك اعادة تقييم السياسة الامريكية تجاه اسرائيل التى حظيت بدعاية على نطاق واسع والتى جاءت فى أعقاب توقف المساعى المكوكية التى قام بها وزير الخارجية الامريكية هنرى كيسنجر لتحقيق اتفاق مؤقت ثانٍ فى سيناء فى مارس عام ١٩٧٥ ، والاحتجاجات الاسرائيلية المتكررة على صفقات السلاح الامريكى المقترحة للدول العربية (صفقة صواريخ هوك المضادة للطائرات للاردن فى عام ١٩٧٥ ، صفقة طائرات اف ١٥ للسعودية فى عام ١٩٧٨ ، وصفقة طائرات الأواكس فى عام ١٩٨١) والتوترات الحادة التى حدثت خلال الستة عشر شهرا ما بين المرحلة التاريخية التى قام بها الرئيس المصرى انور السادات للقدس فى شهر نوفمبر عام ١٩٧٧ وتوقيع اتفاقية السلام بين اسرائيل ومصر فى واشنطون فى شهر مارس عام ١٩٧٩ والتوترات التى

حدثت فى العلاقات فى أعقاب قصف اسرائيل للمفاعل النووى العراقى فى عام ١٩٨١ ، ورد الفعل الامريكى السلبى بوجه عام تجاه الغارة الجوية الاسرائيلية على مقر منظمة التحرير الفلسطينية فى بيروت ، والتشريع الذى أصدره الكنيست بمد العمل بالقانون الاسرائيلى ليشمل مرتفعات الجولان ، وبطبيعة الحال الحرب فى لبنان . وبالرغم من ذلك فان العلاقات الامريكية الاسرائيلية لا تزال بوجه عام حيوية . وقد استطاعت هذه العلاقات ان تزدهر فى وجه كل تلك التوترات .

وعندما تحدث روبرت ماكفرلين مستشار الامن القومى أمام المؤتمر القومى لحداسا فى سان فرانسيسكو فى ٢٨ اغسطس عام ١٩٨٤ تناول بالتفصيل طبيعة العلاقات الامريكية الاسرائيلية . وقد أعلن ان الولايات المتحدة مهتمة دائما اهتماما لا يتزعزع بأمن دولة اسرائيل وبقيام علاقة ثنائية قوية معها .

وكان ماكفرلين ، وهو ضابط سابق ، صعد على وجه السرعة ضمن فريق السياسة الخارجية لادارة ريجان ، كان بالفعل يحدد العلاقة الفريدة بين واشنطون والقدس على أنها ليست علاقة بين دمية ومحركها . ودون أن يقول ذلك بكلمات كثيرة ، كان يذكر جمهور مستمعيه بوضوح بأن الولايات المتحدة لا يمكنها مجرد طقطقة أصابعها لتجد تجاوبا من جانب اسرائيل .

ويتطلع العرب وأنصارهم من الامريكيين على مر السنين وبشكل دائم الى أن تتخذ الولايات المتحدة موقفا متشددا تجاه اسرائيل ودأب هؤلاء على الترويج لفكرة ممارسة الولايات المتحدة ضغطا مباشرا على اسرائيل حتى تقدم تنازلات فى عملية السلام . ولما كانت الولايات المتحدة تمد اسرائيل بالمساعدات الاقتصادية والعسكرية التى هى فى مسيس الحاجة اليها ، فقد ذهب تفكيرهم الى : ما الذى يمنع الولايات المتحدة من وقف تلك المساعدات الى أن تقبل اسرائيل بعض المطالب الامريكية ؟ . وقد اقترح بشكل منتظم فى السنوات الأخيرة قيام اسرائيل بتجميد بناء مستوطنات فى الضفة الغربية ، كأحد تلك المطالب .

بيد أن صانعى السياسة الامريكية ، جمهوريين وكذلك ديموقراطيين ، لا يميلون فى العادة لربط المساعدات المالية لاسرائيل بالتنازلات السياسية وربما يرغب الكثيرون منهم بطبيعة الحال اتخاذ مثل هذا الاجراء ، غير انهم فى الجانب الاعظم مقيدون بمجموعة ظروف سياسية وعسكرية متداخلة ساعدت على تشكيل نمط العلاقات الامريكية الاسرائيلية .

ويتذكر منتقدو اسرائيل على نحو يشبه الحنين الى أيام عام ١٩٥٦ وعام ١٩٥٧ عندما مارس الرئيس الامريكى دوايت ايزنهاور ووزير خارجيته جون فوستر دالاس الضغط الاقتصادى والسياسى ، على نطاق واسع على

حكومة رئيس الوزراء بن جوريون الناشئة لارغامها على الانسحاب من جانب واحد من سيناء وغـزة ، اللتين استولتا عليهما اسرائيـل خـلال الحرب ، التي كانت قـد انتهت لتوهـا . وكانت هنـاك تهديدات مبـاشرة من جانب الولايات المتحـدة بالانضمام الى الاتحـاد السوفيتي في مجلس الامن لفـرض عقوبات اقتصادية على اسرائيل ما لم تنسـحب من تلك المنـاطق . ولو كان مثل هذا القرار صدر ، لربما عجزت اسرائيل عن الاتجار مع ايـة دولة أخرى . فقرارات مجلس الامن على خـلاف قرارات الجمعية العامة ملزمة قانونا بالنسبة للدول الاعضاء في الامم المتحدة .

وقد خطت ادارة ايزنهاور ودالاس خطوة أخرى . اذ حذرت الاسرائيليين ، من خـلال الوسائل الدبلوماسية الخاصة بانـه اذا لـم تنسحب اسرائيـل في الحال ، فان وزارة العـدل الأمريكيـة ربما تفتح تحقيقا في وضـع الاعفاء من الضرائب الذي تتمتـع بـه جمعية النداء اليهودي الموحد وجمعيـات خيرية أخرى تمد اسرائيل بأموال هي في مسيس الحاجة اليها .

ولـم يكن بالامكان ممارسة ضـغط عسكري على اسرائيل في تلك الأيام نظرا لان اسرائيل لـم يكن مسموحا لهـا بأن تتلقى ايـة اسلحة أمريكيـة ذات شأن ومـع قيـام اسرائيل في مايو ١٩٤٨ ، كان الحظر مفروضـا عـلى توريد اسلحة أمريكية اليها .

ولا يزال يذكر كثيـرا ذلك المثـال المتعلق بكي ايزنهاور ــ دالاس لذراع اسرائيـل لحسـاب العرب وأصدقائهـم ورسـم استراتيجيـة سليمة تتبعهـا الولايات المتحدة كي تخضـع اسرائيل لها . وهم يقولون ، ان اسرائيل أصبحت أكثر اعتمادا على الولايات المتحـدة في الثمانينيات فيما يتعـلق باستمرار المساعدات الاقتصـادية والعسـكرية على نطاق واسـع فلمـاذا لا يكون هنـاك ثمن سياسي ؟ وهـو سؤال وجهه جـورج بول وكيـل وزارة الخارجية السابق ونقاد آخرون .

وقـد رد احـد المخضرمين المتخصصين في شئون الشرق الاوسط بوزارة الخارجية الامريكيـة على هـذا السؤال عنـدما سئل عن رايه في هـذا المنطق فقـال « ان الأمر ليس بهـذه البساطة » . واستشهد بعـدة أسباب عـن السبب الذي يدعـو اي رئيس امريكي لأن يفكر كثـيرا ولمدة طويلة قبـل ان يفرض سياسة الايقاف المباشر للمساعدات التي تقـدم لاسرائيل من أجل الحصول على تنازلات سياسية . وأضاف المسئول ، « يجب علينـا ان نفـكر في سلسلة الاحداث التي سوف تقع اذا ما طبقت هذه السياسة الفظة » .

ماذا يحدث ، افتراضا ، اذا ما أخذ باقتراح بول لمحاولة اقنـاع اسرائيـل بأن تتخلى عن الضفة الغربية وغزة ؟ ، ان الكثير ، بطبيعة الحال يُعتمـد على طبيعـة الظروف التي تحيط بالقرار ــ الاحـداث السياسية التي تؤدي

الى الضغط . غير ان ثمة بعض التطورات المحتملة ، حسبما أشار الاخصائى بوزارة الخارجية الذى استشهدنا باقواله من قبل .

قال ، أن أزمة خطيرة سوف تنشب فى الحال بين الولايات المتحدة واسرائيل . وهذه ، بدورها ، سوف تؤدى على وجه السرعة الى تعبئة اسرائيلية على نطاق واسع ضد الادارة المسئولة عن الحكم . وسوف يكون مجال الصراع ممثلا فى الراى العام الامريكى ، بحيث ينعكس فى الكونجرس ووسائل الاعلام ونقابات العمال ومجالات الراى ، كذلك للكنائس والجامعات ومجالات أخرى.وفى حالة وجود الجمهوريين فى البيت الابيض،فان الديموقراطيين فى الكونجرس وفى أنحاء البلاد سوف يكون لديهم سبب حزبى تلقائى يدعوهم الى الوقوف الى جانب الدفاع عن اسرائيل . ويحدث العكس اذا كانت هناك ادارة ديموقراطية .

وسوف تكون الطائفة اليهودية ، بطبيعة الحال ، على رأس الحملة المناهضة للادارة . كما ان كافة المنظمات اليهودية الكبرى سوف تتخذ موقف التحدى العنيف تجاه أساليب الضغط التى تمارسها الادارة ضد « حليف ديموقراطى صديق » . وسوف يعملون من وراء الكواليس على اصدار بيانات شديدة اللهجة من قبل بعض أعضاء الكونجرس ، بما فى ذلك خطابات الاحتجاج . وسوف يتحقق التهديد باصدار الكونجرس لتشريع مباشر يوصى بتعليق مثل تلك المعوقات المالية وكذلك توريد الاسلحة . كما سوف يصدر العديد من افتتاحيات وتعليقات الصحف التى تهاجم الادارة .

وباختصار ، سوف تكون تلك فترة عصبية وشديدة القبح فى السياسة الامريكية الداخلية — وهو أمر لا يتطلع أى رئيس امريكى الى حدوثه ، نظرا لان ذلك على وجه الخصوص من الممكن أن يعرض الادارة لاتهامات بمعاداة السامية . كما سوف يؤدى الى تجرؤ الكثيرين ممن يعادون السامية فى حقيقة الامر ويدرك المسئولون الامريكيون دوما أن الكثيرين ممن يعادون السامية يظهرون على مسرح الاحداث عندما تتوتر العلاقات مع اسرائيل

واستطرد المسئول بوزارة الخارجية قائلا ، غير أن ذلك لن يكون نهاية المطاف . فسوف يحدث رد فعل على الصعيد الدولى يكون سلبيا فى معظمه فكيف ستكون عليه الصورة ، على سبيل المثال ، لدى أصدقاء وحلفاء آخرين للولايات المتحدة — يعتمدون أيضا على النية الحسنة والتأييد الامريكى وهم يرون اسرائيل وهى تدمر ؟ سوف يثور الشك فى أنحاء العالم حول مصداقية الولايات المتحدة كصديق وفى يمكن الثقة به . الامر الذى سيزيد بدوره من هيبة الاتحاد السوفيتى وأعداء الولايات المتحدة .

كما أن ملاحظة اعتماد الامريكيين على اسرائيل من شأنه أن يوحى للعرب بأنهم ليسوا بحاجة لتقديم تنازلات مؤلمة من أجل تحقيق السلام . ويذكر

فى كثير من الاحيان ، أن الرئيس المصرى الراحل انور السادات لم يأت الى القدس فى نوفمبر ١٩٧٧ لان الولايات المتحدة كانت وقتئذ توقف مساعدتها لاسرائيل . بل انه اتى ، لاستنتاجه بأن الولايات المتحدة ليست بصدد سلوك هذا الطريق وانه اذا كان يريد السلام مع اسرائيل فان عليه أن يتعامل معها مباشرة .

كما يتفق المسئولون الامريكيون على أن وقفا حاسما للمساعدات الامريكية لاسرائيل فى مجال السلاح والاقتصاد من شأنه توحيد الرأى العام الاسرائيلى وجمع التأييد للحكومة التى تتولى السلطة فى القدس وقد يرى الاسرائيليون حتى من يميلون الى المعارضة ، قد يرون فى الضغط الامريكى تحديا مباشرا لدولة اسرائيل كلها . كما أن حماسهم الوطنى وحده قد يؤدى الى خنق روح المناقشة داخل اسرائيل ، وهو بالضبط عكس ما تريده ادارة امريكية مختلفة مع حكومة اسرائيلية .

ويدرك المسئولون الامريكيون تطورا هاما آخر من الممكن أن تثيره اساليب الضغط التى تمارس على اسرائيل ويتمثل ذلك فى رد عسكرى من جانب اسرائيل فهم يعلمون أن اسرائيل لاتزال أعظم قوة عسكرية فى الشرق الاوسط . غير ان اسرائيل التى تشك فى استمرار تأييد الولايات المتحدة لها ربما تتوصل الى أن الميزة النوعية التى تحظى بها فى ميدان القتال سوف تتلاشى فى القريب اذا ما توقفت شحنات الاسلحة الاضافية التى تحصل عليها من الولايات المتحدة . ولذلك ، فسيكون ثمة ضغط قوى داخل اسرائيل ، لاسيما داخل المؤسسة العسكرية ، للقيام بشن هجوم وقائى ضد العرب قبل أن يصبح من المستحيل عليها أن تدافع عن نفسها ، كذلك ويرى الكثيرون من الاسرائيليين انه يتعين على اسرائيل أن تهاجم وهى لاتزال قوية ، بدلا من الانتظار حتى يضعف موقفها .

وآخر شيء تريد الادارة الامريكية رؤيته ينمو كنتيجة للضغط الذى تمارسه آن تبادر اسرائيل بالحرب ، الامر الذى قد يؤدى الى تدخل سوفيتى على أثر حدوث شيء ليس من جانب الولايات المتحدة ، ولذلك ، فان كثرة الحديث عن ممارسة ضغط شديد على اسرائيل ربما يكون أمرا شائعا فى بعض الدوائر ، الا انه يعد افلاسا لما يترتب عليه من عواقب حقيقية على الصعيد العالمى .

وفى النهاية وفى حالة ممارسة الادارة الامريكية الضغط على اسرائيل وحملها تبعا لذلك على أن تتراجع فى مواجهة ردود فعل من جانب الكونجرس والطائفة اليهودية ، وأجهزة أخرى داخل الولايات المتحدة وكذلك اسرائيل وفى أنحاء العالم ، فان هناك ثمنا يتعين تقديمه ، اذ سوف تعلن حدود السياسة الامريكية للجميع للاطلاع عليها . وليس هناك رئيس فى الولايات المتحدة يرغب فى أن يتباهى بعجز بلاده .

ويعتبر السيناريو سالف الذكر ، والذى كشف النقاب عنه فى أعقاب ضغط أمريكى على اسرائيل ، سيناريو افتراضيا فى مجمله على أى حال وثمة سابقة تاريخية على ذلك ٠

ففى عـــام ١٩٧٥ ، كان الرئيس جيرالد فورد ووزير خارجيته هنرى كيسنجر يريدان أن تنسحب اسرائيل من ممرى متلا والجدى فى ســـيناء ومن حقول بترول ابى رديس كذلك ، وباءت رحلات كيسنجر المكوكية بالفشـــــل وعاد الى واشنطون محزونا كاسف البال ٠ وأعلن الرئيس الامريكى فى أيام قليلة اعادة تقييم لسياسته ولم يتم خلال تلك الايام توقيع عقود سلاح جديدة مع اسرائيل وأوقف العمل بقانون المعونة الخارجية الجـــديد الخاص بالشرق الاوسط ٠ وحدث ، باختصار ، فتور شديد فى العلاقات الامريكية الاسرائيلية٠

غير أن الامور لم تنته عند هذا الحد ٠ فذلك لم يعد هو عـــام ١٩٥٦ عندما لم تكن الطائفة اليهودية وأصدقاؤها فى موقع يسمح لهم بأن يردوا على مااعتبروه تهديدا لاسرائيل ، وقام اللوبى المؤيد لاسرائيل فى واشنطن بتنظيم نفسه بكفاءة وبسرعة ٠ وبعث سته وسبعون عضوا من أعضاء مجلس الشيوخ وكانوا أكثر من ثلاثة أرباع عدد أعضاء المجلس ، برسالة الى الرئيس الامريكى فورد يحثونه فيها على الاستئناف الفـــورى لصفقات الاسلحة الى اسرائيل مقرونا بتعزيز الدعم الاقتصادى والدبلوماسى لها ٠ وتسبب ذلك بالنســـبة لفورد وكيسنجر فى سحب البســـاط من تحت أقدامهما ٠ وكان عليهما أن يتراجعا ، مما هيأ المسرح لتوقيع الاتفاق الثانى الخاص بسيناء بنجاح فى أول سبتمبر عام ١٩٧٥ ٠ وقدمت اسرائيل كثيرا من التنازلات التى سعت الولايات المتحدة ومصر من قبل للحصول عليها ، غير أنها حصلت فى المقابل على أكثر من ذلك ، بما ذلك زيادة المساعدات السياسية والاقتصادية والعســـــكرية الامريكية تلبية للطلب الذى تضمنته رسالة مجلس الشيوخ ٠

وبعد ما يقرب من عشرة أعـــــوام ، حددت ادارة ريجان ، فى معرض مساعدتها للاقتصاد الاسرائيلى المحاصر ، حددت بعض الشروط لزيادة المعونة غير أن تلك الشروط كانت اقتصادية تماما ٠ فالامريكيون يريدون من اسرائيل أن تخفض ميزانيتها حتى يتسنى لها تخفيف حدة التضخم والمشاكل الخاصـــة بميزان المدفوعات فى اسرائيل ٠ وكان المسئولون الاسرائيليون من بين أول من وافق على ضرورة تلك الخطوات ، ولم يعربوا بالضرورة عن استيائهم لربط واشنطون تلك الاجراءات بزيادة المعونة الاقتصادية ، غير أن المســـئولين الاسرائيليين ومؤيديهم من الامريكيين أعربوا عن استيائهم البالغ للمساومة على المطالب السياسية ٠

ولم يقدم ، على سبيل المثال ، طلب لتجميد بناء المستوطنات فى الضفة الغربية ٠ كما أن الادارة الامريكية لم تطلب من اسرائيل قبول مبادرة السلام

بين العرب واسرائيل التى قدمها ريجان فى أول سبتمبر عام ١٩٨٢ كشرط مسبق لزيادة المساعدات ٠

وهكذا ، فرغم الخلافات التى تحدث بين الدولتين من حين لآخر فان الولايات المتحدة لا تزال تتجنب أى ربط مباشر بين المعونة والتنازلات السياسية وفى ظل رئاسة ريجان ، كما أوضح ماكفرلين فى ســـان فرانسسكو ، زادت المعونة الامريكية لاسرائيل ، والاهم من ذلك أنه أعيد رسم السياسة الخاصـــة تتضمن الان منحا مباشرة فقط . ولم تعد الولايات المتحدة تقدم قروضــــا . وخلال السنوات الاربع لفترة رئاسة ريجان الاولى ، قدمت الولايات المتحدة ما يقرب من ٩ر٥ بليون دولار أكثر مما قدم لها فى أية فترة أخرى ٠ وتمثـــل ميزانية السنة المالية ١٩٨٤ التى بلغت ٦ر٢ بليون دولار نسبة ٢٧ فى المائة من برنامج الولايات المتحدة للمعونة الاجنبية على صعيد العالم ٠

وفى حين يبدو أن هناك حدودا للعلاقات الامريكية الاسرائيلية فانه يمكن لاتجاهات ومواقف وشخصيات صانعى القرار الامريكين والاسرائيليين البارزين أن تلعب دورا هاما فى تحديد الشـــكل النهائى للعلاقات بين البلدين ٠ وفى اسرائيل فى منتصف السبعينات ، كان هناك موقف غير عادى شهد ازدياد نفوذ رابين رئيس الوزراء ، الذى كان سفيرا لاسرائيل لدى الولايات المتحدة وزعيما لائتلاف العمل ، فى شئون السياسة الداخلية الاسرائيلية خلال فترات التوتر مع واشنطون فى حين العكس كان بالنسبة لبيجين ٠ وهذا ينبع من حقيقة أن رابين كان متهما فى كثير من الاحيان بأنه منحاز كثيرا الى الولايات المتحدة ٠ فى حين كان بيجـــين متهما فى كثـــير من الاحيان من قبل منتقديه فى حـــزب العمـــل بالتعصب الصريـــح فى اتجاهـــاته الســـياسية وفى أيديولوجياته مهددا بذلك العلاقة الحرجة مع الولايات المتحدة ٠ وفى خـــلال الحملة الانتخابية عام ١٩٧٧ ، على سبيل المثال ، أعلن حزب العمل أن فوز بيجين من الممكن أن يفسد الروابط الامريكية الاسرائيلية ٠ وقد أكد شيمون بيريز وزعماء آخرون لحزب العمل انهم وحدهم يستطيعون « التعامل » مـــع واشنطون ٠ وقد أراد بيجين أن يثبت خطأ خصومه فى حزب العمل ٠ وحاول أن يعطى صورة لوجود علاقات وثيقة بين الولايات المتحدة واسرائيل ، وهذا بدوره ، قصد به دعم قاعدته السياسية داخل اسرائيل ٠

وفى الولايات المتحدة ، يمكن أيضا تغير الشكل السياسى من خلال شخصيه وطبيعـــة رئيس أو وزير خارجية أو مسئول كبـــير معين . ومن الواضـــح أن أسلوب كيسنجر كان مختلفا عن أسلوب سيروس فانس أو الكسندر هيج .

ومن اللافت للنظر بالرغم من تلك الاختلافات فى الشخصية أن الســـياسة الامريكية تجاه اسرائيل (والعكس بالعكس) ظلت دون تغيير . ويمكن اثبـــات أن السياسة الامريكية تجاه النزاع العربى الاسرائيلى لم تتغـــير كثيرا منذ عام ١٩٦٧ . فالولايات المتحدة لا تزال تؤيد انسحابا اسرائيليا حقيقيا الى حـــدود

ما قبل عام ١٩٦٧ . وكان ايزنهاور آخر رئيس امريكى يفرض حلا امريكيا على اسرائيل ، فمنذ حرب الايام الستة عام ١٩٦٧ ، أوضحت حكومات اسرائيلية متعاقبة أنها تعارض أى انسحاب من هذا القبيل ، وقد فازت تلك الحكومات ببغيتها .

وباختصار ، كان هناك نمط دائم للاهداف المشتركة فى العلاقات يعود تاريخها الى عام ١٩٤٨ ، فمتى تعرضت العلاقات بين الدولتين لتهديد التحول الى مواجهة حقيقية بينهما ، تطفو على السطح مجموعة من الضمانات الذاتية على ما يبدو — وغير المفهومة جيدا فى كثير من الاحيان — بفعل الراى العام فى كلا البلدين،لانقاذالموقف . وهذا هو الجانب الخفى فى العلاقات بين الدولتين ، وحتى فى أعقاب الحرب اللبنانية والتوترات الشديدة التى اصابت التحالف الامريكى الاسرائيلى من جرائها ، كانت الامور بين الولايات المتحدة واسرائيل على ما يرام . وتبدو العلاقات بينهما اليوم ، بعد مراجعة لها على مدى خمسة وثلاثين عاما ،اقوى واكثر فعالية عن ذى قبل بالرغم من بعض الخلافات التى كثرت حولها بين واشنطون والقدس ، ويعتبر ما سوف تعرضه فى هذا الكتاب تفسيرا لتلك الظاهرة .

الفصـــــل الأول

بيروقراطيــــة واشــــنطون

خلال اجتماع عقد فى البيت الابيض قبل اعلان استقلال اسرائيل فى عام ١٩٤٨ ، ابلغ جورج مارشـــال وزير الخارجية الامريكية الرئيس هارى ترومان انه سوف يصـــوت ضـــده فى الانتخابات التى ستجرى فى وقت لاحق من ذلك العـــام فى حالة اذا ما اعترف باسرائيل . وقد وردت هذه المقـــولة فى مذكـــرة لحوار على جانب كبير من السرية ابان يوم ١٢ مايو العصيب عام ١٩٤٨ . وقد سمحت وزارة الخارجيـــة الامريكية فى ٢١ نوفمبر علم ١٩٧٦ بنشر تفاصـــيل اجتماع البيت الابيض هذا بعد ما يقـــرب من تسعة وعشرين عاما من انعقاده . وهذه المذكرة كانت ضمن مجمـــوعة من المذكرات الهامة التى تقع فى ١١٩٧ صفحة كانت محظورة من قبـــل وتتعلق بسياسة الولايات المتحدة تجاه اسرائيل والشرق الاوسط فى عام ١٩٤٨ .

وقد كشف تهديد مارشال عن المدى الذى كان هو ومســـئولون آخرون فى وزارة الخارجيـــة الامريكية على استعداد للوصـــول اليه لاقتنـــاع رئيس الدولة بعـــدم الاعتراف باسرائيل ، الا انه لم يكتب لهم النجـــاح . فقد التزم ترومان بتوصية مستشارى البيت الابيض ، وبالاخص كلارك كليفورد مساعده السياسى الخـــاص ، الذى مارس ضغطه من أجل اعتراف الولايات المتحـــدة فى الحال بالدولة اليهـــودية . وكتب مارشال فى المذكرة يقول « لقـــد لفت نظر الرئيس الامريكى فى حديث موضوعى ، الى أننى لا أستطيع أن أتحـــاشى التفكير فى أن المقترحات التى قدمها السيد كليفورد كانت خاطئة ثم مضى يقول ، « واعتقد أن تبنى تلك المقترحات كان سيؤدى بالضبط الى أثر عكسى لما كان يقصده السيد كليفورد. وأن التهرب الظاهرى لكسب بضعة أصوات لن يحقق هذا الغرض فى حقيقة الامر . كما أن المكانة العظيمة لمنصب رئيس الدولة ســـوف تتضاءل بشكل خطير . وقد استندت نصيحة السيد كليفورد على اعتبـــارات سياسية محلية ، فى حين أن المشكلة التى واجهتنا كانت مشكلة دوليـــــة . وقلت بفظاظة أنه اذا ما أخـــذ الرئيس بنصيحة كليفورد واذا ما تعين على الادلاء بصوتى فى الانتخابات ، فلسوف أصوت ضد رئيس الدولة » .

وابلغ روبرت لوفيت وكيل وزارة الخارجية ، الذى عارض بشـــدة أيضـــا الاعتراف باسرائيل ، أبلغ ترومان أن ضررا سوف يحـــدث نتيجـــة لذلك ، نظرا لان تلك كانت محاولة مكشـــوفة لكسب اصوات اليهـــود . وبعد أن أوضح لوفيت تلك النقطة قال ان الولايات المتحدة لا يجب أن تعترف باسرائيل وذلك لان واشنطون لا تعـــرف « نوع » الدولة اليهودية التى سوف

تقام ، وجاء فى المذكرة ، انه « عند هذا الحد ، قرأ لوفيت مقتطفات من ملف يحتوى على برقيات وتقارير لمعلومات تتعلق بنشاط السوفيت فى ايفاد عملاء يهود وشيوعيين من مناطق البحر الاسود الى فلسطين » .

وكانت تلك فترة اتسمت بخوف أمريكى شديد من حدوث توسع شيوعى .

وتضمنت وثائق أخرى سمح بنشرها ، امثلة عديدة لهذا الخوف ، فقد بعث وليم برديت الذى كان نائب قنصل لولايات المتحدة فى القدس ببرقية الى مارشال فى ٢٤ يونيو عام ١٩٤٨ ، بعد شهر واحد من اعلان قيام دولة اسرائيل جاء فيها ، ان « مصادر مختلفة تشير الى أن روسيا تقدم التوجيه والمال والسلاح الى عصابة شترن من خلال الدولة التابعة لها وبالاخص بولندا » . وقال أن القنصلية البولندية فى كل من القدس وتل أبيب يعتقد أنها على اتصال وثيق بعصابة شترن ، ومن المعتقد ايضا ان روسيا سوف تبذل كل جهد لتوسيع نطاق هذا التأييد كوسيلة فعالة للحصول على موطىء قدم هدام فى اسرائيل » .

كما تضمنت الوثائق رسالة لم تنشر مؤرخة فى ١٢ يونيو عام ١٩٧٤ وموجهة الى مكتب الشئون التاريخية وتحمل توقيع وزير الخارجية الاسبق دين راسك الذى لعب دورا رئيسيا فى أحداث عام ١٩٤٨ والتى انتهت الى قرار الولايات المتحدة بالاعتراف باسرائيل ، وقد تضمنت الرسالة عرضا مثيرا للصدمة وخيبة الامل اللتين حدثتا للبعثة الامريكية لدى الامم المتحدة عندما اعلن ترومان اعترافه باسرائيل معارضا النصيحة القوية التى اسدتها اليه وزارة الخارجية . وكان مراسله فى ذلك الوقت يشغل منصب مدير مكتب الشئون السياسية الخاصة بوزارة الخارجية .

وقد كتب راسك ذلك عندما طلب كلارك كليفورد منه اخطار الوفد الامريكى بالامم المتحدة بأن الولايات المتحدة سوف تعترف باسرائيل بعد خمس عشرة دقيقة ، ورد راسك على ذلك بقوله « لكن ذلك يتعارض مع ما كان وفدنا يحاول انجازه فى الجمعية العامة بناء على التعليمات الصادرة اليه ونحن لدينا بالفعل اغلبية كبيرة تؤيد هذا الاتجاه » .

وقال كليفورد « بالرغم من ذلك ، فان هذا ما يريد رئيس الدولة منكم القيام به » .

وقال راسك فى رسالته بعد ذلك : « بناء عليه اتصلت هاتفيا بالسفير وارين اوستن (بمقر الأمم المتحدة) ، الذى تعين عليه مغادرة منصة الجمعية لتلقى مكالمتى . وقد اتخذ قرارا شخصيا بعدم العودة الى الجمعية او ابلاغ اعضاء وفدنا الآخرين — واكتفى بالذهاب الى منزله . وكان تخمينى انه اعتقد انه كان

من الافضل للجمعية العامة ان تعرف بوضوح تام أن تـــلك كانت رغبة رئيس الدولة فى واشنطون وان الوفد الامريكى لم يكن يقوم بلعبة مزدوجة مع وفود اخرى » . وقال راسك ان حالة من الهرج حدثت عندما قرىء بيان الاعتراف الامريكى الذى ورد على جهاز التيكر واضاف : « لقد ابلغت بعد ذلك أن احـــد اعضاء بعثتنا الامريكية جلس بمعنى الكلمة على حجر المندوب الكوبى لمنعه من التوجه الى المنصة كى يعلن انسحاب كوبا من الامم المتحدة . وفى حـــــوالى الساعة السادسة وخمس عشرة دقيقة من بعد الظهر ، بعد صدور البيـــــان الامريكى بخمس عشرة دقيقة ، تلقى راسك مكالمة من وزير الخارجية مارشال الذىطلب منه أن يتوجه الى نيويورك لمنع اعضاء الوفد الامريكى من الاستقالة الجماعيـــــة .

وكتب راسك فى رسالته المؤرخة فى عام ١٩٧٤ يقـــول « سواء كان ذلك امرا لازما أم غير ذلك فقد هرعت الى نيويورك حيث وجدت أن الاعصاب قـــد هذات بدرجة كافيه جعلت مهمتى لا لزوم لها » .

وهكذا ، كان هناك منذ البداية تخبط مستمر فى اتخـــاذ القرارات داخل نطاق ببروقراطية وزارة الخارجية بواشنطون . فقد اضحت المعارك بين البيت الأبيض ووزارة الخارجية على سبيل المثال ، سمة تكاد تكون دائمة فى صـــنع سياسة الولايات المتحدة تجاه اسرائيل .

ومنذ قيام اسرائيل فى عام ١٩٤٨ ، كان هناك دائما خطان رئيســـيان يتخللان رسم الولايات المتحدة لسياستها تجاه الشرق الأوسط : احدهما يمثل دبلوماسى وزارة الخارجية المحترف الذى يرى الامور من منظورها « العالمى » والآخر يمثل السياسى الحاذق الاكثر اهتماما بالدلالات المحلية لقرارات السياسة الخارجية . وكانت هناك حروب عديدة وتحالفات كبرى فى انحاء العـــالم وفى الشرق الاوسط كذلك ، بالاضافة الى تطورات حرجة داخل الولايات المتحـــدة وكان لتلك تاثيرها على السياسة الامريكية فى الشرق الاوسط ، غير أن الصراع السياسى فى مقابل الصراع الدبلوماسى داخل الحكومة الامريكية لايزال مستمرا بالرغم من انه كان على نطاق محدود .

وكان والتر مونديل نائب الرئيس الامريكى والسفير المتجول الفريد اثرتون يمثلان هاتين المدرستين خلال ادارة كارتر . وكل منهما لديه خلفية مهنية تختلف تماما عما لدى الآخر ، ومن ثم ، كانا يتناولان مشاكل الشرق الاوسط بأسلوب مختلف تماما . وكان كل منهما حساســـــا تجاه نقاط وفوارق مختلفة كما أن كلا منهما كان يركز على مسائل مختلفة . ولم يكن الاختلاف بين الرجلين حـــــول المسائل المتعلقة بالصراع ــ وذلك اثناء وجودهما فى الخدمة لم يكن جسيما ، وكان بالتاكيد اقل كثيرا عما كان قبل ذلك بثلاثين عاما .

ولأسباب عدة ، فان الفجوة بين المعسكرين قد ضاقت الى حد كبير على مدى السنين . والمسئولون الاسرائيليون هـم اول من يعترف بأن خبراء الشرق الاوسط فى وزارة الخارجية الأمريكية اليوم ليسوا مناوئين لاسرائيل مثل اسلافهم فى أواخر الاربعينيات والخمسينات . لسبب واحد ، وهو أن هناك الكثيرين من اليهود يعملون فى وزارة الخارجية الامريكية اليوم . فالمجموعة الحاليـة مـن الموظفين الذين يقومون بالاعمال المكتبية الخاصـة بالشرق الاوسط ــ يهـودا وغير يهود ــ من الواضح انها اكثر حساسية تجاه هموم اسرائيل واحتياجاتها الامنية على الرغم من عدم الاتفاق الذى يحدث بين افرادها بشكل منتظم حول سياسات معينة .

خذ اثرتون ، على سبيل المثال . لقد انشغل الى حد كبير بشئون الشرق الاوسط منذ عام ١٩٦٥ ، عندما عاد الى واشنطون قادما من الهند . فقد عمل مع سبعة وزراء خارجية هم : دين راسك ، وليم روجزر ، هنرى كيسنجر ، سيروس فانس ، ادموند ماسكى ، الكسندر هيج وجورج شولتز .

واستطاع اثرتون ، الذى تقاعد فى عام ١٩٨٥ ، ان يطرح جانبا الظـل الكئيب للصورة « العربية » السابقة . كما استطاع ، كرئيسه السابق جوزيف سيكو ، ان يقيم علاقات عمل طيبة ، ابان فترات صـعبة للغاية ، مع كل من الاسرائيليين والعرب ، ومع الزعماء اليهود الامريكيين كذلك الذين يمكـن ان يكونوا فى بعض الاحيان صعبى المراس الى حد كبير .

وصرح آى . ال كنين الرئيس المتقاعد للجنة الشئون العامة الاسرائيلية الامريكية بقوله ، « ان لدينا دائما ثقة عظيمة بأمانة روى » ، واستطرد قائلا : من بين كافة الاشخاص الذين عرفتهم فى وزارة الخارجية على مدى السـنين كان اثرتون اكثرهم وجودا وقدرة على المساعدة والتفاهم . ومنذ حرب الايـام الستة ، كان دائما صريحا ، مقداما وشغوفا تماما بتفسير وشرح الموقف حسبما يتراءى له . ولم يحدث مرة أن تعذر الوصول اليه او ابدى عـدم استعداده لسماع الغير .

فمن الذى يشكل فى الحقيقة سياسة الولايات المتحدة تجاه اسرائيل ؟ اذ كلما يقوم رئيس أمريكى بتركيز اهتمامه على الشرق الاوسط وتجميع كافـة الاسس والمبادىء ، مثلما فعل كارتر اثناء مفاوضات كامب ديفيد فى عام ١٩٧٨ ، فانه مما لا شك فيه انه يكون فى مقعد القيادة . ومع كل ، فانه فى مرات اخرى ، يتم توزيع عملية صنع القرار على عدد من المصالح والهيئات الحـكومية ، ويشارك فى ذلك مسئولون من وزارتى الخارجية والدفاع وسفراء خصوصيون ومستشاروهم وحتى مساعدون مجهولون من وزارتى الطاقة والخزانة ودائرة الادارة والميزانية . وتكون النتيجة عملية تبدو فى ظاهرها مضـطربة فى اغلب الاحيان ومتناقضة فى أحيان اخرى .

وعندما تولى هنرى كيسنجر منصب وزير الخارجية ، لم يكن ثمة شـك فيمن يصنع السياسة الامريكية تتجاه اسرائيل . كان كيسنجر يدير وزارة الخارجية بقبضة حديدية . وكانت الصراعات البيروقراطية محدودة ، اذ كـان هو يهيمن على كل شىء تقريبا . وكان الاعلام ، المصدر ذو السلطة الكبيرة فى واشنطون ، مقصورا على كيسنجر وحفنة من أصدقائه المقربين . ولم يكن يسمع فى الحقيقة عن مبادرات فردية من مسئولين على مستوى اقل . وهـذا الاسلوب جعل الحياة اقل تعيقدا بالنسبة للدبلوماسيين الاجانب فى واشنطون، اذ كانوا يعرفون العنوان الصحيح — وهو عنوان كيسنجر — فى حالة ما اذا كانوا يريدون تنفيذ أى شىء هام .

وقد انتهى هذا التركيز للسلطة فى أيدى شخص واحد بمقدم جيمى كارتر وفريقه الجديد من مستشارى الشئون الخارجية . وخلال ادارة كارتر اتسع مجال العمل ، الى حد أن كل شخص تقريبا ، بما فى ذلك الموظفون فى وزارة الخارجية ، كثيرا ما لعبوا ادوارا هامة فى صياغة القرارات السياسية واضحى الموظفون البيروقراطيون وكذلك الساسة المعنيون ، على النقيض من أولئـك الذين كانوا يعملون ابان عهد كيسنجر ، شخصيات هامة تشارك بالرأى فى كثير من الامور ويتقدمون بآرائهم فى كثير من الاحيان . وفى بعض الاحيان ، خلق العدد الكبير للمسئولين المشتركين فى عملية السلام شعورا بالاضطراب فيما يتعلق بقرارات الشرق الاوسط. وبدا ان أسلوب الماطلة والتردد الذى اتسمت به معالجة الادارة الامريكية يختلف اختلافا ملحوظا عن اسلوب التحكم الشديد الذى كان يتبعه كيسنجر . وكان الدبلوماسيون الاسرائيليون فى واشنطون هم أول من اعترف بهذه الحقيقة الاساسية فى الحياة السياسية للادارة الجديدة .

ويعتقد موظفو وزارة الخارجية ، بالاخص فى المسائل المتعلقة بالشرق الاوسط ، انهم وحدهم وليس الساسة المعنيون فى البيت الابيض يستطيعـون تقدير الفوارق الدقيقة لمصالح السياسة الخارجية للولايات المتحدة تقـديرا كاملا . وظل هناك صراع فى وجهات النظر بين كلتا الفئتين من الناحية التاريخية. فدائما ما يسعى الموظفون المتخصصون فى مستهل عمل أية ادارة جديدة للقيام بدور له مكانته فى ظل الرئاسة الجديدة ، مستغلين الى أقصى حد حقيقة انهم هم الذين لديهم المعلومات التفصيلية والخبرة بالمسائل الشديدة التعقيد .

ومن وجهة نظر اسرائيل ، فان الموظفين المتخصصون هـم فى العـادة — ولكن ليس بالضرورة دائما — اقل ودا من الساسة المعينين . فهم قضوا فى كثير من الاحيان وقتا طويلا فى العالم العربى ، حيث اسرائيل ليست على رأس قائمة الدول المحببة ، فى حين أن الساسة المعينين قضوا وقتا طويلا فى أمريكا ، حيث اسرائيل محبوبة . بيد أن الساسة المعينين لا تتوفر لهم المعلومات الضرورية مثلما يحدث بالنسبة للموظفين المتخصصين فى الشئون العربية .

وقد يشعر مساعد خاص للرئيس الامريكى ذو ميول اسرائيلية قوية ، يعمل فى البيت الابيض ، بعدم الارتياح وهو يناقش مسألة دبلوماسية ليست لديه معلومات كافية عنها . وتبعا لذلك ، فانه قد لا يشارك بصفة مبدئية فى الصراع البيروقراطى الذى يسبق المناقشة النهائية واتخاذ القرار .ولكن مع رسوخ الادارة يسعى أولئك المقربون للرئيس الى اكتساب القوة والنفوذ .

والبيروقراطية ليست شيئا منالحجر . فكما أوضح جراهام اليون استاذ العلوم السياسية بجامعة هارفارد أن :

(التعامل مع الحكومات الوطنية كما لو كانت أفرادا يوجد فيما بينهم تنسيقا وأهدافا محددة ، يعد مختصرا مفيدا لفهم مشاكل السياسة . بيد أن هذا التبسيط — شأن كافة عمليات التبسيط يخفى مثلما يظهر ، فهو يخفى بصفة خاصة ، وجه البيروقراطية الذى ثمة حرص على تجاهله . فصانع سياسة الحكومة ليس بصانع القرار الذى لديه حساباته ، بل هو بمثابة مجموعة من تنظيمات كبيرة وشخصيات سياسية لها دورها) .

وقد أوضح اليسون بطريقة فعالة أن « ما يحدث هو نتيجة لعمليات مساومة مختلفة تتم بين لاعبين فى الحكومة الوطنية » . ولقد كان هذا هو الوضع على وجه الخصوص بالنسبة لوزير خارجية مثل فانس أو روجرز ، ولم يكن بالنسبة لوزير مثل كيسنجر او جون فوستر دالاس ، الذى كان يدير وزارة الخارجية بأيد حديدية ، مفوضا سلطات ضئيلة للغاية للآخرين .

وثمة قراران اتخذهما كارتر وفانس يتعلقان باسرائيل فىبداية عهد ادارة كارتر يعكسان نفوذ البيروقراطية . احدهما يتعلق برفض تزويد اسرائيل بقنابل الارتجاج . فعندما وافق الرئيس فورد وكذلك كيسنجر على بيع تلك القنابل لاسرائيل فى الثامن من شهر أكتوبر عام ١٩٧٦ ، كانا يعلمان انهما يعكسان رغبة كثير من المسئولين فى وزارتى الدفاع والخارجية الذين كانوا يعارضون البيع لشهور عديدة . غير أنه امكن فى النهاية اخضاع هؤلاء المسئولين . وعندما هزم فورد فى الانتخابات بدأ هؤلاء المسئولون حملة مكثفة داخل الادارة الجديدة لعرقلة الصفقة وذلك عن طريق تسريب معلومات مختارة الى صحيفة الواشنطون بوست . وقام خصوم الصفقة ، سواء كانوا يتعاملون مع مكتب الشئون السياسية والعسكرية بوزارة الخارجية أو شئون الامن الدولى فى البنتاجون — باعداد مذكرات تتضمن الأسباب التى اعتمدوا عليها فى ضرورة منع اسرائيل من الحصول على القنابل ، ومن بين تلك الاسباب ان كارتر كان ملتزما بالحد من تصدير الاسلحة . وفى عهد كيسنجر ، فان معظم تلك الوثائق ربما لم يكن يسمح بقراءتها مطلقا على أعلى مستوى ؛ الحكومةالحكومة الأمريكية . غير ان فانس قام بدراستها بعناية — بعد أن تم تسريب أجزاء منها الى الصحافة التى نشرتها فى الصفحة الاولى ، واستنكرها

المحررون بعد ذلك . وفى نفس الوقت ، واصل السفراء العرب فى واشنطون ، الذين شجعتهم الدعاية التى أثيرت حول الموضوع فى وسائل الاعلام ، واصلوا احتجاجاتهم الرسمية حول الصفقة . وفور ابلاغ فانس توصيته السلبية لكارتر ، كان الرئيس الأمريكى ضد الصفقة شخصية ، بعد أن تأثر بشدة بما جاء فى تقارير الصحف . ولكى يهدىء كارتر من روع اسرائيل ومؤيديها الى حد ما ، كان عليه أن يعلن عن طريق المتحدث باسمه ان حظرا يجرى فرضه على مستوى العالم على بيع قنابل الارتجاج وأن البنتاجون يبحث بنفسه احتياج الترسانة الأمريكية لتلك القنبلة .

والقـــرار الثانى الذى اتخـــذه الرئيس الامريكى ووزيــــــر خارجيتـــه والذى يتعلق باسرائيل كان الاعتراض على تصدير المقاتلة كافير الاسرائيلية الصنع الى الاكوادور . ونظرا لان المقاتلة كافير مزودة بمحرك أمريكى الصنع ، فان اسرائيل تحتاج الى اذن من واشنطون قبل تصديرها . وخلال الايام الاخيرة من عهد ادارة فورد ، اوضح كيسنجر للسفير الاسرائيلى سمحا دينتيز ان ليس لديه اعتراض على الصفقة ، وبالرغم من أن كيسنجر لم يستطع قبول مثل تلك الصفقة فى اواخر ايام ادارته ، فقد اعد توصية كتابية حول الموضوع لخليفة فانس . وعندما اجتمع وزير الدفاع شيمون بيريز بوزير الدفاع الامريكى دونالد رامسفيلد وبوزير الخارجية كيسنجر فى شهر ديسمبر عام ١٩٧٦ ، لم يكن هناك ما يشير الى الموافقة على البيع . ولو ان كيسنجر قد ظل فى منصبه لربما تجاهل اعتراض مكتب شئون أمريكا اللاتينية والبيروقراطيين الآخرين فى الحكومة . مثلما فعل فى كثير من الاحيان . غير أن فانس وكارتر بحثـــا عن المشورة لدى كل شخص وكانا يتصرفان بناء على توصياتهم وقد تم رفض الصفقة .

وقد اتخذ هذان القراران ، اللذان اصدرهما كارتر فى نهاية الامر ، فى أعقاب استعراض على نطاق واسع للموضوع من قبل بيروقراطية الحكومة . وكان كبار صانعى القرار فى الادارة الجديدة ــ كارتر ، فانس برزيزنســـكى مستشار الامن القومى ــ يعتمدون الى حد كبير على خبرة مستشاريهم فيمـــا يتعلق بالشرق الاوسط نظرا لان هؤلاء المسئولين كانت خبرتهم بصفة مبدئيــــة محدودة للغاية بتلك المنطقة . وكان المسئولون الثلاثة حديثى عهد نســـبيا بالمشكلة العربية الاسرائيلية وقد أدرك البيروقراطيون ذلك .

فمن كان هؤلاء البيروقراطيون الذين مارسوا النفوذ الاعظم على شكل السياسة الأمريكية فى الشرق الاوسط فى مستهل عهد ادارة كارتر ؟ ومما يثير الاهتمام ، ان معظم هؤلاء البيروقراطيين كانوا نفس الاشخاص الذين عملوا مع كيسنجر فيليب حبيب وكيل وزارة الخارجية للشئون السياسية ، الفريد آثرتون الوكيل المساعد لشئون الشرق الأدنى وجنوب آسيا ، آرثر بيت داى نائب الوكيـــل المساعد . وهناك هارولد سوندرز بمكتب المعلومات والابحاث وهناك فى مجلس

الامن القومى وليم كواندت ، الذى عمل مع كيسنجر حتى عام ١٩٧٤ وعــاد للعمل بمجلس الامن القومى تحت رئاسة برزيزنسكى . وقــد اشترك كل من برزيزنسكى وكواندت فى لجنة معهد بروكينجز حول الشرق الاوسط فى عــام ١٩٧٥ حيث قامت صداقة بينهما . وفى البنتاجون ووكالة المخابرات المركــزية الامريكية ، فان الممثلين الجدد الوحيدين للبيروقراطية هم الذين كانوا على راس هذين الجهازين ، أما الباقون فقد كانوا نفس قدامى الموظفين . وفيما يتعلق بالشرق الاوسط ، قام هؤلاء البيروقراطيون بتنفيذ أدوار حرجة ، فيما يتعلق باسرائيل ، فى مجال العمل الادارى الذى اسفر عن سياسة رسمية .

تلك كانت المجموعة التى صاغت البيانات ، والتى قدمت التوصــــيات وصاغت تقديرات المعلومات وحددت الاختيارات السياسية واثرت الى حــد كبير للغاية على السياسة . وفى عهد كيسنجر كان نفوذهــم محدودا اذ كان باستطاعته ان يسيطر عليهم . وفى عهد فانس ارتفع شأنهم .

وقد ادرك المسئولون الاسرائيليون هذا التحــدى وحاولوا مواجهته . واوليت اهمية زائدة للاتصالات ببيروقراطيى السياسة الخارجية . واضــحى تحديد مركز السلطة والنفوذ داخل بيروقراطية الحكومة مطلبا له أولويته .

ولعب هارولد سوندرز ، من خلال عدة ادارات ، دورا دقيقا فى رســم السياسة الأمريكية تجاه اسرائيل والشرق الاوسط . وكان ، من نواح كثيرة ، يمثل البيروقراطى الكامل ، الذى كانت حياته مثالا للنفوذ الخفى الذى كان يتمتع به اخصائى متميز فى شئون الشرق الاوسط بوزارة الخارجية .

وقد سلط شجار دبلوماسى على جانب كبير من الشهرة بين عزرا فايتسمان وزير الدفاع الاسرائيلى وسوندرز مساعد وزير الخارجية لشئون الادنى وجنوب آسيا ، وذلك فى حفل استقبال دبلوماسى أقيم فى واشنطون فى شهر ديسمبر عام ١٩٦٩ ، ســلط الاضــواء على الخبير الاول لشئون الشرق الاوســط بوزارة الخارجية . فمن هو بالضبط هارولد سوندرز ، وماذا كان دوره فى رسم السياسة الامريكية تجاه الشرق الاوسط ؟

لقد وصل سوندرز ، وهو رجل أملس الكلام ولكنه حاسم ، الى مرحلة فى حياته المهنية شعر فيها بالارتياح الشديد من خلال سيطرته على المشكلة العربية الاسرائيلية ، ومن ثم لم يعد يتعرض لتهديدات شخصية ، خاصة تلك الهجمات التى تاتى بين الحين والآخر من جانب دوائر وأخرى مؤيدة لاسرائيل . ومن الممكن ان يتاتى هذا الشعور بالثقة الهينة فى وزارة الخارجية الأمريكية ان يكون احد بيروقراطى السياسة الخارجية قد خدم مدة طويلة فى منطقة صعبة وفى ظل ضغط شديد من جانب رؤسائه ولقد كان هــذا الوضــع ينطبق على سوندرز .

وقد برزت ثقة سوندرز عندما قام بزيارة الوزيرالاسرائيلى الزائربمقر السفير الاسرائيلى افرايم افرون . وجرت مناقشة عنيفة بين سوندرز وفايتسمان حول سياسة اسرائيل تجاه لبنان ، تحت سمع وبصر الضيوف ومراسلى الصحف الذين اخذتهم الدهشة . وبعد ذلك بأربعة أيام ، وبعد نشر موضوع الخلاف ، ظهر الرجلان أمام مراسلى التليفزيون والصحف وحاولا تسوية الخلاف بينهما .

وبزغ نجم سوندرز ، بهدوء ولكن بـدا ، كشخصية رئيسية فى رسم السياسة الامريكية ، قبل تعيين سول لينوفيتز كممثل أول للرئيس كارتر لشئون الشرق الاوسط ، خلفا لروبرت شتراوس .

ان الثبات الفكرى — هو ما جلبه سوندرز للسياسة الامريكية ، فقد كان قريبا من البيت الأبيض ، ووزارة الخارجية وفروع أخرى للحكومة لمدة طويلة . وفى عالم الساسة والبيروقراطيين فى واشنطون الذى يتسم بالتشدد ، استطاع سوندرز أن يشق طريقه بنجاح لافت للنظر فى كل من الادارات الجمهورية والديموقراطية ونظرا لأن معظم خدمة سوندرز كانت فى شئون الشرق الاوسط ، فقد اكتسب شهرة كمسئول فى وزارة الخارجية الأمريكية يؤيد العرب ، وخبير امضى كثيرا من وقته فى العالم العربى ويتحدث اللغة العربية بطلاقة وغير متعاطف بصفة جوهرية مع القضية الاسرائيلية فهل تتناسب شخصيته مع هذا العرض ؟

ومن الناحيةالأكاديمية،فان سوندرز لم يسبق له على الاطلاق ان درس العالم العربى . فبعد أن تخرج من برينستون فى عام ١٩٥٢ ، انتقل الى ييل حيث حصل على شهادة الدكتوراه فى الدراسات الامريكية فى عام ١٩٥٦ . ثم جند فى سلاح الطيران والحق بجهاز المخابرات المركزية الأمريكية ، حيث عمل كخبير مدنى بعد انتهاء مدة خدمته الفعلية حتى عام ١٩٦١ .

ومنذ ذلك الحين فقط بدأ سوندرز اهتمامه بالشرق الأوسط وكان الرئيس جون كينـدى قـد تولى لتوه منصب الرئاسة ، ومن ثم انتقل سوندرز الذى كان يبلغ من العمر وقتئذ واحـدا وثلاثين عاما ، الى مجلس الأمن القومى ليتولى شئون الشرق الاوسط وجنوب آسيا وشمال افريقيا . وعموما ، فان موظفى مجلس الأمن القومى يتم استبدالهم مع كل ادارة جديدة تتولى الرئاسة ، غير ان سوندرز لم يستبدل . وبعد ان اصبح سوندرز كبير المسئولين بين اعضاء هيئة المجلس عن الشرق الاوسط فى عام ١٩٦٧ ظل فى منصبه هـذا حتى عام ١٩٧٤ .

وفى تلك السنة ، قام هنرى كيسنجر ، الذى كان يعمل عن قرب بوصفه مستشارا للامن القومى لنيكسون مع سوندرز منذ عام ١٩٦٩ ، قام بنقله من البيت الابيض الى وزارة الخارجية فى منصب نائب مساعد وزير الخارجية لشئون الشرق الادنى . وكان كيسنجر فى ذلك الوقت قد

اصبح بالفعل وزيـرا للخارجية . وقـد كان فى أعقاب حرب يوم كيبور أن شعر كيسنجر أن عليه أن يجمع فى وزارة الخارجيـة افضـل العنـاصر المتوفرة لديه . وكان هنـاك نشـاط دبلوماسى محموم للتوصل الى اتفاقيات خاصة بفك الاشتباك بين القوات المتحاربة . وقـد استدعت الحاجـة أن يكون سوندرز ، ضمن أول فريق يحمل مشكلة كيسنجر لهذه المهمة ، والذى ضم ايضـا جوزيف سيسكو والفريد أثرتون . ورافق سوندرز كيسـنجر فى كافة زياراته المكوكية فى الشرق الاوسط وشـارك فى كافة المفاوضات بين العرب واسرائيل وحتى بعد أن ترك كيسـنجر منصبه ، واصبح سيسـكو رئيسا للجامعة الامريكيـة فى واشنطون ، واختـير أثرتون سفيرا للولايات المتحدة فى القاهرة ، ظل سوندرز فى منصبه ، وقـد ترك وزارة الخارجيـة مـع بداية عهد ادارة ريجان . فلم يطلب منـه وزيـر الخارجيـة الجديـد الكسـندر هيج البقـاء . وفى ذلك الوقت أصبح هناك جدل يدور حـول سوندرز .

وكان تاريخ ١٢ نوفمبر ١٩٧٥ ، نقطة تحول فى حياة سوندرز الوظيفية . فلم يكن حتى ذلك الوقت معـروفا حقيقـة كمسئول امريكى ولكـن فى ذلك اليوم ، ادلى بشهادتـه أمام اللجنـة الفرعية للشئون الخارجية التابعـة لمجلس الشيوخ حول الشرق الأوسط . وكان الموضوع المطروح فى جـدول أعمال اللجنـة هـو المسألة الفلسطينية . فقـد طلب لى هاميلتون رئيس اللجنـة الفرعية الديمقراطى والنائب عـن ولايـة انديانـا ، مـن وزارة الخارجية أن تقدم تحليلا مكثفا للمسـألة الفلسـطينية . وقـد ادرك كل مسئول فى وزارة الخارجيـة أن الموضوع شائك الى حـد كبـير ويهـدد بالانفجار .

وقـد حدث ذلك بعـد شهرين فقط من توقيـع الاتفاق الثـانى بين مصر واسرائيـل الخاص بسيناء . وقبـل ذلك ، لـم تكن الولايات المتحدة مهتمة على الاطـلاق باعداد تحليل مفصـل عن المسألة الفلسـطينية ولـم يكن ذلك يأخذ صفة العلنيـة بالتأكيد . ومن ثـم ، فان طلب هاميلتون أحدث حالة من الاضطراب داخل وزارة الخارجية .

وكان هنـاك اربعـة مرشحـين يحتمل ان يتقدموا بشهادتهم هـم : كيسنجر ، سيسكو ، أثرتون وسوندرز . وتقـرر ارسال سوندرز ، الذى كان اقـل الأربعة مستوى . وقام باعـداد معظم تقريره الذى يقع فى احدى عشرة صفحة ، غـير انه طلب مساعدة عـدة مسئولين آخرين ، من بينهم أثرتون ، الذى كان وقتئذ مساعـدا لوزير الخارجية . وابلغ كيسنجر فى وقت لاحق السفير دينتز وآخرين انه اطلع بسرعة على التقرير ، ولكنه قام بنفسـه بتحرير مسودتين عن اعداد سوندرز وانـه شخصيا اجـاز النص النهـائى للتقرير وهكذا بدأت مسألة « تقرير سوندرز » .

قال سوندرز فى تقريره الى اللجنة الفرعية « ان البعـد الفلسـطينى للنزاع العربى الاسرائيلى مـن مختلف نواحيه هـو لب هـذا النزاع » ولعل تلك كانت الجملة التى اثير حولها كثير من الجدل أثناء الشهادة بيد أن موقف كل من رابين رئيس الوزراء وايجال آلون وزير الخارجية وبيريز وزير الدفاع وبقيـة المسئولين فى الحكومة الاسرائيلية من الشهادة كلهـا كان سلبيا الى حد كبـير ، فقـد اهتموا بالرد على العناوين الرئيسية فى الصحف الاسرائيلية على نحو يفوق اهتمامهم بجوهر تلك العنـاوين . وكان مثول سوندرز أمام اللجنة الفرعية يوم الأربعاء . وفى يوم الاحـد التالى ، أصدر مجلس الوزراء الاسرائيلى بيانا رسميا يرفض فيـه بشدة التقرير ، مما أدى الى توتر خطير فى العلاقات الامريكية الاسرائيلية .

وتؤكد اعادة قراءة لتقرير سوندرز بعد بضعة أيام الى أى حد ذهبت الحكومة الامريكية وحتى الحكومة الاسرائيلية فيما يتعلق بالمسألة الفلسطينية منذ عام ١٩٧٥ . فلم تقدم اقتراحات للاعتراف بالحقوق المشروعة والمتطلبات العادلة للفلسطنيين كما حدث فيما بعد فى كامب ديفيد . ولم يرد أى ذكر للحاجة الى حسم المسألة لفلسطينية من جميع جوانبها . ولم توجه أية دعوة لاشراك الشعب الفلسطينى فى تقرير مستقبله » . ومن الواضح ، أنه لم يرد ذكـر للاستقلال الذاتى الفلسطينى أو ايجاد سلطة لحكم ذاتى فى الضفة الغربيـة وقطـاع غـزة .

وقد أكد التقرير انه ينبغى أن تتضمن التسوية النهائية ايجاد « وضع عادل ودائم للمواطنين العرب الذين يعتبرون انفسهم فلسطينيين » (وقد رأت وزارة الخارجية الامريكية وقتئذ ان كلمة « فلسطينيون » ينبغى أن توضع خلف علامات استفهام) . وكان على سوندرز أن يقبل كثيرا من النقد الشخصى من اسرائيل واتباعها خلال هذه المرحلة ، وهو اجراء سوف تثبت فائدته اذ سيساعده على مواجهة موجة من النقد على نطاق أوسع .

وقد وقعت تلك الحادثة الثانية ابان زيارة سوندرز منطقة الشرق الاوسط فى شهر أكتوبر عام ١٩٧٨ ، فى أعقاب توقيع اتفاقيات كامب ديفيد مباشرة . فقد آلا الرئيس كارتر والحكومة الامريكية على نفسيهما محاولة كسب تأييد أوسع من جانب العرب للاتفاقيات ، وبدأت واشنطون فى الاعداد للتوقيع عليها .

وبعث حسين ملك الاردن ، الذى اتخذ موقفا غير الزامى من الاتفاقيـات فى بادىء الامر ، بعث الى كارتر بقائمة من الأسئلة حول مشروع الحكم الذاتى المقترح . واعدت الولايات المتحدة على مدى عدة أسابيع بعناية ردها على تلك الاسئلة وقد وقعت تلك الردود فى ثمانى عشرة صفحة من الحيز المزدوج . وقام كارتر بنفسه بتحرير النسخة النهائية ووقع باسمه أسفل الصفحة الاخيرة منها .

وكان الوقت منتصف أكتوبر بالفعل حيث كان بيجين يواجه نقدا عنيفا من خصومه السياسيين لافتراض أنه باع مصالح اسرائيل فى كامب ديفيد . وطلب كارتر من سوندرز أن ينقل الرد الى حسين وأن يحاول الحصول على تأييد العرب المعتدلين ، خصوصا من بين الفلسطينيين فى الضفة الغربية وغزة.

وقد شعر فانس بالقلق لعدم قيام العرب بركوب العربة كما تقرر بالفعل أن يعقد الرافضون من العرب أول مؤتمر لهم فى بغداد فى شهر نوفمبر . ومن ثم ، فان مهمة سوندرز كانت محاولة الحصول على تأييد العرب لكامب ديفيد . وكانت الولايات المتحدة ، عن طريق ابراز تنازلات اسرائيل ، وبالاخص الاختلاف بين مقترحات « الحكم الذاتى » المبدئية التى تقدم بها بيجين فى ديسمبر عام ١٩٧٧ والاتفاقيات النهائية ، كانت تأمل أن يجد سوندرز أصدقاء جددا لكامب ديفيد بين العرب ، غير أن المحاولة لم تكلل بالنجاح وكان موقف اسرائيل من تلك المحاولة سلبيا للغاية .

واشارت تقارير الصحف الاسرائيلية الى أن سوندرز ، اثناء محادثاته الخاصة التى اجراها مع المسئولين فى الضفة الغربية وغزة) ، وعدهم بكل شىء بما فى ذلك اقامة دولة وعودة القدس الشرقية . غير أن تلك التقارير لم تكن دقيقة ، واكتفى سوندرز بتأكيد السياسة الامريكية القائمة تجاه تلك المسائل الحساسة ، كما أن السياسة الامريكية اختلفت اختلافا واضحا عن سياسة اسرائيل ، وبدلا من أن تحمل اسرائيل مسئولية فشلها عمل كارتر وفانس اللذين أصدرا تعليماتهما النهائية لسوندرز بالقيام بمهمته ، وجهت غضبها الى سوندرز مباشرة .

وقد اتسم رد فعل سوندرز من الضجة الاسرائيلية بالهدوء والحنكة المهنية . فقد كان يعلم هو ورؤساؤه انه لم يتخط حدود السياسة الامريكية وبعد بضعة أسابيع ، عندما قدم بيجين الى نيويورك لاجراء محادثات مع فانس، طلب وزير الخارجية من سوندرز الاشتراك فى الاجتماع . وفى بداية الاجتماع ، طالب فانس رئيس الوزراء الاسرائيلى والوفد المرافق له أن يكفوا عن هجومهم الشخصى على سوندرز .

ونقل أحد المشتركين فى الاجتماع عن فانس أنه قال بنبرة اتسمت بالقوة والأدب « اذا كان لديكم شكاوى حول السياسة الامريكية فلنتكلم عنها . اننى أريد وقف كل تلك الهجمات الشخصية » . وطلب بيجين وعدد من الدبلوماسيين الاسرائيليين الآخرين من سوندرز فى وقت لاحق عدم اعتبار الهجمات موجهة الى شخصه . غير انه كان من الصعب عليه أن يفعل ذلك فى اطار الظروف المهنية المتعلقة بالأمر .

وكان سوندرز حساسا للغاية للاتهامات التى وجهت اليه بأنه منحاز شخصيا ضد اسرائيل ، ومن بين الاسباب التى جعلت الأمور على غير ما يرام

بين سوندرز ودينتز ، أنه تردد أن الأخير أبلغ كيسنجر أن سوندرز كان مناوئا لاسرائيل ، ونقل كيسنجر ذلك لسوندرز .

والاسرائيلى الذى ربما كان يعرف سوندرز افضل من غيره كان السفير افرون . وعندما كان افرون هو الرجل الثانى فى السفارة فى الستينيات انشأ هو وسوندرز ، الذى كان وقتئذ يعمل فى البيت الابيض علاقة عمل وعلاقة شخصية طيبة بينهما . وربما تحدث افرون لسوندرز اكثر من غيره حول حساسيات اسرائيل واحتياجاتها ، لكن سوندرز أضحى فى نفس الوقت اكثر حساسية لنكبة الفلسطينيين . فقد كان يريد بشدة ايجاد افضل السبل لتلبية احتياجاتهم دون التضحية بالمصالح الحقيقية لامن اسرائيل . وكثيرا ماكانت محاولته لايجاد حل تثيره ضد الاسرائيليين .

ومما يلفت النظر ، أن سوندرز ربما كان أكثر معرفة بالامور اليهودية من اى شخص آخر غير يهودى فى وزارة الخارجية . وقد أصبح ذلك يشكل من نواح عديدة اهتماما عميقا وعاطفيا بالنسبة له ، يعود الى منتصف الستينيات عندما شارك فى احتفال عيد الفصح الذى أقيم فى مقر اقامة افرون بواشنطون .

غير أن اهتمام سوندرز فى السنوات اللاحقه تركز فى محاولة حسم القضية الفلسطينية . وقد انتهى — شأنه شأن طائفة كبيرة من المسئولين الآخرين فى ادارة كارتر — الى احتمال التوصل الى تقدم ضئيل جدا دون اشراك منظمة التحرير الفلسطينية فى العملية . ويعتقد المسئولون الاسرائيليون ان سوندرز كان غيورا بشكل واضح فى محاولته العثور على الاعتدال من خلال التلميحات الغامضة الصادرة من منظمة التحرير الفلسطينية تجاه الغرب ، ونظرا لان سوندرز كانت لديه القدرة الفكرية على اقناع كبار المسئولين الآخرين بصحة آرائه ، فقد اتهمه الاسرائيليون بأن له تأثيرا سيئا على فانس ، شتراوس لينو ويتز وآخرين .

وقد استطاع سوندرز فى نفس الوقت ، أثناء ترويجه للقضية الفلسطينية بين الدوائر الداخلية للادارة ، أن يقنع آخرين من كبار الساسة بأن وجهات نظره من الممكن ان تكون ايضا عادلة بالنسبة لاسرائيل . وقد ثبت أن هذا الاتجاه المزدوج ممكن أن يكون مقنعا وفعالا وهو ما يكرر اسرائيل . ولعل ذلك يوضح السبب الذى جعل كل مسئول سياسى عمل سوندرز لحسابه على مدى عشرين عاما يثق الى حد كبير فيه . وكان يدرك حدود صلاحياته فى اجراء المفاوضات .

وقد استطاع فانس او كارتر عقد صفقة سياسية مع اسرائيل ومع العرب . واستطاع سوندرز أن يقوم بالعمل الحيوى خلف الكواليس الذى تمثل فى المساعدة لاتخاذ الترتيبات الأولية . وكان هذا الخليط من الدبلوماسية المهنية

والسياسية هو الذى أدى الى نجاح كامب ديفيد . وكان سوندرز مسئولا الى حد كبير عن صياغة الموقف الامريكى فيما يتعلق بالاطار المبدئى للاتفاقيات ، واستطاع كارتر فيما بعد أن يدفع بها الى حيز التنفيذ تقريبا .

وكانت تلك أيضا العملية التى ظهرت بوضوح ابان فترة عمل روبرت شتراوس القصيرة كمبعوث للشرق الاوسط واستمر حتى تولى لينوويتز مسئولياته . وقد اعترف شتراوس ، على النقيض من سوندرز ، بأنه لم يكن لديه خبرة كبيرة بالتعامل مع الفوارق الدقيقة للدبلوماسية العربية الاسرائيلية وبالرغم من ذلك كان كارتر لا يزال يطلب منه أن يتولى منصبا كبيرا مفاوضيا للولايات المتحدة حول الشرق الاوسط . وقد ذكر شتراوس ، قبل رئاسة ليندون جونسون ، فى مقابلة معى ، أنه بدأ فى تكوين رصيد كبير من القوة السياسية الى جانب دائرة انتخابية جيدة فى الولايات المتحدة .

وكان قد تم اختيار شتراوس نظرا لمهارته السياسية داخل الولايات المتحدة ولفهمه للسياسة ، ربما أفضل من غيره ممن كانوا قريبى الصلة بكارتر . وكلما ركز شتراوس على المسائل الرئيسية للنزاع العربى الاسرائيلى، أصبح يعتقد — كما فعل كارتر من قبله — بأن الاكتفاء بمعرفة غامضة لظروف لنزاع لا يعتبر عيبا أثناء مفاوضات السلام .

وقال شتراوس لى « لو استطعت أن أكون عادلا ، مبدعا واحظى باحترام من يعنيهم الامر ، ولو استخدمت بحكمة السلطة السياسية التى تدفقت عبى على مدى السنوات فى هذا البلد ، ولو أننى كرست كل هذه السلطة لهذا المشروع ، الذى انا على استعداد له . فاننى أكون بذلك قد بدأت أفكر فى أنه بدلا من اختيار شخص آخر ، فربما اختار الرئيس الشخص المناسب لهذه الوظيفة » .

واستطرد شتراوس قائلا « هناك جمع من الاشخاص الذين لديهم معرفة أكثر بهذه الوظيفة والذين يفهمون الفوارق والتاريخ أفضل كثيرا مما أفهم حاليا وربما مستقبلا . وهناك الكثيرون الذين يجعلون الانجاز والقدرة الفكرية تسيطر على كل التفصيلات . ولكن كلما تعمقت فى هذا الامر وكلما ذهبت ابعد فى تحليل مشاكل تلك المعادلة . أدركت مدى أهمية قوة بوب شتراوس والقدرة على التغلب على نقاط الضعف » . بيد أن النزاع العربى الاسرائيلى سرعان ما اثبت انه يفوق قدرة شتراوس وقد ابتعد عنه بعد بضعة شهور فقط .

وكانت سياسات البيروقراطية واضحة كثيرا اثناء تصويت الولايات المتحدة فى أول مارس المشئوم عام ١٩٨٠ بادانة المستوطنات الاسرائيلية فى الضفة الغربية فى الأمم المتحدة ، وهو تصويت أعلن كارتر فيما بعد أنه كان خطأ . واستشهد بادراج القدس بشكل يفترض انه غير رسمى فى لغة

القــرار ويعتبر فهم سلسلة الاحــداث والتاريخ الدبلوماسى الذى أدى الى التصويت مفيدا فى تقرير سلطة البيروقراطية فى صـــنع الســيلسـة الامريكية تجـــاه اسرائيـــل .

وباشتراك واشنطن فى التصويت ، حــدث انكماش بطىء ولكنـــه يستمر فى استعدادها للدفاع عن اسرائيل فى مجلس الامن . ورفضت الولايات المتحدة ، بشكل متزايد ، استخدام الفيتو لعرقلة صــدور القرارات المناوئة لاسرائيـــل ووصـــل التدهـــور الى أدنى حــد له مع التصويت .

وعشية توقيع اتفاقية الســــلام فى عام ١٩٧٩ ، طلب الاردن من مجلس الامن النظر فى مسألة المستوطنات الاسرائيلية فى الارض التى اســتولت عليها اسرائيل ابان حرب الايام الســتة . ومع امتنــــاع أندرويونج مندوب الولايات المتحدة فى الامم المتحــدة عن التصويت (بناء على تعليمـــات من واشنطن) اصـــدر المجلس قرارا يقضى بتشكيل لجنة خاصة « لدراســـة الموقف المتعلق بالمستوطنات التى أقيمت فى الارض العربية المحتلة منذ عـــام ١٩٦٧ ، بما فى ذلك القدس » وكانت قلة من الاشخاص على درايـــة بهــذا القــرار وصياغته والذى كان منحـــازا لاتفاقية كامب ديفيد فيما يتعلق بالســيادة على الضفة الغربية . وكان الدافع وراء امتنـــاع الولايات المتحدة عن التصويت معارضة الادارة الامريكية الدائمة للمستوطنات الاسرائيلية ، وهو ما رفضته الولايات المتحــدة على اعتبار أنه مناقض للقانون الدولى ويشكل عقبـــات فى طـــريق الســــلام » .

وفى صباح اليوم التالى للاعلان المثير لاتفـــاق كامب ديفيد بين اسرائيل ومصر ، وجـــد بيجين وكارتر نفسيهما يختلفـــان علنـــا على طبيعة الالتزام الاسرائيلى بتجميد بناء مستوطنات جـــديدة . وقال بيجـــين ، ان تجميد بنـــاء المستوطنات انما يكون لمــدة ثلاثة أشهر فقط ، وأكــد كارتر أن المسألة ســوف تطرح للبحث مع اسرائيل اثناء فترة المفاوضات الرامية الى انشاء ادارة للحكم الذاتى الفلسطينى .

وقد اشتد الخـــلاف ، الذى أضر ضررا بالغا بالعلاقات الشخصية بين بيجين وكارتر ، زاد بعـــد ذلك بشـــهر واحـــد عنـــدما أعلن مجلس الوزراء الاسرائيلى عن خطط لدعم بعض المستوطنات القائمة . وجاء الاعـــلان والولايات المتحـــدة وسط مبادرة دبلوماسية كبرى تستهدف جمع تأييـــــد فلســـطينى واردنى وسعودى وعربى آخر لاطـــار اتفاق كامب ديفيـــد وطبقـــا لمسئولين امريكيين فان أولئك العـــرب المعتدلين فى ذلك الوقت كانوا لا يزالون جالســـين ينتظرون معرفة مزيد من المعلومات حول تفاصيل اتفاق الســــلام . وحتى اليـــوم ، يعترف كارتر بان الخـــلاف حول المستوطنات مع اسرائيل ولاســـيما اعـــلان دعم تلك المستوطنات كان حاسما فى دفـــع العرب المعتدلين باتخـــاذ

موقف معاد لاتفـــاق كامب ديفيد والانضمام الى معسكر الرفض . وقـــد يتحدث كارتر عن ذلك فى مذكراته .

وصرح مسئولون فى الادارة الامريكية بأن التماساتهم الى اسرائيل بان تجمد عملية بناء المستوطنات الجـــديدة قد قوبلت بالتجاهل منها . ومن ثم كانوا يشعرون بالارتياح وهم يرفضون التماس اسرائيل بعرقلة المبادرة الاردنية وقد تشكلت اللجنة الخاصة ، ونددت اسرائيل بها ورفضت التعاون معها بأى شكل من الاشكال ، كما منعتها من زيارة اسرائيل لجمع المعلومات . وهكذا . أمضت اللجنة معظم وقتها فى بيروت ودمشق وبلدان أخرى فى العالم العربى للاستماع لشهادة بعض الفلسطينيين وبعض العرب الآخرين ، وكما كان متوقعا فان النتائج النهائية التى توصلت اليها اللجنة كانت أقل تعاطفا تجاه اسرائيل ، وحذر السفير الاسرائيلى افرون الادارة الامريكية وقتئذ من أن قرارها بعـــدم الاعتراض على تشكيل اللجنة سوف تأسف عليه يوما ما . وقال أن لجـــان مجلس الامن لا تختفى بسهولة .

وبالرغم من أن الولايات المتحدة ، بامتناعها عن التصويت . قد أتاحت الفرصة لتشكيل اللجنة ، فقد وعد فانس ومسئولون أمريكيون على مستوى عال ، اسرائيل بأن الولايات المتحدة سوف تعمل ضد أى جهد يرمى الى جعـــل مجلس الامن مسرحا هاما لبحث مسألة المستوطنات أو أية مسألة أخرى فى نطاق النزاع العربى الاسرائيلى . وأكد مسئولون أمريكيون لاسرائيل أن التركيز سوف ينصب على مفاوضات الحكم الذاتى الفلسطينى التى نصت عليها اتفاقية كامب ديفيد — وليس شيئا آخر .

وبعد ان جرى التصويت فى مارس ١٩٨٠ ، سئل دونالد ماكهنرى المندوب الامريكى بالامم المتحدة حول هذا التأكيد الامريكى السابق لاسرائيل فقد أكد ، فى حديث معى ، تفهم واشنطون ولكنه أصر على أن الاعلان الذى أصـــدرته اسرائيل فى ١٠ فبراير والذى يؤكد حق اليهود فى استيطان الخليل قد ضمن عرض مسألة المستوطنات على مجلس الامن .

وفى رأيه ، دون الاشارة الى الاعلان الخاص بالخليل ، الذى استنكرته وزارة الخارجية على الفور ، أن المجلس لم يكن ليجتمع وقت اجتماعه . ويعتقد ماكهنرى ومسئولون امريكيون آخرون أن اللوم يقـــع على اسرائيل فيما يتعلق بقرار المجلس .

وما من شك فى أن قرار الخليل قد أغضب كل مسئول فى ادارة كارتر وبالاخص رئيس الدولة . واعتبر المسئولون العاملون مع كارتر أن القـــرار كان استفزازيا بدون داع . وجاء القرار فى الوقت الذى كان فيه الســـفير الامريكى فى الشرق الاوسط لينوفيتز يحرز بعض التقدم فى مفاوضات الحكم الذاتى . وكان هناك شعور بالاستياء الشديد تجاه اسرائيل — وصل الى حد

الغضب الصريح · وكان بعض كبار المسئولين الامريكيين على استعداد للحاق بعربة المناوئين لاسرائيل . وعندما أعلنت اسرائيل قرارها الخاص بالخليل ، الذى تضمن حق اليهود فى الاقامة فيها ، دون أن تتخذ اجراء محددا ، اعترف المسئولون بوزارة الخارجية بأن ثمة ثغرة يمكن من خلالها معاقبة اسرائيل حول مسالة الاستيطان ، وربما كانت تلك أضعف النقط لدى اسرائيل فيما يختص بالرأى العام الامريكى .

ودعت صحيفة النيويورك تايمز فى مقال افتتاحى لها فى أعقاب القرار الخاص بالخليل الى « وجوب الضغط على اسرائيل كى تكف عن الاستيطان فى الضفة الغربية ، واضافت الواشنطون بوست أنه لا جدوى من اى نقد آخر لاسرائيل حول هذه القضية » . وكذلك الضرب على الايدى » . والامر يتطلب المزيد من التكتيكات المباشرة · فلماذا لا يتم تحديد قيمة محددة للمستوطنات وجعل اسرائيل تقرر ما اذا كانت ترغب فى التخلى عن هذا القدر الكبير من المعونة الامريكية التى تحصل عليها ؟

واعترف السفير افرون أنه بعد قرار الخليل قد يجتمع مجلس الامن لبحث التقرير الخاص فيما يتعلق بالمستوطنات . وقد طلب السفير أثناء اجتماع لهمع وزير الخارجية فانس كما تلقى تأكيدات مجددة بأن واشنطون سوف تقف ضد أى اجتماع كهذا يعقده الجلس · ومن المفترض أن تعليمات صدرت الى ماكهنرى بهذا المعنى · بيد أنه فى منتصف فبراير غادر ماكهنرى واشنطون فى جولة استطلاعية فى منطقة الشرق الاوسط توقف خلالها فى اسرائيل · ولم تعترض الولايات المتحدة بشدة على انعقاد المجلس وفى الحقيقة ، ذكرت صحيفة الواشنطون بوست بتاريخ ٥ مارس ١٩٨٠ أن قرار الولايات المتحدة المبدئى بالتصويت فى صالح قرار تصدره الامم المتحدة ضد المستوطنات كان تاريخه من حيث المبدأ يرجع الى ٢٢ فبراير ·

وبنظرة الى الوراء ، يتضح أن الشكوك الاسرائيلية كان ينبغى أن تثار فى ٢٢ فبراير ، عندما أضاف روبرت بيرد زعيم الاغلبية فى مجلس الشيوخ وهو النائب الديموقراطى عن غرب فيرجينيا فقرة الى سجل الكونجرس يحذر فيها من أن الشعب الامريكى « سوف يكون عازفا عن الاستمرار فى امداد اسرائيل بحصص عالية المستوى من المعونة » طالما واصلت اسرائيل بناء المستوطنات وأضاف بيرد « آمل أن تعيد حكومة اسرائيل النظر فى الامر » . وتكهن مراقبون دبلوماسيون محترفون بأن ملاحظات بيرد كانت بمثابة مؤشر موح للادارة ، حيث أن زعيم مجلس الشيوخ ليس حجة فى الشئون الخارجية وقد استغلت الادارة الامريكية بين الحين والآخر بيرد فى توجيه رسائل غير مباشرة عبر البحار ·

وقد استغرقت صياغة قرار الامم المتحدة أسبوعا · ولم يكن ماكهنرى يتطلع الى الامتناع عن التصويت حول مسألة اختلفت حولها واشنطون نفسها

مرارا مع اسرائيل . وطبقا لمصادر وزارة الخارجية ، فقد أوصى ماكهنرى بأن تبلغ الولايات المتحدة أعضاء آخرين فى المجلس بأن فى مقدورها ان تؤيد قرارا يكتفى بتأكيد السياسة الامريكية حول المستوطنات . وقد تجاوب المسئولون بوزارة الخارجية مع هذه الوصية . اذ أوصى السفير لينوفيتز الذى كان موجودا فى لاهاى للاشتراك فى مفاوضات الحكم الذاتى خلال تلك 'الايام الحرجة ، ضد التصويت بالايجاب . وكان يخشى من احتمال أن يلحق الضرر بمحادثات الحكم الذاتى . ويعتقد المسئولون الاسرائيليون ان اشارة ماكهنرى الى أعضاء آخرين فى المجلس يعد خرقا للالتزام بالعمل ضد استخدام مجلس الامن كمجال للنظر فى قضية المستوطنات . وعندما سئل ماكهنرى حول ذلك ، عارض بشدة قائلا « اننا لم نلتزم أبدا بأى شىء حول كيفية التصويت»

وقد اتخذ القرار الحاسم بالتصويت فى صالح القرار خلال اجتماع غير رسمى عقده كارتر مع مستشاريه لشئون السياسة الخارجية على مائدة الافطار صباح يوم الجمعة ٢٩ فبراير . وقد حضر الاجتماع كارتر ، فانس وبيرزيزنيسكى ، وهارولد براون وزير الدفاع وهاميلتون جوردان كبير موظفى البيت الابيض وهيدلى دونوفان مستشار شئون الرئاسة . ولم يتم تسجيل أية ملاحظات رسمية حول الاجتماع . وطبقا لمصادر البيت الابيض ، فان نص مشروع القرار لم يكن فى واقع الامر على مائدة الاجتماع . (وتعتقد تلك المصادر أن كارتر لم يقرأ بالفعل نص القرار الا بعد التصويت عليه).

ولكى نفهم السبب الذى من أجله عكست الادارة الامريكية موقفها من قرار مجلس الامن ، فانه ينبغى شرح الموقف الامريكى من القدس ومستعمرات الضفة الغربية . كما أن فهم الموقف الرسمى لواشنطون تجاه القضيتين المتفجرتين للقرار يساعد على تحديد البعد المناسب للاحداث غير المعقولة التى تحيط بالفشل الذى منيت به الامم المتحدة كما أنه يساعد بالاضافة الى ذلك على تحديد ما اذا كان كارتر ، وفانس وماكهنرى وعدد آخر من كبار المسئولين الامريكيين يدركون ما كانوا يفعلون عندما وافقوا على التصويت فى صالح القرار ، أو ما اذا كان ذلك مجرد خطأ عن حسن نية ، وهو ما يودون من اسرائيل اعتباره كذلك .

أولا : فيما يتعلق بالقدس : « نحن نعتقد بشدة أن القدس ينبغى عدم تقسيمها بحيث يسمح لكافة الاديان بدخول الاماكن المقدسة ، وأن يتحدد وضعها فى المفاوضات الخاصة بالتوصل الى تسوية سلمية شاملة » . هذا ما قاله كارتر فى بيانه الذى تمت صياغته بعناية فى ٤ مارس واعترف فيه بالخطأ الامريكى بالتصويت فى صالح القرار . فقد أكد على أن التصويت الامريكى لا يمثل تغيرا فى الموقف الامريكى تجاه القدس . وعندما سئل هودنج كارتر المتحدث باسم وزارة الخارجية أن يعرض من جديد الموقف

الامريكى فى القـــدس ، أحال الصحفيين على اتفاقيات كامب ديفيد ، الى تضمنت خطـــابا من الرئيس الامريكى يحدد فيه موقف بلاده . ومع كل ، فان هـــــذا الخطـــاب كان مقتضبا الى حـــد ما . وقـــد كتب كارتر يقـــول : « ان موقف الولايات المتحـــدة فيما يتعلق بالقـــدس لا يزال كما عرضـــه آرثر جـــولدبرج المندوب الامريكى فى الجمعيـــة العـــامة للامم المتحـــدة فى ١٤ يوليو ، ١٩٦٧ ، وكما عرضه بعـــد ذلك شارلس بوست المنـــــدوب الامريكى فى مجلس الامن فى الاول من شهر يوليو عام ١٩٦٩ » . وقد رفض المتحدث باسم وزارة الخارجية أن يتعدى حـــدود ما جاء فى اتفاقيات كامب ديفيد .

وثمة سبب لهذا السلوك الامريكى الغامض . فطبقـــا لكارتر وبيجـــين والسادات وآخرين شاركوا فى قمـــة كامب ديفيـــد ، كاد أن ينهـــار فى اللحظة الاخيرة مشروع الاطـــار بسبب القدس . وقد استغرق الوصـــول الى بيـــان ما حول القـــدس يقبله كل من بيجين والسادات احـــــدى عشرة ساعة من العمل . وتم احـــراز بعض التقدم واتفق على الحاجة الى أن تبقى مدينـــة « غير مقسمة » . غير انه فى النهاية لم يستطيعوا الحصول على اكثر من تلك التعميمات .

وكحل وسط ، وافق الزعمـــاء الثلاثة على تجاهل أى ذكر للقـــــدس فى الاتفاقية الفعلية . وبدلا من ذلك ارفقـــوا خطابات منفصلة توضح مواقفهم . غير أن بيجين لم يستطع أن يتحمـــل سماع الموقف الامريكى . وطلب من كارتر عدم الافصاح عنه بالفعل ، واقترح المسئولون الامريكون وقتئذ ان براجعـــوا تصريحات أمريكية سابقة تنطوى على حساسية لعمق المشاعر الاسرائيلية .

وثمة سبب وراء احالة المسئولين الامريكيين الذين اشتركوا فى مفاوضات كامب ديفيد على تصريحات كل من جولدبرج وبوست . وقد تجاوزت تصريحات بوست التصريحات التى ادلى بها جولدبرج الذى ذكر أن الولايات المتحدة لـــم تعترف بالاجراء الذى اتخذته اسرائيل من جـــانب واحد فى ٢٨ يونيو ١٩٦٧ ، باعلانها رسميا كم القدس الشرقى الذى استولت عليه فى غضون حرب الايام الستة . قال جولد برج « اننى اريد أن أوضح أن الولايات المتحـــدة لا تقبل أو تعترض على تلك الاجراءات على أساس تغير وضع القدس . ونحن نأســـف لاتخاذها ذلك الموقف » .

ومع كل ، فانه فى نفس الوقت ، لم يصرح جولد برج مطلقا بان القدس الشرقية « أرض محتلة » . وفى وقت لاحق من نفس السنة ، خلال شهر نوفمبر لم يرد ذكر للقدس بأية حال من الاحوال فى قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وقد شرح جولد برج سببذلك فى جريدة ترانسنائشونال لو التى صدرت من جامعـــة كولومبيا فى عام ١٩٧٣ بقوله :

ان اجراء حذف على جانب كبير من الاهمية فى محتوى نص القرار يتمثل فى حذف أية اشاره معينة لوضع القدس وكذلك فشل القرار فى اعادة تأكيد القرارات السابقة للامم المتحدة الخاصة بتدويل تلك المدينة . والاستدلال المنطقى من هذا الحذف هو أن القرار رقم ٢٤٢ يعترف بصورة واقعية ببطلان قرارات التدويل السابقة التى أصدرتها الامم المتحدة .

وقال جولد برج ، فى مقابلة معى ، انه كان قد تعمد تجنب أية اشارة الى القدس كأرض «محتلة» حتى يفرق بوضوح بين وضعها الخاص وبين الارض الاخرى التى تم الاستيلاء عليها خلال الحرب . ولم يقبل جولد برج قرار اسرائيل ضم القدس عندما كان يمثل الولايات المتحدة فى الامم المتحدة . الا أنه لم يعتبر القدس ضمن الارض « المحتلة » الاخرى على وجه الاطلاق .

وقد تخلت ادارة نيكسون عن هذا الموقف الدقيق الذى له مغزى دبلوماسى. وكان السفير بوست صريحا عندما تحدث فى مجلس الامن فى أول يوليو عام ١٩٦٩ . اذ قال أن « الولايات المتحدة تعتبر هذا الجزء من القدس الذى وقع تحت سيطرة اسرائيل فى حرب يونيو ، شأنه شأن مناطق أخرى احتلتها اسرائيل ، أرضا محتلة ومن ثم تخضع لنصوص القانون الدولى الذى يحكم بحكم حقوق والتزامات الدولة القائمة بالاحتلال . ومن بين نصوص القانون الدولى التى تلزم اسرائيل شأنها شأن أية دولة قائمة بالاحتلال ، أن تلك الدولة ليس من حقها اجراء تغيرات قانونية أو ادارية غير تلك التى تستلزمها مصلحة الامن بصفة مؤقتة وان تلك الدولة القائمة بالاحتلال لا يجوز لها أن تصادر أو تقضى على الملكية الخاصة . وأعرب بوست عن « أسفه وحزنه » لما قامت به اسرائيل من اجراءات « فى القسم المحتل من القدس » .

وفى حقيقة الامر ، لم تكن ثمة حاجة لان يشير كارتر فى كامب ديفيد الى تصريحات كل من جولدبرج وبوست . ومع كل ، فانه من الحصافة ، سياسيا ، أن يشير كارتر الى جولد برج ، الذى كان يعتبر صديقا قويا لاسرائيل ومن الواضح أن كارتر ومعاونيه كانوا يريدون استغلال جولد برج فى المساعدة على تبرير موقفهم . وكان الاحتمال الاكبر فى حالة استشهادهم ببوست فقط ان يؤدى ذلك الى خلق معارضه .

واذا كان بيان بوست ما زال العمل به قائما ، حسبما يؤكد كارتر ووزارة الخارجية الامريكية ، حينئذ فان الولايات المتحدة مازالت تعتبر القدس الشرقية أرضا « محتلة » ليس من حق اسرائيل أن تقيم عليها مستوطنات مدنية . ولكن فى نفس الوقت ، صرح كارتر أن القدس ينبغى أن تكون « غير مقسمة » وهى كلمة قبلها (السادات) فى كامب ديفيد وهكذا ، يبدو هناك بعض الغموض حول وجهة النظر الامريكية . ولم يلتق هذان المفهومان على وجه الاطلاق . ويفضل المسئولون الامريكيون أن يبقى الامر على هذا الحال .

وعلى الرغم من بيان بوست ، فان السفير ماكهنرى كان لا يزال مخطئا عندما قال فى الثالث من شهر مارس [illegible] وردت فى قرار الامم المتحدة حول القدس فى اول مارس لم تشكل تغييرا فى السياسة الامريكية ، فقد شكلت تغييرا بالفعل . وحتى بوست اشار وحد الى القسم « المحتل » من القدس . لم يعترف هو ولا أى مسئول أمريكى آخر من قبل بعبارة « الارض المحتلة الفلسطينية والعربية بما فى ذلك القدس » التى ذكرت فى نص القرار الجديد . وفى عالم الدبلوماسية ، فان هذا يعد تدهورا كبيرا بالنسبة لاسرائيل . وهو يمثل ، فى الحقيقة ، تحولا كبيرا عن لغة القرار رقم ٢٤٢ التى تتسم بالدقة والتى تحدثت عن « أرض محتلة » فقط أثناء الحرب ولم تنص عن كونهـــا « عربية وفلسطينية » .

ومع كل ، فان ما يلفت النظر حول هذا التغير فى السياسة بالذات أنه لم يكن السبب المعلن رسميا أن كارتر طلب حذف كافة الاشارات الخاصة بالقدس. وطبقا لماكهنرى ، فان كارتر كان يريد فقط ان يواصل التزامه باتفاقه مع بيجين فى كامب ديفيد بعدم اعادة طرح الموقف الامريكى بالفعل .

وقال ماكهنرى فى معرض ايضاحه « لفشـــل الاتصـــالات أنه كان قد تم ابلاغه انه عن طريق الغـــاء الفقـــرة السابعة فقط ، فان قلق كارتر حـــول القدس سوف يزول . غير ان الفقـــرة السابعة ، التى تم حذفها ، كانت دعوة غير ضـــارة نسبيا لاسرائيل بأن تمتنع عن التدخل فى الحريات وتأدية المناسك فى القدس وغيرها من الاماكن المقدسة فى الارض المحتلة . ومن المفـــترض ، أن الشخص الذى ابلغ ماكهنرى بالتخلص من الفقرة السابعة شرح السبب الذى من أجله لم يقبل كارتر تلك الفقرة ــ وهو التزام بيجين باتفاق كامب ديفيد، غير أن الفقرة الخامسة ، التى بقيت فى القـــرار ، كانت خرقا صارخا الى حد كبير لذلك الالتزام . وذكرت الفقرة أن « كافة الاجراءات التى اتخـــذتها اسرائيل لتغيير الطـــابع المـــادى والشـــكل الديموغـــرافى والاطـــار التنظيمى أو وضع الارض الفلسطينية أو العربية الاخـــرى المحتلة منذ عام ١٩٦٧ ، بما فى ذلك القدس ، أو أى جزء منهـــا ، ليست لها شرعية قانونية وان سياسة اسرائيل وتصرفاتها بتوطينها لبعض سكانها ولمهاجرين جـــدد فى تلك الارض يشكل خرقا صارخا لاتفاقية جنيف الرابعـــة الخاصة بحماية المدنيين فى وقت الحرب » .

وهنا ، فى الفقرة الخامسة : تعيد الولايات المتحدة من جديد وبالتفصيل عرض موقف بوست الخـــاص بالقدس ــ وهو بالضبط ان ما وعد به كارتر بيجين لن يتحقق . وبالرغم من ذلك ظل هذا الموقف واردا ضمن فقـــرات القرار ويقينا فان الفهم المبدئى لمنطق كارتر فيما يتعلق بالغـــاء الفقـــرة الســـابعة من الممكن توقع أن يثير تســـاؤلات بين الدبلوماسيين الامريكيين ذوى الخـــبرة

حول ترك الفقرة الخامسة دون استفســـار . وكان ذلك احـد الاسـباب التى تكمن وراء صعوبة التفسير الرسمى لهذه المسألة . وقد صرح كارتر بأن التصـويت الامريكى فى الامم المتحدة تمت الموافقة عليه على أساس أن كافة الارشادات الخاصـة بالقدس سوف يتم حذفها . وأن عدم القدرة على توصيل هذا المفهوم بوضوح أدى الى تصـويت فى صالح القرار وليس الامتنـاع عن التصويت .

ولم يكن الابتعـاد الصريح عن السياسة الامريكية السابقة التى احتواها القـرار الامر الذى قد يبدو غير معقول ، لم يكن فى حد ذاته كافيـا ليجيز امتناع الولايات المتحـدة عن التصويت . وقال كارتر ، « انه فى حين أن اعتراضـنا على اقامة مستوطنات اسرائيلية دائم ومعروف جيدا ، فقد بذلنا جهـودا مضنية لحذف كل ما جاء فى القرار حول ازالة المستوطنات . وهذه الدعـوة لازالـة المستوطنات لم تكن سليمة ولا عملية ، ونحن نعتقد أن مسألة ازالة المستوطنات القائمة فى المستقبل يجب أن يبقى فيها خلال مفاوضات الحكم الذاتى الجارية ».

غير أن المسئولين الامريكيين أكدوا علنا أن اعتراض الولايات المتحـدة على ازالة المستوطنات لم يكن كافيـا للوقوف فى طريق تصـويت ايجـابى . وقد علق متحدث على ذلك بقوله ، ان جوهر القرار يتمشى مع السياسة الامريكية . وأن قليلا من القرارات تمت صياغتها بنفس الاسلوب الذى حددناه. فبعد أن أبدينا اعتراضنا على فكرة ازالة المستوطنات ، قررنا ضرورة التصويت لصالحها .

ومع كل ، فانه من هذا المنظـــور كان يجب أن يكون اعتراض الولايات المتحـدة على صيغة ازالة المستوطنات معتدلا الى حد كبير ، اذا أخـــذنا بعين الاعتبـار حقيقة أن ذلك لم يكن كافيـا لتبرير الامتناع عن التصـويت . وقد أكد كارتر شخصيا انه أعطى موافقتـه على تصـويت الولايات المتحـدة على الرغم من الدعـوة الى ازالة المستوطنات . وأضاف كارتر : « لقـد اصدرت تعليمـاتى بأن نمتنع عن التصويت على قرار الامم المتحدة الذى يتضمن أى اشـارة الى القدس ، وأن نوضح أننا لا نحبذ ازالة المستوطنات القائمة .

ومن المفروض أن « ايضـاح » اعتراض الولايات المتحدة كانت مهمـة ماكهنرى الذى أعرب عن تحفظاته حول الدعوة الى ازالة المستوطنات .

وقال : « ثمة عدة عوامل ذات طـابع عملى تجعل الدعوة التى تضمنتها الفقرة السادسة الخاصة بازالة المستوطنات غير عملية . فبعض المشروعات ليس من السهل ازالتها . وزيادة على ذلك ، فانه مهما كان وضع الارض المحتلة فى المستقبل ، فسوف تكون هناك حاجة الى اسكان المواطنين والبنية الاساسية المتعلقة به » .

ومن المفهوم ، أن القصة بأكملها كان لها تأثير قوى على العلاقات الامريكية الاسرائيلية لبعض الوقت . وبالرغم من نفى كارتر العلنى لهـا الا أن التأثير كان سلبيا للغاية . ومما لا شك فيه أن البيان الذى أصدرته اسرائيل خلال شهر فبراير الذى أكد حق اليهود فى الاستيطان فى الخليل اثار غضب كارتر ، وفانس ، وكافة معاونيهما . وعندما أثار أعضاء مجلس الامن المسألة ، لم يكن ثمة استعداد فورى لدى واشنطون للمضى فى الادانة المضمونة لاسرائيل . وكان الرئيس الامريكى ووزير الخارجية ومندوب الولايات المتحدة فى الامم المتحدة ومعاونوهم يرغبون فى تأنيب اسرائيل علنـا نظرا لما أصابهم من جرح كبرياء شخصى .

ولم يكن ثمة جهد جاد ، حتى التاسع والعشرين من فبراير ، وهو اليوم السابق على التصويت للتشاور مع الدبلوماسيين الاسرائيليين فى نيويورك أو واشنطن أثناء صياغة مشروع القرار الذى استغرق أسبوعا . وكان ثمة ما يدعو للاعتقاد بأن الادارة الامريكية كانت تريد أن تجعل موقفها من اسرائيل سريا حتى تحول دون احتجاج اسرائيل العنيف ، الامر الذى قد يضع الولايات المتحدة فى وضع حرج . وعندما أستفسرت اسرائيل عن موقف الولايات المتحدة ، كان الانطباع المعطى أن الولايات المتحدة سوف تمتنع عن التصويت . مثلما فعلت من قبل . ولربما ذهب كارتر ومستشاروه بعيدا فى حملتهم الطائشة لمعاقبة اسرائيل . وكان ذلك أمرا سهلا بالنسبة لبعضهم ، اذ كان ثمة شعور بالاستياء العميق بين الكثيرين من المسئولين الامريكيين تجاه اسرائيل . بيد أن الولايات المتحدة دفعت فى وقت لاحق ثمن تهورها — فى اسرائيل وفى الدول العربية وفى العالم أجمع .

وقد عانى كارتر وفانس ، كل بمفرده ، بشدة من جراء التصويت . فقد اضر بكارتر عشية الانتخابات الاولية للرئاسة للحزب الديموقراطى فى نيويورك . فقد فاز السيناتور ادوارد كيندى من ماساشوستس بالولاية مما اضر بمسيرة كارتر الانتخابية الى حد كبير . وقد اخطأ فانس يقينا بسماحه لماكهنرى باعطاء صوت الولايات المتحدة لصالح قرار الامم المتحدة . وكان كارتر فى ذلك الوقت يقضى عطلة نهاية الاسبوع فى كامب ديفيد . وتحمل فانس فى وقت لاحق المسئولية عن « فشل الاتصالات » ، غير أن تلك كانت بداية النهاية لولاية فانس فى وزارة الخارجية . وكتب المعلق جوزيف كرافت فى صحيفة الواشنطون بوست بتاريخ السادس من مارس يقول ان فانس « رجل متهور يقلل من شأنه سير الاحداث فى أفغانستان وعاتب فيما حدث فى ايران ولم يعد قادرا على التفكير بوضوح » . وسوف يقدم استقالته ، فى غضون أسابيع قليلة ، احتجاجا على فشل المهمة العسكرية الامريكية لانقاذ الرهائن الامريكيين فى ايران ، أن بذور تلك الاستقالة كانت قد ذرعت من قبل فى مجلس الامن التابع للامم المتحدة .

الفصـــل الثـــانى

الوجود الاسرائيلى فى واشنطون

افتتحت اسرائيـل رسميا فى واشـنطون فى شهر ينـاير ١٩٨١ مبنى مستشاريتها الجديد الذى تكلف خمسة ملايين من الدولارات . وكان من بـين مئات الضيوف الذين انضموا الى السفير افرايم افرون فى حفل الافتتاح عمدة كولومبيا ماريون بارى ، ووزير التجارة المستقيل فيليب كلوتزنيك ، ووكيـل وزارة الخارجية للشئون السياسية دفيد نيوسوم ، ورئيس اتحاد العمل الامريكى لين كيركلاند ومستشار ريجان لشـئون السياسة الخارجية ريتشارد آلـن . وكان المبنى ، الذى يقع على طول الشارع الدبلوماسى الجديد عند ناصـية فان نيس ورينو رود ، قد خطط لاقامته فى بادىء الامر فى عام ١٩٧١ ، بعد أن خصصت الهيئة القومية لتخطيط العاصمة ، المنطقة لاقامة سفارات اجنبية . وقد حصلت احدى عشرة دولة اخرى من بينها الاردن على ترخيص ببنـاء سفارات لها فى تلك المنطقة . وكانت اسرائيل ، وهى أول دولة تتقدم بطلـب تخصيص موقع لها فى المركز الدولى الجديد ، كانت ايضا أول دولة تنتهـى من أقامة مبناها . وقد استغرقت أعمال البناء الفعلية أقل من عامين . ومن الناحية الحسابية ، فان المبنى الذى يتألف من خمسة طوابق والذى يوجد به نظـام أمن متقدم مزود بآلات تصوير تليفزيونية خارجية يتم التحكم فيها عن بعد ، أشبه مايكون بمبنى تم نقله من الحى اليهودى لمدينة القدس القديمة . وقد قام بتصميم المبنى شركة كوهين ، هافت ، هولتز ، كيركستون بولايـة مريلاند والشركات التابعة لها . وكان المستشـار الهندسى للمشروع هـو المهندس الاسرائيلى بيشاياهو مانديل . ومن ملامح المبنى الجديد للمستشارية حجرة انتظار تطل على الردهة ، تصميم خاص للسور الحديدى المحيط بأرض المنعطف ، أقواس ضخمة داخل وخارج المبنى وفناء ومعبـد .

والمبنى مصمم جيـدا للاغراض الدبلوماسية . فقـد استغلت صالته الواسعة لاقامة الكثير من حفلات الاستقبال الرسمية بدلا من أن تكون مقـرا للسفير ، وعندما يكون الطقس معتدلا ، ينتقل الضيوف من قاعة الرقص الى الفناء المجاور . وتزين الجدران الداخلية للمبنى بطائفة كبيرة مـن الاعمـال الفنية الاسرائيلية المعاصرة .

ويذكر افرون انه خلال الزيارة الاولى التى قام بها بيجين رئيس وزراء اسرائيل لواشنطون ، وقع سلفه سمحا دينتز اتفاقا مع ايفان دوبيل رئيس البروتوكول الامريكى فى عام ١٩٧٧ يقضى بتاجير الارض رسميا لاسرائيل . ويعود كثير من الفضل لروبرت كوجود ، وهو مقاول محلى واحد الشخصيات القيادية

البارزة فى الجالية اليهودية الذى اشرف بنفسه على برنامج البناء كله ، فى تغطية التكاليف الاولية للمبنى والانتهاء من البناء فى الموعد المحدد لذلك .

وتعتبر المستشارية الجديدة المستشارية رقم ثلاثة التى تشغلها اسرائيل منذ عام ١٩٤٨ . وباتساع نطاق العلاقات الامريكية الاسرائيلية على وجه السرعة ، اضحى المبنيان القديمان صغيرين الى حد كبير ، واضطرت اسرائيل الى استئجار غرف اضافية من مبنى كونجرشنال كوارترلى ، الذى يبتعد عن مبنى المستشارية القديمة ببنايتين بالقرب من ماساشوستس افينيو حديث الطراز .

ويتسع المبنى الجديد للمستشارية لما يقرب من مائة من موظفى السفارة الرسميين فى واشنطون ، بما فى ذلك مسئولون دبلوماسيون وقناصل واقتصاديون وعسكريون ، وعلى خلاف الموقع القديم ، فان المبنى الجديد والشوارع المجاورة له يوجد به مرافق « قانونية » كافية لوقوف سيارات الموظفين ، الامر الذى ساعد على تحسين سجل اسرائيل ذى السمعة السيئة فى خرق نظام وقوف السيارات .

ومن بين الهيئات الدبلوماسية الاجنبية الكثيرة فى واشنطون يأتى الدبلوماسيون الاسرائيليون بصفة تقليدية فى المرتبة الثانية بعد الدبلوماسيين السوفيت فى خرق نظام وقوف السيارات ، وهو مالا تتقاضى عنه خزانة الحكومة اية اموال نظرا للحصانة الدبلوماسية التى تتمتع بها السفارة . وفى حفل الافتتاح ، ركز ايفرون ، الذى كانت الابتسامة على وجهه ، بصره على العمدة بارى وهو يذكر ان المبنى الجديد مزود بكافة المرافق الخاصة بوقوف السيارات . وقد ضحك الضيوف .

وبعد شهر مايو عام ١٩٤٨ ، انتقل السفير الياهو ايلاث وأول مجموعة من الدبلوماسيين الاسرائيليين الى مكاتب الوكالة اليهودية القديمة التى كان يضمها مبنى أنيق يطل على ماساشوستس أفنيو . أما المبنى الثانى للمستشارية فبالرغم من أنه كان أوسع من سابقه الا انه كان محدودا للغاية نظرا لاتساع ونمو مصالح اسرائيل الاقتصادية والعسكرية والدبلوماسية فى واشنطون . فقد كانت المكاتب الضيقة لعدد من المسئولين الاسرائيليين بمن فيهم المستشارون السياسيون والمستشارون الصحفيون فى واقع الامر من الصغر بحيث كان يصعب كثيرا استقبال الزائرين هناك . وقد تم تغيير كل ذلك فى المبنى الجديد الذى احتوى على الكثير من الغرف الداخلية لمراعاة احتمالات التوسع .

هذا ، اذن ، هو الوجود الاسرائيلى الطبيعى فى واشنطون . بيد ان قدرة اسرائيل على الوصول الى اجزاء اخرى عديدة من العاصمة الامريكية لا تتحدد من خلال تصميم هذا المبنى وحده .

كيف يستطيع المرء تقدير النفوذ في واشنطون ؟ اذا كان هذا يعنى القدرة على التأثير على معظم سماسرة السياسة الاقوياء في العاصمة ، فان لدى السفارة الاسرائيلية يقينا تلك القدرة — في الادارة والكونجرس ، ووسائل الاعلام ، وحركة العمل المنظم والمحافل العلمية ومجالات اخرى . كما أن لدى السفارات العربية البالغ عددها عشرون تقريبا أيضا نفس القدرة ، وبالاخص في وزارة الخارجية والبنتاجون وفي مجالات العمل الكبرى . ولدى العناصر السياسية النشيطة من اليهود الامريكيين أيضا نفوذ يفوق بالتأكيد ما لدى نظرائهم من العرب الامريكيين ومعظم الجماعات العرقية المنظمة الاخرى التي تمارس الضغط على الحكومة غير أن نفوذ اليهود الامريكيين في رسم السياسة الخارجية للولايات المتحدة تجاه الشرق الاوسط ، برغم أهميته ، الا انه لا يرقى الى مستوى تأثير نفوذ السفارة الاسرائيلية ، ويرجع ذلك الى حد ما الى أن كبار المسئولين في الادارة والكونجرس يعتقدون من ناحية بأن الاسرائيليين هم أصحاب الكلمة ، الفصل في تحديد أفضليات السياسة اليهودية الامريكية .

وقد أوضح ادجارم . برونفمان رئيس المجلس اليهودي العالمي تلك النقطة في كلمة اثير جدل حولها كان قد القاها في أول فبراير عام ١٩٨٣ في اجتماع مجلس المخاططين الخاص بتلك المنظمة في واشنطون . وكان جوهر كلمته دفاعا عن حق اليهود في الشتات مخالفا لوجهة نظر الحكومة الاسرائيلية ، حتى حول مسائل تتعلق بالامن القومي لاسرائيل . قال « ان الكثيرين يجادلون بأن الخلاف العلني حول الشتات ينبغي عدم السماح به . فان ذلك من شأنه اضعافنا ، على حد قولهم ، ويقلل من قدرتنا نحن وحكوماتنا على محاولة دفع قضية دولة اسرائيل قدما ، ويرى آخرون أننا نفقد مصداقيتنا عندما ننظر بعقلية ضيقة لكل ما تتخذه الحكومة الاسرائيلية من اجراء حول كل مسألة . وفي الحقيقة يقول عدد كبير من وزراء الخارجية انهم ليسوا بحاجة للاستماع لزعماء اليهود الامريكيين — وهم يسمعون نفس الشيء من السفير الاسرائيلي » .

وقد ادرك مواطن اسرائيلي هذه المسألة عندما عرض بعض النصائح على يهودي امريكي يعنيه الامر وهو مسئول كبير في العلاقات العامة ، حول تحسين حملة الهزبارا (أو الاعلام الجماهيري) لاسرائيل في الولايات المتحدة ، اذ كتب الاسرائيلي ، ردا على اقتراح انشاء هيئة اعلامية خاصة باسرائيل يتولى شئونها وتمويلها يهود أمريكيون ، كتب يقول :

(حيث ان وظيفتي — فضلا عن بعض الخبرة المباشرة — تجعلني في بعض الاحيان قريبا من تعقيدات الاعلام الاسرائيلي ، وحيث ان الامر يعنيني منذ وقت طويل ، فلتسمحوا لي بحرية التعليق . ان عملية اعداد صورة سياسية تعتبر اخبارا سياسية . وتلك الأخبار تدور في نهاية الامر حول السلطة : الانظمة التي تكمن فيها السلطة والاشخاص الذين يتحكمون فيها . انها الحلقة

الحقيقية أو الملموسة المتصلة بالسلطة التى تجعل « مصدرا ما » يحظى باهتمام الصحافة . واذا لم تكن هيئة اعلامية أمريكية اسرائيلية تحظى بمثل تلك الصلة بمراكز السلطة فى إسرائيل فانها لن تستمر طويلا مع الصحافة . وانى على استعداد لضمان انها لن تحقق مثل هذه الصلة ، لنفس الاسباب الاسرائيلية التى حالت دون قيام كافة الحكومات الاسرائيلية بانشاء جهاز اعلام فعال ومتماسك) .

ومع كل ، فان ما يستطيع اليهود الامريكيون القيام به هو ترجمة سلطتهم السياسية الى جهد اعلامى ويمكن حينئذ نشر ذلك بطريقة ماهرة وحكيمة من جانب اسرائيل . وسوف يكون ذلك موقفا غير مباشر ولكنه واعد بدرجة كبيرة . وسيتطلب ذلك بعض التفكير الناضج من جانب اليهود الامريكيين . ولست واثقا من أن الطبيعة اليائسة للطائفة اليهودية والمنظمات التابعة لها سوف تجعل ذلك أمرا ممكنا . غير أننى مقتنع بأن هذا هو السبيل الوحيد .

أن هذا ، باختصار ، انشغال بالسياسة وليس علاقات عامة ، مع اعتبار وسائل الاعلام هدفا سياسيا . والهدف : جعل وسائل الاعلام عرضة للمحاسبة من جانب المصالح اليهودية . وهناك شرط مسبق يتمثل فى جعل هذا الهدف يحظى باهتمام كبير وعلى نطاق أوسع بين الامريكيين عن طريق الحاجة مثلا الى تغطية اخبارية أكثر ذكاء ومصداقية وتقدما فى الشئون الدولية كضرورة لسياسة خارجية أمريكية أكثر فعالية وأكثر تقدما . وقد يكون هناك الكثير من الطرق التى تتفرع من النقطة الرئيسية وهى جعل السلطة السياسية للطائفة اليهودية الامريكية تؤثر على الرأى العام الامريكى فيما يتعلق باسرائيل . ولتحقيق هذا الهدف ، فانه ينبغى على اليهود الامريكيين أن يوحدوا صفوفهم . كما ينبغى أو يتوقعوا (أو يسعوا) الى نيل مزيد من المساعدة من اسرائيل .

وقد أمضت المنظمات اليهودية الامريكية وقتا كبيرا فى السنوات الأخيرة وبالأخص منذ حرب يوم كيبور عام ١٩٧٣ ، فى محاولة القيام بحملة اعلامية أكثر فعالية ، وبرزت الحاجة الى علاقات عامة أفضل ، بطبيعة الحال ، فى غضون الحرب فى لبنان وذلك من خلال النقد الذى وجهته اجهزة الاعلام الامريكية الى اسرائيل . وكان موشيه آرينز السفير الاسرائيلى فى واشنطون ، الذى أصبح فيما بعد وزيرا للدفاع ، كان حساسا على وجه الخصوص فيما يتعلق بالمسائل العامة المتعلقة بصورة بلاده فى الولايات المتحدة . وقد ذكر بقوة ومرار فى الواقع أن المعركة الحقيقية لتوجيه السياسة الامريكية نحو اسرائيل والشرق الاوسط سوف تشن فى اجهزة الإعلام ومحافل عامة أخرى .

وذكر آرينز فى مقابلة معى ، أن الحكومة الامريكية ، شأنها شأن اسرائيل ، بصدد تصعيد حملتها الخاصة بالعلاقات العامة ، وقال أنه بالنسبة للولايات المتحدة ، كان الاهتمام مركزا على الجالية اليهودية الامريكية ومؤيدين تقليديين آخرين لاسرائيل فى الولايات المتحدة وكذلك جمهور الاسرائيليين وأصبحت السفارة الامريكية فى تل أبيب فى السنوات الأخيرة اكثر نشاطا من حيث عرض وجهة النظر الرسمية للولايات المتحدة على الاسرائيليين من أصحاب النفوذ .

ورأى آرينز أن بعض الاساليب البراقة قد استخدمت من خلال محاولة كل من الرئيس الامريكى ورئيس وزراء اسرائيل التأثير على الرأى العام لدى الدولة الأخرى وأكد ذلك الطابع الديمقراطى لكلتا الدولتين . وبالرغم من ذلك ، فان آرينز الذى كان موهوبا للغاية فى عرض قضية اسرائيل من خلال التليفزيون الامريكى ، قد وافق على أن جانبا كبيرا من مبادرة السلام الخاصة بالشرق الاوسط التى قدمها ريجان فى أول سبتمبر عام ١٩٨٢ استغل فى التأثير على الجالية اليهودية الامريكية . وكان ريجان قد نجح فى أول الامر فى ابعاد بعض زعماء اليهود الامريكيين عن الموقف الاسرائيلى الرسمى . وقد أصدر توم داين وجول سيبتزر الذى كان رئيسا لجمعية بناى بريث بيانين متناقضين الى حد كبير فى كل من الجوهر والطابع مع رد الفعل الرسمى للحكومة الاسرائيلية .

وقال آرينز أعتقد أنه فى التحليل الأخير اذا استفسرت عما سيؤدى اليه كل ذلك ، تجد ان الرأى العام هو الذى يحدد ويقرر الامور — وأن الجانب الاكثر نجاحا فى التأثير على الرأى العام فيما يختص بعدالة وجهات نظرهم ، سوف يكون الجانب ، فى تلك المسألة بالذات ، الذى ربما ستكون له الأولوية ، ومع كل ، فقد ذكر آرينز أن أحد الاشياء التى قوضت الى حد كبير جهود الحكومة الاسرائيلية للتأثير على الرأى العام الامريكى يتمثل فى ان بعض زعماء المعارضة فى حزب العمل فى اسرائيل قد أيدوا مواقف الولايات المتحدة وعارضوا مواقف الحكومة الاسرائيلية . وأنه كان يود ان يرى مزيدا من تلك الشخصيات العمالية تسير على نهج بيجين عندما قاد المعارضة وفى مناقشة بين واشنطون والقدس ينبغى أن يقصروا نقدهم للحكومة على الجلسات المنزلية والا يستخدموا المنصات التى تتاح لهم فى أمريكا (وبالأخص التليفزيون) لهذا الغرض .

وبالرغم من أن آرينز سلم بأن ادارة ريجان اتاحت بعض الطرق الجانبية اثناء الحرب فى لبنان عن طريق التأثير على عدد قليل من الزعماء اليهود الامريكيين المعترف بهم كى يتراجعوا عن تأييدهم التقليدى لاسرائيل ، فانه لا يعتقد أن الزعامة اليهودية سوف تبتعد عن الموقف الاسرائيلى لدرجة

كبيرة . وقال « تلك ادارة ذكيــة خاصــة بأناس على درجــة كبــيرة من التقــدم . فهم أصدقاء عظام لاسرائيل ، وقــد يكون الرئيس ريجان من نواح شــتى أعظم صــديق لاسرائيل فى البيت الابيض منــذ أمد بعيد بيد أننى أعتقد أن قولى بأن تلك ادارة تلعب مباراة صعبة لا ينطوى على شىء جديد . وأنــه عندما يريدون تحقيق هدف معين ، فانهم يتجهون نحوه بدرجة كبيرة من الجدية . وهم بذلك يحاولون مناشدة أعضاء الجالية اليهودية وكذلك الشعب فى اسرائيل وهو دور واضح فى التكتيك وهم يفعلون مافى وسعهم لكى ينجحوا فيه » .

وقال آرينز ، انه « لكى تواجه اسرائيل بنفسها الجهد الامريكى ، كان عليها أن تشن حملة نشيطة للغاية لشرح مواقفنا — ونحن بصدد القيام بذلك » .

ويأتى السفير الاسرائيلى فى واشنطون فى مقدمة تلك الحملة الاعلاميــة وقد اثبت آرينز خلال مدة تكليفه بمنصب السفير الذى دام عاما واحدا ، أن مبعوثا قويا مسئولا لديه القدرة على التعبير الواضح من الممكن أن يكون شيئا مختلفا وأن اختيار سفير فى واشنطون يعد أمرا حاسما لعلاقات اسرائيل مــع الولايات المتحدة . فما هى الخصائص المطلوبة فى هذا الشخص ؟ كيف ينجح شخص ما فى واشنطون ؟ .

اولا : يجب أن يكون السفير شخصا لديه نفوذ مع الحكومة الاسرائيلية فى القدس . والمفهوم الشائع فى واشنطون أن شخصا يتميز بخصائص قــوية مثل آرينز هو الشخص المناسب لتمثيل الحكومة الاسرائيلية . وكان السفيران السابقان له مباشرة وهما دينيتز وايفرون يتمتعان بكثير من الخصائص الممتازة ، بيد أن من بين نقاط الضعف المعترف بها لدى كل منهما أن بيجين وأعضاء آخرين فى الحكومة لم يكونوا فى الحقيقة يعتمدون على وجهات نظرهما . وهذا مرجعه ان كلا من دينيتز وايفرون كانا ضمن اعضاء حــكومات العمــل . وكان دينيتز مساعدا لرئيسة الوزراء الاسبق جولدا مائير ، كذلك كان ايفرون مساعدا لديفيد بن جوريون . بينما كان آرينز رئيسا سابقا للجنة الشئون الخارجية والدفاع بالكنيست وذا نفوذ كبير فى حزب حيروت ضمن مجموعة الليكود .

ثانيا : ان السفير يجب أن يكون دبلوماسيا ماهرا .. والسفير ، باعتباره ممثلا لاسرائيل فى واشنطون ، يجب عليه النهوض بمصالح اسرائيل ، أولا وقبل كل شىء بين كبار المسئولين التنفيذيين فى الحكومة الامريكية ، كما يجب أن يعرف متى يلجأ الى مصادر اخرى لدعم اسرائيل فى النضال المستمر حــول صنع السياسة الامريكية — الكونجرس ووسائل الاعلام والجاليــة اليهودية ودور الفكر المنظم والمحافل العلمية وغير ذلك — مع تذكر دائم بأن تأييد اسرائيل يأتى من كلا الحزبين بصورة تقليدية ، وان اسرائيل لديها اصدقاء واعداء فى الحزبين الديمقــراطى والجمهورى ، ونفس الشىء ينطبــق على الجانب السيــاسى والايديولوجى لدى اليسار واليمين . ونظرا لوجود محافظين وأحرار يؤيدون

اسرائيل ويعارضونها ، فان السفير يجب أن يعرف متى يلتزم الصمت حـــول المسائل التى يدور حولها نزاع داخل الولايات المتحدة ، اذ يجب أن يكون حذرا بصفة دائمــــة .

ثالثا : أن السفير يجب أن يغلب عليه طابع البحث والتقصى وأن يكون مراسلا دبلوماسيا ، ويتصرف كما لو كان عيون وآذان اسرائيل فى الولايـــات المتحدة ، ويرسل تقارير الى القدس تعكس بدقة التفكير الجارى فى واشنطون وفى أنحاء الولايات المتحدة حول المسائل ذات الاهمية الخاصة لاسرائيل ، وأن يتعرف على الاتجاهات السلبية فى السياسة الامريكية فى وقت مبكر ، قبـــل أن تستقـــــر .

وكان الفشل الذريع الذى منى به آرينز انما حدث أثناء فترة العام التى قضاها سفيرا لبلاده فى واشنطون فى مجال جمع المعلومات . وقد فوجىء ، شأنه شأن الكثيرين فى العاصمة الامريكية ، بتوقيت مبادرة ريجان للسلام فى الشرق الاوسط . وقد استطاع الرئيس الامريكى ومساعدوه أن يحتفظوا بنجاح بسرية هذا التوقيت ، الامر الذى سبب لآرينز الحرج . ونتيجة لذلك ، فـــان بيجين وشامير وأعضاء آخرين فى الحكومة الاسرائيلية لم يصلهم تحذير مسبق .

رابعا : ان السفير يجب أن يكون متحدثا جريئا لا يخشى الظهـــــور فى التليفزيون . حقيقة ، يجب أن تكون شخصية السفير على درجة كافية مـــن البروز بحيث يجب الوقوف أمام الكاميرا فى كل مناسبة ممكنة . هنا تـــدور المعركة حقيقة كل يوم لكسب قلوب وعقول ٢٢٠ مليون أمريكى . ونظرا لان السفير دائما ما يطلب على الدائرة المخصصة لالقاء المحاضرات ، فان هـــذا الشخص يجب أن يكون محبا للخطابة ويجب أن يتحدث اللغة الانجليزية مراعيا لقواعد النحو الصحيحة ، والا تكون لكنته ثقيلة . وزيادة على ذلك ، فـــان السفير يجب أن يكون لديه سيطرة كاملة على كافة الفوارق الدقيقة للغة ، وأن يكون على دراية بتاريخ النزاع العربى الاسرائيلى ، كما يجب أن يكون دائمـــا شغوفا بالمناقشة مع النقاد . وكان آرينز متفوقا فى هذا المجـــال ، مثلمـــا كان دينيتز وأبا ايبان . فقد كان الحماس والفعالية هما السمتان اللتان تغلب عليهما عند مناقشتهم لقضية اسرائيل .

خامسا : ان السفير يجب أن يكون شخصية محبوبة . فثمة نظـــرية تستند الى أسس قوية تقول ، ان الشخصيات ، وليست مجرد القضايا ، تشكل السياسات . ويجب أن يعرف السفير الذى يتعين فى واشنطون على وجـــه الخصوص كيف يتعامل مع الامريكيين ، كيف يضحك ويكون أحد « أفراد الجماعة » خصوصا عند اقامة عـــلاقات شخصية من الشخصيات الرئيسية فى الادارة الامريكية ، واعضاء مجلس الشيوخ ، وأعضاء الكونجرس والمعلقين الصحفيين

والشخصيات الامريكية الاخرى ذات النفوذ . ويتضمن ذلك معرفة كيفيةالتصرف فى اللقاءات المحدودة والخاصة وكيفية عقد الصفقات الخاصة .

واخيرا ، فان السفير يجب أن يكون مديرا جيدا . فالسفارة ، الاسرائيلية فى واشنطون عملية كبيرة ، يستخدم فيها عشرات الاشخاص ، كما أن السفير مسئول عن تسع قنصليات اخرى فى أنحاء الولايات المتحدة . والبيروقراطية كبيرة ويمكن أن تكون ضارة اذا لم يتم السيطرة عليها . ويتعين على السفير أن يعرف كيف يفوض مسئوليته ويوزعها وكيف يبت فى الامور بسرعة وكفاءة .

باختصار ، فان السفير يحتاج الى المهارات الخطابية والخبرة الدبلوماسية التى كان يتمتع بها أبا ايبان والفطنة السياسية الخفية لافرايم ايفرون والقدرة على التجاوب مع الامريكيين كسيمحا دينيتز والصداقية التى كان يحظى بها فى بلاده موشيه آرينز أو اسحق رابين :

كيف يعمل بالضبط السفراء الاسرائيليون فى واشنطون ؟

فيما يلى ثلاث دراسات لحالات تستخدم فيهـا بعض خبرات السفراء ايفرون ، وينيتز وآريـنز .

فعندما دلف افرايم ايفرون بسـيارته من خـلال البوابة الشمالية الغربية للبيت الابيض فى يوم الخميس الموافق الثامن والعشرين من شهر ديسمبر عـام ١٩٧٩ فى زيارة ودية للتعارف بزبيجنيو برزيزنسكى مستشار الامن القـومى الامريكى تذكر الدبلوماسى الاسرائيلى المخضرم مقابلة جرت يوم خميس سابق فى البيت الابيض قبـل ذلك باثنى عشر عاما .

كانت تلك المقابلة فى الخامس والعشرين من مايو عام ١٩٦٧ ، قبـل حرب الايام السـتة ببضعة أيام . فقد كان الرئيس المصرى جمال عبد الناصر قد اغلق لتوه مضايق تيران أمام الملاحة الاسرائيلية ، كما اصـدر أوامره الى قوات الامم المتحـدة لحفظ السـلام بأن تنسحب من سيناء ، وقام بحشـد قواته على طول الحـدود الاسرائيلية . ووصـل أبا ايبـان وزير خارجيـة اسرائيل الى واشنطون فى أعقاب زيارات مجموعة لكل من باريس ولنـدن فى نطاق مسعى دبلوماسى استغرق احدى عشرة ساعة لمحاولة تجنب نشوب حرب جديدة . فهل كان الرئيس ليندون جونسون مستعدا للوفاء بالالتزامات التى قدمهـا ايزنهـاور ودالاس عام ١٩٥٧ عندما وعدت الولايات المتحدة بضـمان حـرية المـرور عبر مضـايق تيران فى مقابل الانسحاب الاسرائيلى الكامل من سـيناء ؟

وقد تقرر عقد اجتماع بين ايبان وجونسـون ظهر يوم الجمعة . وامضى وزير الخارجية يوم الخميس كله وصباح يوم الجمعة فى اجتماعات مع شخصيات اخرى من كبـار المسئولين الامريكيين ، من بينهم دين راسك وزير الخارجية

ويوجين روستو وكيل وزارة الخارجية وروبرت ماكنمارا وزير الدفـــاع . وكان ايفرون فى ذلك الوقت وزيرا مفوضـــا بالسفارة الاسرائيلية فى واشـــنطون ، والرجل الثانى خلف السفير ابراهام هارمان . ومنذ أن تولى ايفرون هـــذا المنصب فى عام ١٩٦٥ ، أقام شبكة متينة من الاتصـــالات مع بعض الشخصيات ذات النفـــوذ فى العاصمة الامريكية خاصة مع البيت الابيض .

وصباح يـــوم الجمعة ، عنـــدما كان ايبان وهارمان فى طريقهما للاجتماع بمـــاكنمارا وكبـــار القـــادة العســـكريين الامـــريكيين فى البنتاجـــون ، تلقى ايفرون برقية هاتفيـــة تدعـــو الى القلق من والت روســـتو مستشار الامن القـــومى بالبيت الابيض . قال روســـتو « الرئيس يرغب فى تأجيل الاجتماع مع ايبـــان وهو لا يزأل يدرس الامر » يشـــير فيما يبـــدو الى وثائق ايزنهاور — دالاس فقد تم ايفـــاد موظف أمريكى الى مكتبة ايزنهـــاور فى جيتسبرج بولاية بنسلفانيا للبحث عن النص الدقيق للالتزامات . بيد أنه كان واضحا بالفعل لايفرون أن الولايات المتحدة تماطل . فقـــد كان جونســـون وراســـك يرغبان على ما يبدو فى الحصـــول على تقرير من يوثانت سكرتير عـــام الامم المتحـــدة الذى كان لـــم يعـــد الى الولايات المتحـــدة من زيارة له الى القاهرة قبـــل الاعـــلان عن سياسة الولايات المتحـــدة الرسمية .

وعندما عاد ايبان الى السفارة قادما من البنتاجون ، شعر بخيبة الامـــل فور ابلاغـــه بأن الاجتمـــاع قد تأجـــل . وكان وزير الخارجية يتعرض لضغط شـــديد من جانب حكومته لكى يغـــادر واشنطون فى مساء نفس اليوم كـــى يلحق بالطائرة العائدة الى القدس لحضور اجتماع مجلس الوزراء المقـــرر انعقاده يوم الاحـــد . وكان من المقرر أن يكون هذا الاجتماع واحـــدا من أهم الاجتمـــاعات المصرية فى تاريخ اسرائيل .

وكان ايبان وهارمان وايفرون يجلسون فى مكتب السفير ينتظرون مكالمة عبر الهاتف غـــير أن فترة الظهـــيرة انتهت دون أن تـــرد مكالمـــة من البيـــت الابيض . وكانت الساعة بالفعل الخامسة من بعد الظهر .

وطلب ايبان من ايفرون ان يتصـــل بروســـتو عبر الهاتف وان يبـــلغ المسئول الامريكى أن وزير الخارجية ليس بمقدوره الانتظـــار أكثر من ذلك ، وانه فى سبيله الى مغادرة واشـــنطون مساء اليوم قاصـــدا القدس ، ســـواء اجتمع بالرئيس الامريكى أو لم يجتمع به . وطلب روســـتو من ايفـــرون ان يأتى الى البيت الابيض ، ولكن وحـــده .

وقال روستو للدبلوماسى الاسرائيلى أثناء جلوسهما فى مكتب روســـتو فى الطـــابق السفلى من الجناح الغربى للبيت الابيض أن « الرئيس مستاء من كل التصرفات المسرحية » . ويبدو أن جونســـون كان قلقا للغاية من جـــراء القرار الذى اتخـــذه ليستر بيرســـون رئيس وزراء كندا منذ بضعة أيام سابقة

على اعلانه فى البرلمان عن مسائل دقيقة معينة كان قد ناقشـــها مع الرئيس الامريكى . وجرى ابلاغ ايفرون أن الرئيس يريد التأكد من أن ايبـــان لن يحذو حـــذو بيرسون وانه لن يتحـــدث الى الصحافة بعد الاجتماع به .

وكان من الممكن اعلان ان الاجتماع قد تم ، غـــير أنه لم يكن بالامكان الادلاء بتفاصيل . وبالاضافة الى ذلك ، فان روســـتو كان يريد من ايبـــــان ان يوافق على وصف الاجتماع رسميا بأنه « دعـــوة ودية » وأن يدخـــل وزير الخارجية البيت الابيض من خلال المدخل « الدبلوماسى » الخلفى وليس مـــن خـــلال البوابة الشمالية الغربية حيث سيراه مندوبو الصحف .

وطمأن ايفرون على وجـــه السرعة روستو بأن ايبان لم يكن يســـعى للدعاية . وقال أن اسرائيل تواجـــه موقف حياة أو موت . وأن وزير الخارجية لن يتحـــدث الى الصحافة ، غـــير أنه سيكون من دواعى السخرية وصـــف الاجتمـــاع بأنه مجـــرد دعوة ودية ، بعد أن تكشفت خطـــورة الاحـــداث .

وعند هذا الحـــد ، أبلغنى ايفرون فى مقابلة معه ، أن روستو اتصـــل هاتفيـــا برئيس الدولة . وأن مستشار السياسة الخارجية كان جالســــــا منتصبا فى مقعده وهـــو يكرر قوله « نعم ، يا سيادة الرئيس . نعم ، يا سيادة الرئيس » وجرى ابلاغ جونســـــون بتكيدات ايفرون . ووافـــق الرئيس على الاجتمـــاع بايبان فى الساعة السابعة من مســـاء ذلك اليوم .

وبعد أن انتهت المكالمة ، أذهل روستو ايفرون بقوله ، ان الرئيس يريد الاجتماع بكليهما فى بادىء الامر – على الفور – قبل وصول ايبان الى البيت الابيض . وقال روستو وهو يرتدى معطفة « لنصعد الدرج انه يريد التحدث اليك » .

وقد أبلغنى ايفرون أثناء المقابلة أنه وافق بعصبية ولكنه استفسر عما اذا كان بمقدوره الاتصال هاتفيا بفندق ماى فلاور فى أول الامر ، حيث ينتظر ايبان وهارمان فى قلق أخبارا عن الاجتماع لابلاغهما بالموعد الذى تحـــدد له الساعة السابعة مساء . وقد تمت المكالمة .

وأمضى ايفرون وروستو بعد ذلك نصف الســـــاعة التالية فى المكتب البيضاوى مع جونسون الذى كان هو المتحدث معظم الوقت . فتحـــدث عن القيود التى يفرضها الكونجرس على سلطة الرئاسة . وقال « أنا لا شىء بدون موافقة الكونجرس سوى صديق لاسرائيل من تكساس طوله ستة اقدام وأربع بوصات » . وأضاف أنه يحتاج ليزيد من الوقت . ودعا الى الحد من تكساس دور اسرائيل وقال اننى اقدر أن اسرائيل ليست تابعا للولايات المتحدة ، ولكن الولايات المتحدة ليست هى الاخرى تابعا لاسرائيل » . وعند تلك المرحلة فقط ادرك ايفرون الطبيعة المحدودة لالتزام الرئاسة فى الولايات المتحدة .

ورد ايفرون بأدب ولكن بصـــــورة قاطعة مشيرا الى عـــــام ١٩٣٨ أن « اسرائيل ليست تشيكوسلوفاكيا . فسوف نقاتل من أجل وجودنا » .

وحاول جونسون طمأنة الدبلوماسى الاسرائيلى فقال « لا تقلق ، فـان كل شيء سوف يسير على ما يرام » .

وفور انتهاء الاجتماع غير العادى . كان ايبـان وهارمان فى طريقهما بالفعل الى البيت الابيض . واستقل ايفرون سيارته عائدا الى ماى فلاور الا أنه لم يلحق بهما . هكذا كان الرجل الثانى فى السفارة هو الذى تحدث مع رئيس الولايات المتحدة حول مسائل بالغة الحساسية تتعلق بأمن اسرائيل ولم يكن رؤساؤه يعلمون شيئا عن هذه المسألة . وكان عليه أن يطلعهما على الامر قبل اجتماعهما الرسمى مع الرئيس الامريكى .

وسارع ايفرون بالعودة الى البيت الابيض ، حيث استطاع اللحاق بايبان وهارمان وهما على وشك صعود الدرج الى المقر الخاص لجونسون ، ومن المفهوم أن المحادثة التى دارت بين ايفرون وجونسون كانت عاملا وراء قرار اسرائيل اللاحق بتوجيه ضربة وقائية . وقد رفض جونسون فيما بعد مشاركة الزعيم السوفييتى الكسى كوسيجين المحاولة التى جرت فى قمة جلاسبورو لادانة اسرائيل فى الامم المتحدة . ويذكر الرئيس الامريكى بدون شك حديثه الخاص مع ايفرون فى البيت الابيض .

ان هذا الحدث فى التاريخ الدبلوماسى يبرز العلاقة الفريدة ـ حقيقة ـ التى نشأت بين جونسون وايفرون أثناء فترة ولايتهما المشتركة فى واشنطون . ومع كل لم تكن تلك هى المرة الاخيرة التى يعمل فيها الرئيس الامريكى مباشرة مع مسئول اسرائيلى على مستوى منخفض نسبيا متخطيا الطرق الدبلوماسية العادية . وقد كتب أبا ايبان فى سيرته الذاتية فيما بعد أن ايفرون كان واحدا من اكثر الدبلوماسيين فطنة وخبرة فى خدمة اسرائيل » .

وبعد ذلك بسبعة أشهر في عام ١٩٦٧ ، خلال الاسبوع الاخير من شهر ديسمبر قبل زيارة رئيس وزراء اسرائيل ليفى اشكول المقررة للولايات المتحدة استؤنفت اتصالات ايفرون المباشرة بالبيت الابيض .

وبعد حرب الأيام الستة وانتصار اسرائيل الرائع ، أصدر جونســـون أوامره بـ « ايقاف » شحن الاسلحة الى اسرائيل فى محاولة منه لتشـــجيع الاتحاد السوفييتى على أن يفعل نفس الشيء مع العرب . غير أن موســـكو تجاهلت المبادرة الامريكية وبدأت عملية اعادة امداد مصر وسوريا بالاسلحة على نطاق واسع . وفى نفس الوقت ، أصدر الرئيس الفرنسى شارل ديجول أوامره بفرض الحظر على تسليم اسرائيل طائرات الميراج المقاتلة ومعـدات عسكرية أخرى كانت اسرائيل قد تقدمت بالفعل بطلب شرائها ودفعت ثمنها .

وهكذا فى خريف عام ١٩٦٧ ، قدم عزرا وايزمان رئيس العمليات العسكرية وتتشذ الى واشنطون وتقدم باول طلب رسمى لاسرائيل لتزويدها بطائرات الفانتوم ف ٤ . ووافقت ادارة جونسون على دراسة الطلب . غير انه لم يصدر قرار خلال الاسابيع التالية . وكان اشكول يأمل أن تمتد الفترة اللازمة للموافقة النهائية على الصفقة خلال زيارته للولايات المتحدة التى تبدأ فى مطلع شهر يناير . غير انه مع الايام الاخيرة من شهر ديسمبر ، لم تكن ثمة ادلة على ان الموافقة سوف تتم . وطلب من ايفرون ان يفعل ما باستطاعته ، فاتصل هاتفيا بأحد مستشارى جونسون فى ضيعته واستفسر عما اذا كان يستطيع مقابلة المستشار فى سان انطونيو .

وكان المطر يسقط فى سان انطونيو بعد بضع ساعات من وصول ايفرون اليها ، وكان يتوقع مقابلة المستشار فى المطار والتحدث معه ، لكن كانت فى انتظاره مرة اخرى مفاجاة .

وقيل لايفرون « الرئيس يريد رؤيتك وقد أبلغت الرئيس طبعا أننى بصدد الاجتماع بك اليوم وطلب منى ان اصحبك الى الضيعة »

وقد ابلغنى ايفرون فى وقت لاحق أن الرئيس جونسون كان عصبيا وهو فى طريقه الى البيت الابيض فى تكساس .

وسأل جونسون الدبلوماسى الاسرائيلى اثناء جلوسهما فى غرفة المعيشة لاحتساء الشراب « ماذا يدور فى ذهنك ؟ » . وتناقشا فى مسألة طائرات الفانتوم وكذلك الموقف فى الشرق الاوسط برمته . كما تحدثا حول زيارة اشكول للولايات المتحدة . بيد أن ذهن جونسون كان منصرفا الى جهة أخرى اثناء الحديث .

وذكر ايفرون فى مقابلة أجريت معه بعد وصوله الى واشنطون ببضعة أيام سفيرا جديدا لبلاده ، انه عند بحث الامر فان الرئيس الامريكى لابد انه كان يفكر بالفعل فى امكانية عدم ترشيح نفسه فى الانتخابات الجديدة للرئاسة . وهو يذكر أن جونسون قال « اذا حدث أى شىء لى يا الى ، فانه لا داعى للقلق لان هيوبرت (همفرى) سوف يكون الرئيس وليس لدى اسرائيل صديق اكثر التزاما نحوها من هيوبرت » . وقد سلم ايفرون بانه لم يكن لديه وقتئذ اية فكرة عن السبب الذى دعا جونسون لابداء هذا التعليق . الا أنه صرف النظر عن ملاحظات الرئيس .

وبالقرب من نهاية المناقشة ، طلب جونسون من ايفرون أن يسدى له صنيعا . فقد ذهب ما يقرب من ٥٠٠ مليون دولار ، على هيئة مشتريات سندات اسرائيل ومساهمات جمعية النداء اليهودى الموحد ، من الولايات المتحدة الى اسرائيل خلال الاسابيع والشهور منذ حرب الايام الستة . وقد

انعكس تدفق المساعدات على هيئة دولارات فى العجـز السلبى نسـبيا لميزان المدفوعات فى نهاية العام . فهل يتمكن بنك اسرائيـل من تحـويل بعض الارصـدة الى بنك أمريكى خلال بضعة ايام ، حتى لا يبـدو الموقف الاقتصادى سيئا على الورق مثلما كان فى الواقع ؟

وعلى وجه الخصوص ، طلب جونسون أن يقـوم بنك اسرائيـل بتحويل ما يقـرب من ٢٥٠ مليون دولار الى احـد البنـوك الامريكية . وبعد أن وصلت برقية ايفرون الى القدس فى وقت لاحق ، استطاع رئيس الوزراء اشكول ووزير الخارجية ايبان فى نهـاية الامر بعد بعض الاجراءات اقنـاع ديفيـد هوروفيتز مدير بنك اسرائيل أن يقـوم بالتحـويل ، وشكا هوروفيتز المصرفى المحنـك ، من أن اسرائيـل سـوف تفقـد حـوالى ١٠٠٫٠٠٠ دولار فوائد خلال الايام القليلة للصفقة . ولكنه وافق على مضض . واعرب جونسون والادارة الامريكية عن امتنانهم .

وخلال زيارة اشكول ، ابلغ جونسون رئيس وزراء اسرائيل أن الولايات المتحدة سوف تمد اسرائيل بطائرات الفانتوم اذا :

١ ـ استمر السوفيت فى امداد مصر وسوريا بالاسلحة (وقد فعلوا).

٢ ـ استمر الفرنسـيون فى حظرهم لشحن طائرات الميراج لاسرائيل (وقد فعلوا) .

٣ـ التزام العرب بقرار الخرطوم الذى صدر فى اغسطس عام ١٩٦٧ الذى يرفض التفاوض على السلام مع اسرائيل (قد فعلوا) .

وتعهدت الولايات المتحدة فى بيان له اهميته السياسية صدر فى نهاية زيارة اشكول ، تعهدت للمرة الاولى بأن تحافظ بدقة على التوازن العسكرى للقـوة فى الشرق الاوسط . وبدأت شركة ماكدونيل دوجلاس فى وقت لاحـق خلال ذلك العام فى صناعة طائرات الفانتوم لاسرائيل .

وكرر ايفـرون عدة مرات خـلال مقابلاتنا قوله : « تصـور اننى ابى ايفـرون ، من كيريات شليم ، يجتمع مع رئيس الولايات المتحدة .

وفى مساء يوم الاثنين الموافق الثامن من شهر اكتوبر ١٩٧٣ ، بعـد أن هاجمته مصر وسـوريا اسرائيل ، حضر السـفير دينتيز حفـلا صـغيرا غير رسمى فى منزل ديفيـد برودى فى تشيفى تشيز بولاية مريلاند . فما الذى كان يفعله السـفير فى الحفل فى وقت كانت فيه حيـاة اسرائيل معرضـة للخطر ؟ هل كان مهما له حضـور الحفل ؟ ان الرد على هذين السـؤالين هو مفتاح كيف يعمل السفراء الاسرائيليون ، كما ان ذلك يلقى ضوءا على دور كدور وموقفه بصفة عامة تجاه الكونجرس والادارة ، وعلى شخصيته هو .

ويتولى برودى منصب مدير مكتب جمعية بناى بريث لمناهضة التشهير فى واشنطون . وهذا الحفل كان قد تقرر اقامته قبل الحـــرب بعدة أسابيع . ومن بين الضيوف الذين وجهت اليهم الدعوة لحضور الحفل أعضاء من مجلس الشيوخ ونواب ومسئولون فى الادارة الامريكية . ووجهت الدعوة الى دينيتز بالحضـــور كضيف شرف ، وقد قبـــل الدعـــوة . غير أن والد دينيتز توفى يوم الجمعة السابق على اندلاع الحرب . وطـــار الى اسرائيل لحضـــور تشييع الجنازة وفى نيته البقاء لمدة سبعة أيام وهى فترة الحداد .

وفى صباح يوم السبت ، استدعت جـــولدا مائير دينيتز ، مســـاعدنها لمدة طويلة ، الى مكتبها فى القدس وابلغته ان ســـوريا ومصر على وشـــك الهجـــوم وان عليه ن يعـــود الى الولايات المتحدة فى الحـــال . وفى الساعة الخامسة ، بعد ظهر يوم الاحد ، كان دينيتر فى مقـــر وزارة الخارجية لكى يعقد اول اجتماع له مع وزير الخارجية كيسنجر .

وكانت مائير قد اصدرت تعليماتها الى السفير الاسرائيلى بأن يطلب من الولايات المتحدة الاسراع بامداد اسرائيل بتلك الاسلحة التى طلبتهـــــا بالفعل . وقالت ذلك ، على الرغم من تنبؤات المخابرات الاسرائيلية المتفائلة ، بأن خسائر جسيمة سوف تقع ، وأن من المهم توفير معـــدات لكى تحل محل ما ســـوف يفقـــد . غير أنه لم يناقش فى ذلك الوقت احتمال مد جسر جوى عسكرى .

وفى مقر وزارة الخارجية ، ابلغ كيسنجر دينيتز ان تقارير المخابرات الامريكية اتفقت مع التقـــديرات الاسرائيلية بأن الحـــرب ســـوف تكون قصيرة . ربما أقصر من حرب الايام الستة عام ١٩٦٧ . وغادر دينيتز مقـــر وزارة الخارجية وهو على درجة كبيرة من الثقة .

وفى صباح اليوم التالى ، كان دينيتز فى مكتبه فى ساعة مبكرة . وطلب من سكرتيرة أن يبلغ برودى انه اذا كان موعد حفله لايزال قائما ، فانه ســـوف يحضر . وتم ابلاغ سكرتيره أن أعضاء مجلس الشيوخ فرانك تشرش ، ووالتر مونديل ، وجاك ماكجى ، وفيليب هارى ، وكذلك أرثر بيـــريز من الاحتياط الفيدرالى جميعهم قبلوا الدعوات التى وجهت اليهم ، وانها ستكون فرصة طيبة للدعاية لقضية اسرائيل بين شخصيات أمريكية ذات نفوذ .

وفى الحفل ، طلب من السفير أن يطلع الضيوف على سير الحرب وقـــدم دينتيز تحليلا متفائلا للغاية ، قال ، انه يستند على أحدث تقاريـــر المخابرات العســـكرية الاسرائيليـــة . وكانت اسرائيل قد عانت فى البداية خسائر فى الطائرات ، اذ كانت صواريخ سام ٦ السوفيتية الصنع التى حصل عليهـــا العرب فعالة ـــ غير أن دينيتز أكد أن الحرب سوف تكون قصيرة . وكان لايزال تعوزه فكرة عن الموقف .

وبعد ذلك ، بدأ دينيتز يختلط بالضيوف . فهو عندما يريد يستطيع أن يكون دبلوماسيا بمعنى الكلمة . فتحدث الى السناتور تشرش ، الذى تولى فيما بعد منصب رئيس لجنة العلاقات الخارجية ومن الواضح أن دينيتز كان يلاطف تشرش . فقد كان أمرا حيويا بالنسبة لاسرائيل ان يكون كافة أعضاء لجنة العلاقات الخارجية أصدقاء لها .

ولم يكن سرا فى واشنطون أنـــه عندما وصـــل دينيتز اليهـــا فى ابريل عـــام ١٩٧٣ . كانت العـــلاقات بين السفـــاره والحـــزب الـــديمقراطى فى حاجة الى اصـــلاح . فقـــد أيد السفير رابين حقيقة ريتشارد نيكســـون فى عام ١٩٧٢ . وكان على دينيتز أن يتولى زمام الامر . وكان يـــدرك التحـــدى الذى يواجهه فبـــدأ فى اعـــادة بناء العـــلاقات الوثيقة التقليدية مـــع الحزب الديمقراطى . وفى أثناء ذلك ، لـــم يستبعد دينيتز الجمهوريين ، بل استمر ايضـــا فى الســـعى لكسب صداقتهم . وسار على خط دقيق بين تنافســـات حزبيـــة ، وهـــو على يقين من أن التأييد الامريكى الاسرائيلى يحتـــاج الى التزام من كلا الحزبين .

وذكر برودى ، الذى قضى جانبا كبيرا من وقته فى كابيتول هيـــل ، أن دينيتز كان يحظى بدرجـــة عالية من التقدير ... فعالا الى حـــد كبير ... مقنعا ... ومحبوبا بدرجة كبيرة . وقـــد أقر الآخرون ذلك بوجه عام .

وأثناء الحفـــل الذى أقامه برودى ، تحدث دينيتز على انفراد فى احد الاركان مـــع تشرش لمـــدة خمس عشرة دقيقة تقريبـــا . وفى اليوم التالى ، ادلى تشرش بالبيان التـــالى فى مجلس الشـــيوخ : « نظرا للتعويض السريع فى الاسلحة التى تقـــدم لمصر وسوريا مـــن قبـــل جيران اسرائيل العرب ، فانه يجب أن نعمل على أن يتـــم تعويضـــها على وجه السرعة بالأسلحـــة التى قـــد تحتاجها للدفاع عن نفسها » . ومن السذاجة أن يعتقـــد المشتركون فى الحفل ان بيان تشرش القوى ـــ الذى كانت لـــه أصداء فى وزارة الخارجية والبنتاجون والبيت الابيض لـــم تكن له علاقة بالحديث الذى أجراه عـــلى انفراد مع دينيتز . وبالرغـــم من أن دينيتز كان لايزال متفائلا فى آمـــاله فى حرب قصـــيرة ، فانه لـــم يضع اية فرصة . فقـــد بدأ فى جمع التأييد بهدوء داخل افضـــل مصدر لمؤيدى اسرائيل وهـــو الكونجرس فى حالة ما اذا لم تتجاوب الادارة الامريكية ويتطلب الامر ممارسة الضغط .

واندلعت الحرب ، وفى يوم الثـــلاثاء الموافق ٩ أكتوبر ، تلقى دينيتز المعلومات الاوليـــة من اسرائيـــل أفادت بأن الامور لـــم تكن على ما يرام وكان عليه أن يتوجه الى الادارة بطلبـــات كثـــيره . فاسرائيـــل تحتـــاج الى الى الكثير من الدبابات والطائرات والعربات المصـــفحة ـــ وحتى الذخـــيرة ـــ وأن الحاجة ملحـــة الى حـــد أن الحل الوحيـــد أمام الولايات المتحـــدة

هـو أن تبـدا عملية اعادة امداد على نطاق واسع جسر جـوى ، وطلب دينيتز من كيسـنجر رسميا مد جسر جـوى مع اسرائيل لأول مرة فى مساء يوم الثلاثاء هـذا .

وتختلف كثيرا روايات الاحداث التى أعقبت ذلك حتى بدء الجسر الجوى بالفعل فى مساء يوم السبت الموافق ١٣ أكتوبر . فيقـول مراسـلا التليفزيون مارتن وبرنارد كالب فى سيرتهما عن كيسنجر ، أن وزير الخارجيـة الأمريكية حاول بصورة يائسـة تنفيذ الجسر الجوى ، غـير أنـه واجـه مقاومـة بيروقراطيـة فى البنتاجون ، الذى كان يخشى من قيـام العـرب بفرض الحظر على تصدير البترول بالاضافة الى استنزاف المخزون لديـه من الاسلحة التقليدية . واتهم كتاب آخرون ، من بينهم تاد زولك فى مجلة « نيويورك » . وادوارد ن . لوتواك ، ووالتر لاكير فى « التعليـق » ، اتهموا كيسـنجر بأنه خـدع دينيتز بحمله على الاعتقاد بأن التأخير سببه البنتاجون ، فى حين كان اللوم يقع على كيسـنجر نفسه وذكر لوتواك ولاكير أن هـدف كيسنجر كان محاولة اقنـاع دينيتز بالاحجام العلنى . ولـو أنه كان بالامكان اقنـاع دينيتز بأن من الافضـل معالجة الامور عن طريق « مستوى عـال » مـن الدبلوماسية لاحجـم عن السـعى للحصول على تأييد أصدقاء اسرائيل فى كابيتول هيل ، بمعنى آخـر ، كان باستطاعة دينيتز ان يسـاعد فى احتواء الضغوط العامة على المعونة لاسرائيـل التى ليس بمقدور الادارة مقاومتهـا بطريقة اخرى .

فهل فشـل دينيتز فى تعبئـة أصدقاء اسرائيل فى حقيقة الامر ؟ لقـد حاول دينيتز خـلال تلك الايام الاربعة (بعـد الطلب الذى قـدمه يـوم الثلاثاء) استثاره مؤيديه علنا ، غـير انه فعل ذلك سرا ومن وراء الكواليس حتى لا يستعدى الادارة الامريكيـة ، التى يلزم توفر النية الطيبة مـن جانبها نهايـة الامر . فموضوع العـلاقة بين مسئولى الحكومة الاسرائيليـة فى الولايات المتحدة واليهود الامريكيين موضوع حسـاس . فاليهود الامريكيون لا يحبذون اتهامهم بالولاء المزدوج . ومع كل ، فانـه خـلال الاسبوع الاول من الحرب بدأ أعضاء مجلس الشيوخ والنواب والصحفيون وآخـرون ممن يؤيدون اسرائيل الاتصـال هاتفيـا بالسفارة الاسرائيلية لتلقى التوجيهات . ما الذى يستطيعون القيـام به للمسـاعدة ؟ قرارات ؟ مؤتمرات شعبية ؟ بيانات ؟ وحتى صباح يوم الثلاثاء التاسع من اكتوبر كان دينيتز يرى أن الأمور تسـير على ما يرام . غير انه بعـد ظهر ذلك اليوم بدأت لهجته تتغـير . فقد بدا يوصى باجراءات ، بالرغم من ان ذلك كان على مستوى هادىء .

مـع كل ، فانه ما من شك فى أن دينيتز كان يصـدق رواية كالب ، بأن كيسنجر كان يحاول باخلاص وطلب من اعضاء مجـلس الشيوخ الاتصـال

بالبنتاجون ، وقد فعلوا ذلك . وقيل لاصدقاء اسرائيل ، ان اللوم يقع على البيروقراطيين من موظفى وزارة الدفاع . وأثر كثيرون ممن اشتركوا فى الصراع على تنفيذ نقل الامدادات ان الفترة ما بين يوم الاربعاء حتى مساء السبت ، عند بدء الجسر الجوى سرا ، كانت فترة تتسم بالبلبلة الى حد كبير ، فلم يكن أحد على يقين مما يحدث وما يتعين القيام به للمساعدة .

وقد أعطى الدبلوماسيون فى السفارة تقارير متضاربة . وربما كان سبب ذلك أن دينيتز كان يدير سفارة مشدودة للغاية اذ كان ، فى حقيقة الامر ، متهما بادارة السفارة بنفس الطريقة التى كان كيسنجر يدير بها وزارة الخارجية فكبار معاونيهما الموثوق بهم وحدهم وكذلك المجموعات الصغيرة القائمة على وضع السياسة وتنفيذها هم الذين كان يسمح لهم بالفعل أن يكونوا على دراية بالاحداث . ومع كل ، فانه مما لا شك فيه أن مجموعات الضغط اليهودية وأصدقاءها فى كابيتول هيل والسفارة نفسها كانت تمارس الضغط لاتخاذ الاجراء المطلوب . وطبقا لمصادر وثيقة الصلة بمكتب السناتور الفقيد هنرى جاكسون ، مثلا ، كان السناتور ودينيتز يتحدثان كثيرا خلال تلك الايام . وكان جاكسون مشغولا بالتحدث الى جيمس شيلسنجر وزير الدفاع الامريكى حول طلب مد جسر جوى الى اسرائيل . كما أن بعض أعضاء مجلس النواب ومجلس الشيوخ فى لجان الخدمات المسلحة كانوا على اتصال بأصدقائهم فى وزارة الدفاع لصالح اسرائيل .

فهل كان تصرفهم فى الاتجاه الخطأ ؟ ولو أن تلك الاتصالات قد أفصحت عن وجهة عملهم ، فأين زعم لوتواك ولاكير بأن التأجير بدا فى الحقيقة ؟

واليوم ، تبدو تلك المناقشة عقيمة ، حيث ان الجسر الجوى ، الذى اضحى على نطاق واسع فى نهاية الامر بدرجة تفوق الجسر الجوى ابرلين عام ١٩٤٨ ، بدأ وساعد على تحويل مجرى الحرب . وفى خلال أسبوعين ، طلبت الادارة من الكونجرس تخصيص ٢ر٢ بليون دولار لتغطية نفقات تلك الاسلحة . ومن المؤكد أن الفضل لا يمكن ارجاعه الى دينيتز وحده فى تنفيذ الجسر الجوى وتوفير الاعتمادات المالية ، فقد شاركه تكتل من قوى شديدة البأس عقدت العزم على مساعدة اسرائيل ، من بينها رئيس للولايات المتحدة الذى كان متعاطفا اساسا معها . غير أن السفير الاسرائيلى قام بدوره كذلك .

ولم يكن لدى موشى آرينز وقت كاف لاقامة علاقات شخصية مع كبار المسئولين فى ادارة ريجان . وحتى قبل قدومه الى واشنطون خلفا لايفرون فى فبراير عام ١٩٨٢ ، استطاع الليكود المشترك فى عضوية الكنيست ان ينال

من الكسندر هيج وزير الخارجية وآخرين من كبار صانعي سياسة ريجان وذلك بانتقاده للسياسة الامريكية في الشرق الاوسط علنا . وكان الامريكيون على علم بأن آرينز متشدد صراحة ، وليس دبلوماسيا محترفا محنكا في الفوارق الدقيقة للدبلوماسية الدولية . غير أنهم كانوا لا يزالون في حيرة من قراره بالانضمام الى رئيس الوزراء مناحم بيجين ووزير الدفاع على ادارة ريجان . فقد جرت العادة أن يتحدث القادة السياسيون في القدس بهذه الطريقة وأن يسير السفير الجديد لدى واشنطون على نفس المنوال وفي الحقيقة ، اقترح المسئولين الامريكيون سرا أن تحاول الادارة بصفة مبدئية الحد من فعالية آرينز عن طريق مجرد تجاهله . وأن يتم العمل الدبلوماسي الهام بين اسرائيل والولايات المتحدة من خلال السفارة الأمريكية في تل أبيب . وأن يصرف النظر عن مطالب آرينز بالاجتماع بهيج وآخرين من كبار المسئولين ، لارغامه على الاتصال فقط بمن هم في مستوى أقل . وكان باستطاعة الادارة ، لو شاءت ، أن تجعل من حياة آرينز في واشنطن حياة بائسة . فما الذي قاله آرينز حتى أغضب هكذا هيج وآخرين من كبار المسئولين في الادارة الامريكية ؟ .

أولا : ان آرينز قال ان اتفاقية التعاون الاستراتيجي بين الولايات المتحدة واسرائيل والتي اوقفت الادارة الأمريكية العمل بها في ديسمبر عام ١٩٨١ في أعقاب صدور القانون الخاص بمرتفعات الجولان ، هي اتفاقية لا معنى لها في حقيقة الامر وأن من الافضل لكلتا الدولتين عدم وجود تلك الاتفاقية .

وكان هيج نفسه قد بذل أقصى ما في وسعه من وراء الكواليس للضغط على وزير الدفاع كاسبر واينبرجر والبنتاجون كي يقبلوا الاتفاقية الاستراتيجية في المقام الاول . فقد كانوا غير راغبين في رفع مستوى اسرائيل رسميا الى وضع الحليف الاستراتيجي للولايات المتحدة نظرا للثمن السياسي المتوقع نتيجة لذلك في العالم العربي . غير أن هيج كسب الجولة ، وفي حين أن ان الاتفاقية لم تتضمن كثيرا مما كانت تريده اسرائيل ، الا أنها لا تزال تشكل خطوة الى الأمام وفي اتجاه كانت اسرائيل تحاول التحرك فيه منذ سنوات عديدة .

ثانيا : ان آرينز قال ، أن : « الادارة بالفعل قررت تبني مواقف السعودية العربية فيما يتعلق بالمسائل الخاصة بالشرق الاوسط . وأنهم عندما يفعلون ذلك ، أعتقد أنهم لا يدركون أن السعودية ليست لديهم أية مواقف خاصة بهم . فموقف السعودية هي نفس مواقف منظمة التحرير الفلسطينية . فهذا الاتهام الكاسح ، الذي تصدر عناوين الصحف الأمريكية الكبرى ، قد أغضب ليس هيج ووزارة الخارجية وحدهما بل أغضب ايضا الرئيس ريجان ومسئولين آخرين في البيت الأبيض . وحظيت تعليقات آرينز خلال مقابلتين منفصلتين مع اذاعة اسرائيل في نهاية شهر ديسمبر ١٩٨١ بدعاية واسعة النطاق في أجهزة الاعلام الامريكية . وكان كافة كبار المسئولين على دراية تامة بما حدث . ونتيجة لذلك ، ذكروا أن آرينز لم يبدأ مهام منصبه بداية ايجابية .

فكل سفير يتم تعيينه فى واشنطون (هناك اكثر من مائة سفير فى الوقت الحاسر) يكون أول عمل له اقامة علاقة عمل سلسة مع كبار المسئولين فى الادارة . فمن هنا يمكن ان تصدر القرارات الحاسمة بدرجة كبيرة وبالفورية التى تؤثر فى دولة أخرى . ومن الواضح ان الكونجرس واجهزة الاعلام ومجتمع العمل وقطاعات أخرى من المجتمع الامريكى ذات النفوذ من الواضح أنهم جميعا يلعبون دورا ثانويا فى العلاقات اليومية . ومن غير المعتاد الى حد كبير أن يتعرف سفير ما شخصيا برئيس الدولة أو حتى يجتمع به . وثمة كثيرون من السفراء فى واقع الأمر لم يجتمعوا مطلقا حتى بوزير الخارجية . وحسب اهمية عملهم ، فانه لا يسمح لهم بمقابلة سوى وكيل الوزارة او مساعد الوزير لشئون منطقتهم أو الموظف الادارى المسئول بصفة خاصة عن شئون بلادهم .

وكان السفراء الاسرائيليون فى واشنطون ، خصوصا منذ عام ١٩٦٧ ، على اتصال مباشر بصفة تقليدية بوزير الخارجية نفسه . وفى الواقع ، اتهم دينيتز فى كثير من الأحيان فىالصحف الاسرائيلية بأنهعلى علاقة وثيقة بكيسنجر. وباستثناء السفير السوفيتى أناتولى دوبرنين ، كان دينيتز يلتقى بكيسنجر أكثر من أى مبعوث أجنبى آخر . وقد أطلق كيسنجر النكات حول ذلك . فقد قال ودينيتز يجلس الى جواره فى حفل غداء أقيم تحت رعاية مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الامريكية الكبرى فى نيويورك فى يناير عام ١٩٧٧ : «لقد كان لى امتياز التعامل مع سفير الدولة الوحدة فى العالم التى أمكن انتقاد ممثله فى واشنطون لوجود علاقة وثيقة بينه وبين وزير الخارجية » . وكان كيسنجر، بطبيعة الحال ، على صواب — ان دولا أخرى كانت تشعر بالغبطة لوجود مثل هذا الاتصال المباشر بين سفرائها ووزير الخارجية .

وكان آرينز يفضل أن يكون عمله محددا . فقد كانت لديه مشاكل خاصة تعلق بصورته كمتشدد . وبوصفه رئيسا للجنة الشئون الخارجية والدفاع بالكنيست ، فقد صوت سياسى حزب حيروت ضد اتفاقيات كامب ديفيد فى عام ١٩٧٨ . وقد التقطت أجهزة الاعلام الامريكية ، وهى تعكس بذلك قلق الولايات المتحدة على مستوى عال ، التقطت هذا الخيط فكتب برنارد جويرتزمان المراسل الدبلوماسى لصحيفة النيويورك تايمز فى مطلع شهر مارس يقول أن آرينز « متمسك بسمعته كمتشدد صريح العبارة تجعل آراءه حول معظم المسائل الخاصة بالشرق الاوسط فى بعض الاحيان رئيس الوزراء مناحم بيجين يبدو مقبولا . وبعد ذلك ببضعة ايام صرح تيد كوبيل صاحب البرنامج المحبوب نايت لاين الذى تذيعه شبكة تليفزيون ا ب س ان آرينز جلب لمنصبه الجديد « سمعة التشدد » فقد صوت آرينز ضد اتفاقية كامب ديفيد ولا يزال يشك فى قيمتها » .

وبالرغم من ذلك ، فانه بعد ستة اشهر فقط من وصول آرينز الى واشنطون ، كان كبار المسئولين فى ادارة ريجان يمتدحونه علنا . ونفس

هؤلاء المسئولين الذين تكهنوا من قبل بأنه سوف يستقبل استقبالا « فاترا » بدأوا الآن يغيرون رأيهم ويثنون على عمله . وهذا التغيير فى الموقف اتضح بصورة جلية للغاية على اثر معلومات وصلت الى الولايات المتحدة حول دور آرينز الحرج فيما يبدو فى التأثير على اسرائيل أثناء الازمة التى نشأت فى بيروت الغربية فى أوائل شهر أغسطس عام ١٩٨٢ . ووصف المسئولون الامريكيون المبعوث الاسرائيلى بأنه « سلاح سرى » وذلك فى معرض اقناع القدس بأن مصالح اسرائيل على المدى الطويل من الممكن النهوض بها بشكل افضل عن طريق مساعدة الولايات المتحدة على تحقيق نصر سياسى خارجا هى فى أمس الحاجة اليه ، وهذا يعنى مزيدا من المرونة الاسرائيلية أثناء المفاوضات مع المبعوث الأمريكى الخاص فيليب حبيب لضمان جلاء منظمة التحرير الفلسطينية سلميا من بيروت الغربية . ويوم الاحد الموافق ٨ أغسطس ، غادر آرينز فجأة واشنطون متجها الى القدس . وكانت مهمته ، طبقا لمسئولين اسرائيليين عرض تقييمه المباشر حول اتجاهات الرأى فى الولايات المتحدة على مجلس الوزراء الاسرائيلى . وكما شرح احد الدبلوماسيين الاسرائيليين « هنك حدود لما يمكن ارساله عن طريق البرقيات » .

وخلال الشهور السابقة ، بات آرينز منهمكا فى التعرف ثانية على الولايات المتحدة . فبالرغم من انه قد نشأ فى مدينة نيويورك وخدم فى الجيش الامريكى ودرس فى معهد التكنولوجيا بماساشوسيتس ، فقد عاد الى الولايات المتحدة بعد أن أمضى عشرين عاما فى اسرائيل . وكان عليه أن يقيم علاقات جديدة وان يضع اصبعه على نبض البلد . وقد فعل ذلك فى مناسبات عمل كثيرة وفى اجتماعات أخرى عامة وخاصة . وأصبح على وجه السرعة وجها مألوفا فى التليفزيون الامريكى . وفى نفس الوقت ، استطاع أن يقيم علاقات وثيقة مع هيج وآخرين من كبار المسئولين الامريكيين ، من بينهم لورنس ايجلبرجر وكيل وزراء الخارجية للشئون السياسية . وفى وقت لاحق اوضح المسئولون فى الادارة الامريكية انه لم يكن من قبيل المصادفة أن قرر وزير الخارجية الجديد جورج شولتز الاجتماع بآرينز قبل اى سفير آخر . واستمر آرينز فيما بعد يجتمع شولتز ، كما كانا يتحدثان عبر الهاتف بصفة منتظمة .

وقد اصبح الامريكيون يدركون أن آرينز ليس « يمينيا متطرفا » تماما وصفه احد المسئولين الامريكيين منذ بضعة اشهر فقط . غير أن السفير اصبح فعالا فى واشنطون لسبب آخر ايضا وهو أن صانعى السياسة توصلوا الى ان لديه نفوذا فى القدس .

واستغل آرينز حقيقة انه سياسى وليس دبلوماسيا محترفا وبهذه الصفة ، كانت لديه فرصة اكبر لاصدار البيانات واتخاذ القرارات .

فكان باستطاعته التوجه الى القدس عندما تستدعى الحاجـة ، ويجتمع برئيس الوزراء ووزير الدفاع ووزير الخارجية ورئيس الاركان ، ويحضر اجتماعات مجلس الوزراء على قدم المســاواة مع الحاضرين . ونظرا لسمعته المعـروفة جيدا كمتشــدد ، فان توصية من آرينز بأن تكون اسرائيل أكثر حساسية تجاه ما يثير قلق الولايات المتحـدة ، من المكن أن تكون مقنعة عنـد رسـم اسرائيل لسـياستها .

ويعتقد الامريكيــون ، ســواء كان ذلك صحيحا أم خطـأ ، أن زيـارة آرينز لاسرائيل خـلال صيف عام ١٩٨٢ كانت نقطـة تحـول بالنسبة لحبيب . فقد عزوا للســفير الاسرائيلى كثــيرا من الفضـل فيما حـدث من تقدم . وقالوا ، ان آرينز شرح كيف أن التأييد الامريكى ، العلنى والقـوى ، لاسرائيل قــد تضاءل منذ نشــوب القتال ، ورد مجلس الوزراء بــأن ســاوم على العقبـات المتبقية فى المفاوضات . ان مثل هذا التحليل قد يكـون الى حـد ما لـم يلق التقـدير اللازم ، على ضـوء طبيعة وجهات النظر الشخصية لآرينز حــول استخدام القــوة العسكرية . ولايزال الامريكيون يعتقدون أن آرينز عرض بفظاظة على الزعامة الاسرائيلية الرد الامريكى السلبى المحتمل جــدا على الهجوم الاسرائيلى على المعاقل المتبقية لمنظمة التحرير الفلســطينية فى بيروت الغربية . كمــا أنه أوضح كيف تستفيد اسرائيل من اتفاقية ما . مـرة أخــرى ســواء كان ذلك صحيحا أم خطــأ ، فان واشــنطون تشككت فيما اذا كان تقرير آرينز ضروريا لتتجنب المزيد من اراقة الدماء .

بالنسبة لآرينز شخصيا ، فان التأثير المباشر لنجاح حبيب كان ايجابيــا للغــاية . فمن الناحية العملية كانت كافة الابواب الهامة فى واشنطون تفتح له على وجه السرعة . وقد اشــار ريجان فى مؤتمر اخبــارى أذيع على الامة الى آرينز بالاسم لدى تناوله نقطــة معينة . وكان آرينز واقعيا بدرجة تسمح له بادراك أنه لم يغير تفكير امريكا . فلقد أحرز بعض النقــاط خصــوصا على شاشـة التليفزيون ، لكنه كان يعــلم أن الموقف لا يزال ضعيفا فى الوقت الذى بدات فيه الادارة تضغط من أجل التوصــل الى اتفاق أوسع فى لبنان وحــول المســألة الفلسطينية . غير أنه كان ثمة اجمــاع على نطاق واســـع بأن آرينز ابتعد عن الطريق الصحيح .

ومن الواضح أن آرينز كان فى المقدمة فى تعامله مع ادارة ريجان ومبادرة السلام الخاصة بالشرق الاوسط ، فبعد أن أزاح ريجان النقــاب عن مشروعه اثناء خطابه الذى اذيع على الامة من خلال التليفزيون فى أول سبتمبر عام ١٩٨٢ كان آرينز مشغولا للغاية فى تقييم تأثير ذلك على العلاقات الامريكية الاسرائيلية برمتها على كل من المدى القصير والمــدى الطويل ، وفى مقــابلة معى قــال :

« اعتقد أن جذور العلاقـة بين الولايات المتحدة واسرائيل لم تتأثر بشـكل جوهرى نتيجة للتحـول الشـديد فى وجهات النظر الذى أدى الى ما يشـبه المواجهة فى اقصى حالاتها — وهى حقيقة اتخـاذ الرئيس الامريكى موقفـا صعبا وصفه بنفسه فى خطـابه بأنه لا يقبـل التغيير » وحقيقة رفض الحكومة الاسرائيلية لتلك المواقف ... وانى أعتقـد أن العلاقة بين البلدين لا تزال علاقة صـداقة جذورها متينة جدا ، بل هى فى جوهرها لا تخرج عن كذب تحـالف ، كما أعتقـد ان طبيعة تلك العلاقة لا تسمح بأن يعـكر صفوها اى خلافات فى الرأى — حتى وأن كانت خلافات شـديدة وعلى نطاق واسع — حول الكيفيـة التى يتم بها تحقيق اهدافنا المشتركة » .

وكان لدى آرينز تفسيره الخاص حول توقيت خطة ريجـان اذ قال : « من الواضح أنهم يعتقدون بأنهم ادركوا وجود ما يسمونه «بالفرصة المتاحة» فاذا كانوا يرون أن الفرصـة متاحة ، فان ذلك ينبغى أن يكون مقرونا فى ذهنهم بالحدث الكبـير الذى وقـع خـلال الشـهور القليلة الماضـية ، وهو ، عملية سـلام الجليل فى لبنـان . كما أعتقد أنه نتيجـة لعمليـة اسرائيـل فى لبنـان ، فانهم يجدون أنفسهم تحت ضغط قوى من جانب العرب ، ومن ثم ، وجدوا أن عليهم انيثبتوا ، فى أقرب وقت ممكن ، أنهم ليسـوا دائما موافقـين على ما تقوله اسرائيل وكل ما تفعله ، وانهم مستعدون لاتخاذ مواقف لا تتمشى مع مواقف اسرائيل » .

وقال آرينز ، أنه ناقش موضوع مبـادرة السلام الامريكية الجـديدة كـ.. فى مناسبات متعددة مع وزير الخارجية شولتز وانه بات من الواضح أن لدى الامريكيين شعورا بطـابع الالحـاح التى تتميز به هذه المسألة . واضاف ، « أن موقفى وموقف اسرائيل هو أن نعطى الأولوية للمسـائل الأولى على الاقل ، فلتستقر الامور فى لبنان ، ولنبـذل جهدا مركزا ومشتركا فى سـبيل تحقيق أهدافنا المشتركة هناك ، وأن ربط احـداث لبنان ببعض المبـادرات الجـديدة الرامية الى اجراء مفاوضات للحكم لذاتى سوف يزيد المشـاكل تعقيـدا وقد يلحق الضرر بقدرتنا على تحقيق أهدافنا فى لبنان » . وبعـد مناقشات قليلة مثل تلك المناقشات ، اتفق شولتز مع آرينز على انه يتعـين ان يبـدأ العمل أولا باخراج منظمة التحرير الفلسطينية من بيروت .

وبالاشارة الى القضية الفلسطينية ، قال السفير ، أنه ناقش مع شولتز هذه المسـألة « خلال الفترة كلها التى كان الجيش الاسرائيلى يقف فيهـا عند مداخل بيروت » . وجرت مناقشة المسـائل المختلفة المتعلقة بلجـلاء منظمة التحـرير الفلسطينية . وفى بعض الاحيـان كان يحـدث جدال حولها . وكانت المناقشة تعود بشكل ثابت الى « ما يسمى هنـا بالمسـألة

الفلسطينية » والحاجة الى تناول هذه المسألة على وجه السرعة على ضوء الدروس المستفادة من عملية لبنان . وبات واضحا فى أحد المراجل أن هناك احتمالا لطرح مبادرة أمريكية حتى قبل انسحاب منظمة التحرير الفلسطينية من بيروت . وبالرغم من كل تلك المناقشات فان توقيت خطة ريجان للسلام وصيغتها الحقيقية كان لها وقع الصدمة على آرينز ، الذى كان وقتئذ موجودا فى اسرائيل للاعداد لزيارة وزير الدفاع الامريكى كاسبر واينبرجر لها . وقال : « اننى لم أعلن عن الصيغة كما لم يعلم عنها أحد حتى تم بالفعل طرحها علينا » .

وشكا آرينز من أن الولايات المتحدة لم تمد اسرائيل بمعلومات كافية حول خطة ريجان على الرغم من المناقشات التى جرت مع شولتز . وفرق أرينز بين « المناقشات » و « المشاورات » ، فالاخيرة لا غنى عنها فى التحالف الضرورى بين اسرائيل والولايات المتحدة وقال « اننا فى نقاش مستمر مع وزير الخارجية — أن لم يكن على أساس يومى فمن المؤكد أنه يجرى كل اسبوع . غير أن ذلك ليس نوع المشاورات التى نتحدث عنها . ان ما نتوقعه كأصدقاء وحلفاء للولايات المتحدة . وما أظن ان لدينا كل حق فى توقعه — أنه قبل القيام بمبادرة يتعين على الولايات المتحدة أن نتشاور معنا بصفة خاصة حول تلك المبادرة وأن يتم اجتماع معى هنا ، أو مع رئيس الوزراء فى اسرائيل حيث يعرض المندوب الامريكى تقريره عن الموقف الذى عرض علينا فى نهاية الامر والذى يقول : « اننا نقترح عرض هذه القائمة الخاصة بالمواقف الامريكية . فما هو رأيكم حول المحتوى ، وحول التوقيت وحول العرض نفسه ؟ » .

ومضى آرينز قائلا : « اننى لا أقترح ولو للحظة أننا يجب أن نتوقع رفض هذا النوع من المبادرات ، على الرغم من أن هنلك بعض الالتزامات التعاقدية التى أخذها فورد على نفسه فى عام ١٩٧٥ حيث أن هناك التزاما امريكيا ، من حيث الجوهر بعدم تقديم مقترحات أمريكية دون التشاور مسبقا مع اسرائيل لكى يتم تجنب المقترحات التى لا تتمشى مع موقفها .

وأضاف « أعتقد أنه يتعين علينا باستطاعتنا توقع اجراء مشاورات مسبقة حول هذه الخطوة بالذات وأن تكون لدينا فرصة للتعليق عليها ، وربما يحدث تغير فى المحتوى أو فى الاجراء . غير انه لم يحدث شىء من هذا القبيل . ولم يكن لدى أدنى فكرة — ويجب أن أعترف أننى صدمت عندما كنت فى اسرائيل مرافقا للوزير واينبرجر . وتم ابلاغى أن السفير لبويس ذهب لمقابلة رئيس الوزراء بيجين فى نهاريا وقدم اليه هذا التقرير عن الموقف . وبهذا المعنى ، لم يحدث تشاور من أى نوع . وعلى فكرة ، فان التقرير الخاص بالموقف عرض على الملك حسين قبل أن يعرض علينا » .

كما أفصح آرينز عن أن واينبرجر نفسه يبدو أنه قد فوجىء . وقال « انى على يقين من أن الوزير واينبرجر لابد أنه كان يدرك أن ثمة عملية نقاش جارية وأنه ربما كان طرفا فى بعض المناقشات . غير أن انطباعى انه لم يكن يعلم ، .شية وصوله الى اسرائيل ، أنه كان بصدد تقديم هذا التقرير الخاص بالموقف الى رئيس الوزراء »

ومن الواضح ان ما ازعج آرينز هو تعمد الادارة تجنب ابلاغ اسرائيل بالاستراتيجية الجديدة . اذ قال « فى مناقشاتى مع المسئولين فى الادارة الامريكية هنا ، تستطيع أن تشعر بسعادة معينة حول الطريقة السرية التى يتم بها معالجة هذا الامر وقلة عدد الافراد فى الادارة الذين هم على علم به ونجاحهم الكبير فى الحيلولة دون أى تسرب للمعلومات حول تلك المبادرة . ولذلك بات من الواضح ان قرارا متعمدا قد اتخذ للقيام بطريقة سرية للغاية وعدم اجراء أية مشاورات مسبقة مع اسرائيل حول الموضوع » .

وكان رأى آرينز ان الادارة الامريكية استنتجت انه من « الاجدى » القيام بالمبادرة الجديدة بتلك الطريقة ، حتى بدون التزام قوى مسبق من جانب الملك حسين بالاشتراك فى المحادثات .

ان الخلافات بين واشنطون والقدس حول خطة ريجان لم تؤثر على مسائل امريكية اسرائيلية اخرى مثل الامدادات العسكرية والمعونة الاقتصادية والتأييد السياسى . وكان آرينز حازما فيما يتعلق بهذا الامر . وحتى وقتئذ كان آرينز مقتنعا ايضا بأن اسرائيل سوف تشارك الولايات المتحدة مشاركة كاملة للدروس العسكرية التى تعلمتها اثناء القتال فى لبنان ، « لسبب بسيط وهو أن اسرائيل عضو فى مجموعة الدول الديموقراطية وأن الولايات المتحدة هى زعيمة المجموعة . وقد يستغرق الامر بعض الوقت . وليس من السهل تلخيص ، تصنيف وتبويب واستيعاب كافة المعلومات التى تمخضت عن تلك العملية المعقدة فى لبنان . ولكن ما من شك لدى فى أنه متى تم ذلك ، فان المعلومات سوف تبلغ الى الولايات المتحدة . وقد حدث ذلك بعد تولى آرينز منصب وزير الدفاع فى أوائل عام ١٩٨٣ خلفا لايرييل شارون » .

واختلف آرينز بصورة قطعية مع فكرة كانت شائعة وقتئذ فى وسائل الاعلام الامريكية مؤداها أن العلاقات الامريكية الاسرائيلية قد هبطت الى مستوى منخفض طول الوقت . ومن المعترف به أن العلاقات بين الولايات المتحدة واسرائيل مرت بحالات من الصعود والهبوط عبر السنين ، غير أنه بالنظر الى تلك العلاقات من المنظور التاريخى ، بدا لارينز المنحنى فى صعود مستمر . اذ قال « اذا حاولت مقارنة العلاقات الامريكية الاسرائيلية اليوم فى عام ١٩٨٢ بالعلاقات بين البلدين فى عام ١٩٥٢ ، أو فى عام ١٩٦٢ ،

أو حتى فى عام ١٩٧٢ ، فاننى أعتقد أنه ربما تقرر أنها كانت أفضـــل فى عام ١٩٦٢ منها فى عام ١٩٥٢ ، وأفضل فى عام ١٩٨٢ منها فى عام ١٩٧٢ .

« من المؤكد وجود تقدير أكبر فى الوقت الحاضر للقيمة الاستراتيجية الاسرائيلية داخل التحالف عما كان الامـــر عليهمن قبل . اذ كنا قد بدأنا بعلاقة قائمة أساسا على القيم والتقاليد المشتركة ـ الامر الذى يعد اعترافا بقدرة اسرائيل على المساهمة فى حماية تلك المصالح . ويعد ذلك أساســا راسخا للغاية . واننى أعتقد أنه من المحتمل ألا تجد دولا كثيرة فى العـــالم تستطيع القول بأن لديها أساسا أكثر رســـــوخا فى علاقاتها مع الولايات المتحدة » .

ازدادت حياة آرينز مشقة فى الشـــهور التى تلت تلك الايام ، فعلى سبيل المثال ، كان آرينز يسعى يوم الاثنين الموافق ٦ ديسمبر ١٩٨٢ لكسب الاصدقاء لاسرائيل ـ وهى مهمة ليست سهلة دائما . فقد سافر جوا الى نيويورك من وينفر ، حيث ألقى خطابا أمام اتحاد الطوائف العبرية الامريكية وربما كان هذا الخطاب غير مرضى لانه فى بداية المؤتمر أبعد رئيس اتحـــاد الطوائف العبرية اليهودية الحاخام اليكسندر شندلر نفسه أكثر من ذى قبل خطرا على الهوية اليهودية للدولة ووحدة الشعب اليهودى » وقال شندلر لزعماء الاصلاح اليهودى ، مع أننى أفهم وأقدر مطالب اسرائيل التاريخيـــة فى يهوديا والسامرة الا أننى أعتقد ، أنه من الضرورى من أجل الســـلام والعدل ، السعى من أجل الحد من تلك المطالب » . وفى نفس الصـــباح ، عقدآرينز اجتماعا خاصا مع الرئيس السابق ريتشارد نيكســـون ، حيث عن رئيس الوزراء بيجين باعلانه أن ضم الضفة الغربيـــة لاسرائيـــل يشـــكل ناقشا الموقف بالشرق الاوسط والمسائل العالمية الاخرى التى تواجه أمريكا واسرائيل . وكان نيكسون هو الذى طلب عقد هذا الاجتماع ، غير العادى . (فى الشهور الاخيرة ، كان قد ازداد انتقاده للحكومة الاسرائيلية ، وبيجين بصفة خاصة) . ومن نيويورك طار آرينز الى واشنطون للاجتماع بنائب وزير الخارجية كينيث دام ، وهو الرجل رقم ٢ بالوزارة من أجل مناقشة مسألة المعارضة الحادة البادية من جانب الادارة لمبادرات الكونجرس بزيادة المعونة المالية لاسرائيل .

اذ لم يكن هذا الجدول كافيا . فقـــد واجهت آرينز كذلك التعقيـــدات غير المعتادة الناجمة عن تعامله فى اليوم ذاته مع سفارة اسرائيلية مضربة عن العمل . اذ كان موظفو وزارة الخارجية الاسرائيلية فى القدس الذين يبلغ عددهم قرابة ١٠٠٠ موظف قد دعوا الى اضراب فى كافة مكاتبهم بالعـــالم وذلك احتجاجا على التعويضات وظروف العمل الخاصة بهم (وهى أقل من أقرانهم فى وزارتى الدفاع والمالية) . وكان آرينز ، وهو شخصية سياسية صريحا فى اعـــلانه للجميع معارضته للاضراب . ولم يكن لديه النية تماما

للتعاون مع المضربين . وقد قال أحدهم ، « أنه يأتي من وسط مختلف عنا فانا قد نشأت الحـــركة الاشتراكية : الصهيونية العمالية . وقد تعلمنا ألا نعارض الاضرابات . أما هو فقد نشأ بعقلية مختلفة » .

كان ذلك بالطبع حقيقيا . فمن عدة أوجه ، لم يكن موشيه آرينز اسرائيليا نمطيا . أحد هذه الاوجه انه لم يكن يبدو مثل أى أحد منهم . وعلى سبيل المثال، لم تكن ملابسه مثل ملابس معظم الاسرائيليين . كتب لارس ايريك نيلســـون رئيس مكتب جريدة ديلى نيوز النيويوركية فى واشنطن قبل وصول الســـفير الى واشنطن يقـــول « ان آرينز يفضـــل ارتداء . الجـــاكت التويـــد » كما يحب القمصان المفتوحة الزرقاء اللون وهو الطراز الذى يفضله تلاميـــذ المدارس . ويقول نيلسون أن المبعوث « دخل الى احدى الغرف وهو يتحدث باللهجة الامريكية بسرعة فائقة ... ومن الصعب ملاحظة أنه ليس أمريكيا . اذ هو احد الصقور الاسرائيليين » .

كان تحليل نيلسون صادقا بالتأكيد حين كتابته ذلك . ولكن فيما بعد تأثر اسلوب آرينز السياسى بتغييرات جوهرية . وهى تغييرات اثارت التساؤلات حول السمعة التى اكتسبهافى الماضى بوصفه أحدالزعماء المتشددين الاسرائيليين وكان قد اقترع ضد أطر اتفاقيات كامب ديفيد لمعارضته الانسحاب من سيناء . وكان يعتقد أن الثمن الذى أجبرت اسرائيل على دفعه كان باهظا للغاية . كما رفض عرضا لبيجين لاختباره وزيرا للدفاع بعد استقالة عزرا فايتسمان . اذ لم يرغب آرينز فى أن يصبح مسئولا عن تنفيذ ذلك الانســـحاب الاليم . ولذلك يستطيع ايرييل شارون ، الذى اقترع فى صالح كامب ديفيد ثم وافق على اختيار بيجين له وزيرا للدفاع (بعد أن ظل المنصب شاغرا طوال عام كامل ، تـــولى أثناءه بيجين بنفسه مهام وزير الدفاع) ، يستطيع أن يسدى الشكر لآرينز الذى كان يشغل فى ذلك الحين منصب رئيس لجنة الشئون الخارجيـــــة والدفاع فى الكنيست ، لتوليه هذا المنصب . وبعد عدة أشهر استطاع بيجين أن يقنع آرينز بخلافة ايفرون كسفير لاسرائيل فى واشنطون .

كيف يستطيع المرء اذن تفسير التغير الذى حدث فى نوفمبر ١٩٨٢ ، حينما اذاع راديو اسرائيل ، أن آرينز الصقر المزعوم قد ارسل الى القدس ببرقية ينصح فيها بأن تفرض اسرائيل تجميدا لبناء المستوطنات فى الضفة الغربية لمدة ثلاثة أشهر . لقد كان الامر بمثابة القنبلة . وقد رفض آرينز فيما بعد التعليق على التقارير الاخبارية . وقال ببساطة ، ان وجهات نظره بصدد المستوطنات معروفة جيدا ، وانها لم تتغير منذ وصوله الى واشنطن . ومع ذلك لم يرغب فى الرد مباشرة على التقارير وقال « اننى لا أستطيع التعليق على اتصالاتنا » ، وأكد عدد من المسئولين الاسرائيليين أن آرينز أرسل بالفعل تلك البرقية وان بيجين رفضها على الفور . وذكرت ميدل ايست بوليسى سيرفى أن آرينز قـــدم اقتراحه بناء على الافتراض بأن الملك حسين ملك الاردن سوف يدخـــل فى

محادثات مباشرة مع اسرائيل . وذكر آشر وولفيش مندوب جريدة الجيروزاليم بوست في الحكومة الاسرائيلية أن آرينز قدم في الواقع عددا من الاقتراحات في شهر سبتمبر لتحسين العلاقات بين اسرائيل والولايات المتحدة ، ومنها اقتراح بتجميد بناء المستوطنات لمدة ثلاثة أشهر .

ويقرر ولفيش أن المسئولين الاسرائيليين قالوا ان توصيات آرينز تعد « تكتيكية محضة حيث ان السفير معروف بأنه غير مرن بصدد المطالب الاسرائيلية المتعلقة بيهودا والسامرة ، مثل أى صقر في الحكومة — اذا لم يكن أكثر منهم تشددا » . وأشار أحد المسئولين الاسرائيليين الى أن تسريب الخبر لاذاعة اسرائيل كان جزءا من محاولات المنافسين في حزب حيروت لتلطيخ سمعة آرينز . ومهما كانت محتويات البرقية ، فستظل الحقيقة قائمة وهى انه سرعان ما وقع آرينز تحت وطأة الانتقادات الحادة داخل الوطن من بعض هؤلاء السياسيين انفسهم ، الذين كانوا في وقت ما اقرب أصدقائه السياسيين والايديولوجيين . وقال يوسف بورج وزير الخارجية ، انه أصيب بصدمة . وقال يوفال نجمان وزير العلوم والبنية الاساسية انه ليس من مهام عمل السفير اقتراح سياسة الحكومة . كما قال سيمحا ايرلينج — نائب رئيس الوزراء ان السفير يجب أن يقتصر عمله على ارسال التقارير المتعلقة بالحالة والتيارات السائدة بالدولة المضيفة ، كما أرسل مجلس المستوطنات اليهودية وسامريا وغزة ببرقية الى آرينز يعربون فيها عن غضبهم ازاء الاقتراح المذكور .

وسأل شموئيل كاتز ، الذى عمل من قبل مستشارا لبيجن لشئون المعلومات الخارجية ، والذى اختلف مع رئيس الوزراء بصدد كامب ديفيد « الا يدرك آرينز تضمينات مثل ذلك التجميد ؟ وانه بالموافقة على الاقتراح ستكون اسرائيل قد تبنت المبدأ القائل بأن توطين اليهود في آرينز اسرائيل (أرض اسرائيل) هو شيء سيىء ، كما انه في الواقع يشكل « عقبة في سبيل السلام » ؟ كما سيؤخذ به كدليل يخدم الاتهام العربى الرهيب ، بأن افتقاد السلام يرجع لوجود اليهود في يهودا وسامرا وغزة ، وليس بسبب الاعتداءات العربية المتتالية ؟ » ومضى كاتز يقول : « ان قائمة الاسئلة لا نهاية لها . والحقيقة هى ان آرينز يعلم جميع الاجابات ، بالاضافة الى انه كان دائما (ومازال ، وكما أكد منذ عدة أيام) مثابرا على الدعوة للاستيطان اليهودى في كل جزء من أرض اسرائيل — كعنصر حيوى لامن اسرائيل وتأكيدا لحق الشعب اليهودى في وطنه . وهذه الفكرة المغايرة لآرائه ، وتلميحه هذا جاء نتيجة للخوف ، الخوف من أن يؤدى « العناد » (الصفة التى أضافها رجال الدعاية بوزارة الخارجية الامريكية لاسرائيل طوال العشرين سنة الاخيرة ازاء اى رفض اسرائيلى للاذعان)الى فرض« العقوبات الاقتصادية والعسكرية » — وذلك يعنى ايقاف المعونة الاقتصادية » .

وبينما كان كاتز وآخرون يدعون صراحة أن مواقف آرينز المبدئية قد ضعفت فى مواجهة ضغوط واشنطون ، سرعان ما توصلت الجيروزاليم بوست، فى احدى المقالات ، الى استنتاج مضاد . « واحد من افضل قرارات حكومة بيجين الثانية ، التى اتت الى الحكم فى صيف عام ١٩٨١ ، كان تعيين موشى آرينز سفيرا فى واشنطون » كان ذلك ما كتبته فى اليوم الاول من نوفمبر . وبالرغم من خلفية آرينز المتشددة ، قالت الجريدة أنه كان « واحدا من اقدر زمرة الرجال التى تسلمت مقاليد الحكم مع مجيء الليكود الى السلطة قبل ذلك بخمس سنوات ، وقد وضع تعيينه فى منصب السفير نهاية لتخبط مبعوث اسرائيل فى واشنطون — وهو منصب اكثر أهمية من معظم الوزارات — بعد أن أصبح بيجين لا يصغى له او يثق به ، مثلما كان الحال خلال السنوات الاربع لحكومة بيجين الاولى .

وقال المقال مشيرا الى الدعوة المذكورة للتجميد المؤقت لبناء المستوطنات، ان آرينز لم يعد « متساهلا » بصدد نية الحفاظ على الارض بصفة دائمة ، اكثر من مستر بيجين . وعلى اية حال ، يبدو انه صقر ذكى . يدرك القوى الحقيقية التى تعمل فى ذلك العالم الكبير ، هناك بالخارج ، والتى يجب أن تضعها اسرائيل فى حسابها ، تكتيكيا على الاقل ، حتى اذا كانت استراتيجيتها تقوم على اتباع سياسة تسعى للضم .. ووجود آرينز فى واشنطون ، له منفعة خاصةلاسرائيل فىظل ميول حكومة بيجينوسياساتها الرئيسية.ولكنيتهدد تلك المنفعة خطر الزوال ، فى حال تجاهل مشورته المتعلقة ، فقد ازداد بصورة كبيرة اعتماد اسرائيل عسكريا واقتصاديا وسياسيا على الولايات المتحدة ، ويصبح من الطيش الشديد ، ارسال احدى الشخصيات القيادية فى الحزب الحاكم ، لجس نبض امريكا السياسى ، ثم نجاهل المتعمد بعد ذلك لاستنتاجاته فى هذا الصدد .

لايمكن انكار تعديل آرينز لنغمة ، ان لم يكن لجوهر سياساته منذ وصوله الى واشنطون . ولكن ذلك لايجب أن يعد كمفاجأة كبرى . فهو مثل جميع المبعوثين الاسرائيليين السابقين الذين عملوا فى عاصمة الولايات المتحدة — الياهو ايلات ، أبا ايبان ، ابراهام هارمان ، اسحق رابين ، سيمحا وينيتز وافراييم ايفرون — كان يتأثر بما رآه وسمعه فى واشنطون ، ومن خلال رحلاته فى أرجاء البلاد . وتوجد حدود لما يجب أن يفعله اى سفير اسرائيلى فى واشنطون ، اذا كان السفير يبغى ان يكون مؤثرا فى تلك البلاد .

وبالطبع كان ما يسمعه آرينز وأسلافه من كبار المسئولين فى وزارة الخارجية ، والبيت الابيض ، والبنتاجون (وزارة الدفاع) وأى موقع آخر ، عاملا هاما مؤثرا فى وجهات نظرهم . ولكن تلك التصريحات الرسمية التى تسودها التكهنات ، لم تكن ذات اثر فى تشكيل وتعديل الأوضاع السابقة

كالتعليقات التى صدرت عن افضل اصدقاء اسرائيل فى واشنطون . وقد تأثر آرينز كثيرا ازاء التصريحات التى سمعها من اخلص واوفى اصدقاء اسرائيل ومؤيديها فى كونجرس الولايات المتحدة وأوساط القيادة اليهودية ، اذ كان يراهم طوال الوقت وكان يعلم أن ما يقولونه كان يصدر من القلب والعقل . وكان يعلم انهم يمثلون نبع المساندة الامريكية الشاملة لاسرائيل ، يؤكد ذلك سجلهم الحافل . اذ بدون مساندتهم ، تصبح اسرائيل فى صعاب هائلة .

لذلك كانوا حين يتحدثون ، ينصت لهم السفراء . ومن اكثرهم تعقلا بعض النواب مثل هنرى جاكسون ، النائب الديمقراطى عن ولاية واشنطون ، والنائب الجمهورى عن مينيسوتا ، رودى بوشفتيروقد طلبا ايضا من اسرائيل ، لاسباب تكتيكية ، أن تقوم بتجميد مؤقت لبناء المستوطنات . وقد اقترحا كذلك أن تتخذ اسرائيل موقفا اقل عداء تجاه مبادرة ريجان للسلام ، مثلما فعل عديد من المنظمات والقيادات اليهودية المرموقة . وكى يحصل آرينز على النبض الحقيقى للولايات المتحدة كان يتصل أحيانا بعدد من الاشخاص فى واشنطون الذين ظلوا طويلا موالين لاسرائيل ، مثل المحاميين ليونارد جارمنت ، وماكس كلمبلنان . ومن الصحفيين ويليام شافير وجورج ويل . وأصبح يحترم وجهات نظرهم . وكان من الواضح تأثيرهم فى افكاره فيما يتعلق بالتكتيك .

ولايوحى ذلك ، بأن آرينز اصبح اثر وصوله الى واشنطون من الحمائم الحقيقية . فما زال يشارك بيجين فى بغيته بعيدة المدى — وهى ضرورة سيطرة اسرائيل على الضفة الغربية وغزة الى الابد . الا أن كلا من الرجلين اتبع تكتيكات مختلفة وصولا لهذا الغرض . وكان من الواضح اهتمام آرينز بصورة اكبر ، بالرأى العام الامريكى . فى حين كان جل اهتمام بيجين ، بنقاده من الجناح اليمينى ، وقبضتهم على حكومته .

وقد اكتسب آرينز بصورة جلية ، الشهرة لشخصه بالولايات المتحدة خلال عام واحد من تقلده منصبه كسفير لاسرائيل ، ومع انه كان رئيسا للجنة الشئون الخارجية والدفاع بالكنيست وشخصية مرموقة فى اسرائيل قبل وصوله الى عاصمة الولايات المتحدة ، الا انه لم يكن معروفا بالمرة فى أمريكا ، حتى فى الاوساط اليهودية . وسرعان ما تبدل كل ذلك . فقد اصبح آرينز شخصية معروفة تماما فى الولايات المتحدة .

وسواء فى برنامج ايه . بى سى « يلبت لاين » أو ان بى سى : « اجتمع بالصحافة » ، أو سى بى اس « واجه الامة » أو البرنامج الاذاعى ماكنيل ليرير نيوز آور ، فقد كان دائم الظهور فى البرامج الاخبارية التليفزيونية القومية مدافعا عن قضية اسرائيل ، كما كان مواظبا على الوجود للاستماع للمحاضرات .

ونتيجة لذلك ، عاد الى القدس لخلافة شارون كوزير للدفاع فى شهر فبراير ١٩٨٣ تتابعه اهتمامات ملحوظة من المعجبين الامريكيين ، ومنهم كثير من كبار المسئولين فى ادارة ريجان الذين تأثروا بمقدرته على البرود فى خضم النيران .

وكان آرينز دائما على علاقات طيبة مع وزير الخارجية السابق الكسندر هيج ، المعروف بميوله الموالية لاسرائيل داخل الادارة الأمريكية . ويبدو أن جورج شولتز لم يشارك هيج فى آرائه العامة تجاه العالم وخاصة فيما يتعلق باسرائيل ، ولكن ذلك لم يمنع آرينز من اقامة علاقة شخصية طيبة مع وزير الخارجية الجديد، ولذلك لم يكن مما يثير الدهشة ، دعوة مستر ومسز شولتز ، المستر آرينز وحرمه الى كنيدى للفنون المسرحية قبل عودة آرينز الى اسرائيل مباشرة ، بالرغم من توتر العلاقات الامريكية الاسرائيلية فى ذلك الحين ، وقد قال آرينز فيما بعد ، « انها كانت ليلة ممتعة » . وقد ذكر المسئولون بوزارة الخارجية أن من النادر دعوة الوزير لاحد السفراء بواشنطون لمثل تلك المناسبة الاجتماعية الخاصة. تأثر بآرينز أيضا ويليام كلارك مستشار الامن القومى، وهو واحد من غير المؤيدين لاسرائيل داخل الادارة ، وذلك بالرغم من اختلافهما فى القضايا الهامة . ولم يكن من المتوقع اجتماع كلارك بالمبعوثين الاجانب ، وفقا لقواعد ادارة ريجان، ومع ذلك آراد كلارك الاجتماع بآرينز أعد السناتور بول لاكسالت نائب نيفادا ، ورئيس اللجنة الوطنية للجمهوريين وأحد أصدقاء ريجان المقربين ، لعقد اجتماع بين آرينز وكلارك فى مكتبه الخاص فى كابيتول هيل . كما عمل دام نائب وزير الخارجية ، ومساعد وزير الخارجية للشئون السياسة ايجل بيرجر سويا وبصورة موسعة ، مع آرينز بصدد المسائل المتعلقة باسرائيل . ومثل الكثير من الامريكيين، قدرا ذكاء آرينز وصراحته، وكانا يعرفان أن لآرينز صوتا متعقلا فى الاوساط الداخلية للحكومة الاسرائيلية ، الأمر الذى تأكد اثر قرار بيجين اللاحق ، بترشيح آرينز لمنصب وزير الدفاع .

وقد تعلم آرينز كثيرا فى اثناء اقامته فى واشنطون . وعرف كيفية صنع القرار الامريكى وكذلك المزاج السائد فى أمريكا ، مما أضاف بعدا جديدا هاما ، لمناقشات الحكومة فى القدس ، كما حصـــل أيضا على رؤية صـــادقة للمجتمع اليهودى الامريكى . وقد ادرك النفوذ السياسى اليهودى ، وخاصة فى المساعدة على استغلال الكونجرس كتكتل مضاد للادارة . ومع انه ظل طوال حياته من انصار حزب حيروت ، الا انه كان عضوا نشيطا فى حركة شباب بيتار بالولايات المتحدة قبل هجرته الى اسرائيل وادرك آرينز حقيقة أن الحركات السياسية الاخرى الموالية لاسرائيل يمكنها أن تؤدى ايضا الى تأييد اسرائيل . وقد تأكد له ذلك من المقالات المتعددة المؤيدة لاسرائيل التى تصدرت صفحات مجلة « ذى نيو ريبابليك» وحررها مارتين بيريتز المنتمى لفكر حزب العمل الصهيونى .

ادارت الولايات المتحدة واسرائيل علاقاتهما طوال السنين ، مثل جميع الدول ، من خلال القنوات الدبلوماسية المعتادة ، وفى الوقت ذاته ، على أية

حال ، كانت توجد بعض القنوات الخلفية غير الرسمية ، التى نشأت من اجل الالتفاف حول بيروقراطية السياسة الخارجية الرسمية المعوقة فى كل من البلدين . ففى واشنطون على سبيل المثال ، كان ينتاب بعض الرؤساء ومعاونيهم السياسيين ، الشكوك ازاء النزعة الميالة للعرب بين بعض اخصائيى الشرق الأوسط فى وزارة الخارجية ، وفى القدس ، ادار بعض رؤساء الوزارة ، سياسة اسرائيل الخارجية بشكل مباشر من فوق رؤوس الخبراء بوزارة الخارجية .

وتوجد طرق متعددة لصناع السياسة الامريكية والاسرائيليين ، لنقل الرسائل فيما بينهم . وبالطبع كانت اكثرها مباشرة هى الاتصالات الرسمية من خلال القنوات الدبلوماسية ، فمن الممكن دعوة السفير الاسرائيلى فى واشنطون الى اجتماع بوزارة الخارجية مع الوزير . ولكن أحيانا يكون من الافضل اجراء اتصال غير مباشر . ويمكن أن تطرح الولايات المتحدة آراءها على المسئولين بالقدس ، من خلال تسريب بعض المعلومات المنتقاة الى وسائل الاعلام ، أو بواسطة بعض أعضاء الكونجرس ، أو الزعماء اليهود الأمريكيين والجماعات الأخرى ، للتعبير عن بعض أفكارها . وبالطبع يتم الامر ذاته ، حينما تفضل احدى الحكومات الاسرائيلية طريقة أكثر رقة فى الحديث مع واشنطون . وللولايات المتحدة واسرائيل علاقات مماثلة مع دول أخرى كذلك ، من الاصدقاء والخصوم على السواء .

وطوال سنوات ، لعبت الطائفة اليهودية الامريكية دورا فريدا ، كرسول بين واشنطون واسرائيل . « نحن نفعل ما نستطيع لمساعدة الامريكيين على ادراك لماذا وكيف أصبحت الولايات المتحدة واسرائيل ، تفيد كل منهما الأخرى » . ذلك ماقاله بوكبايندر هايمان مندوب واشنطون باللجنة الامريكية اليهودية فى نادى الكومنولث بسان فرانسيسكو يوم ٢٥ مارس ١٩٨٣ . « نحن نحاول الرد على المزاعم والادعاءات الزائفة ، ونحن ندافع عن القضية الاخلاقية من أجل اسرائيل » .

كان الدور الذى لعبه زعماء الطائفة اليهودية الامريكية المرموقون . طوال السنوات من وراء الستار ، اقل علانية ، ولكن مماثلا فى الأهمية . وذلك بايضاح ابعاد السياسة الامريكية المتعددة للمسئولين فى القدس ، وذلك من أجل الهدف المنشود ذاته وهو زيادة تجانس العلاقات الامريكية الاسرائيلية . وفى بعض الأحيان ، كان يتم ذلك فى شكل لقاء بين واحد من الزعماء اليهود الكبار والسفير الاسرائيلى بواشنطون ، او الذهاب الى القدس لتوضيح احدى النقاط الهامة مباشرة أمام وزير الخارجية او رئيس الوزراء .

وكانت وجهات نظر ونصائح هؤلاء اليهود الامريكيين تتم احيانا وليست دائما . وكانت تلقى ترحيبا طيبا فى كل من العاصمتين الامريكية والاسرائيلية . وبوصفهم امريكيين ويهودا ، كانت لهم مصلحة خاصة ولهم القدرة على تحسين الروابط العميقة بين الدولتين .

وقــد اكد الرئيس السابق جيمى كارتر علنا أن أحد اليهود الامريكيين لعب دورا هــاما وحيويا فى مساعدته عــلى الاتصـــال بالحكومة الاسرائيلية طــوال فترة الستة عشر شهرا فيما بين زيارة الســادات التاريخية للقدس فى نوفمبر ١٩٧٧ وتوقيــع معاهدة الســلام المصرية الاسرائيلية بواشنطون فى مارس ١٩٧٩ . كان ذلك الرجــل ليون هـ . شارنى وهــو محام مــن نيويورك وصديق لكل مــن مستشار البيت الأبيض روبرت ليبشوتز ووزير الدفاع عزرا فايتسمان . ولذلك أتيحت لشارنى فرصـــة فريدة للاتصـــال بقمم الســلطة فى الحكومتين الامريكية والاسرائيلية .

بعــد توقيع المعاهدة ، كتب كارتر الى شارنى يشــكره على جهوده « كمواطن أمريكى » ، « اذ كنت معاونا حيويــا لى ولحكومتى خــلال جهودنا لتحقيق هذا الهدف » .

ويذكــر كارتر فيما بعد : « منــذ اول لقــاء لى مع ليون فى نهــاية عــام ١٩٧٧ ــ على ما أذكر ــ وجدت أنه مصــدر للمشورة ، ربما يكون غامضا بعض الشىء . والحقيقة اننى نظرت اليــه فى البداية ببعض الريبـــة ، حيث لــم أكن اعرفه جيــدا . ومنــذ ذلك الحين اخذت فى التعرف اليــه بصورة افضــل ، من خلال بوب ليبشوتز . فوجدته عليما بموقف اسرائيل فى مســائل لــم تخبرنى بهــا وزارة الخارجية والمصادر الرسمية الأخرى . مما اتاح لى مشورة خاصة ، مشورة عزرا ومشورته » .

قال ليبشوتز ــ مرة ــ ان شارنى « كان احــد الابطال المغمورين فى عملية السلام » . وأجاب كارتر حين سؤاله بصــدد هــذا التعليق قائلا : « اننى لا اريد أن أبالغ فيما قاله بوب ليبشوتز . ولكن كان يوجــد عــدد محدود للغــاية من الاشــخاص ، لعبوا أدوارا حيويـــة ، ولــم يســمع بهم أحــد . وعلى الجانب الآخر وجــد عــدد كبير من الابطال ذائعى الصيت ، وأنا أوافق تماما مــع بوب » .

وينظر شارنى باعجاب الى دوره فى تلك الايام حينما كان يتنقل فيمــا بين واشنطون والقــدس ، يحمل رسائل خاصة بين كبار الزعماء الامريكيين والاسرائيليين . وبالطبع لــم تظهر تلك فى الســجلات الدبلوماسية الرسمية ، الا ان شارنى وليبشوتز احتفظا بمذكرات تفصيلية لذلك . وحينما كان كارتر بالقــدس فى أوائل مارس ١٩٧٩ ، ليحاول اتمام التفاصيل النهائية لمعاهدة الســلام ، شوهد شارنى وهــو يسرع بسيارة ليموزين محاطة بالحراسة فيما بين فنــدق الملك داود ، حيث أقام كارتر ، وبين فنــدق القدس حيث كان يقيم فايتسمان .

فى مقابلة لى مــع شارنى ذكر لى انه حــذر كارتر مرتين على الأقــل بصــدد اتخاذ بعض خطوات معينة ظن شارنى أنهــا ستثير غضب بيجين .

وبذلك تعوق عملية السلام . « كنت نادرا فى بعض اللحظات على تأييد موقف اسرائيل فى البيت الابيض ، وكان مرورى الى الرئيس بالطبع من خلال بوب ليبشوتز الذى كان على صلة مباشرة بالرئيس ، ولكنهم طلبوا منى ان أتصل بالرئيس مباشرة عند الضرورة . وكنا نعمل أنا وبوب كفريق للتخلص من البيروقراطية ، ولتكوين الافكار المصرية فى ذلك الحين وذلك بسبب وطبيعة العملية وكان الرئيس يرغب فى عمل تلك القناة» . وكذلك فايتسمان والحكومة الاسرائيلية .

وحدثت احدى الوقائع المشهودة التى لم يتم اعلانها طوال تاريخ القنوات الخلفية والدبلوماسية الاسرائيلية ، حدثت فى عام ١٩٧٢ . اذ تقابلت رئيسة الوزراء جولدا مائير ومعها بنحاس سابير وزير المالية سرا مع أحد كبار رجال البترول الامريكيين أرماند هامر ، الذى يعرف عنه ان له اتصالات مباشرا بالقيادة السوفيتية العليا . وطلبا من هامر الوساطة بالنيابة عن اليهود السوفييت الراغبين فى الهجرة ، وكان الاتحاد السوفييتى فى أزمة مالية حينئذ ، وكان الاقتراح اليهودى الذى نقله هامر الى موسكو ــ تحويل ٥٠٠ مليون دولار مقابل السماح بذهاب مليون يهودى الى اسرائيل ، على أن يتم تهجيرهم خلال عدة سنوات ، وسوف يتم جمع المال من اليهودية العالمية ، ولكن هامر لم يستطع اقناع الكريملين بالاستمرار فى المخطط مما يذكر الناس بالخطط الأولى التى عملت خلال الثلاثينيات لشراء حرية اليهود الألمان ، وفى نهاية عام ١٩٨٤ سافر اسحق شامير الى لوس انجلوس لتكريم هامر أثناء مأدبة عشاء اقيمت لجمع التبرعات لاسرائيل .

كان السفير الاسرائيلى ، مائير روزين طوال حياته الدبلوماسية يحاول أن يجعل مهمته تتخذ بعض المنظور التاريخى ، بوصفه يهوديا واسرائيليا ، وقد قال لى « يجب أن تتذكر دائما من الذى تمثله . فأنت تمثل دولة صغيرة ، وأنت لا تمثل اليهود فقط ، اليهود الذين يعيشون فى اسرائيل اليوم ولكنك تمثل جميع الأجيال التى لم تتح لها ميزة مشاهدة دولة يهودية ، والأمر فى غاية البساطة ، فأنت تمثل الذين قاتلوا فى انجيتو بوارسو ، والذين ماتوا فى معسكرات الاعتقال . كما أنك تمثل الجندى الذى يقاتل الآن فى الجولان ... وتمثل أعضاء الكيبوتزات وعمال المصانع وأساتذة الجامعات . كما ان مهمتك تقتضى أن تكون واثقا عندما تترك منصبك ، ان اسرائيل صارت أقوى مما كانت حينما أصبحت سفيرا » .

وقام روزين فى الولايات المتحدة بجهد كبير ليكون على صلة وثيقة بالطائفة اليهودية « حيث انه فوق كل شىء ، يعد الشعب اليهودى كله من حملة أسهم ما نسميه اسرائيل . ولا يستطيع المرء ان ينسى ذلك ، ذلك ما أعتقده وانا مقتنع تماما بما أقوله » .

الفصـــل الثـالث

التعـاون الاسـتراتيجى

فوجئت اسرائيل فى يوم كيبور ١٩٧٣ بالضربة المشتركـة السوريـة المصرية على مرتفعات الجولان وقنـاة السويس . وكانت أجهزة المخابرات الاسرائيليـة ، تراقب الأنشطة العسكرية المكثفة على الحـدود . فى الأيام السابقة لتلك الحرب . ولكن المحللين السياسيين استنتجوا أن المصريين والسوريين كانـوا يؤدون تدريبـات مشـتركة وكانت احتمالات الحـرب بعيـدة .

كانت اسرائيـل قـد استدعت احتياطيها فى يونيو المـاضى حينمـا رأت مناورات مماثلة تجرى على الحـدود المصرية والاسرائيليـة وكان الأمر مثلما قررت لجنـة اجرانوت فيما بعد ، خطأ فادحا وأدى الهجوم المفـاجىء الى اثارة الفوضى بين العـدد المحدود من القوات بالخطوط الأمامية . ووقعت خسائر فادحة للغاية فى الأيام القليلة الاولى ، الى أن استطاع الجيش الاسرائيلى التجمع والتعبئة التامة ، وكان الموقف يبدو كئيبا . وقتل خلال ثلاثة أسابيـع من القتال أكـثر مـن ٢٥٠٠ جندى اسرائيلى ، كما أصيب عـدة آلاف مـن الجنود ، بعضهم بأصابات بالغـة .

وقد شهدت الايام القليلة الاولى ايضا بعض النكسات الفادحـة لاسرائيل فى الحرب الجوية ، احدى مجالات التفـوق الاسرائيلى المعتـادة ، واسـقط المصريون ما يقرب من ١٠٠ طائرة ، معظمها بواسـطة أنظمـة الصـواريخ أرض ــ جـو السوفيتية الصنع ، والمقامة على طول قناة السـويس وعلى مرتفعات الجـولان . وقتل كثير من الطيارين الاسرائيليين ، كمـا أن بعض الذين استطاعوا القفـز من طائراتهم ، أصيبوا اصابات بالغـة أو وقعـوا فى الاسر .

ومازالت آثار الاضرار على الاقتصاد الاسرائيلى ، خـلال تجربة الاسابيع الثلاثة تلك ، ملموسة فى اسرائيل .

وبعد ما يقـرب من عشر سـنوات ، اصبحت اسرائيل تعـد اقـوى عسكريا ، بعد أن تعلمت الدروس المتعلقة بحماية الطائرات مـن الصواريخ . واتضح ذلك بصـورة سريعة خـلال صيف ١٩٨٢ . حينما استعملت اسرائيل اساليب حديثة متطـورة لتدمير نظام الدفاع الجـوى السورى فى لبنـان . ممـا أدى الى اذلال السـلاح الجوى السورى وعدم الاستعانة بالصواريخ السوفيتية فى مواجهة الطيارين الاسرائيليين ، ولذلك تـم اسقاط ١٠٠ طائرة تقريبـا .

لكن بعد ثلاثة أعوام من تلك الحرب ساد موقف جديد آخر ، اذ تاثرت كل من اسرائيل وسوريابالنكسات التى أصابتهما فى عامى ١٩٧٣ و ١٩٨٢ . وتقتضى الحكمة الصائبة ، الا ترغب اية من الدولتين فى خوض حرب فيما بينهما . فقد عانت اسرائيل من جانبها كثيرا خلال حربها فى لبنان . أما من جانب السوريين ، فكان يعتريهم القلق ازاء استمرار التفوق الجوى الاسرائيلى . بالرغم من أن الاتحاد السوفيتى قام باعادة تسليح القوات السورية أكثر من اللازم بنظم تسليح أكثر تطورا .

ومازال المخططون العسكريون الإسرائيليون متأثرين بمفاجأة عام ١٩٧٣ . وبذلك استمروا فى التخطيط ، على أساس توقع الظروف الاسوأ . اذ كان الراى الارجح قبل حرب ١٩٧٣ ايضا ، يستبعد حرب أخرى واسعة المدى . وأدت هزيمة العرب خلال حرب الايام الستة فى عام ١٩٦٧ الى ازدياد ثقة اسرائيل وافتراضها أنهم لن يشنوا حربا أخرى . وتحولت تلك الثقة الى كارثة فى يوم كيبور ١٩٧٣ .

ويتفق المحللون الامريكيون والاسرائيليون والعرب وكذلك المحايدون بشكل عام ، على أن اسرائيل تستطيع حاليا الانتصار فى اية جولة جديدة من الحرب ضد السوريين . ولكن كما ذكر مسئولو وزارة الدفاع الاسرائيليون ذلك الانتصار لا ترغبه اسرائيل . فأية حرب اسرائيلية سورية واسعة المدى سوف تسفر عن مزيد من الجنود الاسرائيليين القتلى والمصابين ، وخسارة مؤثرة فى المعدات الحربية ، والنفقات المالية الباهظة ، مما يجعل علاج الاقتصاد الاسرائيلى اكثر صعوبة . وبالتأكيد ستكون الاضرار التى تلحق بالجيش السورى أكثر ضراوة ، والاتحاد السوفيتى يعلم ذلك . فقد استثمر الكريملين الكثير فى سوريا ولا يمكنه تحمل رؤية حلفائه ، الذين يستعملون المعدات السوفيتية المخصصة لردع خصومهم المحتملين ، وقد اصابتهم المهانة مرة اخرى . ولذلك لا يمكن تجاهل احتمال انتشار حرب محلية اسرائيلية سورية ، كى تشمل القوى العظمى .

وقد دعمت النكبات السياسية الامريكية والاسرائيلية فى لبنان الرئيس حافظ الاسد . فنفوذه هائل فى تلك الدولة التى مزقتها الحرب . ويؤكد ذلك الغاؤه بالقوة اتفاق الامن الاسرائيلى اللبنانى الموقع فى السابع عشر من شهر مايو ١٩٨٣ . وكان صريحا بصورة غير عادية ، فى الاعلان عن نواياه ، اثناء لقاء مع بيتر جنينجز مراسل شبكة تليفزيون ايه بى سى فى نهاية عام ١٩٨٤ . اذ قال ، أن سوريا يجب أن تتوصل الى توازن استراتيجى مع اسرائيل ، قبل أن تسعى الى أى مفاوضات للسلام ، ثم مضى يقول : « ذلك هو ما نسعى اليه ، فنحن جادون فى

السعى تجاه السلام كما أننا جادون فى جهودنا للتوصل الى التكافؤ العسكرى .

وتعتبر واشنطون أن تحالف الاسد مع الاتحاد السوفيتى وسعيه الى الزعامة العربية ، تهديدا ليس فقط لاسرائيل ولكن ايضا للولايات المتحدة وأصدقائها فى الشرق الاوسط . وتأكد ذلك فى خطاب ألقاه أحد كبار مسئولى البنتاجون يوم ٢٩ ابريل ١٩٨٤ ، أمام جمع من اليهود فى واشنطون . وكان الذى القى الخطاب المصاغ بعناية وسمحت بنشره وزارة الدفاع ، مساعد وزير الدفاع للسياسة والموارد دوف زاخايم .

تحدث زاخايم فى خطابه عن الاخطار الناجمة عن التحالف السوفييتى السورى قائلا : « منذ توقيع معاهدة الصداقة السوفيتية السورية فى عام ١٩٨٠ ، ازداد الوجود السوفيتى فى سوريا من ٢٠٠٠ فرد الى ربما حوالى ٧٠٠٠ ثم الى ٩٠٠٠ فرد حاليا . وتوجد لاول مرة وحدات دفاع جوى نظامية سوفيتية فى سوريا .

« يقوم السوفييت علنا ببناء وجود عسكرى جاد فى سوريا . كما طوروا شبكة متكاملة ومتشعبة للدفاع الجوى يكادون يسيطرون عليها بالكامل » .

وذكر زاخايم ، وهو احد خبراء الدفاع السابقين للجنة الميزانية بمجلس الشيوخ ، أن ذلك هو ما فعله السوفييت تماما فى مصر قبل طردهم منها فى أوائل السبعينيات . وقال (يغطى مدى صواريخ سام ٥ السورية جزءا من المجال الجوى الاسرائيلى ، وذلك جزء فقط من تلك الشبكة التى تضم أيضا بعض أنواع صواريخ سام الاخرى ، وافضل المعدات والتكنولوجيا التى لم يتم اتاحتها لاحد من قبل خارج الكتلة السوفيتية) .

واستمر قائلا ، انه بالاضافة الى معدات الدفاع الجوى المتطورة والالكترونيات ، يقوم الاتحاد السوفييتى بتزويد السوريين بصواريخ أرض — ارض البالغة الدقة وهى بلا شك مفيدة فى اعين السوريين ، لضرب القواعد الجوية ومستودعات الاسلحة الاسرائيلية بشمال اسرائيل ، وكل ذلك يعنى ، كما استنتج مسئول البنتاجون ، أن السوفييت « يعتبرون سوريا مفتاحا لمكانتهم ومصالحهم فى الشرق الاوسط . وينظر السوريون من جانبهم الى لبنان بوصفها اداة لبسط نفوذهم فى ارجاء المنطقة » .

وقال زاخايم « ربما لا يكون الاسد دمية فى أيدى السوفييت ، ولكنه يعلم جيدا ان أهدافه الخاصة تتلاءم مع المصالح السوفيتية الرامية للحط من شأن النظم العربية المعتدلة والنفوذ الامريكى فى المنطقة . ويرى السوفييت

بصورة متزايدة آن تنمية النفوذ السورى بالمنطقة يخدم تلك الاهداف ، ومما لا يثير الدهشة قيام السوفييت بفعل كل ما يستطيعونه لامداد سوريا بمظلة من الحماية · ولذلك فنحن نتشاور أحيانا مع الاسرائيليين بصدد التهـديد السوفييتى السورى » ·

ذلك أيضا سبب سعى أمريكا الجاد فى السـنوات الاخيرة لتوطيد تعاونها الاستراتيجى مع اسرائيل ، وقـد تعلقت الخطوات الأولى باجـراء تدريبات طبية مشتركة فى اسرائيل ، باستعمال التسهيلات الاسرائيلية المتاحة وتشمل مركز هاداسا الطبى بالقدس ، وفيما عدا ذلك تسير المحادثات قدما فى ميادين التخطيط المشترك ، والتدريبات الجوية والبحـرية · ونقاط الاقتراب ، ومتطلبات تشوين المعدات الحربية الامريكية فى اسرائيل · وفى عام ١٩٨٤ زارت الموانىء الاسرائيلية السفينة الحربية الامريكية نيو جيرسى وحاملة طائرات الهليكوبتر البرمائية جولم وسفن أمريكية عديدة أخـرى ، وذلك بالاضافة الى زيارة الجنرال ب · اكس · كيلى قائد القوات البحـرية الامريكية لاسرائيل ــ وكانت أول زيارة يقوم بها قائد للبحرية الامريكية الى اسرائيل طوال تاريخها · كما جاء الى اسرائيل الجنرال دونالد كيث قـائد الاستعداد العسكرى والتطوير بالجيش الامريكى لمناقشة التدريبات العسكرية المشتركة المتبادلة ، كما جاء الجنرال موشى ليفى رئيس الاركان الاسرائيلى الى الولايات المتحدة فى زيارة استغرقت أسبوعين فى سبتمبر ١٩٨٤ ·

وبالطبع يتضح تناقض كل ذلك التعاون العسكرى المتزايد والعلنى ، مع ابتعاد الولايات المتحدة المتعمد عن العسكرية الاسرائيلية قبل عامين ، الذى جسدته واقعة بشعة ، وهى قفز أحد ضباط البحرية الى برج دبابة اسرائيلية لمنعها من دخول أحد المناطق المتنازع عليها خارج بيروت ·

لماذا تهتم اسرائيل باقامة روابط استراتيجية أقوى مع واشنطون ؟ ما يثير قلق المخططين العسكريين الاسرائيليين هو احتمال وجود استراتيجية سوفيتية سورية تحاول استنزاف اسرائيل بشن حرب محدودة ومسـتمرة ضدها ·

ويدرك المسئولون الاسرائيليون انهم لا يستطيعون الحفاظ على كيـان الدولة لمدة طويلة فى مواجهة تلك الاستراتيجية ، وسـوف يكـون الثمن باهظا ·

ومما يشـغل بال المسئولين الاسرائيليين أيضا ، الكميات الهائلة من المعدات الحربية التى تواجه اسرائيل على جبتها الشرقية · وتزيد الآن أعداد الدبابات المتاحة لسوريا والاردن والعراق على عدد الدبابات فى القيـادة المركزية لحلف شمال الاطلنطى فى أوروبا الغربية · ويوجد احتمال واضح

بشن هجوم عربى عظيم حينما يأتى الوقت الذى تبدو فيه اسرائيل منهكة بما فيه الكفاية ٠

ويستطيع العرب ، حتى بدون القوات المصرية ، تعبئة قوات أكثر مما تستطيعه اسرائيل ، وذلك وفقا لتقديرات رسمية أجريت ٠ وفى قدرة اسرائيل تعبئة ٥٠٠ر٠٠٠ مقاتل ، فى حين يبلغ عدد أفراد الجيش السورى النظامى فى الوقت الحالى ٤٢٥ر٠٠٠ ووفقا لما قاله وزير الدفاع السورى مصطفى طلاس تستطيع سوريا حشد ٧٥٠ر٠٠٠ فى حالة التعبئة الكاملة وللعراق حاليا مليون رجل مسلح ٠

وقد شهد توم داين المدير التنفيذي للجنة الامريكية الاسرائيلية للشئون العامة امام لجنة المخصصات بمجلس الشيوخ فى الحادى والعشرين من شهر مارس ١٩٨٤ ، مؤيدا لزيادة المساعدات العسكرية الامريكية لاسرائيل وقال « تتيح موارد دول المواجهة العربية لها الحصول على ميزانية عسكرية مشتركة أكثر من ضعف حجم الانتاج الوطنى الاجمالى لاسرائيل مما يتيح لدول المواجهة العربية انفاق ما يزيد على ١٠ر٠٠٠ دولار لكل مواطن اسرائيلى فى حالة الاستعداد للحرب بينما تنفق اسرائيل أقل من ١٤٠ دولارا مقابل كل مواطن فى الدول الغربية المعادية ٠

واوضح داين أن مجموعة كبيرة من الدول العربية تؤكد علنا ، انها سوف ترسل الطائرات والقوات ، مثلما حدث فى الماضى ، للانضمام الى المعركة فى حالة نشوب حرب فى المستقبل ضد اسرائيل ٠ وكثير من تلك الدول ، مثل ليبيا تتسلح بأكثر مما تتطلبه دواعى الدفاع ٠ وبعضها مثل السعودية تضاعف مشكلة اسرائيل باضافة أحدث الاسلحة الاوروبية والامريكية الى ساحة المعركة ٠ وذلك بمعنى أن اسرائيل لن يتحتم عليها مواجهة أفضل ما تتيحه العلوم والصناعات السوفيتية فقط ، ولكن أيضا منازلة أحدث التكنولوجيات لدول أوروبا الغربية ٠

وأنهى داين حديثه قائلا : « بالرغم من أن اسرائيل دولة صغيرة تعدادها أربعة ملايين نسمة ، ٠ ٠ ٠ الا أنه يجب أن تكون لديها القدرة القتالية على هزيمة جيوش مشتركة تقارن فى مجموعها بكل ما لدى حلف شمال الاطلنطى على الجبهة الرئيسية » ٠

والزعماء الاسرائيليون قلقون ايضا ازاء عنصر اضافى آخر . فقد قتل من العرب بأيدى رفاقهم العرب ، أكثر مما قتل الاسرائيليون ، وفى حرب لبنان قتل عشرات الآلاف من العرب فى السنوات الاخيرة ٠ كما ذبح الجيش السورى ما بين ١٠ر٠٠٠ الى ٢٠ر٠٠٠ من المواطنين السوريين فى حماه فى فبراير ١٩٨٢ ، أثر بعض المظاهرات والاعمال الفدائية ضد نظام الاسد وما يثير القلق بصفة خاصة داخل اسرائيل حاليا وجود أدلة على استعمال

العراقيين الغازات السامة ضد التجمعات المدنية الايرانية . ولذلك فان الاسرائيليين قلقون بصدد ما سوف يفعله العرب ضد اسرائيل ، اذا أتيحت لهم الفرصة ، وتساعد تلك المخاوف على تفسير دوافع مسئولى الدفاع باسرائيل حاليا ، وكما قال لى موشى آرنيز وزير الدفاع السابق « توجد اسرائيل فى الشرق الاوسط ، وليس فى الغرب الاوسط : فى الولايات المتحدة » وكان المقصود ، انه ليس ضروريا ادارة الحروب فى الشرق الاوسط ، طبقا لقواعد مؤتمر جنيف فى الشرق الاوسط .

وأكثر من أى وقت مضى ، أدرك الامريكيون أخيرا السمة الشخصية للمنطقة .وكانت تجربة أمريكا فى لبنان مريرة ورهيبة . ومنذ ذلك الحين حملت متاعها ورحلت عن لبنان . ولكن كان يجب على اسرائيل ، بالرغم من انسحابها من لبنان ، التواجد بشكل ما فى تلك البقعة الشائكة من العالم .

ولا يستطيع قارئو الصحف الامريكية والاسرائيلية ، ومشاهدو التليفزيون الامريكى والاسرائيلى تجاهل الاختلاف الحقيقى الحاد ،فى كيفية عرض وسائل الاعلام فى كلا البلدين ، لحجم الخسائر المتزايدة فى لبنان فى عام ١٩٨٣ . ففى ذلك الوقت كان قد بلغ عدد القتلى ٥٥٠ جنديا اسرائيليا منذ كارثة الغزو فى ٦ يونيو ١٩٨٢ . ومات ما يزيد على ٢٥٠ جنديابحريا أمريكيا .وامتلات الصفحات الاولى لجريدتى يديعوت أحرونوت ومعاريف على سبيل المثال ، بالصور المحاطة بالسواد والسير الذاتية الموجزة لجميع قتلىالقوات الاسرائيلية . وفى البرنامج الاخبارى المسائى بالتليفزيون الاسرائيلى كان يتم عرض جنازات الجنود القتلى ولقطات تصور أسرهم وأصدقائهم المنتحبين .

والولايات المتحدة بالطبع دولة أكبر كثيرا . ولذلك لم يكن لعدد العسكريين الامريكيين القتلى فى لبنان الآثار النفسية على ٢٢٠ مليونا من الامريكيين ، مثلما فعل مقتل ٦٥٠ جنديا اسرائيليا على أربعة ملايين من الاسرائيليين . ونشرت جريدتا التايمز والواشنطون بوست قوائم بأسماء جنود البحرية القتلى فى لبنان ، وكذلك فعلت معظم الصحف الامريكية الاخرى ولكن تلك القوائم كانت بحروف صغيرة للغاية ، ومستترة بالصفحات الاخيرة .

وقد ساد الغضب الجامح والحزن — بالطبع — كلفة أنحاء الولايات المتحدة على هؤلاء القتلى . خاصة اذا ركزت احدى الصحف أو الشبكات التليفزيونية ، على حالة فردية بعينها ، لكن الصدمة الكلية والقوميه فى اسرائيل ، والاثر الفعال على معنويات تلك الدولة ، وهو ما يتفق

بصدده معظم الناس ، كانا اكثر جـدية ، وذلك بالاضافة الى انها دون شك كانت عاملا كبيرا ادى الى الاعتزال المبكر لمناحيم بيجين .

وحينما كان بيجين رئيسا للوزراء اجتمع عـدة مرات بآباء الجنـود القتلى . فقد كانت المصيبة فادحة ، وهو يعـلم جيدا أن قراراته هى التى ادت الى بدء الزحف على لبنان ، وبالتالى الى الخسائر الناجمة عن ذلك ، واخبر بيجين بعض اقرب معاونيه ، كما فعل رونالد ريجـان فى الاسـابيع التالية ، ان تلك المواجهات مع الآباء المهتاجين ، تعـد من أصعب تجـارب حياته . وكان الالم يبدو واضحا جليا على وجه بيجين .

وثمة عوامل الم اخـرى كانت أمام بيجـين . لانه طوال المدة التى انقضت منذ انتهـاء الحرب العالمية الثانية ، كان عدد كبـير من القتـلى الاسرائيليين فى لبنان ينحدرون من الآباء الناجين من الابادة (الهولوكوست) — الذين استطاعـوا النجـاة مـن اوشفيتز ومعسـكرات الموت الاخـرى ، كى يستوطنوا اسرائيل ، وبنوا حياة جديدة لأنفسـهم ، فربوا اولادهم على نظم الحيـاة فى المستوطنات الزراعية (الكيبوتزات) والمستوطنات الحضرية (الموشـافيم) وكذلك فى المدن والقـرى فى سائر انحاء البلاد . ومن الصعب تخيـل الاحزان الذاتية التى كان هؤلاء الآباء يعانونها حين يأتيهم نبـا موت أولادهم ، الذين بلغ معظمهم العشرينيات والثلاثينيات من العمر ، على أرض لبنان . وكان ذلك يعنى لهم أن الهولوكوست اندلعت مرة اخـرى . فقد كان معظمهم قد فقدوا آباءهم بالفعل فى احدى الحروب ، والآن يفقـدون أبنـاءهم الذين أطلقوا على العدد الكبير منهم أسماء الاجـداد ، المقتولين ايضا من قبل . وكان بيجين منتميا لهؤلاء النـاس ، اذ مر بفترة عصيبة من الحيـاة فى اوروبا قبل الحـرب العالمية الثانية . وكان قد نزح من بولندا مثل معظمهم . وكان له ايضا ابن نشـأ فى اسرائيل بعد الحـرب ولا يمكن انكار أن لقـاءات بيجين الخاصـة مع هؤلاء الآباء فى عامى ١٩٨٢ و ١٩٨٣ كانت ضمن العوامل التى ادت الى تدهور حالته الصحية والنفسية . وفى النهـاية أصبح هو أيضـا من خسائر الحرب .

وقد عمل الاسرائيليون وأنصـارهم السياسيون النشطون فى واشنطون ، طوال سنوات جاهدين لاقتنـاع الادارات الامريكية المتعاقبة ، بأن اسرائيـل هي افضـل حلفاء امريكا الاستراتيجيين بالشرق الاوسط ولذلك يجب تدعيم التعـاون العسكرى الوثيق بين البلدين . وكان الكثير من الامريكيين يخـافون من تدهور أوضاعهم فى العـالم العربى ، حيث أن للولايات المتحـدة مصالح اقتصـادية وعسكرية وسياسية حيـوية ستتأثر اذا تم مثل ذلك التعـاون الوثيق علنـا . وكانت تلك العلانية يرغبها الاسرائيلون الذن يحصلون على كميات هائلة من المعونات الاقتصادية والعسكرية من الولايات المتحدة كل عام . ومع ذلك يسعون جاهدين ، كى يبدوا كانهم لا يدينون لها الا بالقليل .

في السنوات الاخيرة سمعت زمرة متزايدة من الامريكيين والاسرائيليين الى تأييد مفهوم التعاون الاستراتيجى الوثيق بين الولايات المتحدة واسرائيل ، وبدت آراؤهم وكأنها تتحقق مع نهاية عام ١٩٨٣ حينما أعلن الرئيس ريجان ورئيس الوزراء شامير قيام الروابط الاستراتيجية الامريكية الاسرائيلية في عدد من المجالات الحيوية لكل من البلدين .

وتكونت مجموعة سياسية عسكرية مشتركة لتنسيق الانشطة الاستراتيجية في لبنان واماكن اخرى بالمنطقة . وتقرر أن تجتمع المجموعة مرتين سنويا او عند طلب أى من الطرفين . وكان بيجين أثناء لقاء لى معه واثقا تمام الوثوق من أن الجلسات الاستراتيجية ، سوف تؤدى الى تدريبات عسكرية أمريكية اسرائيلية مشتركة ، والى تشوين المعدات الطبية والعسكرية الامريكية في اسرائيل والى التخطيط المشترك في مجالات مختلفة .

وقد أصدر والتر مونديل نائب الرئيس السابق تصريحا ، في نفس الوقت تقريبا ، أيد فيه بشدة قيام تعاون استراتيجى اكبر بين واشنطن والقدس قال فيه : « سعيا لتحقيق السلام ومن اجل منع السوفيت من التغلغل ، فان اسرائيل تعد حليفا هاما . ولا يستطيع احد من الاستراتيجيين السوفيت تخطيط عمل هجومى في شرق البحر المتوسط دون أن يضع في الحسبان قوة قوات الدفاع الاسرائيلية . ولا يستطيع زعيم سوفيتى القيام بالعدوان دون المخاطرة برد ساحق » ، « كما أيد قيام روابط استراتيجية اقوى المرشحين الآخرين للرئاسة » .

لكن ذلك التقدير الثنائى ، للفائدة المحتملة بغية تقوية اسرائيل عسكريا ، لم يكن واضحا دائما . وفي الحقيقة كان تطورا حديثا نسبيا في تدرج العلاقات الامريكية الاسرائيلية .

لذلك ، لم يكن الامر بتلك الجدية منذ فترة طويلة ، حينما كان معظم الامريكيين يميلون الى ذكر الاسباب الاخلاقية والعاطفية البدائية ، التى دفعتهم الى مؤازرة اسرائيل . كان يوجد الواقع المأساوى لمولد اسرائيل من بين رماد المحرقة (الهولوكوست) . وكانت التقاليد والقيم الديمقراطية المشتركة . واخيرا كان ثمة اعتبار سياسى محلى أمريكى — الا وهو وجود طائفة شديدة ، جيدة التنظيم ونشيطة سياسيا ، موالية لاسرائيل داخل الولايات المتحدة . وكان رأس حربتها اليهود ، مع أنها تضم فئة كبيرة من غير اليهود . ونادرا ما تذكر الاسس الاستراتيجية للتحالف الامريكى الاسرائيلى .

لكن قضية التركيز على الجانب الاستراتيجى في القصة ، ازدادت حدة في السنوات الحالية . وقد شجع المسئولون الاسرائيليون انفسهم ذلك الاتجاه ، خوفا من توقف الشعب الامريكى والكونجرس عن الموافقة على

المساعدات الاقتصادية والعسكرية الامريكية السنوية المقررة لاسرائيل ، الا اذا تم تبريرها بطريقة مهينة. واذا اتضح ان اسرائيل تتيح خدمات عسكرية واستراتيجية مفيدة للولايات المتحدة ، على الجانب الآخر ، فان المعونات تصبح ولها ما يبررها ، على اساس المنفعة الشخصية وكذلك القيم الوطنية .

كان معظم رواد اثارة المناقشات الاستراتيجية ، من الاخصائيين العسكريين الشبان ، الذين كانت لهم معرفة كثيفة بفكر وزارة الدفاع الامريكية (البنتاجون) . وقد عاصروا جيلا كاملا من خبراء الدفاع الامريكيين الذين تجاهلوا تماما العامل الاسرائيلى فى تخطيطهم للاستراتيجية الامريكية فى أرجاء العالم وذلك بالرغم من تدعيم الولايات المتحدة واسرائيل علاقاتهما الشاملة ، وتتضمن زيادة مطردة فى مبيعات المعدات العسكرية الامريكية لاسرائيل ، بصورة سريعة مثيرة ، الا أن البنتاجون لم يكن يضع فى حسبانه ،الا قليلا ، كيفية انتفاع الولايات المتحدة بقدرات اسرائيل الملحوظة . وكان الخوف مرة أخرى يبرره ، ان مثل ذلك التعاون العلنى فى المجال العسكرى يمكن أن يثير العالم العربى .

كان الدكتور ستيفن ج روزين واحدا من انشط دعاة المسألة الاستراتيجية منذ حرب يوم كيبور عام ١٩٧٣ . وكان خبيرا سابقا فى شئون الدفاع بمؤسسة راند بكاليفورنيا ثم اصبح مديرا للبحوث باللجنة الامريكية الاسرائيلية للشئون العامة *AIPAC* وكذلك الدكتور ستيفن ل . شبيجل استاذ العلوم السياسية بجامعة كاليفورنيا فى لوس انجلوس والدكتور جوزيف شوريا خبير المخابرات السابق لشئون الشرق الاوسط بالقوات الجوية الامريكية . ويرأس حاليا معهدا خاصا للبحوث والاستشارة فى واشنطون .

وفى الوقت الحالى انضم اليهم عدد كبير من الاخصائيين الاكاديميين الآخرين ، الذين اصبحوا يدركون الفوائد المتاحة للعسكرية الامريكية ذاتها من جراء التعاون الوثيق مع اسرائيل ، وبالطبع أذاعت المنظمات اليهودية الامريكية الكبرى تلك الفوائد . وكان المعهد اليهودى لشئون الامن الوطنى (جينزا *JINSA*) بواشنطون قد أقيم اساسا لتدعيم ذلك المفهوم . (ومهمته الاخرى كانت تشجع اليهود الامريكيين الليبراليين على تأييد سياسة دفاعية امريكية اقوى ، وتشمل تمويلات اضافية للبنتاجون) .

وعلى كابيتول هيل ، كانت تلك الجهود يساندها السيناتور الديمقراطى الراحل هنرى جاكسون ، نائب ولاية واشنطون والذى كان يتناول المسائل الدفاعية كثيرا . وكان كثير من الوثيق علنا . وكانت تلك العلانية يرغبها الاسرائيليون الذين يحصلون على السياسية . ولكن جاكسون ، الذى لم يكن يعتمد كثيرا على الاصوات اليهودية، كان أحد الذين اعتقدوا صادقين أن من الامور الحيوية لامريكا اقامة تحالف

راسخ مع اسرائيل القوية الديمقراطية والتى خبرت الحرب ويمكن الاعتماد عليها تماما . وكان الراحل هيوبرت هـ . همفرى نائب مينيوتا صديقا مرموقا آخر ، كما كان أكثر تعاطفا فى اخلاصه لاسرائيل . بالرغم من انه كان يبخس كثيرا من المزايا العسكرية التى تعود على الولايات المتحدة من جراء تلك العلاقة الخاصة .

وفى الآونة الاخيرة تولى قيادة الدعوة لازدياد الاهمية الاستراتيجية لاسرائيل فى خدمة المصالح الأمنية الامريكية السيناتور الجمهورى رودى بوشفيتز نائب مينيوتا ورئيس اللجنة الفرعية للشئون الخارجية ، اذ أبدى أن اسرائيل تستطيع حشد ٤٠٠٫٠٠٠ جندى فى خلال اثنتين وسبعين ساعة ، وذلك يفسر جزئيا سبب عدم اضطرار الولايات المتحدة الى حشد حشود برية ضخمة فى الشرق الأوسط ، مثلما كانت تفعل فى أوروبا الغربية (٣٠٠٫٠٠٠ جندى والشرق الاقصى (١٥٠٫٠٠٠ جندى) .

وفى الواقع كان بوشفيتز ، ومعه رجل الكونجرس الجمهورى جاك كيمب نائب نيويورك ، يقول أحيانا ، انه يود أن يبعد المعونات الخارجية لكافة ارجاء العالم ، ويضعها فى ميزانية وزارة الدفاع ، حيث ان جميع المعونات غير المباشرة لاوروبا الغربية والشرق الاقصى ، يحوطها الكتمان ، ولكن هؤلاء المشرعين يؤكدون أن مثل هذا التغيير جد بعيد الاحتمال . فوزارة الخارجية تعلم احد الامور ، وهو أن رفع اسرائيل من قائمة المعونات الخارجية سوف يؤكد عمليا انتهاكا للتشريعات . فقد ظلت اسرائيل ، اكبر متلق للمعونات الامريكية وتدخل ضمن قائمة المعونات الخارجية الاجمالية ، طوال اجراءات المخصصات فى كل من المجلسين سنويا .

واليوم ، نضجت العلاقة الامريكية الاسرائيلية بحيث أصبح التعاون الوثيق بين البلدين أمرا مسلما به وقد تأكد ذلك فى خطاب هام ألقاه نائب وزير الخارجية للشئون السياسية ، لورانس ايجلبرجر فى الثانى عشر من شهر يونيو ١٩٨٣ . وبعد أن أشار الى المغزى الاخلاقى التقليدى للتأييد الامريكى القوى لاسرائيل قال « هى تقوم أيضا على أسس كبيرة من المصالح المشتركة باعتبارها تقف فى سبيل الاطماع التوسعية فى الشرق الاوسط . ويعد أمن اسرائيل أمرا حيويا للمصالح الامريكية . ونحن الامريكيون لن نقف بلا حراك فى مواجهة التهديدات السوفيتية لهذا الامن » .

وفى شهر مارس من عام ١٩٨٥ قام كاسبر واينبرجر وزير الدفاع بدعوة اسرائيل والحلفاء حلف شمال الاطلنطى واليابان واستراليا ، للمشاركة فى المبادرة الاستراتيجية الدفاعية *SDI* ، وفيما يسمى برنامج بحوث حرب النجوم ، لم يكن سهلا على اسرائيل القيام بدور استراتيجى هام فى الشرق الأوسط وشرق البحر المتوسط ، ومن خلال كم هائل من العمل الشاق ، والتضحيات المالية ، والفكر

الخلاق ، وكذلك ولسوء الحظ ، بعد خسائر فادحة فى الارواح والاطـراف ، اصبحت الآلة الحربية الاسرائيلية هى الاقوى فى هذه البقعة من العالم . وكان الاسرائيليون يفضلون ان تسير الامور بصورة مختلفة . ولم يكونوا يرغبون فى رؤية أبنائهم وبناتهم ، يخدمون فى الجيش لمدة ثلاث أو اربع سنوات ، عندما يبلغون من العمر ثمانيةعشرعاما . ثم يخدمون فى الاحتياط ثلاثين يوما كـل عام — اصبحت — بعد — ستين يوما — الى ان يبلغوا الخامسة والخمسين من العمر . وكانوا يفضلون ان يعملوا شيئا اكثر انتاجا وأقل خطرا على ارواحهم . ولكن القاعدة السكانية الضئيلة والصراع من اجل البقاء ، كانا يحتمان عـدم اتاحة بديل آخر فان لم يكن يوجد جيش قوى لم تكن اسرائيل توجد اليوم .

خلال ذلك ايضا ، كان على اسرائيل تخصيص اكـثر من خمسة وعشرين بالمائة من الناتج القومى الاجمالى للنفقات العسكرية بالمقارنة بسبعة فى المائة فى الولايات المتحدة وخمسة فى المائة فى بريطانيا وثلاثة فى المائة بالمانيا الغربيـة ، وواحد فى المائة باليابان . وينفق الاتحاد السوفيتى ثلاثة عشر فى المائة من الناتج القومى الاجمالى به على الدفاع .

فاذا استطاعت اسرائيل أن تنفق خمسة بالمائة أو حتى عشرة بالمائة من الناتج القومى الاجمالى *GNP* . حينئذ لم تكن ستعانى من التضخم المتشعب ، والعجز فى ميزان المدفوعات . ولم يكن شعبها ليخضع لاعلى نسبة ضريبة على الدخل فى العالم ، ولم تكن ديونها الخارجية لتصبح بتلك الضخامة . وكان يمكنها اتاحة المزيد من مصادرها المحدودة لتدعيـم بنيتها الاساسـية الداخلية غـير العسكرية ، وتحسين الاحوال المعيشية اليومية لشعبها فى مجالات التعليموالصحة وللصالح العام . ولم تكن لتلجأ الى حكومة الولايات المتحدة والمواطنين الامريكيين البارزين من أجل المساعدات الاضافية . لكن ذلك ليس ممكنا بالمـرة ، نظـرا للمشاكل الامنية الهائلة التى تواجه زعماء اسرائيل .

وبالاضافة الى ميزانية دفاع اسرائيل الباهظة انتكست ايضا بشدة منجراء التكاليف المرهقة للواردات البترولية — حوالى ٢ بليون سنويا . ولم تكن الحالة لتصبح هكذا ، اذا كانت اسرائيل قد احتفظت بسيناء .

وبينما يشاهد الاسرائيليون علاقاتهم مع مصر تزداد سوءا — وصـور ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية المقاتل وهويتلقى ترحيبا حارا من الرئيس المصرى حسنى مبارك بالقاهرة — بدأوا يتساءلون عما اذا كانتتضحيتهم باعادة سيناء (وحقول زيتها الثمينة) كانت تستحق ذلك ، واذا كانت اسرائيـل قد احتفظت بحقول سيناء تلك ، فان البلاد كان سيصبح لديها الاكتفاء الـذاتى من الزيت مائة فى المائة . وكان زيت سيناء سيلبى جميع الاحتياجات اليومية ، ولكن بدلا من ذلك ، اصبحت البلاد فى حاجة الى الزيت ١٠٠٪ ، اذ أن لديها

مستودعين صغيرين لاغير ، أحدهما فى أشدود على شاطىء البحر المتوسط والاخر بالقرب من البحر الميت . وهما يوفران لاسرائيل ٢٪ من احتياجاتها فقط .

كان ذلك تنازلا اسرائيليا اليما ، ولكن اسرائيل حصلت مقابله على القليل من العرفان فى انحاء العالم . وحينما قامت اسرائيل بتلك التضحية فى عام ١٩٧٨ — ٧٩ ، لم يكن لديها وفرة فى الزيت ، بل ازمة ساحقة . حتى ان دولا كبرى مثل فرنسا وايطاليا كانتا على استعداد لاتاحة التكنولوجيا النووية للعراق مقابل عقد اتفاقيات بترولية طويلة الاجل .

ومع ذلك ، وبالرغم من أعباء اسرائيل الاقتصادية والعسكرية والثقافية والسياسية ، فقد بدأ الامريكيون بأعداد كبيرة ، فى ادراك أن اسرائيل مازالت تستطيع أن تعمل كحليف مفيد للولايات المتحدة وكان التأثير المتاح فى كثير من التقارير الاخبارية الاعلامية انه فى اجتماع القمة بين ريجان وشامير فى نوفمبر ١٩٨٣ اعطت الولايات المتحدة كل شىء فى حين اخذت اسرائيل كل شىء . ولكن تقوية اسرائيل ، وكما كتب البروفيسور شبيجل فى مجلة كومنترى فى يونيو ١٩٨٣ :

تتحدث الحقائق عن نفسها . فاسرائيل حليفة فريدة ومؤثرة . وهى تؤثر على التطورات السياسية فى منطقتها ، وتسبب الحرج والصعاب العسكرية للسوفييت . وتسهل عملية تقييم الاسلحة الامريكية ، وتتيح الدروس المستفادة من تجارب الحرب ، وكذلك المعلومات المتعلقة بالمنطقة ، وتوفر نفقات الدفاع الامريكية من خلال الابتكارات والتعديلات التى اضافتها الى الاسلحة الامريكية .

وبالرغم من الزعم بأن اسرائيل تعد عبئا على الخزانة الامريكية ، الا أن اشكال المساعدة التى تتيحها ، تزيد على تعويضات المعونة الامريكية .

وحتى وقت قريب ، كان المسئولون فى البنتاجون يعتمدون على اسرائيل . فقد كانوا يفترضون أنه فى أثناء احدى المواجهات التقليدية ضد اى خصم معاد فى تلك البقعة من العالم ، تستطيع الولايات المتحدة الاعتماد على مؤازرة اسرائيل . وعلى سبيل المثال ، كتب تيد كوبيل مراسل شبكة اى بى سى *APC* فى مارس ١٩٨٩ تقريرا يقول فيه ، ان احدى دراسات البحرية الامريكية استنتجت ان السلاح الجوى الاسرائيلى بمفرده ، يستطيع تدمير الاسطول السوفييتى باكمله ، شرق البحر المتوسط .

ويرجع الفضل فى ازدياد الرغبة للعمل المشترك الوثيق والعلنى مع اسرائيل الى خبراء الدفاع الذين يدرسون بدقة مدى ماتستطيع اسرائيل عمله من أجل الولايات المتحدة ، مع أن ذلك لن يلقى ترحيبا فى العالم العربى . وأجرى البنتاجون جميع الدراسات المتعلقة بتدعيم الروابط الاستراتيجية مع اسرائيل . وكانت النتائج مؤكدة .

كما أشار ستفين روزين عضو اللجنة الامريكية الاسرائيلية للشئون العامة *AIPAC* بأن العرب لم يكونوا سعداء ازاء شواهد الروابط الامريكية الوثيقة مع

اسرائيل فى الماضى . كما حدث فى عـــام ١٩٤٨ حينما اعترف الرئيس ترومان باستقلال اسرائيل بالرغم من توصيات وزارة الخارجية المعارضة . ولكن أثر استقرار العلاقـــات الامريكية الاسرائيليـــة ، اضطـــر العـــرب الى قبـــول هذا التطور بوصفه من حقائق الحياة .

وحذر معارضو العلاقات الوثيقة الرئيس جونسون ، بأن بيع الدبابات لاسرائيل سوف يسمم علاقات أمريكا بالعرب . كما حذروا الرئيس نيكسون ، بأن بيع المقاتلات النفاثة فانتوم ف ـــ ٤ الى اسرائيل يمكن ان يضر أمريكا فى العالم العربى . وفيما بعد رددوا نفس الحجة ضد اقامة الروابط الاستراتيجية بين واشنطون والقدس ، ولكن كل تلك المخاوف السابقة لم تكن قائمة تماما . فالعرب المعتدلون سوف يبقون مع الولايات المتحدة ـــ بغض النظر عن العلاقة الامريكية الاسرائيلية ، حيث لايوجد مكان آخر يذهبون اليه . وتكمن المشكلة بالطبع ، فى ان كثيرا من المسئولين فى واشنطون ، مازالوا يأخذون كلام العرب مأخذ الجد .

المثير للسخرية ، انه بالرغم من أن الدولتين أقامتا بالفعل تعاونا استراتيجيا صريحا ، الا أن بعض الاسئلة الجادة تطرح نفسها فى القدس بصدد الحكمة الفعلية ، من وجهة النظر الاسرائيلية ، الناتجة عن تلك العملية برمتها .

ووجد شامير نفسه ، حينما كان رئيسا للوزراء فى عامى ١٩٨٣ ، ١٩٨٤ ، فى موقف الدفاع أثناء تفسيره لما يعنيه التعاون الاستراتيجى بالفعل . لم ينبع النقد من « تحالف العمل » المعارض فقط ، ولكن أيضا من بين صفوف حكومته الائتلاف . واضطر للوقوف أمام الكنيست ، لانكار وجود أية اتفاقيات سرية مع الولايات المتحدة ، يمكن ان تؤدى الى جر اسرائيل لمواجهة أخرى ضد السوريين ، وقال « ان الاتهامات والمزاعم ضدنا ، للايحاء بأننا تنازلنا عن استقلالنا الوطنى واصبحنا تابعين ، لهو أمر مثير للسخرية . لقد توصلت الولايات المتحدة واسرائيل الى نتيجة مفادها أنهما لديهما مصلحة مشتركة فى لبنان ، والتصدى لسوريا المعتدية . ولذلك يجب عليهما العمل سويا والتشاور معا والسعى للتوصل الى اتفاقية متكافئة » .

كان الاسرائيليون قلقين اكثر ، ازاء احتمال تورط اسرائيل فى صـــدامات عسكرية مباشرة لخدمة الدواعى الأمنية الامريكية ، وليست الاسرائيلية المحضة . ولذلك كانوا يتساءلون عما اذا كان يجب أن يقتل الجنود الاسرائيليون ، للحفاظ على فتح مضايق هرمز لمرور السفن ، أو مساندة مصداقية الولايات المتحـــدة فى المنطقة . وكانت توجد فى اسرائيل صيحات تحذر من ان تصبح « كوبا أمريكا » فى الشرق الأوســـط .

وفى الأعوام الماضية ، خدمت اسرائيل المصالح الامريكية الاوســـع مدى بالمنطقة . ولكن تلك الحالات لم تسبب نقاشا كثيرا ولم تحظ بالعلنية . وأحد الأمثلة فى ذلك كان قرار اسرائيل بالمساعدة على انقاذ نظم الملك حسين فى عام

١٩٧٠ ، بناء على الحاح من الرئيس نيكسون ومستشـــار الامن القومي هنرى كيسنجر . وذكر كيسنجر فى الجـــزء الاول من مذكراته ، وكذلك اسحق رابين فى سيرته الذاتية التى نشرت عام ١٩٧٩ ، فى عدة فصول تفاصيل ماحدث خلال تلك الفترة المبكرة من التعاون الاستراتيجى الامريكى الاسرائيلى . وتلقى تلك الاسرار الضـــوء على المكاسب المحتملة فى المستقبل نتيجة التعـــاون الوثيق ــ وكذلك الاخطار .

كان حسين ، حليف واشنطون لســـنوات طويلة ، على وشك الضـــياع فى ذلك الوقت ، اذ اعلنت منظمة التحرير الفلسطينية تحديها القاتل لنظامه . ووصلت الى واشنطون تقارير من المخابرات تؤكد أن الأمور تسير فى غير صالح الملك ، فقد بدأ السوريون فى تحريك قواتهم ودباباتهم عبر حدودهم الى الأردن ، لمساعدة منظمة التحـــرير الفلسطينيـــة . حينئذ ساد الصمت حلفاء حسين من المعتدلين العرب ، وكذلك شعوب أوربا الغربية . وكانت الحكومة الامريكية تعانى من النقد العنيف من جراء دورها فى فيتنام . ولذلك لم تستطع ارســـال رجال البحرية ، مثلما فعلت فى لبنان عام ١٩٥٨ . عندئذ لجأ نيكسون وكيسنجر الى اسرائيل .

وتم استدعاء رابين السفير فى واشنطون الى البيت الأبيض وطلبوا منه المساعدة ، فتم اجتماع للحكومة الاسرائيلية بالقدس ، حيث اتخذت الحـــكومة قرارا بتعبئة الجيش وحشد القوات على الحدود مع سوريا والأردن . وأرسلت رسالة دبلوماسية الى دمشق من خلال طرف ثالث ، تحذر من أن استمرار تدخل سوريا فى الأردن سوف يؤدى الى حرب ، ليس فقط ضد الفيلق الأردنى ، ولكن أيضا ضد قوات الدفاع الاسرائيلية . فما زالت ذكريات نصر اسرائيل السريع فى حرب الأيام الســـتة عام ١٩٦٧ ، سارية فى افكار الضباط بدمشـــق . وكان رئيس أركان السلاح الجوى السورى فى ذلك الحين الشاب حافظ الأسد الذى نظم انقلابا فيما بعد استولى به على السلطة . ويبدو أن الأسد لم يرغب حينئذ فى الاحتكاك باسرائيل وذلك لأن التدخل السورى فى الأردن توقف . ونتيجة لذلك استطاع حسين القضاء على تحدى منظمة التحرير الفلسطينية الذى انتكس بسبب تغير الموقف السورى . وتم ذبح المئات بل الآلاف من الفلسطينيين بواسطة قوات البدو الشرسة الموالية لحسين . وتم طرد الباقين من البلاد ، حيث انتقل معظمهم الى لبنان المنهكة ونجحوا فى اقامة دويلة صغيرة خاصة بهم داخل الدولة ، حتى بداية الغـــزو الاسرائيلى فى عام ١٩٨٢ . وظل حسين فى السلطة ، لان اسرائيل كانت مستعدة للمخاطرة بأرواح جنودها اثناء ما أسمته منظمة التحرير الفلسطينية فيما بعد « ايلول الأسود » ، اشارة الى العدد الهائل من المقاتلين الفلسطينيين الذين ماتوا .

وبالطبع كان لزاما أن يضع الاتحاد السوفيتى فى الاعتبار القدرة القتالية الاسرائيلية . وأدى ذلك الى ازدياد التعاون الاستراتيجى بين الولايات المتحدة واسرائيل ، بالرغم من عدم الافصاح عن ذلك .

لكن الآن يوجد احتمال جديد ازاء تغير العلاقة ، بحيث تصبح علنيــة ، اذ قال الرئيس ريجان يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٨٣ بالبيت الابيض حيث كان شامير يقف بجانبه « يسعدنى أن أعلن اننا اتفقنا على تشكيل مجموعــة سياســية عسكرية مشتركة لدراسة السبل التى تتيح تدعيم التعاون الامريكى الاسرائيلى ، وسوف تعطى تلك المجموعة الأولوية للنظــر فى الاخطار التى تتهــدد مصلحتنا المشتركة ، من جــراء ازدياد التورط الســوفيتى فى الشرق الأوسط . وضمن المجالات المحددة التى يتم بحثها التخطيط المشترك والتدريبات الثنائية ، ومتطلبات تشوين المعدات الأمريكية فى اسرائيل» وبادر شامير الذى كان يدرك بالفعل أصوات التحذير السائدة فى اسرائيل قائلا بصدد هذا التعاون الاستراتيجى : « الغرض من هذا التعاون هو دعم اسرائيل لمنع التهديدات عن المنطقة » .

وحينما احتج المعلق الاخبــارى فى شبكة ان بى سى $N\ B\ C$ التليفزيونية جــون لشانسلر وبعض النقــاد الآخــرين ، بأن الولايات المتحــدة اعطــت اسرائيل كل شىء خــلال قمــة ريجــان وشــامير ولم تحصــل على شىء فى المقابل . كانوا يتجاهلون الواقــع أن الولايــات المتحــدة حصلت على شىء ملموس للغاية من الاسرائيليين : اسرائيل الاقــوى والمتطورة ، التى تستطيع خــلال الازمات أن تؤدى مساعدات حيوية للدفاع عن مصــلح الولايات المتحدة .

ومن المحزن ، استمرار الولايات المتحدة فى عــدم الافادة من تلك الحقيقة فعندما قامت الطائرات المقاتلة الامريكية بالعمل ضــد المواقع السورية فى شرق لبنــان يوم ٤ ديسمبر ١٩٨٣ ، لم يكن فى الامكان استخدام ســوى طائرات $A-6$ - $A-7$ المتخلفة نســبيا . ولــم يكن من المســتطاع استعمال طائــرات $F-16$ الاكثر تطورا ، لانهــا لا تستطيع الاقلاع او الهبــوط فوق حاملات الطائرات .

لم تكن الحالة لتصبح هكذا اذا كانت ادارتا كارتر وريجان قد وافقتا على مناشدة اسرائيل لهما بالسيطرة على قاعدتى اتزيون وايتام الجويتين فى شرق سيناء بعد الانسحاب الاسرائيلى . وكانت هاتان القاعدتان من افضل القواعــد الجــوية فى العالم ، مكتملتين بعنابر الطائرات المبنية بالخرسانة المســلحة تحت الارض . ولم تمارس الولايات المتحدة فى الحقيقة ضغوطا كبيرة لاقنــاع المصريين بالسماح بوجود عسكرى امريكى فى شرق ســيناء . اذ خافت بعض الاوساط فى وزارة الخارجية من ان ذلك سوف يضر المصريين سياسيا فى العالم العربى حينئذ سيبدو وجود الولايات المتحدة فى بعض اجزاء سيناء مناقضا للتشجيــع على رحيــل الاسرائيليين . واليــوم حينمــا يجــد الســعوديون ودول الخليج

الصديقة أنفسهم فى متاعب . ويلجأون للولايات المتحدة طلبا للمساعدة ، فهم على الارجح ، سوف يندمون على القرار غير الصائب ، بالتخلى عن اتزيون وايتام .

ويتفق المسئولون الاسرائيليون والامريكيون ، على احراز تقدم ملحوظ ، فى توطيد العلاقة العسكرية الثنائية فى السنوات الحالية .

وما يبدو متزايدا ، بصورة بطيئة لكنها مؤكدة ، هو قيام تحالف جديد راديكالى فى مجال الدفاع ، بين الولايات المتحدة واسرائيل يؤدى على الارجح الى أن تلعب اسرائيل دورا استراتيجيا متزايد الاهمية للولايات المتحدة . ويشكل ذلك اختراقا جوهريا وفقا لما يؤكده الخبراء الامريكيون والاسرائيليون . وقد ذكر احد الخبراء الامريكيين « أن اسرائيل فى سبيلها الى التكامل فى النظام الدفاعى العالمى الامريكى مثل ايطاليا وتركيا وكوريا الجنوبية ، مما يتيح مكاسب هامة لكل من الطرفين » .

وفى الواقع سوف يؤدى السماح بالاعلان عن تلك الانجازات فى المجال الاستراتيجى والعسكرى الثنائى . الى تأكيد ذلك الاتجاه فى النظام التكاملى اذ ان جميع أفراد القوات المسلحة الامريكية وأوساط المخابرات كانت مشتركة فيه مباشرة . وتم تبادل السلاح الجوى الامريكى ، الذى كان على الدوام أقرب أفرع الاسلحة الامريكية الى اسرائيل ، كذلك المعلومات عظيمة الحساسية المتعلقة بالحرب الجوية مع نظيرتها الاسرائيلية . وفى الآونة الاخيرة تمت ، بالطبع ، مراجعة مستفيضة للدروس التى تعلمتها اسرائيل ، خلال القتال فى لبنان فى صيف عام ١٩٨٢ . وأخيرا سارت باقى افرع القوات المسلحة الامريكية ، على نهج السلاح الجوى .

وبالرغم من التوترات التى كثر الحديث عنها مع رجال البحرية الامريكيين فى بداية مشاركة البحرية فى قوة حفظ السلام متعددة الجنسيات بلبنان ، فقد زار الجنرال ب . اكس . كيلى قائد البحرية ، اسرائيل فى عام ١٩٨٤ . وذكر مساعدوه فى البنتاجون انه عاد الى واشنطون ، باعتقاد راسخ فى أهمية اسرائيل الاستراتيجية لامريكا .

ليس من قبيل المصادفة سعى البحرية لتعزيز التعاون مع اسرائيل . فقد اشترت البحرية من اسرائيل سلاحا قويا مضادا للدبابات ، وطبقا لتقارير أمريكية ، كانت البحرية ترغب فى تطوير السلاح كيما يستطيع تدمير التحصينات المسلحة القوية ، كما قامت اسرائيل بتصميم معبر هجومى تكتيكى جديد للقوات البحرية ، وهو الذى تنوى اسرائيل انتاجه بالاشتراك مع أحد المصانع الامريكية .

وكان الجيش الامريكى متورطا أيضا فى التحالف الطارىء مع اسرائيل ، وقبل عام واحد من نسف مقر القوات البحرية الامريكية فى بيروت ، كان

الجيش يقوم باجراءات تم الاعـداد المسبق لها ، فى مجال الخـدمات الطبية الطارئة . بعد أن أدى الفشل فى استخدام التسهيلات الطبية الاسرائيلية ، اثر الفاجعـة مباشرة الى القاء اللـوم على بعض الاوسـاط السياسية . ولكن منذ ذلك الحين حصـل تقدم سريع وحيوى فى هذا الصـدد . وعلى سبيل المثال ، كان ثمـة اتفاق رسمى فى ديسمبر عام ١٩٨٣ ، بغرض اتاحة التسهيلات الاسرائيلية المتاحة ، للافراد العسكريين الامريكيين . وكما اعلن كاسبر واينبرجر وزير الدفاع الامريكى فى واشنطون فيما بعد ، فان الامريكيين يفيدون بالفعل من تلك التسهيلات .

وحتى الآن ، تتعلق اعظـم التطـورات فى الروابط العسـكرية الامريكية الاسرائيلية بالبحرية الامريكية . وكانت فى الماضى اقـل افرع الاسلحة الامريكية صداقة لاسرائيل . وكان ذلك من الناحية التاريخية ، بسبب بحث البحريـة عن التسهيلات فى موانىء العالم العربى المترامى الاطـراف . وكانـت تسـود التخـوفات من ان يؤدى التعـاون العلنى مع اسرائيـل ، الى الاضرار بتلك الجهـود .

لكن الدول العربية ، بما فيهـا الدول المعتدلة ، لم تسـع الى مساعدة البحرية الامريكية ، وباستثناء سلطنة عمـان لم تكن الـدول العربية مستعدة لمنح حق اقامة القواعد البحرية الدائمة للامريكيين ، حتى مصر او السعودية .

وكنتيجة لذلك ، سادت واشنطون خيبة امـل كبيرة . ومن ثـم اصبحت موانىء اسرائيل ، وخاصـة ميناء حيفا أكثر جاذبيـة . وازداد بشـكل سريع استخدام السفن الحربية الامريكية لمينـاء حيفـا ، ومنها البارجة نيوجيرسى التى كانت قد قصفت بمدافعهـا الفتـاكة من عيـار ١٦ بوصـة الاهـداف المعادية فى لبنـان . وكان ذلك التجسـيد العلنى للتعاون فى غاية الاهمية .

ويتفق المسئولون الامريكيون والاسرائيليون على أن التغير فى عقلية البحرية تجـاه اسرائيل بدأ بصورة كبيرة مع وصـول جون ليمان وزير البحرية الى اسرائيل ، خـلال الأيام الأولى لادارة ريجان . ويعد ليمان ، وهو مستشار سـابق بالامن القـومى ، عمـل تحت رئاسة كيسنجر ، من المؤيدين الاقوياء لاسرائيل . وكان أيضـا من قادة البحرية الذين ادركـوا المواهب الاسرائيلية . وارمى قواعد أسلوب جـديد للصـداقة تجـاه اسرائيل ، داخـل أوسـاط البحـرية .

ولم تكن الزيارات المتزايدة لحيفا هى الحاصـل الاوحـد . فقد كشـف أيضـا واينبرجر فى خطابه يوم ٢٣ مايو ١٩٨٤ أمام اتحـاد الصحافة الامريكية اليهودية ، عن اجراء الولايات المتحدة واسرائيل مشروعا مشتركا لتطـوير قارب داورية هجومى يفى باحتياجات اسرائيل فى التسعينات ، ويستعمل أسلحة

امريكية واسرائيلية معا . وقبل ذلك ، ســـارت الادارة قدما فى تلبية متطلبات اسرائيل من المساعدات التكنولوجية والمالية لصالح الطائرة المقاتلة الجـــديدة لافـــى .

وخلاف ذلك ، ذكر واينبرجر بصفة محددة ، قرار البحرية الأمريكية شراء طـــائرات الاســـتطلاع الاسرائيليـــة الصـــنع الموجهـــة آليا من بعد ، دون طيـــار RAV وتشكل تلك الصفقة خطـــوة هامة فى سعى اسرائيل الدائم للفـــوز بشريحة من كعكة معونات وزارة الدفاع . واستأجرت البحرية اثنتى عشرة طائرة كفير ، لاداء دور طائرات ميج السوفيتية اثناء المنـــاورات التدريبية .

وتعقد المجموعة السياسية والعسكرية الامريكية الاسرائيلية المشـــــتركة اجتماعات دورية فى واشنطن والقـــدس بالتناوب . ويجرى انعقـــاد جلسات شاملة موسعة ، كما تجرى مناقشـــــات عسكرية أو سياســـية منفصلة . ويســـتعرض الجانبان بعض المسائل الحيـــــوية التى تهم كلا من الدولتين . وعلق احد المسئولين الاسرائيليين على ذلك كله قائلا : « توجد أمور معينـــة يبحثها الامريكيون معنـــا لا يستطيعون اثارتها مع حلفـــــائهم فى حلف شمال الاطلنطى » . وقد اعلن عن بعض الاجتماعات ، ولكن معظمها لم يتم الاعـــلان عنه ، وكان هناك اجماع عام فيما بين الوفود الامريكية والاسرائيليـــة بصـــدد الاعلان عن اقل ما يمكن عقده من تلك الاجتماعات .

وان من الخطـــأ استنتاج أن تلك العلاقة المتزايدة ســـوف تقلب الفكر الأمريكى تجاه اسرائيل رأسا على عقب خـــلال يوم واحد . وما زال ثمةاحتمال ضئيل للغاية بان تطلب الولايات المتحدة مساعدة اسرائيل أثناء احدى أزمات الخليج الفارسى(١) . والوسيلة الواقعية الوحيدة التى يســـتطيع بمقتضـــاها أن يضع الامريكيون اسرائيل فى الصورة ، هى حالة ما يتطلب التورط الامريكى العسكرى المكثف فى الخليج تلك المساعدة . وسوف يدعو ذلك بالتـــالى الى حماية جـــوية وقواعد وامدادات لا تستطيع سوى اسرائيل أن تتيحها ، ولكن حيث أن عددا قليلا فى واشنطن يعتقـــد بامكانية حـــدوث مثل ذلك التـــــورط الامريكى فى الخليج ، فان اسرائيل تقف بعيدا عن الفـــــكر الاســـــتراتيجى الامريكى الحـــالى فيما يتعلق بالحرب العراقية الايرانية وامكانية انتشارها .

وتوجد بالتاكيد مصالح حيـــوية لاسرائيل بتوسيع مدى ذلك التحـــــالف العسكرى مع الولايات المتحدة . احد هذه المصـــالح اهتمام اسرائيل البـــالغ بمراقبة أى تورط سوفيتى مباشر فى جولة قتالية قادمة . ومن المنطقى ، انه

---

(١) العربى .

كلما ازدادت الروابط العسكرية الأمريكية والاسرائيلية ، تضاءلت احتمالات ضرب الاتحاد السوفيتى المباشر لاسرائيل .

ويدرك خبراء الاستراتيجية والدفاع باسرائيل الضرر الهائل الذى يقع من جراء محاولة التوصيل لبعض التوازن العددى فى الأسلحة ، مع الدول العربية .. ففى الوقت الحالى ، ينفق العرب ١٤ دولار فى شراء الأسلحة مقابل كل دولار تنفقه اسرائيل ، وفقا لدراسة معاصرة أعلنتها وكالة الحد من التسلح ونزع السلاح الامريكية ، وذلك يتناسب بالمقارنة بنسبة ثلاثة الى واحد ، أو أربعة الى واحد خلال الستينات .

ونظرا للاسعار الباهظة المتزايدة للاسلحة ، فلا يوجد أى أمل فى تنافس اسرائيل فى مثل ذلك السباق الى التسلح .

وتقتضى المصالح الامنية الاسرائيلية بعيدة المدى وفقا لما يقوله مسئولو وزارة الدفاع الامريكية ، انشاء ردع استراتيجى اشمل ، وذلك يعنى ادخال الولايات المتحدة فى المعادلة ، ويجب أن يخلص العرب والسوفيت الى أن التحالف بين واشنطن والقدس راسخ تماما ، لدرجة أن التفكير فى توجيه ضربة ضد القوات المسلحة الاسرائيلية ، سوف يكون بالتالى ضربة موجهة الى العسكرية الامريكية ، وبينما توجد عناصر معينة داخل الوطن العربى على استعداد للمخاطرة باستفزاز الولايات المتحدة ، الا أن الاتحاد السوفيتى أكثر حرصا بصدد القيام بأى عمل يمكن أن يقضى على الجماعات الموالية داخل أوساط السياسة الخارجية الأمريكية ، كما يمكن أن يتصاعد ويشمل المواجهة بين القوى العظمى .

وتوحى المكاسب المتبادلة المتاحة كنتيجة للتعاون العسكرى المحدود ، بان ثمة تحالفا دفاعيا أمريكيا اسرائيليا سائرا فى سبيله الى الوجود .. فعلى المستوى الشخصى يقيم العاملون العسكريون الأمريكيون والاسرائيليون علاقات وثيقة ، كما يوجد دائما عدد من كبار الضباط الاسرائيليين فى معاهد الجيش والبحرية الامريكية ، وكذلك المنشآت العسكرية الاخرى فى انحاء البلاد ، وتشمل فورت نوكس وفورت هود . كما يوجد ايضا العدد الوفير من الجنود الامريكيين الذين يزورون اسرائيل أو يعملون بها ، كما توجد كذلك زيارات دورية متبادلة ، أدت الى تطوير التفاهم المشترك ، والاكثر اهمية من الاحترام المتبادل .

ويبدو كل ذلك غريبا أمام هؤلاء الذين يتذكرون أن الولايات المتحدة كانت قد منعت شحنات ضخمة من الاسلحة المرسلة الى اسرائيل حتى أوائل الستينيات .

وقد اخبرنى حاييم هيرتزوج الرئيس الاسرائيلى انه فى أوائل الخمسينات ، حينما كان يعمل ملحقا عسكريا بالسفارة الاسرائيلية فى

واشنطون وكان يشقى عدة شهور كى يتم السماح لجندى اسرائيلى واحــد بحضور احدى الدورات الخاصة بالبعثات العسكرية الاجنبية بالولايات المتحدة ليتعلم قيادة احدى السيارات الجيب · وفى النهاية تم الســــماح لاسرائيل بارسال الجندى ، بشرط عدم اعلان الامر ·

وبايجاز ، أنها أوقات مثيرة فى مسار العلاقة العســــكرية الامريكية الاسرائيلية ، وانه لمن المستبعد تماما عودة عقارب الساعة الى الوراء ، بغض النظر عن الحزب الحاكم فى واشنطون ، وسواء يحكم فى القدس ائتلاف العمل أو الليكود ·

وثمة دواع جديدة تعزز العلاقة العسكرية الامريكية الاسرائيلية الجديدة وتبدأ عهدا جديدا من التعاون بين واشنطون والقدس ·

الفصـــــل الرابــع

وكالة المخابرات المركزية والموساد

ما مدى التقارب بين جهازى المخابرات الامريكية والاسرائيلية ؟ هل تعمل وكالة المخابرات المركزية ونظيرتها الاسرائيلية معا عن قرب ؟ وماذا بصــــدد أجهزة مخابرات وزارة الدفاع الامريكية الأخرى وعلاقاتها مع « أمان جهـــاز مخابرات وزارة الدفاع الاسرائيلية ؟

أنه ليصعب على المرء الاجابة على تلك الاسئلة لاسباب شتى ، أحـدها أن العاملين فى مجال المخــــابرات لا يميلون الى الثرثرة · وحينما يقدمون المعلومات خلف الستار فلا يعرف المرء اذا كان يمكنه الثقة فى صحتها ، أو انها مجرد جزء من حيلة مضللة أوسع مدى ، وتوجد أسباب سياسية تؤدى الى صعوبة التوصل الى الصورة الصحيحة ·

ومن وجهة النظر التقليدية الامريكية ، فان أى منظور مكبر لعلاقة أمريكية اسرائيلية وثيقة تتعلق بأمور المخابرات أو الاستراتيجية الاخرى ، من المتوقع أن تثير العرب ، ولذلك يعلن المسئولون الأمريكيون نادرا ، عن روابطهم الوثيقة المعتادة مع اسرائيل ، فهم يخافون أن تؤدى تلك العلانية الى الاضرار بالمصالح الامريكية فى العالم العربى ·

ومن الطبيعى أن يكون فى اسرائيل عكس ذلك . حيث يحاول المسئولون أحيانا أن يجعلوا الصورة تبدو فى شكل تعاون امريكى اسرائيلى وفريد فى مجالات متعددة ، تشمل المخابرات وهم يأملون بذلك ، أن يقنعوا الدول العربية بعدم جدوى رفضها المستمر للتعامل مباشرة مع اسرائيل · وأن تلك الــــدول التى تنتظر حدوث انفصال حقيقى بين واشنطون والقدس ، تسبح فى أحــلام اليقظة · وكلما ازداد ادراك العرب للتحالف العميق الجذور بين الولايات المتحدة واسرائيل ازداد استعدادهم للتخلى عن عدائهم لحق اسرائيل فى الوجود ·

وكان واضحا ، أن أحد دوافع الرئيس المصرى الراحل أنور السادات ، للقيام برحلته التاريخية للقدس فى نوفمبر ١٩٧٧ ، هو ادراكه قوة العلاقات الامريكية الاسرائيلية وان ذلك لن يتغير بصــــورة جوهرية طوال حياته · وأدرك أن الرفض المستمر للتعامل المباشر مع اسرائيل ، لن يؤدى الا الى ازدياد الاحباط فى مصر · ولا يوجد أمل فى احراز نصر عسكرى حاسم على اسرائيل نظرا للمشاركة الوطيدة القائمة بين اسرائيل وواشنطون ·

كذلك ، وبالرغم من الصعوبات المتعلقة بتقويم أوضاع التعاون الامريكى الاسرائيــلى فى مجــال المخــابرات ، ثمــة وســائل لكشــف الغموض .

فقد أكدت اللقاءات مع المصادر العليمة والمسئولة الامريكية والاسرائيلية ، ان العلاقات السائدة حاليا فى هذا المجال تعد علاقة طيبة · ومع ذلك ، فان الاكثر أهمية فى الواقع هو وجود أنشطة فرعية فى مجالات شديدة الحساسية تتعلق بالمخابرات ·

خذ على سبيل المثال ، انتشــار الارهاب العالمى . فاسرائيل اهتماماتها مفهومة فى تلك المسألة · وكان خبراؤها فى الطليعة لعدة سنوات أثناء مواجهة الارهاب · ولذلك فان المشاركة فى المعلومات يمكن أن تكون مفيدة فائدة تامة للولايات المتحدة · وكثيرا ما لجأ مكتب التحقيقات الفيدرالى F R I الى نظيره الاسرائيلى « شين بيت » طلبا للمساعدة فى هذا الميدان · ومن الامور غير المعلنة تعيين مكتب التحقيقات الفيدرالى F B I واحدا أو اثنين من عملائه الدائمين فى سفارة الولايات المتحدة فى تل أبيب ، للعمل كضباط اتصال بســـلطات الشرطة الاسرائيلية · وفى الوقت ذاته كان يوجد للشرطة الاسرائيلية مندوب ملحق بالقنصلية فى نيويورك ·

وقال ستان كلاين رئيس قسم مكافحة الارهاب بمكتب التحقيقات الفيدرالى : « نحن نتبادل الآراء معهم بصدد تقويم الاخطار ، ونحن نجرى حوارا حســـنا للغاية معهم » ومدح فاعلية اسرائيل فى محاربة الارهاب ، واعترف بأن مكتب التحقيقات الفيدرالى نفسه تعلم من بعض أساليب اسرائيل ·

وقد لجأت اسرائيل الى طلب المساعدة من الولايات المتحدة فى مســـائل أخرى · وخاصة فى المجالات ذات القدرات الاسرائيلية المحدودة وتتعلق بشكل رئيسى بالتكنولوجيا المتقدمة ، مثل التصنت الالكترونى ، والاستشعار عن بعد بالاقمار الصناعية والتصوير ، وكانت اسرائيل منذ القدم هى الاقوى فى مجالات جمع المعلومات « البشرية » ، مثل زرع العملاء الاكفاء فى الدول الاجنبية ، بحيث يستطيعون الحصول على المعلومات المفيدة ·

وتعد اسرائيل مهيأة بصورة فريدة بوسائل اقامة تلك الشبكات الخاصة بالتجسس ، حيث ان الموساد تستطيع تجنيد ذوى المواهب من المهاجرين الذين يفدون من معظم دول العالم .

ويحكى احد رؤساء خلايا الموساد فى واشنطون ، كيف انه فى احدى المرات أثناء عمله ذهب الى ســـوريا بوصفه من رجال الاعمال الالمان · وكان بالطبع يتحدث الالمانية بطلاقة ، كما كان اشقر الشعر وذا سمات أوروبية . ومر بتجربة مروعة أثناء سيره بأحد شوارع دمشق . فقد سمع أحد الاشخاص يصيح باسمه العبرى الحقيقى . وكان الذى يناديه أحد الدبلوماسيين الامريكيين الذى تعرف على الاسرائيلى فى واشنطون · وأمســـك الاسرائيلى باعصابه ولم يلتفت اليه واستمر فى طريقه . ولحسن الحظ ، ادرك الامريكى سريعا حقيقة الموقف وبدأ

يتحرك فى الطريق المضاد . واستطاع عميل الموساد اتمام مهمته فى دمشق بنجاح قبل مغادرته البلاد .

وفى سنتى ١٩٨٢ و ١٩٨٣ ، مرت العلاقات السياسية الامريكية الاسرائيلية ببعض المتغيرات ، فقد أسفرت حرب لبنان بصورة حادة عن تأزم العلاقات بين ادارة ريجان وحكومة بيجين . ولكن بينما ساءت العلاقات السياسية ، كانت العلاقات بين المخابرات تسير سيرا حسنا ، ويبدو ان كلتا الدولتين كانتا على نفس الموجة فى مسائل المخابرات ، فقد كان مندوب الموساد بالسفارة الاسرائيلية فى واشنطون على اتصال وثيق بوكالة المخابرات المركزية C I A وكذلك كان رئيسى مكتب وكالة المخابرات المركزية بالسفارة الامريكية فى تل أبيب على اتصال وثيق برجال الموساد فى اسرائيل ولعملاء الموساد ووكالة المخابرات المركزية العاملين بسفارتى بلادهما فى مناصب شكلية بالرغم من أن هويتهم الحقيقية معروفة جيدا للحكومات المضيفة لهم . ويجب أن يكون الوضع هكذا حيث أنهم يتعاملون معا فى مسائل المخابرات الحساسة طوال الوقت .

وقد تأكد ذلك فى حفل عشاء أقيم فى عام ١٩٧٦ بالسفاره الاسرائيليــة فى واشنطون تحت رعاية السفير سيمحا دينيتز . وكان اسحق رابين رئيس الوزراء فى ذلك الحين فى زيارة لواشنطون لاجراء بعض المحادثات بالبيت الابيض . وكنت اتحدث مع وزير الخارجية هنرى كيسنجر ، حينما تم تقديم مندوب الموســاد بالسفارة الى كيسنجر الذى ساله « ما عملك بالسفارة ؟ » فاجاب الاسرائيلى بصراحة « انا ضابط الاتصال بوكالة المخابرات المركزية C I A » .

ولاول وهلة ، من المحتمل ان يبدو غريبا ، نظرا للانتهاك الواضــح للسرية . ولكن ذلك المسئول الاسرائيلى ، فوق كل شىء ، كان يتعامل يوميا مع رئاسة وكالة المخــابرات المركزية فى تبادل المعلومات الخاصة بجميــع الافادة به للمصلحة القومية ، وكان كيسنجر الذى كان يشغل منصب وزير الخارجية حينئذ فى غاية القلق ازاء العلاقات الوثيقة بين جهازى المخابرات . كما تبين لمندوب الموساد اننى قد تعرفت على هويته .

وبالطبع بعد تبادل المعلومات طريقا ذا اتجاهين . ففى المحادثــات الامريكية الاسرائيلية عن الحرب فى الخليج بين العراق وايران ، كان الموضوع الرئيسى ينصب على المشاركة فى المعلومات ، ولكن فى تلك الحالة قام الامريكيون بمعظم الحديث لاطلاع زملائهم الاسرائيليين على ما يحدث حقيقة فى ميــدان المعركة . وقال المسئولون الامريكيون أن لدى اسرائيل مصادر ممتازة للمعلومات عن الكثير مما يحدث فى العالم العربى ، ولكن لم يكن الأمر هكذا فى شبه الجزيرة العربيــة .

قال احد المصادر الحكومية الامريكية « فيما يتعلق بلبنان ومصر وسوريا والاردن ومنظمة التحرير الفلسطينية ، تعرف إسرائيل فى الواقع ما يحدث فيها .

ولكن الامر ليس كذلك فى المملكة العربية السعودية وباقى دول الخليج » .
وقال المصدر ان اسرائيل تعتمد بصورة كبيرة على واشنطون فيما تعرفه عن الاوضاع الداخلية فى تلك الدول . وللسفارة الاسرائيلية فى واشنطون موظف دبلوماسى ، مهمته الاساسية جمع مثل تلك المعلومات من الخبراء الامريكيين فى وزارة الخارجية ومجلس الامن القومى كذلك وزارة الدفاع (البنتاجون) ووكالة المخابرات المركزية . وهو يفضل قضاء معظم وقته فى الحصول على تكهنات الولايات المتحدة عن العالم العربى ، ثم ارسالها الى القدس .

ويسلم المسئولون الاسرائيليون فى واشنطون بأنهم يحصلون على كم هائل من المعلومات من الامريكيين . ومع ذلك يدعون ان اسرائيل لديها مصادر اخرى للمعلومات المتعلقة بالعربية السعودية والخليج . وخلال السنين ، وجد البعض — ولكن ليس الكثير — من الاتصالات السرية بين بعض الاسرائيليين المرموقين وبين المسئولين السعوديين فى الولايات المتحدة واوربا الغربية ودول اخرى من العالم الثالث .

واصبح فشل المخابرات الاسرائيلية فى التنبؤ بالهجوم المصرى السورى فى اكتوبر ١٩٧٣ ، شبحا يطارد اسرائيل والولايات المتحدة خلال الاضطرابات المتصاعدة فى ايران فى عام ١٩٧٨ . وفى تلك المرة على اية حال ، كانت التقديرات الاسرائيلية صائبة تماما . واكدت لاول مرة أن الشاه كان يعانى من المتاعب الجسيمة التى احدقت به . ولكن أوساط المخابرات الامريكية تجاهلت عمدا التحذيرات الاسرائيلية المتتالية ، وحينما لجأت الولايات المتحدة الى قبول التقويم الاسرائيلى بشأن عدم استقرار نظام الشاه ، كان الوقت قد اصبح متأخرا تماما .

ويرجع تجاهل وكالة المخابرات المركزية للتكهنات الاسرائيلية الى فشل المخابرات الاسرائيلية فى عام ١٩٧٣ ، فحتى حرب يوم كيبور كانت الولايات تعتمد بجدية على مصادر المخابرات الاسرائيلية من أجل توافر المعلومات الجديدة والتحليلات المحنكة ، خاصة فيما يتعلق بالشرق الاوسط . وفى الواقع قال الرئيس نيكسون ذات مرة أنه لم يدهش كثيرا عندما اكتشف أن وكالة المخابرات المركزية فشلت فى التنبؤ باندلاع المعارك ، ولكنه دهش لعدم ادراك مسئولى المخابرات الاسرائيلية المرموقين بوادر الاحداث .

وكان مسئولو المخابرات الامريكيون ممنوعين ، وفقا لتعليمات من واشنطون، من التوغل فى المنظمات المعارضة للشاه .وذلك طبقا للمبدأ الامريكى المعتاد فى عدم زرع العملاء السريين بالدول الصديقة دون علم الدولة المضيفة ونتيجة لذلك اعتمدت الولايات المتحدة بشكل اساسى على الشرطة السرية الايرانية « سافاك » بشأن المعلومات المتعلقة بقوة المعارضة ، وبايجاز كانت تقويمات «سافاك » غير دقيقة .

وكان واضحا أن اسرائيل تقع تحت ضغوط أقل . فقد كان عملاؤها فى ايران أكثر رغبة فى محاولة التوصل الى حقائق الموقف ، وذلك بالرغم من المخاطرة باغضاب الشاه .

والاكثر أهمية من الادراك الاسرائيلى السليم لانشطة القوى الدينية الاسلامية فى ايران ، كانت معلومات اسرائيل هى عما يجرى خلف الستار من أدوار تقوم بها ليبيا وعدد من المنظمات الفلسطينية ، الذين كانوا يتيحون المساعدات المكثفة لخصوم الشاه . وكانت اسرائيل تستطيع معرفة التطورات الداخلية فى أوساط المعارضة الايرانية من خلال مصادرها الخارجية ، ممن لهم صلة وثيقة بالفلسطينيين والليبيين والفلسطينيين وبين خصوم الشاه قد تداولتها الصحافة . وكان معروفا تماما ، على سبيل المثال ، أن الجماعات الراديكالية الفلسطينية ، ومعظمها يؤيده الاتحاد السوفيتى سياسيا وماليا ، كانوا متورطين تماما فى اشعال الاضطرابات فى شوارع ايران .

لذلك لم يكن مما يثير الدهشة ، لجوء النظام التالى فى ايران ، الى قطع العلاقات مع اسرائيل ومنع تصدير النفط الى الدولة اليهودية . وكان خلع الشاه بمثابة نصر استراتيجى هائل فى صالح الصراع الفلسطينى ضد اسرائيل . ومن المؤكد أنه يعد كذلك بمثابة هزيمة كبرى للولايات المتحدة ، لكونها اعتمدت على ايران فى حماية المصالح الامريكية فى ذلك الجزء فى العالم . لذلك لم يكن مما يثير الدهشة ، القلق الشديد الذى أصاب الرئيس كارتر ازاء فشل مخابرات الولايات المتحدة فى هذه المسألة .

وحينما وصلت أول رسالة — تفيد حدوث متاعب جادة للشاه — الى القدس قبل عام من الاحداث ، كان من الطبيعى أن يتشكك المسئولون الاسرائيليون فى الامر ، مثلما حدث لنظائرهم الامريكيين . وأصبحوا يعتقدون بأن الأداة العسكرية الهائلة للشاه سوف تؤمن الاستقرار بشكل فورى ، ولكن المبعوث الاسرائيلى أورى لوبرانى كان يد أوم فى تقاريره باصرار ، وبحلول شهر مايو كانت اسرائيل قد حذرت الامريكيين بالفعل من وقوع كارثة مرتقبة . ومع ذلك تجاهلتها أوساط المخابرات الامريكية ، المبنية على الآمال السياسية بدلا من الحقائق .

وكان يسود قليل من الشك ازاء قدرة الولايات المتحدة على القيام بعمل ايجابى فى ايران فيما لو كانت تصرفت بحزم عندما وصلتها التقارير الاسرائيلية الاولى ، وكان من الممكن السعى ، على سبيل المثال لاقناع الشاه ببعض التنازلات على الاقل مؤقتا ، وان يحل ابنه مكانه . وكان من الممكن تشكيل حكومة جديدة وسوف يحتمل بقاء تلك الحكومة موالية للامريكيين . وكانت امدادات النفط ستستمر فى التدفق على اسرائيل . ويظل العسكريون موالين بصلابة للامريكيين . ولكن حتى أواخر سبتمبر كانت وكالة المخابرات المركزية مازالت

تكتب التقارير الوردية عن ايران . وتبعا لتلك الظروف ، لم يسترح المسئولون الاسرائيليون كثيرا عندما أدركوا ان الامريكيين يتشككون مرة أخرى فى انشطة مخابراتهم .

وكانت تقديرات المخابرات الامريكيـة عن الشرق الاوسط — فى الواقع — غير صحيحة فى كثير من الاحيان وذلك طوال السنوات المنصرمة . ولـم تتنبأ الولايات المتحدة ، وكذلك اسرائيل ، باندلاع حرب يوم كيبور ١٩٧٣ ، وبالرغم من الشحنات الهائلة من الاسلحة التى كانت تصل الى موانىء مصر وسوريا ، بدءا من فبراير ١٩٧٣ حتى حرب اكتوبر الا ان أوساط المخابرات أكـدت عـدم احتمال قيـام حرب شاملة ، وحتى بعـد أن بدات الحـرب ، كانت وكـالة مخابرات وزارة الدفاع $D\ I\ A$ — وهى تابعة للبنتاجون ، ومنفصـلة عـن وكالة المخابرات المركزية $C\ I\ A$ — تستبعد احتمالات وقـوع نزاعـات كبرى . وقـد استمرت تقديرات وكالة مخابرات وزارة الدفاع $D\ I\ A$ لمدة ست ساعات بعد أن شنت مصر وسوريا هجومهما المفاجىء .

وعلى مـدى سنوات كان وزراء الدفاع الاسرائيليون يجتمعون بصورة معتادة مـع مديرى وكالة المخابرات المركزية خلال زياراتهم لواشنطون ، ولـم تكن تلك الجلسات تتضمن جداول زياراتهم ، ولكنهـا كانت تعقـد بصـورة منتظمة ، فعـلى سبيل المثـال ، تقابل موشى آرينز وزير الدفاع مـع ويليام كيسى مديـر وكالة المخابرات المركزية يـوم ٢٩ يوليو ١٩٨٣ عنـد انتهـاء زيارته لواشنطون . وكان اسحق شامير وزير الخارجية قـد عاد الى اسرائيل فى الليلة السابقة . ولكن آرينز بقى فى واشنطون ، لتبادل بعض الآراء مـع كيسى وبعض خبراء وكالة المخابرات المركزية الآخرين .

وكتب بوب وود وارد الكاتب بجريـدة واشنطون بوست يـوم ١٩ مايو ١٩٨٤ أن كيسى اثنـاء شغله منصبه فى وكالة المخابـرات المركزية ، اتـاح للمخابرات الاسرائيلية معلومات قيمة باطلاعهـا على صور الاقمـار الصناعية ووسائل الاسـتكشاف الاخـرى التى ، كانت لاتتـاح للاسرائيليين فى أواخـر السبعينيات ، وقال وود وارد « أن مدى التعاون الامريكى الاسرائيلى فى مجال المخابرات هى مسـألة تهم وكالة المخابرات المركزية ، ويعتقـد بعض المسئولين أن كيسى تمادى كثيرا ، غير أن آخرين يقولون ، أن الولايات المتحدة كانت تحصل على معلومات حيوية فى المقابل من أجهزة المخابرات الاسرائيلية المرموقة » .

وذكر وود وارد أن رئيس المخابـرات الاسرائيـلى المتقاعـد قد قـال ان الولايات المتحدة تعطى اسرائيل المعلومات المتاحـة مـن خـلال الاقمـار الصناعية — « ليست المعلومات فقط ولكن أيضا الصور الفوتوغرافيـة ذاتها . والآن يقول كيسى « نعـم » طوال الوقت » .

وكان من زوار واشنطون الدائمين رئيس جهاز الموساد ، بالرغم من عدم الاعلان عن تلك الزيارات ومن النادر رؤيته . وكان اسحاق حوفى رئيسا للموساد حتى عام ١٩٨٢ ورافق بيجين رئيس الوزراء الى واشنطون لتوقيع معاهدة السلام الاسرائيلية المصرية فى مارس ١٩٧٩ . وقد رايته يجلس فى هدوء باحدى الموائد تحت الخيمة فى ساوث لون بالبيت الابيض ، خلال حفل العشاء الذى اقيم بمناسبة الاحتفال بمعاهدة السلام ، وبالتأكيد لم يذكر بقائمة المدعوين الرسميين الى الحفل ، بوصفه رئيسا للموساد . وتعد شخصيته فى اسرائيل ، بخلاف ما يحدث فى الولايات المتحدة من الامور غاية السرية ، بالرغم من ان معظم الاوساط الداخلية يعلمون بأمره ، وبالطبع هو معروف لدى حكومة الولايات المتحدة ، حيث انه كان يقضى جزءا كبيرا من الوقت فى الاتصال بزملائه الامريكيين .

وكانت علاقة اسرائيل بوكالة المخابرات المركزية وثيقة لسنوات عدة وتمت رعايتها بفاعلية حيثما كان جيمس انجلتون يعمل رئيسا لقسم مكافحة الجاسوسية فى وكالة المخابرات المركزية ، وكبير ضباط الاتصال بالاسرائيليين .

وقد ذكر تاد زولك كاتب الشئون الخارجية الامريكى البارز عن بعض المصادر الوثيقة الصلة بانجلتون انه ساعد لسرائيل سرا ، بامدادها بمعلومات نووية تكنولوجية خلال أواخر الخمسينيات ، وكتب سيمور م . هيرشى المراسل السابق بجريدة نيويورك تايمز والذى نشر كتابا شديد اللهجة عن كيسنجر ، يقول فى مجلة نيويورك تايمز فى ٢٥ يونيو ١٩٧٨ أن ما كتبه زولك يتفق مع بعض ما سمعه من أحد مسئولى وكالة المخابرات المركزية الكبار — بأن انجلتون الذى كان فى ذلك الحين مسئولا عن اتصال وكالة المخابرات المركزية بالمخابرات الاسرائيلية قد اعطى للاسرائيليين معلومات فنية مماثلة فى أواسط الستينيات . « وقد رفض انجلتون ، الذى تم طرده من وكالة المخابرات المركزية خلال ادارة فورد . ويؤكد البعض ان ذلك الطرد تم بالحاح من كيسنجر ، رفض انجلتون ان يرد على تلك الادعاءات طوال سنوات . بالرغم من ان الجميع يتفقون على انه كان مؤيدا قويا لاسرائيل طوال عمله بوكالة المخابرات المركزية .

وفى الواقع ذكرت شبكة سى بى اس فى عام ١٩٧٥ ان انجلتون فقد وظيفته فى ديسمبر ١٩٧٤ بسبب خلافات سياسية تتعلق باسرائيل وليس بسبب الاتهامات المتعلقة بالجاسوسية المحلية لوكالة المخابرات المركزية ، كما ذكرت فيما قبل ، كما أوردت الشبكة أن انجلتون وجد ان سياسة كيسنجر الخاصة بالوفاق مع الاتحاد السوفيتى ، متساهلة للغاية ، وقيل أن انجلتون تناقش مع وليام كولبى مدير وكالة المخابرات المركزية

بصدد بعض مسائل السياسة تجاه الشرق الاوسط كذلك . وذكر ان كولبى ، على سبيل المثال ، أصدر أوامره الى أنجلتون بعدم زيارة القدس الشرقية ، أثناء احدى زياراته الى اسرائيل لانها ، « أرض عربية محتلة » وقالت شبكة سى بى اس C B S انه قبل اسبوع من نشرجريدة نيويورك تليمز قصتها المتعلقة باتهام وكالة المخابرات المركزية بالتجسس المحلى ، أخبر كولبى انجلتون بالا يتولى الشئون الاسرائيلية بوكالة المخابرات المركزية بعد ذلك ، وعرض على أنجلتون خيارين : التقاعد المبكر أو تأليف كتاب خاص بمكافحة الجاسوسية ، حينئذ استقال أنجلتون . وفقا لما تقوله شبكة سى بى اس C B S المذكورة .

ولم يكن انجلتون بمفرده الذى يعمل فى أوساط المخابرات الامريكية ، ففى سنوات كثيرة ، كان يوجد عدد من الخبراء الامريكيين الذين أدركوا أن اسرائيل هى حليف الولايات المتحدة الاستراتيجية الكبرى فى المنطقة ، وكان تقديرهم مبنيا على أساس مساعدات اسرائيل للمخابرات الامريكية ، وعلى سبيل المثال ، قال رئيس مخابرات السلاح الجوى الامريكى السابق الماجور جنرال (متقاعد) جورج ف . كيجان فى ندوة عقدت فى واشنطون فى مايو ١٩٧٨ بشأن التوازن الاستراتيجى فى الشرق الاوسط : « اليوم تدين القوات الجوية بصفة خاصة والجيش بصفة عامة ، فى قدرتهما على الدفاع عن كل ما لديهما فى حلف شمال الاطلنطى ، بالكثير لما اتاحته المخابرات الاسرائيلية ، اكثر مما تدين به لاى مصدر آخر للمخابرات . سواء كان قمرا صناعيا أو اعاقة تكنولوجية أو أى شىء آخر » .

وانفسح كيجان ايضا عن اعاقة المخابرات الاسرائيلية لمحاولة قيام انقلاب راديكالى فى المملكة العربية السعودية ، وانقاذ السادات من محاولة لاغتياله من جراء المعلومات التى اتاحتها اسرائيل للولايات المتحدة .

وقال كيجان « كانت توجد ثلاث محاولات على الاقل خلال الخمس عشرة سنة الماضية لقيام انقلابات فى السعودية وذلك باغتيال الملك . ونحن نعرف أن محاولتين من تلك المحاولات كان للمخابرات الاسرائيلية الفضل فى منع حدوثهما واحباطها . كما كان للمخابرات الاسرائيلية الفضل أيضا فى احباط محاولة أو اثنتين لعملاء المخابرات السوفيتية لاغتيال السادات .

ورفض رئيس المخابرات الامريكية السابق الخوض فى التفاصيل ولكنه قال ان قدرة المخابرات الاسرائيلية « حفظت على ابعاد السوفييت عن الشرق الاوسط ، وبذلك منعت النظم الراديكالية العربية من الاستيلاء والسيطرة على المملكة السعودية » .

واتاح كيجان ايضا او اكد وقوع ضربة جوية اسرائيلية ضد طائرات النقل السوفيتية التي حملت الاسلحة الى سوريا في عام ١٩٧٣ قال : « حينما بدأ السوفييت سنة ١٩٧٣ فى استعمال طائرات النقل الثقيلة من طراز انتينوف ـ ٢٢ عن طريق حلب ، أقلعت طائرات السلاح الجوى الاسرائيلى ، وطارت مسافة ٧٥٠ ميلا ، واسقطت احدى تلك الطائرات ، وقد تلقى السوفييت الرسالة » .

واتفق اعضاء القيادات الآخرون بواشنطون ـ الاميرال الموزوموالت الرئيس السابق المتقاعد للعمليات البحرية ، والجنرال المتقاعد أرثر كولينز النائب السابق للقائد العام للقوات الامريكية فى أوروبا والجنرال المتقاعد بنيامين ديفيز النائب السابق للقائد العام للقوات الامريكية الضاربة ـ مع كيجان فى تقييمه للاهمية الاستراتيجية الاسرائيلية . وقال كيجان ان الولايات المتحدة كانت تؤيد اسرائيل طوال السنوات الماضية ، لان ذلك التأييد يخدم المصالح الامنية الامريكية الكبرى . وليس له شأن بالسياسات الداخلية الامريكية ، وذنوب الابادة ، والاخلاقيات أو أى شيء آخر ، وذلك وفقا لما يقوله كيجان .

واوجز الدكتور ويليام كينتز السفير الامريكى المتقاعد ، الذى اطنب فى المناقشات بالقيادة ، الامر بذلك الشكل : « أعتقد ان النتيجة الهامة المستخلصة من تلك المناقشات ، هى القيمة الاستراتيجية التى تتيحها دائما اسرائيل القوية ، ليس فقط من اجلها ولكن من أجل أمن العالم الغربى ، وخاصة الولايات المتحدة . كما اعتقد ان ذلك درس يجب تعميمه من خلال جميع وسائل المعلومات فى الولايات المتحدة » .

وقال كيجان اثناء مقابلة لى معه فى الماضى الكثير من المديح « لمخابرات اسرائيل التى لا مثيل لها » ، والتى افادت الولايات المتحدة منها كثيرا : « لم اكن استطيع الحصول على المعلومات الخاصة بالقوات الجوية السوفيتية وقدراتها القتالية واسلحتها الحديثة واجهزتها الالكترونية وصواريخها من طراز سام ، بجهود خمس وكالات للمخابرات المركزية » .

ويصف الاميرال زوموالت الاهداف السوفيتية ، بالسعى الى اتمام الحصار حول الصين والى اضعاف الغرب قائلا : « ترجع اهمية الحليف المستقر فى الشرق الاوسط الى العمل مع الولايات المتحدة لاعادة الاستقرار بتلك الاهمية » . واشار زوموالت الى أزمة الاردن فى عام ١٩٧٠ حينما هددت سوريا بالتدخل ضد نظام الملك حسين الموالى للغرب اذ قال : « لم يكن كافيا ان تقف الولايات المتحدة على اهبة الاستعداد وتدعم اسطولها السادس ، فقد حصلت كذلك على ما يفيد رغبة وعزم الحكومة الاسرائيلية ارسال قواتها لتأييد الاردن واتاحة الاوضاع المؤدية لجمع القوى الضرورية لاقناع السوفييت بالضغط

على سوريا كى تنسحب ، وأضاف قائلا ، ولهـذا السبب كانت الامـــدادات العسكرية الامريكية لاسرائيل تدعم من أمن الولايات المتحدة .

ولا يعنى ذلك أن جميع مسئولى المخابرات الامريكية يشتركون ، بالضرورة ، فى وجهة النظر الايجابية تجاه اسرائيل ، فالكثيرون كانوا يعنون بصورة أكبــر بوضع الولايات المتحدة فى العالم العربى ، وانحاز تقييمهم للمصلحة القوميـــة الامريكية ، الى وجهة النظر الموالية للعرب فى وزارة الخارجية وليس الى جانب مفاهيم انجلتون وكيجان .

وفى عام ١٩٧٥ ، على سبيل المثال ، كان ثمة اهتمام متزايد فى أوســـاط المخابرات الاسرائيلية كما بدا كأنه تحول موال للعرب من جانب عدد من كبـــار خبراء وكالة المخابرات المركزية . وكانت شهادة الراحل وليام كولبى مدير وكالة المخابرات المركزية اثناء جلسة سرية خاصة بتوازن القوى فى الشرق الاوســط فى نوفمبر سنة ١٩٧٥ ، من أوليات دلائل ذلك الاتجاه ، اذ قال كولبى فى شهادته ، وذلك بعد ان اعفاه الرئيس فورد من منصبه وطلب منه البقاء حتى عـــودة خلفه المرشح السفير جورج بوشى من الصين ، قال ان ميزان القوى فى الشرق الاوسط يميل لصـــالح اسرائيل . وادت شهادته المناقضة للارقام المقدمة من اسرائيـــل الى الاضرار بالمطلب الملح من الادارة للكونجرس بشأن اعتماد ٥ر١ بليون دولار قيمة معونات عسكرية لاسرائيل لتلك السنة المالية .

ومنيت القضـــــية الاسرائيلية بنكســـة حادة من جـــراء بيروقراطية وكالة المخابرات المركزية فى بداية ذلك العـــام حينما فصـــل كولبى أنجلتون المتشــدد المعادى للشيوعية ، والذى عارض بقسوة سياسة كيسنجر للوفاق مع الاتحاد السوفيتى ، وأعلن عن آرائه صراحة فى الاوساط السياسية العليا . وأدى موقفه المتشـــدد ضد السوفيت الى اعتقاده بأن المصـــــالح الامريكية تقتضى أن تكون اسرائيل قوية فى الشرق الاوسط ، لمقـــاومة الانجازات السوفيتية المتزايدة ، وكان انجلتون يتولى شـــئون اسرائيل فى وكالة المخابرات المركزية لعدة سنوات ، كما كان يرفض التخلى عن واجبساته لضباط المخابرات الآخرين ، والكثـــير منهم اقل ولاء لاسرائيل ، وكانت شـــهادة كولبى المثيرة للجـــدل ضد اسرائيل ، دليـــلا آخر على وجهات النظر ذاتهـــــا التى أبعـــدت انجلتون من وكالة المخـــابرات المركزية .

ونشر دانييل سكور مراسل شبكة سى بى اس الاذاعية فى واشنطون فى عام ١٩٧٥ ، انه يوجـــد قطاع قوى موال للعـــرب داخل وكالة المخابرات المركزية وقطاع صغير فقط يؤيد اسرائيل ، وقال ، ان تلك المجموعة المواليـــة للعرب هى التى تؤثر كثيرا فى اتخاذ القرارات ، ووفقا لما يقوله سكور ، حتى قبل حرب ١٩٧٣ ، آكد العديد من الخبراء أن السادات لن يبادر بالاعمـــــال الحربية . وقال « تعد تلك التقارير لوكالة المخابرات المركزية خاطئة بصورة

مأسوية فادحة » . واستغل كيسنجر فيما بعد ذلك التقويم الخاطىء قبل الحرب فى محاولته الحط من آراء كولبى الخاصة بميزان التسلح بالشرق الاوسط . وأخبر كيسنجر صراحة لجان الكونجرس أنهم يجب ألا ينظروا الى تقويم وكالة المخابرات المركزية بوصفه دون أخطاء وأشار الى حقيقة عدم ادراك الوكالة بعض المواقف فى الماضى .

وظلت تتدهور العلاقات بين أجهزة مخابرات الحليفتين حتى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٩ حينما طلبت جريدة واشنطون ستار من وزارة العدل أن تبدأ فورا فى بحث عمليات التجسس الاسرائيلية المزعومة فى الولايات المتحدة : وقالت الجريدة بعد ان أشارت الى قول المدعى العام بنيامين سيفليتى : أنه لم يتلق أى طلب من الكونجرس أو أى من لجانه لبحث أنشطة التجسس الاسرائيلية ، « حسنا، نحن نأمل أن يتحقق هذا الطلب » . ومضت المقالة تؤكد : « مما يدهشنا أن التقارير الخاصة بالتجسس الاسرائيلى بها ما يكفى لاثارة اهتمام المستر سيفيليتى ، الذى لديه السلطة الوظيفية التى تتيح له كشف من يفعل ماذا ـ لمن ؟ » .

وخلال عطلة نهاية الاسبوع أصدر سيفيليتى بيانا يقول فيه أنه لم يتلق « معلومات أو أدلة » تفيد أن اجتماع السفير السابق أندرو يانج مع ممثلى منظمة التحرير الفلسطينية زهدى لبيب الطرزى ، قد تم تسجيله أو مراقبته .

واشتكى أحد المصادر الاسرائيلية من مسئولية المخابرات الاسرائيلية ذاتها بصورة ما ازاء موجة الاعلام السلبى لاتجاهها فى الماضى الى تمجيد انجازاتها . ولذلك كما قال المصدر تبدو العناوين معقولة بينما هى فى الحقيقة ليست سوى مجموعة من الاكاذيب الباطلة .

كذلك كان المسئولون الاسرائيليون قلقين ازاء ما وصفوه « بالقصص الخيالية » التى تروجها الصحافة الامريكية عن الموساد . وكانوا يظنون أن الموضوعات والمقالات المثيرة للجدل مثل التى نشرتها جريدة « الواشنطون ستار » تدعمها بعض المسئولين الامريكيين«المعادين لاسرائيل» وبعض المسئولين الامريكيين السابقين وأبدت الشك فى أن ادارة كارتر باكملها اتخذت قرارا جماعيا بتشجيع نشر مثل تلك القصص .

بالطبع احتلت الاتهامات الخاصة بأنشطة المخابرات الاسرائيلية غير الشرعية المزعومة صدر الصفحات اثر اكراه السفير يانج على الاستقالة من منصبه لعقده اجتماعا سريا غير رسمى مع ممثل منظمة التحرير الفلسطينية .

وبدأت القصص فى الظهور بعد أن انتشرت مسألة يانج . وكان أولها فى تقرير جاء فى « اتلانتا كونستيتيوشن » زعم أن عملاء المخابرات الاسرائيلية من الممكن أن يكونوا قد تصنتوا على اجتماع مع الطرزى ممثل منظمة التحرير الفلسطينية فى منزل سفير الكويت فى الامم المتحدة عبد الله يعقوب بشارة .

وقد كذبت اسرائيل التقرير وصرحت وزارة الخارجية الامريكية مرارا بأن الولايات المتحدة ليس لديها دليل يؤكد اطلاع عملاء المخابرات الاسرائيلية على الاجتماع • وطلب سيفيليتي اجراء تحقيق رسمي بصدد تلك الادعاءات ثم صرح بأن التحريات أكدت عدم وجود ما يؤيدها . ومع ذلك استمرت القصص في الظهور • واعتقد المسئولون الاسرائيليون وكذلك الموالون لاسرائيل أن شكل اسرائيل العام أضير جديا نتيجة لذلك •

وظهرت هذه القصة الخاصة بالموساد فى مجلة نيوزويك تحت عنـوان « جواسيس اسرائيل فى الولايات المتحدة » وادعت المجلـة ان الاسرائليين يتجسسون بصورة روتينية على حلفائهم الامريكيين . كما ذكرت ان أحـد خبراء المخابرات الامريكيين دون أن تذكر اسمه قد قال ان اسرائيل « توغلت داخل جميع أوساط الحكومة الامريكية وانهم يعملون أفضـل من المخـابرات السوفيتية . وقالت المجلة انه بمساعدة اليهود الامريكيين سواء داخل أو خارج الحكومة تقوم الموساد بمراقبة اى تراخ فى التأييد وتسعى للحصول على المعلومات التكنولوجية التى لا ترغب الحكومة فى اتاحتها لاسرائيل •

وذكرت المجلة أن أحد رجال وكالة المخابرات المركزية السابقين أيضـا دون ذكر اسمه قد قال : « تستطيع الموساد اللجوء الى أى يهودى أمريكى بارز طلبا للمساعدة » • وقالت المقالة : « ان الدعوة بسيطة تماما فحينماتعالت الصيحـات ولم يسـكتها أحـد نتجت الابـادة (الهولوكوست) ووفقـا لمـا قالتـه نيوزويـك فـان اسـرائيل « لـن تلجـأ الى استعمال المعلومات ضد الولايات المتحدة ومع ذلك يعتقد مسئولو وكالة المخابرات المركزية أن عمليات الموساد فى الولايات المتحدة تهدد الامن الامريكى كما يقول أحد مصادر المخابرات ان المعلومات التى لا يستطيع السوفيت الحصول عليها فى الولايات المتحدة يستطيعون أن يسرقوها من الاسرائيليين » •
وأشار المسئولون الإسرائيليون ازاء هذا الاتهام خاصة ، بادعاء ان شـبكة المخابرات الاسرائيلية أكثر أمنا من المخابرات الامريكية والحلفاء الآخرين مثل بريطانيا ، وفرنسا ، وايطاليا ، وألمانيا الغربية » واليابان •.

ورددت معظم حكايات الموساد شيئا واحدا : قدرات المخابرات الاسرائيلية الشبيهة بقدرات جيمس بوند وقالت النيوزويك « ربما تعد الموساد الأكثر دهاء فى العالم » وطبقا لما تقوله المجلة فان الولايات المتحدة تتسامح ازاء أنشـطة الموساد خوفا من اغضاب الطائفة اليهودية الامريكية ولان الولايات المتحـدة ... كثيرا بصورة ما فقد أتاحت اسرائيل للبنتاجون الالمام بحالة المعدات العسكرية السوفيتية التى استولت عليها من المصريين والسوريين كما أن عملاء الموساد من اليهود فى الاتحاد السوفيتى وأوروبا الشرقية يغذون من أثمن مصادر المعلومات لوكالة المخابرات المركزية وعلى سبيل المثال حصل أحد عملاء الموساد على نسخة من خطاب خروتشوف الشهير الذى ينتقد فيه سياسة ستالين[8].

« وقالت بيوزويك ان كل تلك الامور حدثت بجهود ١٠٠٠ فقط من عملاء الموساد في جميع أنحاء العالم وهو عدد أقل كثيرا مما لدى وكالة المخابرات المركزية أو المخابرات السوفيتية $K G B$ •

وأثار مقال بعدد ديسمبر ١٩٨٣ من مجلة فى واشنطون مسألة حساسة وهى مسألة اليهود الامريكيين العاملين فى وظائف بالامن القومى الامريكى تتعلق باسرائيل والشرق الاوسط الا وهى هل لا يزال هناك شك متزايد ازاء الولاء المزدوج يؤدى الى ابعاد اليهود عن تلك المناصب وخاصة فى وكالة المخابرات المركزية ؟ .

يقول كاتب المقال ديل فان أتا ، وهو كاتب محقق يعمل لحساب الكاتب الوطنى الشهير جاك أندرسون : « نعم » ، ردا على هذا السؤال وذلك فى مقاله المعنون « الرب والفرد فى وكالة المخابرات المركزية » . وطوال سنوات تخصص فان أتا فى قضايا الامن القومى ، وقد ذكر أن اليهود حققوا الكثير من التقدم خلال السنوات الحالية ولكن ما زالت توجد مشاكل .

وقال فان أتا : « حيث أنه من الطبيعى انهم يعتبرون من الموالين لاسرائيل فلذلك تحيطهم الظنون . فان اليهود لم يتم تعيينهم بصورة فعالة » ، وأشار الى ما قاله مسئول سابق كبير فى وكالة المخابرات المركزية : « كان من القواعد غير المكتوبة ، عدم رغبتنا فى تشغيل اليهود فى أمور تتعلق بالشرق الاوسط . ولذلك كان معظم الباحثين هم من المستعربين — الذين درسوا فى مصر وسوريا والدول المماثلة ، او كانوا من ابناء رجال الاعمال ، او الذين عاشوا بالمنطقة» .

وذكر فان أتا انه طوال عقدين من الزمان كان القسم الاسرائيلى فى وكالة المخابرات المركزية « تابعا لمجموعة مكافحة التجسس لان رئيسها جيمس جيزامس أنجلتون كان كبير ضباط الاتصال بالمخابرات الاسرائيلية ... ثم انتقل القسم من تلك الآونة خارج مكافحة التجسس وتولى عدد من اليهود مناصب مرموقة داخل الوكالة » .

لكن فان أتا أضاف : « تلك الظنون المتخلفة » وهو يشير الى الظروف التى احاطت باستقالة ماكسى هوجل من رئاسة « الاعمال السرية » قبيل أسابيع من ترشيح ويليام كيسى مدير وكالة المخابرات المركزية له فى هذا المنصب فى عام ١٩٨١ ، وهكذا كتب فان أتا : « لذلك أيد بنجاح ولد الشبكة العجوز طرد هوجل لاعبا على وتر عدم الثقة فى اليهود » .

ومن الطبيعى أن يغتاظ هوجل ، وهو من رجال الاعمال الاثرياء فى نيويورك مثير الذين عملوا مع كيسى عن قرب أثناء حملة ريجان الانتخابية الاولى فى عام ١٩٨٠ ، بسبب الادعاء الذى جاء فى ذلك المقال . ونشرت « الواشنطون

بوست » على صفحتها الاولى بعد فترة قصيرة من ترشيح هوجل لهذا المنصب الحساس ، اتهامات موجهة من اثنين من زملاء هوجل السابقين فى العمل ، بانه كان متورطا فى بعض الصفقات المريبة منذ عدة سنوات . وأنكر هوجل بشدة الاتهامات الموجهة اليه ، لكنه استقال كى يجنب كيسى والرئيس اى احراج سياسى ، ومنذ ذلك الحين عمل جاهدا فى محاولة لتوضيح صورته ، وأقام دعوى قضائية ناجحة ضد الشخصين اللذين اتهماه وهما توم وسلم ماكنيل اللذان سرعان ماتواريا بصورة غامضة .

وقد وجد بالطبع اعتراض على تعيين هوجل ، من كبار العاملين فى وكالة المخابرات المركزية ، كما كان واضحا انهم لا يفضلون شغل أحد الغرباء لهذا المنصب . خاصة اذ كان شخصا ليس لديه خبرة بأعمال المخابرات .

كما كانوا غير سعداء بتعيين الرئيس ريجان لكيسى نفسه على رأس الوكالة . واخرج لورد ماير أحد رجال وكالة المخابرات المركزية السابقين ، وحاليا يكتب عمودا فى الصحافة ، الى النور الاستياء من تعيين هوجل ، وذلك فى مقالة افتتاحية تدين التعيين . وتبعه آخرون على الفور ، مما ولد القوة الدافعة ضد هوجل ، وكان فى ذلك الحين أن نشرت « الواشنطون بوست » اتهامات ملكنيل . واستبعد بوب وودوارد الذى اشترك فى تاليف القصة الجزم بأن معاداة السامية لعبت دورا فى مسألة هوجل .

وفى مقابلة لى مع وودوارد قال لى انه لم يجد اى دليل يؤيد هذا الجدال خلال تحرياته بشأن اتهامات ماكنيل والأحداث التى ادت الى قرار هوجل ترك وكالة المخابرات المركزية .

واخبرنى هوجل ايضا انه لا يعتقد بأن معاداة السامية لها دور فى ذلك ، ولكنه دعا وكالة المخابرات المركزية وكذلك مجلة « واشنطونيان » للنظر حليا فى الامر لايضاحه بشكل نهائى . وبعد أن نشرت الواشنطون بوست الاتهامات الموجهة لهوجل ، تغاضت عن تناول المسألة بما فى ذلك اختفاء الاخوين ماكنيل .

وكتب بول ل . بيريتو محامى هوجل الى جيمس اى . تيلر المفتش العام بوكالة المخابرات المركزية يقترح اجراء تحقيق . وانكر هوجل من خلال ذلك الخطاب تمريره المعلومات الى الموساد . وكتب بيريتو يقول : « علاوة على ذلك ان موكلى يسيئه بالطبع ، ان يقرأ الزعم بأن استقالته كانت نتيجة المعاداة للسامية داخل الوكالة — وهو زعم يعتقد انه يفتقد تماما الموضوعية » .

« على اية حال ، ان ما يشغل المستر هوجل علنية تلك الاتهامات ، وأنها سوف تضر بالتكامل والثقة الشعبية بالنسبة له فى وكالة المخابرات المركزية ، بالاضافة الى أن مستر هوجل يهوله اضرار تلك الآراء بسمعته وشخصه .

ولتلك الاسباب يطلب منكم بكل تقدير ، ان تبـــــادروا باجراء تحقيق فى تلك فى تلك الاتهامات لتحديد حقيقتها ومدى دقتها . ويثق المستر هوجـــل فى ان التحقيق الكامل فى جميع الوقائع سوف يؤكد بصورة قاطعة أن تلك الاتهامات ليس لها أساس من الصحة ولا الموضوعية » .

وتلقى هوجل رداً من المفتش العام ينفى قيام المعاداة للسامية بأى دور فى الامر . وكتب تيلر فى رده : « لاتوجد شبكة معادية للسامية فى الوكالة . ولا توجد مكيدة أدت الى رحيل مستر هوجل . كما لايوجد اى دليل او اشارة تؤكـــد اى تأييد خاطىء لاسرائيل من جانب السيد هوجل وقال الرد : « نحن لسنا أقل منك اهتماما بالإ تضار وكالة المخابرات المركزية أو نفقد الثقه الشعبية . ونحن ندرك ، على اية حال ، انه توجد من وقت لآخر تعليقات سلبية تتناول الوكالة والعاملين بها ، ولايستطيع مكتبى التورط فى كل مرة نقرأ فيها بعض التأكيدات الجوفاء غير المصحوبة بأى دليل دامغ » .

هلا يزال يوجد معاداة للسامية متبقية فى الاوساط البيروقراطية بالحكومة الامريكية ؟ يجوز ، ولكن تظل الحقيقة ، قائمة وهى أن العدد الوفير من اليهود الامريكيين يعملون حاليا بالفعل فى مراكز شديدة الحساسية للامن القومى تتعلق باسرائيل والشرق الاوسط ، ورغم كل شىء كان هنرى كيسنجر يعمل وزيرا للخارجية ، وكان سول لينوفيتز وروبرت شتراوس مبعوثين خاصين الى الشرق الاوســــــط .

هل يوجد خوف من تسريب اليهود الامريكيين المعلومات الى الموساد ؟ ليس ذلك حقيقيا ، لأن مسئولى المخابرات الامريكية المحنكين اعترفوا فعـــلا بأن درجة التعاون بين وكالة المخابرات المركزية والموساد اصبحت وثيقة بالفعل الى حد أن أيا من الجهازين لم يكن فى حاجة الى التجسس على الآخـــر .

ورغم وجود بعض المخالفات فى كلا الجانبين ، فان جهـــاز المخابرات الإسرائيلى والأمريكى ، قد توصلا الى اتفاق متحفظ منذ الخمسينيات ، يحظر [illegible]طة السرية لأحدهما ضد الآخر ، وتأكد ذلك اثر نشر الواشنطون بوست [illegible]رين لتقرير وكالة المخابرات المركـــزية عـــن انشطة مخابرات اسرائيل الخارجية واجهزة الامن ، وتـــم استيلاء الايرانيين على تقـــرير وقـــع فى سبع واربعين صفحة أعدته وكالة المخابرات المركزية ، وذلك عندما احتـــل العسكريون الايرانيون سفارة الولايات المتحدة الامريكية فى طهران فى نوفمبر ١٩٧٩ . وكانت قد أصدرته وكالة المخابرات المركزية فى مارس من ذلك العام ، واكدت مصادر المخابرات الامريكية صحته ، بالرغم من رفض وزارة الخارجية الامريكية ، ووكالة المخابرات المركزية والسفارة الاسرائيلية فى واشنطون الادلاء بأى تعليقات علنية .

ونشر الثوار الايرانيون وثائق وكالة المخابرات المركزية في شكل كتب ورقية الغلاف . حصلت عليها الواشنطون بوست بمعرفة ثلاثة من الصحفيين المستقلين الذين عادوا بعدئذ من ايران ، وكشفت الوثائق عن قيام أجهزة المخابرات الاسرائيلية ، على الأخص خلال الخمسينيات بابتزاز المسئولين في الحكومة الامريكية والتصنت عليهم وتسجيل أحاديثهم ورشوتهم من أجل الحصول على المعلومات الفنية الحساسة .

وقال المسئولون الأمريكيون والاسرائيليون انه مالم يعلن عنه في تقرير وكالة المخابرات المركزية انما كان عددا من الاحداث والمحاولات الفاشلة المتعلقة بجهود الولايات المتحدة للتسلل الى مصادر المخابرات الاسرائيلية في الخمسينيات . وشرح أحد المسئولين الامريكيين محاولة أمريكية للاستعانة باليهود الامريكيين للحصول على معلومات حساسة خاصة باسرائيل . وقد تعلقت محاولات الولايات المتحدة التجسس على اسرائيل في أوائل الخمسينيات بعمليات التصنت الالكتروني المعقد داخل اسرائيل خاصة ، وضد المؤسسات الاسرائيلية في الخارج ، وكشفت اسرائيل العديد من تلك العمليات . وقال المسئولون الأمريكيون ان ذلك تم بالاضافة الى عدد من المحاولات الفاشلة لتجنيد ضباط الجيش الاسرائيلي الموفدين الى الولايات المتحدة في بداية الخمسينيات التسلل الى نشاط الموساد في فيينا ، وفقا لما كان يقوله المسئولون الامريكيون في هذا الصدد .

ونتيجة لتلك الاحداث المحرجة وغيرها توصلت الولايات المتحدة واسرائيل ، اثناء ادارة ايزنهاور ودالاس ، الى اتفاق بشأن انهاء الانشطة السرية لكل منهما ضد الاخرى . وقيل ان انجلتون رئيس شئون اسرائيل في وكالة المخابرات المركزية كان مسئولا بصورة كبيرة عن اتمام الصفقة .

واثناء احدى الفترات العصيبة التي مرت في العلاقات الامريكية الاسرائيلية ، حينما كان هنري كيسنجر وزيرا للخارجية ، كانت توجد بعض المبررات الكبرى للمبادرة بالاعمال السرية ضد اسرائيل . ولكن تم رفض هذا الاقتراح خاصه بسبب الاحراج السياسي الذي ستسفر عنه افتضاحها . وعموما ، توصلت اجهزة المخابرات الامريكية والاسرائيلية خلال السنوات العشرين الماضية ، الى علاقة عمل وثيقة للغاية وذلك بالرغم من أن كلا من الجانبين مازال مشككا ازاء « تطفل كل منهما على الآخر » في بعض الأحوال ، كما يقول احد الخبراء في واشنطون .

واتاح زبنجنيو بيرزيزنيسكي مستشار الرئيس كارتر للامن القومي أثناء السنوات الاربع التي قضاها بالبيت الابيض ، في مذكراته بعض الحكايات المتعلقة بتلك الشكوك ، وذلك في مذكراته المعنونة « السلطة والمبادىء » . فقد كتب بيرزيزينسكي يقول ، انه طلب التصنت على الوفد الاسرائيلي في كامب ديفيد ولكن كارتر منعه ، « لقد اقترحت هذه الخطوة على الرئيس ولكنه رفض ، وذلك كما اعتقد لافراطه في قيمه النبيلة ونتيجة

لذلك ، لم نتمكن من الحصول على المعلومات الكافية عما يدور فيما بين الوفود المصرية والاسرائيلية — مع ان جميعهم كانوا حذرين ، باجراء اعمالهم فى شرفات كبائنهم وليس داخلها . وكان بيرزيزينسكى كثير الظنون ازاء قيام المسئولين الامريكيين الموالين لاسرائيل بتسريب المعلومات لاسرائيل . وقال فى مذكرة كتبها فى عام ١٩٧٨ « ان الادارة تم اختراقها بواسطة هؤلاء الذين يرغبون فقط مشاركة للمعلومات مع الاسرائيليين » .

وكانت تنتابه الظنون دائما ازاء محاولة اسرائيل التجسس على الولايات المتحدة . ومما لا يصدق ، أن بيرزيزينسكى أثار احتمال استطاعة اسرائيل التصنت على اجتماع كارتر مع الرئيس السورى حافظ الاسد فى جنيف فى عام ١٩٧٧ . كتب بيرزيزينسكى يقول : « كان شاغلى الوحيد اساءة فهم بعض تعليقات كارتر واستغلالها ضده ، اذا كان أحد سجل الاجتماع . خاصة اذا كان الاسرائيليون » .

وافترض بيرزيزينسكى ببساطة ، تصنت الاسرائيليون على محادثات كارتر الخاصة ، أثناء اقامته فى جناحه بفندق الملك داود فى مارس ١٩٧٩ ، حينما كان الرئيس يحاول حل المسائل الاخيرة المتعلقة بمعاهدة السلام المصرية الاسرائيلية وكان كارتر قاسيا ذات ليلة فى وصفه مناحم بيجين لمساعده بالبيت الابيض هاملتون جوردان بقوله : « حينما ساله هاملتون مداعبا عما اذا كان يجب تسجيل ملاحظاته ضحكت وقلت : « انها سجلت بالفعل » مشيرا الى السقف » . ولم يكن لدى شك فى انهم يسجلون أحاديثنا » .

وكانت تساور السفراء الاسرائيليين فى واشنطون ايضا الشكوك ازاء التصنت عليهم . ولم يكن مما يثير من الدهشة ، على سبيل المثال ، رؤية قيام أحد المبعوثين بتشغيل أحد اجهزة الراديو وضبطه على بعض الموسيقى الصاخبة أثناء اجراء احدى المحادثات الحساسة .

الفصـــل الخـــامس

الكونجرس واسرائيـــل

كان يتم اجراء ما يزيـــد على اثنى عشر اقتراعـــا فى اللجان الفرعيـــة واللجـــان العامة وقاعات الكونجرس ومجلس الشيوخ ، بشأن الجوانـــب المتعددة الخاصة باعتمـــاد وتخصيص وتشريع المعونات الخارجية الضرورية . وكانت خسارة اى اقتراع منهـــا ، يجـــوز أن تقضى على آمال اسرائيل فى زيـــادة المعـــونات .

وقد تلاشى الصراع الطويل والمرير بتوقيـــع الرئيس ريجـــان لقـــرار خاص بتمويل اضافى فى ديسمبر ١٩٨٢ ، ولكن لـــم تحـــظ اسرائيل ومؤيدوها الامريكيون بوقت طويل للتمتع بانتصارهم . وعلـــم المســـئولون الاسرائيليون والموالون لاسرائيل وأعضاء الكونجرس أن ادارة ريجان فى سبيلها لطرح قرار آخر بصدد المعونات الخارجية أمام الكونجرس ، للسنة المـــالية ١٩٨٤ . مما يعنى أن الاجـــراءات بأكملها التى تستغرق عدة شهور يجب ان تبـــدأ من جـــديد ، اى جلســـات استماع أخرى يليهـــا مناورات — مؤيدة ومعارضة — وكلهـــا سوف تكون مكثفة بالضرورة .

تلك اذن هى قصة الكونجرس واسرائيل . والقصة التى تدور معظم الوقت حول النقـــود . نوفقا للقانون الامريكى يجب أن يقر الكونجرس ويحدد جميع المعـــونات الخارجية ، وأصبحت اسرائيـــل التى تزايد اعتمـــادها فى السنوات الاخيرة على المعونات الاقتصادية والعسكرية الامريكية ، تعتمـــد بالتالى على أصدقائها فى الكونجرس لتأييد القرارات الضرورية . ولا يعنى ذلك القول بأن الكونجرس ضرورى لاسرائيـــل فقط ، لانـــه يســـيطر على اجراءات المعـــونة الخارجية ، حيث توجـــد أدوار حيـــوية أخـــرى اعتـــاد الكونجرس القيام بها تأييدا لاسرائيل . وفى كثير من الاحيـــان ، أتـــاح التأييد السياسى الضرورى للغاية ، فى مواجهة احـــد مواقف الادارة الصعبة المعتادة وفى بعض الاوقات ، صد او على الاقل ، الحـــد من مبيعـــات الاسلحة الى أعـــداء اسرائيل من العرب .

وطوال السنوات ، وسواء تولى الديمقراطيون أو الجمهوريون امـــور البيت الابيض . استطاعت اسرائيل دائما الاعتماد على أصدقائها فى مجلس الشيوخ ومجلس النواب للوقوف الى جانبهـــا خـــلال ســـنوات الشـــقاق مع الادارة الامريكية .

وفى كثير من الاحيـان ، حينما تتضمن مشروعـات قوانين المعـونات الخارجية ، القليل من المساعدات لاسرائيل أو التى لا تحظى بالشروط الميسرة ، يقـوم الاعضاء القياديون فى الكونجرس ومجلس الشيوخ بتعديل الاقتراحات خـلال مناقشتهم المنفردة للقوانين . وفى معظم الاحـوال ، لم يكن أمـام الحكومة اية فرصـة للاختيار ، بـل لم يكن أمامهـا سوى السـير قدمـا مع مبـادرات الكونجرس الموالية لاسرائيل . وكان الكونجرس ايضا يحتج بصـوت عـال حينمـا كان يشـعر ان الادارة التى تتـولى السـلطة ، لـم تكن تتيـح المعـدات اللازمـة لاسرائيـل أو انهـا توصى باعطـاء الاسلحة المتطـورة الحديثـة لجيران اسرائيل العرب . وعلى سبيل المثال ، حينما اجلت ادارة نيكسون فى سنة ١٩٦٩ طلب اسرائيل مقاتلات الفانتوم من طراز ف ـ ٤ أصدر الكونجرس ومجلس الشيوخ قرارات حاسمة تتحـدى قرارات الادارة بتأجيل واثر ذلك بوقت قصير بدأت الطائرات تصـل الى اسرائيل . وعلى النقيض حينما اقترحت الادارة عقـد صـفقات كبيرة من الاسلحة مع الدول العربية مثل صفقة بيع طائرات ف ـ ١٥ حاول أعضـاء الكونجرس الموالون لاسرائيل منع الصفقة . كما حصلت الاردن فى عـام ١٩٧٥ على صواريخ هوك المضادة للطائرات على شرط ان تقـام فى مواقـع بالجانب الشرقى من البلاد وبعيدا عن الحدود الاسرائيلية . وفى عام ١٩٧٨ تأكدالكونجرس من أن طائرات ف ـ ١٥ للسـعودية لا تحتوى على حوامل صواريخ وخزانات وقود اضافية ومع ذلك اتاحت ادارة ريجان فى سـنة ١٩٨١ خزانات الوقود ضمن صفقة طائرات اواكس .

وكان أكبر دليل يؤكد تأييد الكونجرس لاسرائيل خلال احدى المواجهات مع الادارة جرت وقائعه أثناء الشهور الستة التى أعـاد فيها فورد وكيسنجر تقويم العلاقات مع اسرائيل حينئذ لم يتم توقيع عقود جديدة للاسلحة الامريكية

وقبل حرب يوم كيبور احتلت اسرائيل المركز الرابع والعشرين بين المتلقين للمعونات الخارجية الامريكية منذ الحرب العالمية الثانية . وذلك يعنى أنه منذ عام ١٩٤٥ حتى عام ١٩٧٣ تلقت ثلاث وعشرون دولة من الولايات المتحدةمساعدات مالية اجمالية تزيد عما حصلت عليه اسرائيل . وفى عام ١٩٧٩ على اية حـال صعدت اسرائيل الى المرتبة الثانية فى القـائمة المستديمة . وكانت فيتنام الجنوبية هى الوحيدة التى حصلت على معونات اقتصادية وعسكرية من امريكا اكثر من اسرائيل منذ الحرب العالمية الثانية . واصبحت اسرائيل تتقدم كوريا الجنوبية واليابان وجميع دول اوروبا الغربية التى تلقت معونات خارجية مباشرة فى ظل مشروع مارشال . وبعد قطع المعونات عن فيتنام الجنوبية اثر ابرام معاهدة باريس للسلام فى عـام ١٩٧٣ اصبحت اسرائيل أكبر دولة تتلقى المعونات الخارجية .

وبعد اسبوع من الهجوم المصرى السورى المفاجىء فى ٦ اكتوبر ١٩٧٣ واثر الخسائر الفادحة المتتالية فى المعدات والافراد الاسرائيليين اقامت الولايات المتحدة جسرا جويا لنقل الامدادات العسكرية الضخمة الى اسرائيل من مخزون الولايات المتحدة فى أوروبا . وأعلن الرئيس نيكسون اثناء الايام الاخيرة من المعارك برنامجا لقروض عسكرية قيمتها ٢ر٢ بليـــون دولار لدفع قيمة دبابات وطائرات وصواريخ واسلحة أخرى تم ارسالها الى اسرائيل . وكانت اسرائيل حتى اتاحة تلك القروض تحصل على كمية متواضعة نسبيا من المعونات الاقتصادية والعسكرية وفقا لقوانين المعونات الخارجية الامريكية السنوية . ولم تحصل فى الماضى على أية منح عسكرية ـ فيما عدا القروض العسكرية ذات الفوائد .

وأصبحت واشنطون بصورة واضحة المصـدر الاكبر الوحيد للمعونات الخارجية لاسرائيل . وخلال السنوات العشر التالية لحـرب أكتوبر اصبح الاقتصاد الاسرائيلى الذى مزقته المصروفات العســكرية الهائلة والتضخم المتضاعف والعجز فى ميزان المدفوعات يعتمد تماما (البعض يقول يرتكز) على المساعدات المالية الامريكية .

ومع أن اسرائيل تمثل حالة تستحق تلقى المساعدات السنوية المتزايدة لانها أفضل حليف تستطيع الولايات المتحدة الاعتماد عليه فى هذه البقعة من العالم الا أن المساعدات الخارجية لا تأتى من واشنطون بسهولة . اذ يجب أن تقدم جميع توصيات الاجهزة الامريكية المختصة الى البيت الابيض ثم الى الرئيس الذى يوصى للكونجرس بما يختاره ثم يتم طـرح ميزانية فيدرالية جديدة فى بداية فبراير .

ويـدرك المسئولون الاسرائيليون جيـدا ان سياسات اسرائيل المتعلقة بالمفاوضات الدبلوماسية الحساسة والقضايا الاخرى المثيرة للجدل مثل قضية المستوطنات بالضفة الغربية لها تأثيرها المباشر على وجهات النظر الامريكية لذلك تضع اسرائيل فى حسبانها تفادى احراج صـناع السياسة الامريكية وأصبح ذلك من سمات العلاقة بين واشنطون والقدس ولكن نظرا لمؤثرات السياسات الداخلية الامريكية خاصـة التى يعكسها الكونجرس وكذلك ازاء حقائق القوة العسكرية الاسرائيلية الذاتية واهميتها الاستراتيجية فان استياء صناع السياسة الامريكية نادرا ما يؤدى الى الضغط على اسرائيـل بالقسوة التى كان البعض يرغبونها .

ومنذ بدأت اسرائيل فى الحصـول على الجانب الاكبر من المعونات الخارجية اصبحت صورتها وشعبيتها فى كابيتول هيل عظيمة الاهمية بالنسبة

المسئولين فى القدس وكان القادة الاسرائيليون الزوار يقومون دائما بجهود مكثفة للتأثير فى رجال الكونجرس أثناء لقاءاتهم المعتادة بهم ٠

ولكن بعد حرب ١٩٧٣ ضاعفت اسرائيل تلك الجهود فقد ذكر الشيوخ والنواب الذين زاروا اسرائيل انهم عوملوا معاملة « الملوك » بالرغم من أن المسلم به كان سعى حفنة من خصوم اسرائيل فى الكونجرس الى خفض كمية المعونات المقررة لاسرائيل ٠ وقد حارب مؤيدو اسرائيل العديدون ٠ وجماعات الضغط *LOBBIES* الموالون لاسرائيل فى الادارة ووزارة الخارجية تلك المحاولة بقوة وكان أن أكد كيسنجر ومسئولو وزارة الخارجية الآخرون فى نهاية عام ١٩٧٥ على سبيل المثال أن توصيتهم للكونجرس باعتماد ما قيمته ٣ر٢ بليون دولار لاسرائيل انما كان الحد الادنى الضرورى للدولة اليهودية ٠

وذكر الوزير أن اسرائيل فى الواقع طلبت من الولايات المتحدة ٦ر٢ بليون دولار وذلك فى يناير السابق ، حينما أخبرت واشنطون باحتياجاتها المالية ، وقال الوزير أن ذلك كان قبل عدة شهور من انجاز اتفاقية سيناء التى وضعت اعباء مالية اضافية على كاهل دافعى الضرائب الاسرائيليين ، وصرح كيسنجر قائلا نحن نعتقد أن فى غاية الاهمية ادراك الشعب الامريكى أن ليست الاتفاقية هى التى تثمر الحاجة الى مساعدة الاطراف ، ولكنها المصالح القومية بعيدة المدى للولايات المتحدة . « وباعت الحكومة برنامج المعونات الامريكية للشرق الاوسط بأكمله للكونجرس كاستثمار فى السلام — وهو عرض باهظ ، ولكنه اقل تكلفة لامريكا من حرب عربية اسرائيلية أخرى » .

وقد بدأت *AIPAC* اللجنة الامريكية الاسرائيلية للشئون العامة حملتها مبكرا فى ذلك العام ، وارسلت مذكرة تفصيلية لجميع اعضاء الكونجرس موضحة الاسباب التى تجعل من المعونة الامريكية لاسرائيل ذات نفع كبير للمصالح القومية الامريكية وجاء فى المذكرة : « أن الدول العربية لن تعقد السلام ابدا مع اسرائيل الضعيفة التى يشعرون بأنهم يستطيعون هزيمتها عسكريا ، كما لا تستطيع اسرائيل اجراء اى تنازلات اخرى ، طالما تعرض امنها القومى للخطر » . وتم ارسال تلك المذكرة ايضا الى جميع اعضاء اللجنة الامريكية الاسرائيلية للشئون العامة فى أنحاء الولايات المتحدة . واشارت المذكرة ايضا الى أن اسرائيل اصبحت بالفعل مثقلة بالديون ، للدفع من أجل أمنها وقد « أصبحت نفقات الدفاع تستهلك بالفعل ٣٠٪ من اجمالى الناتج القومى للبلاد ، ويدفع الاسرائيليون أعلى نسبة ضرائب فى العالم » . « وقد لجأت جماعات الضغط باللجنة الامريكية الاسرائيلية للشئون العامة الى ترديد الحجج الى جانب

الحجج الاخرى التى ساقها الشيوخ والنواب الاصدقاء ومعاونوهم ، كذلك المسئولون الاسرائيليون والمتعاطفون الآخرون مع اسرائيل . وذلك سعيا لتصديق الكونجرس النهائى بالموافقة على كمية المعونات .

وكما ذكرنا اعتاد الكونجرس زيادة المعونات الامريكية التى تقترحها الادارة لاسرائيل . وذلك منذ تلقت اسرائيل قرضها الاقتصادى الاول فى بداية الخمسينيات،وقدره خمسون مليون دولار ، واثناء تلك الحقبة لم تكن تسعى الادارة لمنح المساعدات لاسرائيل ، خوفا من رد الفعل السلبى فى العالم العربى . وكان الكونجرس هو الذى بادر بالمعونات ، وفى بعض الاحيان كانت تزداد المعونات لاسرائيل ، بالرغم من تخفيضها بشكل كبير بالنسبة الى الدول الاخرى . وكانت لاسرائيل شعبية لدى كثير من اعضاء الكونجرس حتى انهم كانوا يعطون أصواتهم لتمرير برنامج المعونات الخارجية للعالم اجمع ، فقط من أجل الحصص المتاحة لاسرائيل ، وبالرغم من الظنون الجادة المحيطة بالحصص المخصصة للدول الاخرى ، وكان ذلك حقيقيا بصورة خاصة بالنسبة لبعض النواب المحافظين مثل جاك كيب العضو الجمهورى عن نيويورك .

ونتيجة لاحضار الفنيين الامريكيين الى سيناء فى عام ١٩٧٥ . أصبح من المعتاد قيام عدد من المشرعين الامريكيين ، خاصة اليهود الذين عرفوا بعدم تأييد اسرائيل فى المقام الاول ، باثارة التساؤلات عن العلاقة الامريكية الاسرائيلية ومدى الالتزام الامريكى نحو اسرائيل وغطت المناقشات فى الكونجرس ومجلس لشيوخ والتى سبقت الموافقة على اقتراح الادارة بارسال الفنيين الى سيناء ، غطت على ما حدث فى الكونجرس أثناء استعراض قانون المعونات الخارجية ، والتطورات الاخرى التى حدثت منذ ذلك الحين . وكان يسود التذمر من اجراء اضطرار دافعى الضرائب الامريكيين الى تبذير أموالهم فى هذا الكم الهائل من المساعدات الخارجية على جماعات الشرق الاوسط ، وبالرغم من أن تلك الشكاوى العلنية صدرت عن حفنة من اعضاء الكونجرس،

واعلن السيناتور جيمس الين العضو الديمقراطى عن الاباما ، أنه كان مشغولا للغاية بسبب تورط الولايات المتحدة المتصاعد فى الشرق الاوسط بسبب ضمانها للسلام ودعونا نواجه الحقيقة — لأن الولايات المتحدة فى الواقع ، انما تشترى السلام بدولارات دافعى الضرائب الامريكيين « واحتج لأن الولايات المتحدة سوف تدفع لاسرائيل ٩ بلايين دولار فى السنوات الثلاث القادمة . كما أبدى السناتور الجمهورى عن كانساس روبرت دول قلقه بشأن صفقة المعونات الضخمة المقررة لاسرائيل . ودعا الدول الاخرى الى المساهمة

فى تحمل الاعباء المالية قائلا : « توجد دول كثيرة ، تستفيد مثلنا بل اكثر منا ، من السلام فى الشرق الاوسط ، ويبدو من الانصاف ، أن يتحملوا جزءا من التكاليف » .

ومن وقت لآخر استغلت الادارات الامريكية المتعاقبة المعونات الخارجية للتأثير على السياسات الاسرائيلية لكنه فى معظم الاحيان كانت الضغوط تمارس بصورة غير مباشرة واكثر رقة . اذ يمكن توجيه الانذارات من خلال طرف ثالث ، وعلى سبيل المثال ، فى ديسمبر ١٩٧٨ ، حينما كانت العلاقات الامريكية الاسرائيلية شديدة التوتر ، بسبب فرض المفاوضات وبالتالى فرض معاهدة السلام الاسرائيلية المصرية ، حذر زعيم الاغلبية فى مجلس الشيوخ والعضو الديمقراطى عن ولاية ويست فرجينيا السناتور روبرت بيرد ، بأن الكونجرس سيرتد عن مضاعفة المساعدات المالية لاسرائيل ، طالما استمرت فى اقامة المستوطنات فى الضفة الغربية وقطاع غزة ، وصرح المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية الامريكية هودنج كارتر الثالث يوم ١٣ ديسمبر ١٩٧٨ بأنه يعتقد ان السناتور كان يتحدث عن نفسه ، حينما سئل عما اذا كان السناتور بيرد يمثل الادارة . وقال المتحدث ، انه « ليس قلقا » ازاء الربط فى المستقبل بين المعونات الامريكية لاسرائيل واقامة المستوطنات الجديدة التى قالت عنها ادارة كارتر أنها غير شرعية وفقا للقانون الدولى كما أنها تشكل « عائقا » امام عملية السلام .

وقال المتحدث الرسمى الامريكى : « لقد قلنا دائما أن احتياجات اسرائيل الامنية تعد مسألة لها وضعها المميز ، واضاف المتحدث أن أمريكا أوفت بالتزاماتها لاسرائيل طوال ثلاثة عقود من الزمان ... ولن نتخلى عن هذا الالتزام الشامل » .

قبل ذلك ، قال بيرد الذى كان حينئذ عائدا من رحلة الى الشرق الاوسط ، فى مؤتمر صحفى ، ان اسرائيل يجب ان تقدم « دليلا يؤكد نواياها الطيبة » بتجميد عملية اقامة المستوطنات تماما . لكنه بالرغم من انكار وزارة الخارجية الرسمى كان يوجد اعتقاد كبير فى واشنطن بأن تحذير زعيم الاغلبية الشديد لاسرائيل . كان بوحى من البيت الابيض وان لم يتم الاعلان عن ذلك رسميا . وتلك بالتأكيد كانت وجهة النظر الاسرائيلية ، وبالاضافة الى أن بيرد فى الواقع كان قد اجتمع مع كارتر قبل اعلان بيانه ، فقد كان ثمة دلائل أخرى تؤكد هذا الاعتقاد ، ففى المؤتمر الصحفى كرر بيرد أنه سافر الى الخارج بوصفه مبعوث كارتر الخاص ، وقال انه أطلع وزير الخارجية فانس فى لندن على محادثاته قبل أن يسافر فانس الى

القاهرة ، وصيغت تصريحاته ضد اقامة المستوطنات اليهودية ، فى بيان تم اعداده بعناية ، وقد قرأه فى بداية مؤتمره الصحفى . ولم يكن يبدو أن بيرد سيتخذ مبادرة محددة بصدد الشرق الاوسط ، وبالتأكيد فى مثل تلك اللحظة الدقيقة من المفاوضات الا اذا كان مفوضا من الرئيس كارتر .

وأخيرا جاءت تصريحات بيرد فى الوقت الذى كان الرئيس يعبر فيه عن اهتمامه العميق بسياسة الاستيطان الاسرائيلية . وقد عبر ومعه مسئولون امريكيون آخرون عن غضبهم حينما قرأوا التقارير الصحفية التى تصرح بأن اسرائيل تنوى محاولة الحد تماما من جدية مشروع الحكم الذاتى الفلسطينى المقترح .

وابدى المسئولون الاسرائيليون استياءهم البالغ من تصريحات السناتور . ولكن ، واثناء القاء بيان وزارة الخارجية ، حاول هودنج كارتر أن يؤكد ان بيرد كان يتحدث عن وجهة نظره هو وقال : « ان السناتور من أعضاء مجلس الشيوخ البارزين ، وهو يعبر عن آرائه بصدد العديد من المسائل » واستمر قائلا ان الحكومة حاليا بصدد عملية تقدير للمعونات الخارجية المخصصة لاسرائيل للسنة المالية القادمة . كما قال ان الولايات المتحدة مازالت تجرى مشاوراتها الداخلية بشأن طلب اسرائيل المعونة من اجل اعادة بناء خطوط دفاعها فى النقب . وانه « لا يستطيع اضافة شىء أكثر من ذلك » . وكانت اسرائيل حينئذ تسعى للحصول على ٣ بلايين دولار اضافى كجزء من المعونة الخاصة لتغطية نفقات انسحابها من سيناء .

وقد حكى دكتور ويليام كوانت ، وكان من خبراء الشرق الاوسط فى مجلس الامن القومى فى عهد ادارة كارتر ، حكى قصة مثيرة عن الضغوط الامريكية العسكرية المباشرة على اسرائيل وكان ذلك اثناء جلسة استماع للجنة الشئون الخارجية بالكونجرس فى الرابع من شهر اغسطس سنة ١٩٨٢ ، وقد ذكر كوانت ، وكان فى ذلك الحين يعمل فى معهد بروكينجز بواشنطون ، أن الولايات المتحدة علمت فى عام ١٩٧٧ أن بعض المعدات العسكرية الامريكية الثقيلة كانت ما تزال فى مواقعها بجنوب لبنان ، تحت سيطرة الرائد سعد حداد القائد المسيحى المارونى اللبنانى الموالى لاسرائيل . ويحظر القانون الامريكى تحويل مثل تلك المعدات لاطراف ثالثة دون موافقة الولايات المتحدة المسبقة . واحتجت ادارة كارتر ، من خلال القنوات الدبلوماسية الخاصة ، على اسرائيل . وردت اسرائيل بانكار الاتهامات ، وأكدت أن جميع المعدات الامريكية تم نقلها من جنوب لبنان . وقال كوانت حينئذ انه تم تكليف المخابرات الامريكية بتحرى الموقف على الطبيعة ، وقد اكتشف أن المعدات الثقيلة مازالت فى مواقعها ، بالرغم من الانكار الاسرائيلى . وأضاف كوانت انه لذلك ارسل الرئيس كارتر رسالة جدية

خلصة الى رئيس الوزراء بيجين ، يحذره فيها من أن عدم تحريك المعدات على الفور ، سوف يؤدى الى اعلان الحكومة للكونجرس بانتهاك اسرائيل شروط عقود الاسلحة مع الولايات المتحدة . ووفقا للقانون الامريكى يمكن أن يؤدى ذلك الى ايقاف جميع الامدادات العسكرية الامريكية الى اسرائيل . وقال كوانت « لا ضرورة للقول ، بأن اسرائيل قامت حينئذ بنقل المعدات خلال ثمان واربعين ساعة » . ولم يخبر كارتر الكونجرس بصراحة كافية بانتهاك اسرائيل لالتزامات عقود أسلحتها مع الولايات المتحدة » .

وحكى كوانت تلك القصة كى يؤكد اعتقاده بأن ضغوط الولايات المتحدة على اسرائيل حين تطبيقها بصورة صحيحة يمكن أن تكون مؤثرة وصائبة ، ومضى مسئول ادارة كارتر يعبر عن الشك فى أن العقوبات ضد اسرائيل سوف تكون مفيدة وضرورية من اجل تخفيف الازمة فى بيروت الغربية ، تلك الازمة التى كانت قائمة فى ذلك الحين ، وقال ان من المؤكد ان الحرب أصبحت اكبر من تلك الافعال . واقترح بدلا عن ذلك ، أن تحتفظ الولايات المتحدة بمثل تلك الخيارات العنيفة ، لمرحلة أخرى أكثر اهمية ، تتعلق بالمفاوضات الخاصة بالفلسطينيين وبمستقبل الضفة الغربية وغزة .

واتخذ هارولد سوندرز الذى كان أكبر خبراء وزارة الخاجرية اثناء ادارة كارتر والذى انضم الى *AMERICON ENTERPRISE INSTITUTE* أمريكان أنتربرايز أنستتيوت » بعد تركه منصبه ، وهو أحد كبار المفكرين فى واشنطون ، اتخذ موقفا مختلفا بشكل ما ، فقد قال أمام الكونجرس أيضا ، انه خلال العامين الاولين من ادارة ريجان ، فقدت الولايات المتحدة مصداقيتها مع اسرائيل والعالم العربى على السواء . ومضى يقول ، انه لا احد أصبح يتخذ تهديدات الولايات المتحدة لاسرائيل موضع الجد ، وكان حريا بالرئيس ريجان أن يضع حدودا للسلوك الاسرائيلى المقبول ، اثناء اجتماعه الاول مع بيجين فى سبتمبر ١٩٨١ ، وأضاف سوندرز قائلا انه لو كان فعل ذلك ، فلربما أصبحت اسرائيل اقل رغبة فى السير بمفردها ثم : « ان الوقت أصبح متأخرا للحديث فى مسألة العقوبات » .

جرى حوار كواندت ، سوندر ، حينما كانت تدور الهمسات فى الاوساط الرسمية بواشنطون ، بصدد احتمال فرض ادارة ريجان العقوبات على اسرائيل بعد ضرب اسرائيل بقايا المواقع الفلسطينية القوية بغرب بيروت ، رغما من طلب ريجان المباشر من وزير خارجية اسرائيل اسحق شامير قبل ذلك بأسبوع ، أن يوقفوا الضرب . حينئذ كان المسئولون الامريكيون يرددون فى أحاديثهم الخاصة احتمال أن تبدأ الولايات المتحدة استعمال الشدة مع القدس . كان خطاب ريجان الى بيجين بعد الاعمال العسكرية الاسرائيلية ضد منظمة التحرير الفلسطينية يوم ٤ اغسطس فظا وتضمن على الاقل تهديدين مبهمين ، وقال المسئولون الامريكيون ان خطابات ريجان الى بيجين

فى الماضى كانت ودية ورقيقة ، وكان يبدؤها بعبارة « عزيزى بيجين » ويوقعها بكنيته « رون » ولكن هذا الخطاب ، كما قالوا ، كان رسميا للغاية وجديا » .

أشار الخطاب ، الذى ما زال محفوظا ، الى احتمال حظر ارسال المعدات العسكرية لاسرائيل . وجاء به أن استمرار ضرب اسرائيل بيروت الغربية بالقنابل اثار مسألة التزام اسرائيل باستعمال الاسلحة الامريكية فقط من أجل الدفاع الشرعى عن نفسها ، وفقا لبنود الاتفاقية الامريكية الاسرائيلية عام ١٩٥٢ ، وحذر الخطاب ايضا من الآثار المترتبة على العلاقات الامريكيه الاسرائيلية فى المستقبل ، اذا اقتحمت اسرائيل بيروت الغربية . وكان ريجان قد وجه التحذير نفسه الى شامير قبل ذلك بيومين . وقال المسئولون الامريكيون أن من الممكن أن يشمل ذلك احتمال لجوء الولايات المتحدة الى تأييد القرارات المضادة لاسرائيل فى الأمم المتحدة . ومضى الخطاب يؤكد أنه حتى آخر جولة من القذف الاسرائيلى كان فيليب حبيب المبعوث الخاص للشرق الاوسط على وشك التوصل الى اتفاقية مع منظمة التحرير الفلسطينية تترك بمقتضاها بيروت الغربية . وطالب ريجان بايقاف ضرب النار فورا ، مؤكدا أن رد الفعل الاسرائيلى تجاه استفزازات منظمة التحرير الفلسطينية « غير متناسب بتاتا » .

والى جانب تصريحات المسئولين الامريكيين لوسائل الاعلام ، كانت توجد ضغوط أخرى غير مباشرة ضد اسرائيل ، أثناء تلك الايام العصيبة من الحرب . فقد خرج زعيم الجمهوريين بالكونجرس من اجتماع مع الرئيس بالبيت الابيض كى يخبر الصحفيين بأن افعال اسرائيل العسكرية الاخيرة لا تساعد « بالتأكيد » على التوصل الى حلول بتلك المنطقة . وقال أن ريجان نفسه كان مستاء للغاية ، وقال الزعيم الجمهورى بمجلس الشيوخ هوارد بيكر نائب تينيسى « أعتقد أن الاسرائيليين يرغبون فى السلام ، كما أعتقد انهم يريدون الحد من تهديدات منظمة التحرير الفلسطينية ، ومع ذلك أعتقد انهم يجعلون مهمة السفير حبيب والولايات المتحدة ، للتوسط من أجل الوصول الى حل سلمى ، أمر بالغ الصعوبة » . وكان السناتور الجمهورى عن ولاية ميريلاند ، تشارلس ماك ماتياس فى غاية القسوة فى هجومه على اسرائيل ، اذ قال « يجب أن ندرك حقيقة أن ذلك تم بواسطة الاسلحة الامريكية ، والى حد ما بالنقود الامريكية . واذا استمر ذلك بالرغم من طلب رئيس الولايات المتحدة الامريكية العاجل (طلب الرئيس ريجان ذلك من وزير الخارجية الاسرائيلى) فاننى أعتقد أننا سوف ننظر فى بنود القانون الامريكى التى تنص على أن تلك الاسلحة اتيحت للدفاع عن اسرائيل ، ثم نحكم فيما اذا كان ضرب بيروت بالقنابل يعد عملا دفاعيا عن اسرائيل » .

وأدرك الجميع أن تلك الضغوط تزايدت على ريجان لابعاد واشنطون عن القدس ، وقبل ذلك بعام ، كان قد فرض عقوبات تأديبية ضد اسرائيل بعد

ضربها المفاعل النووى العراقى بالقنابل ، ثم بعد الضربة الجوية ضد منظمة التحرير الفلسطينية فى بيروت . بتأجيل تسليم اسرائيل طائرات — ف ١٦ المقاتلة لعدة أسابيع ، ولكن ريجان بشكل عام ،كان فى غاية الحرص قبل فرضه عقوبات اضافية ضد اسرائيل . وذكر كثير من المراقبين الامريكيين أنها تؤكد عجز الولايات المتحدة عن التأثير فى السياسات الاسرائيلية . وكمثال على تجنب الولايات المتحدة اى تفكير فى الضغط على اسرائيل ، أكد جورج بوش نائب الرئيس لوفد من الزعماء اليهود الامريكيين فى الخامس من شهر أغسطس ١٩٨٢ أن العقوبات ضد اسرائيل ليست موضع دراسة .

وظهر فى نفس الليلة ببرنامج نايت لاين الذى تذيعه شبكة A B.C. التليفزيونية السفير موشى أرينز حيث قال ان الاصدقاء والحلفاء مثل الولايات المتحدة واسرائيل يجب الا يلجأوا الى الضغوط اثناء تعاملهم معا . وعلى كل حال ، كما قال آرينز ، لن تنجح ضغوط الولايات المتحدة على اسرائيل ، خاصة حينما تكون مصالح اسرائيل القومية الحيوية معرضة للخطر ، وذكر آرينز أن اسرائيل أبدت الرغبة فى التضحية بأعز ما تملك — يعنى ابناءها — لتدافع عن حدودها الشمالية مع لبنان ، ولذلك ستكون على استعداد للتضحية بالمساعدات الاقتصادية الامريكية اذا تعرض أمنها للخطر ، ويبدو أن جورج شولتز ، فى اجابته على الاسئلة المطروحة من لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ اثناء تأكيد ترشيحه ، كان يرفض حظر الاسلحة عن اسرائيل كوسيلة للضغط . وقال : « ربما يبدو ان لها فائدة قصيرة المدى ، الا أن الضغوط والتهديدات ليست فى اعتقادى هى أفضل السبل للتوصل الى حل نهائى ودائم للمسائل طويلة المدى » .

وأثار ملكس فرانكل — كاتب المقالات الافتتاحية الشهيرة فى جريدة نيويورك تايمز — عاصفة من الاحتجاج فى اسرائيل ، حينما كتب فى عام ١٩٨٣ يقول ان زعماء المعارضة الاسرائيليين يرغبون فى أن تمنع الولايات المتحدة معوناتها الاقتصادية عن اسرائيل للمساعدة فى اسقاط حكومة رئيس الوزراء بيجين ، فقد كتب فرانكل اثر زيارة قام بها لاسرائيل يقول « وبذلك اقتصرت المعارضة على رجاء أمريكا بمقاطعة حكومة بيجين ، والآن اصبحت تتبع وسائل لم تكن تخطر على بال احد منذ أسابيع قليلة فقط ، « ووصف ببعض التفصيل » الحجج المروعة التى يسوقها عدد من الزعماء الاسرائيليين كى تخفض الولايات المتحدة معونتها الاقتصادية لوطنهم » .

وأوضح فرانكل خلال مقابلة لى معه انه كان يشير الى زعماء « تكتل العمل » المعارض (الا أنه رفض ذكر الاسماء) الذين بسبب اليأس من الفوز بالمناصب كانوا يلجأون الى الولايات المتحدة لنيل تأييدها للمساعدة فى اسقاط

حكومة بيجين . وكتب يقول : « ومن أجل هذا الهدف ، يخاطر زعماء المعارضة البارزون بالضياع السياسى بنصحهم لامريكا باجراء تخفيض كبير فى معوناتهـا الاقتصادية غير العسكرية التى تبلغ ٨٠٠ مليون دولار » ، وأنكر زعماء العمل ومنهم شيمون بيريز تلك الادعاءات بشدة .

وفى واشنطن لم تكن فكرة تخفيض المعونات جديدة تمام الجدة ، فقد تم بحثهـا بعض الوقت خاصـة أثناء زحف اسرائيل الى لبنـان ومـن جـراء سياستهـا المستمـرة الخاصـة ببنـاء المستوطنـات ، على ايـة حـال ، فـان الأمـر الـذى كان مختلفـا هـذه المـرة ، أن الفكرة فى الماضى كانت مرتبطة بأكبر معارضى اسرائيل فى الماضى جورج بول مساعد وزير الخارجية السابق . فقد كتب بول فى أغسطس ١٩٨٢ فى الصفحة الاولى من جريدة نيويورك تايمز يطرح هذه التوصية « باسم الانسانية والقيم يجب علينا أن نقدم المساعدة الوفيرة للشعب اللبنانى ، وباسم المنطق والعـدل يجب أن نقتطع ثمن ذلك من معونتنا السنوية لاسرائيل » . ومضى بول يقول أن جملة المعونات الامريكية الخارجية لاسرائيل بلغت فى السـنوات الاربع السابقة ربع لجمالى معوناتنا الخارجية — مما يشير الى بعض الخلل فى القيم ، لانها تمنح لدولة يبلغ تعداد سكانها أقل من تعداد ديترويت ، أو ١/١٠ من واحد بالمائة من تعداد سكان العالم » .

وداخل الاوساط البيروقراطية بادارة ريجان ، اقترح البعض أن تخفض الولايات المتحدة مساعداتها الاقتصادية لاسرائيل بما يماثل تكاليف اقامة وتدعيم المستوطنات اليهودية ومشروعات الاسكان فى ضواحى الضفة الغربيـة . وقدرت الحكومة الامريكية الحـد الأدنى للانشطة الاستيطانيـة فى عام ١٩٨٢ بحوالى ١٠٠ مليون دولار ، وكان الحد الاقصى ٢٠٠ مليون دولار . ولكن رفض كل من الرئيس ريجان ووزير الخارجية شولتز الاخذ بالنصيحة . وأعلن ريجان فى مؤتمر صحفى بالبيت الابيض فى الحـادى عشر من شهر نوفمبر ١٩٨٢ : « أن العقوبات الاقتصادية ضد اسرائيل لن تساعد فى الموقف الذى نحن فيه اليوم ، ولا أعتقد أن الحديث عن ضرورة توجيه التهديدات بشكل أو آخر أو عدم ضرورتها سوف يكون مثمرا بالمرة » . وقال شولتز أثناء مؤتمر صحفى بوزارة الخارجية فى الثامن عشر من شهر نوفمبر ، حينما سئل فيما اذا كان يجب الربط بين المعونة الاقتصادية لاسرائيل وسياسة المسـتوطنات أم لا ، أجاب بعد أن استنكر الاستيطان : « لقد كنا فى غاية الوضوح كما اعتقد منذ البداية . اذ نحن نعتقد أن المستوطنات وانتشارها ليس أمرا بنـاء بالمرة ولا تسـاهم فى عملية السـلام .

واخبرنى السفير ارينز فى ذلك الحين انـه لم يحدث فى ذلك الوقت أن هدد احد المسئولين الامريكيين ، حتى من بعيد ، باستعمال المعونة الاقتصادية لاسرائيل للضغط من اجل ايقاف المستوطنات ، واكدت لقاءاتى مع كبـار

المسئولين الامريكيين ، ان الاتجاه السائد داخل الحكومة الامريكية كان يعارض بشدة استعمال الضغوط الاقتصادية المباشرة ضد اسرائيل ، وفى ايجاز ، صرحوا بأن قيادة ريجان وافقت على وجهة نظر السفير الامريكى صاموبل ليويس الذى اكد من خلال رسائله الى واشنطون ان أساليب الضغط هذه ربما تكون فى صالح بيجين وتدعم من حكومته الائتلافية . (كتب ماكس فرانكل فى مشورته الهادفة الى تخفيض المعونة لاسرائيل لاسقاط حكومة بيجين يقول « يعارض الدبلوماسيون الامريكيون فى اسرائيل تلك المشورة الأليمة ، ويخافون من استغلال بيجين الضغوط الامريكية للحصول على تأييد شعبى أكثر ») .

لكن توجد أسباب أخرى لرفض ادارة ريجان الاخذ بنصيحة بول . وعبر هنرى كيسنجر فى حديث مع مجلة ايكونوميست عن وجهة نظر سائدة فى أوساط الادارة حينما حذر من أن مثل تلك الضغوط الاقتصادية سوف تأتى بنتائج عكسية على عملية السلام باكملها . وقال « نعم ، يجب أن نحث اسرائيل على التفاوض ، وهى على الارجح ترغب فى ذلك ، واذا شعرت بأننا نتعاطف معها بدلا من الضغوط المتواصلة عليها ، وحينما نختلف مع اسرائيل بصدد بعض النقاط الجوهرية ، يجب أن نكون على استعداد بأن نعبر عن ذلك — بشكل حاسمعند الضرورة ، ولكن سيكون من الصعب المناورة والضغط على اسرائيل فى النقاط الخصوصية . كما يجب أن نثابر ولكن دون تصعيد وارهاق يؤدى بها الى الانهيار العاطفى والنفسى » .

ومضى كيسنجر يقول ان الضغوط المكثفة يمكنها ايضا أن تضلل العرب فيستنتجوا ان الولايات المتحدة يمكن أن تقوم بالاعمال القذرة نيابة عنهم ، ثم مضى كيسنجر يقول : وبعبارة أخرى ، أعتقد ان الضغوط على اسرائيل يمكن أن تكون « بالقطاعى » بدلا من أن تكون جملة اذا اتيح للمرء أن يستعمل مثل ذلك الاصطلاح » . واجاب كيسنجر على سؤال بصدد اللجوء بصورة رسمية الى فرض العقوبات الاقتصادية الكبيرة ضد اسرائيل قائلا : « ارجو الا نصل أبدا الى مثل ذلك الموقف » .

ووافق كبار المسئولين قريبى الصلة بالرئيس ريجان على ذلك الراى ، وبالتاكيد كانت توجد اقلية ملحوظة فى وزارة الخارجية ووزارة الدفاع (البنتاجون) والبيت الابيض توافق على وجهة نظر جورج بول المتشددة . ولكن الراى السائد كان يحبذ اشكالا اخرى من الضغوط الاقل حدة والاكثر فاعلية من أجل تغيير السياسات الاسرائيلية .

وكما قال كيسنجر خلال حديثه الى ايكونوميست « ان أكثرها فاعلية ان يبادر الملك حسين ، بما لديه من التأييد العربى الذى يحتاجه ، يبادر بالقيام بمهمة الطرف العربى المفاوض بشأن الضفة الغربية ، وسوف يفرض ذلك على الاسرائيليين ضرورة اتخاذ القرارات الضرورية . وطالما ظلت

المشاركة العربية فى عملية التفاوض افتراضـــــية فقط ، فان النقاش (فى اسرائيل) سيكون مريرا وعقيما » .

وفرضت ادارة ريجان مجموعة من العقوبات التى لم تعلـــــن عنهـــــا . واتخذت عدة اشكال تشمل :

ــ رفض تأييد مبادرات الكونجرس لتحسين شروط المساعدات الاقتصادية والعسكرية بتحويلها من قروض الى منح مباشرة .

ــ استمرار تأجيل طرح الاقتراح ببيع ٧٥ طائرة ف ــ ١٦ اضافيـــة لاسرائيل ، امام الكونجرس .

ــ ابطاء الموافقة على طلبات اسرائيل للحصـــول على التكنولوجيـــا الضرورية لتطوير الجيل الجديد من الطائرة المقاتلة الاسرائيلية لافى .

ــ استمرار تجميد بنود مذكرة عام ١٩٨١ المتعلقة بالتعاون الاستراتيجى الامريكى الاسرائيلى .

ــ تأجيل اتمام اتفاقية تسمح لاسرائيل باســـتعمال بعض الاعتمادات السنوية لمبيعات الاسلحة الامريكية لها ، فى مشتريات داخل اسرائيل نفسها. والمفروض انفاق اسرائيل تلك المعونات العسكرية فى الولايات المتحدة ، ولكن الادارة يمكن أن تتغاضى عن هذا الاجراء .

ــ تأجيل العمل باتفاقية « المشتريات الساحلية » التى تم التوقيع عليها فى الماضى والتى تسمح للعسكريين الامريكيين بالشراء داخل اسرائيل . وكانت احدى الصفقات المؤجلة تتيح لطائرات الفانتوم الامريكية فى منطقة البحـــــر المتوسط ، الحصول على الخدمات فى اسرائيل بدلا من اليونان أو المانيـــا الغربيـــة .

ــ تأجيل السماح للدول الاخرى التى تحصل على القروض العسكرية الامريكية باستعمال بعض النقود للشراء من اسرائيل . وكان من المتوقـــع شراء الفلبين بعض قوارب الدورية الامريكية ومعها قذائف اسرائيلية الصنع ، وجميعها تمولها الولايات المتحدة .

على راس كل تلك العقوبات ، كانت لادارة ريجان طرق أخرى عديدة ــ بعيدا عن الحظر المباشر للمساعدات الاقتصادية ــ لايضاح وجهات نظرها فى القدس . وربما كانت اكثرها فاعلية الادانة العلنية . فمنذ مبادرة ريجان للسلام العربى ــ الاسرائيلى فى الاول من شهر سبتمبر ١٩٨٢ ، لم تكف الادارة تخول من الحديث علنا ضد القرارات الاسرائيلية المثيرة لاستياء واشنطون خاصة فيما يتعلق بالمستوطنات ، وباختصار لم تستعمل الادارة العنف ضد اسرائيل اثنـاء

شهور الحرب العديدة . اذ كانت توجد طرق اكثر فاعلية ومكرا من أجل اتمـــام العمل ، مثلما فعلت الادارات السابقة .

واسفرت انتقادات بيجين العنيفة للولايات المتحدة ، اثر ايقاف الولايات المتحدة العمل باتفاقية التعاون الاستراتيجى مع اسرائيل فى ديسمبر ١٩٨١ ، عن موجـــة من الدعاية السلبية لاسرائيـــل . وقد قال جيمس رستون المحرر بجريدة نيويورك تايمز على سبيل المثال : « نادرا ، ان لم يكن أبدا ، أن وجه احد الزعماء الحلفاء مثل تلك الاتهامات ضد رئيس أو حكومة الولايات المتحدة» . كمـــا قال رستون ان مسئولى الولايات المتحدة « يشعرون بأن المستر بيجـــين هو بمثابة كارثة محققة لاسرائيل وبقية العالم . وينتظر المسئولون الامريكيون فى حيرة ، الى ان يقرر الشعب الاسرائيلى كيف يتغلب على المشاكل الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية فى القدس » . ويؤكد لارس اريك نيلسون كبيـــر مراسلي جريدة نيويورك ديلى نيوز فى واشنطن ، اعتماد اسرائيل الهائل على المساعدات الاقتصادية والعســـكرية الامريكية ، بقـــوله ، ان تلك المساعدات الحكومية التى تقدر بـــ ٢ر٢ بليون دولار سنويا تعادل ٦ ملايين دولار يوميا . وذلك اكثر مما يتيحه الاتحاد السوفيتى « لدولته الدمية كوبا ، والتى يبلغ عـــدد سكانها ثلاثة اضعاف سكان اسرائيل » .

وركزت موجة من التغطية الاخبارية والاعلامية على مسالة المعونات لان بيجين نفسه آثارها ، فى بيانه المسهب الذى قدمه الى السفير الامريكى صامويل ليويس ، ثم طرحته الحكومة الاسرائيلية بصفة رسمية فيما بعد . وفى الواقع كان لبيان بيجين الاثر غير المتعمد ولكن الواضح هو فى القاء الضوء للشعب الامريكى على مدى اعتماد اسرائيل ماليا على الولايات المتحدة .

وجاءت المنح والقروض المتاحة لاسرائيل والتى تبلغ حوالى ٢ بليون دولار سنويا منذ حرب ١٩٧٣ ، فى وقت شهد تخفيضات شديدة فى الاعتمادات المحلية بميزانية الولايات المتحدة ، والتى ازدادت بعد تولى ادارة ريجان الحكم . وبينما كانت تقتطع الاموال من برامج الغذاء بالمدارس ، ومستحقات الرعاية الاجتماعية وجميع أنواع المعونات الخيرية ، بجانب تسعة ملايين من العاطلين الامريكيين ، استمرت الأفرع التنفيذية والتشريعية بالحكومة الامريكية فى تأييد صفقـــــات المعونات الهائلة لاسرائيل . وقال السناتور الديمقراطى هنرى جاكسون العضو عن واشنطون ، واحد افضل اصدقاء اسرائيل المخلصين فى كابيتول هيـــل « تلك حالة مفرطة النشاط للمستر بيجين » .

وكان من الممكن ان يكون المستر بيجـــين فى موقف اقـــوى وافضـــل تماما من الناحيـــة الاخلاقيـــة فى هجومه على الولايات المتحـــدة اذا كانت اسرائيل لا تعتمد ماليا على واشـــنطون بتلك الصورة . ولكن الحقائق كانت أمـــرا مختلفـــا . فأى خفض متواضع فى المعونات سيكون سببا لتقلبـــات اقتصادية

واجتماعية كبيرة فى اسرائيل : منها ارتفاع الضرائب ، وبطالة أكثر ، وتوترات طائفية متصاعدة بين الذين يملكون والذين لا يملكون ، كذلك الهجرة المتزايدة من اسرائيل .

وحينما سأل المستر بيجين « هل نحن أتباع لكم » كان رد جريدة نيويورك تايمز « الاجابة هى « لا » ، ولكن اسرائيل مع ذلك تعتمد على المعونات والاسلحة الامريكية المستمرة أكثر مما تحصل عليه أية دولة أخرى ، وذلك الدعم يؤدي ليس فقط الى التفوق العسكرى الحيوى ولكن أيضا الى ضمان مستوى معيشى يعزز شعبا موهوبا أثناء صراعه ضد الاحداث العارضة الهائلة » .

وعلقت جريدة واشنطن بوست قائلة أن حدة بيجين « تعبر عن القلق بشأن واقع اسرائيل المروع . فالصهيونية هى تجسيد لسيطرة الشعب اليهودى على مصيره . ومع ذلك فبعض سياسات اسرائيل ، وخاصة سياسات المستر بيجين ، أدت الى أن تصبح اسرائيل أكثر اعتمادا على القوة العظمى الخارجية ، وهى الولايات المتحدة » .

ولم يوجد انكار بأن الولايات المتحدة اتاحت المعونات المالية الهائلة لاسرائيل طوال سنوات عدة حيث ان الادارات المتعاقبة والكونجرس أدركوا ان ذلك أيضا يمثل استثمارا من أجل السلام ومن أجل المصالح القومية والامنية الامريكية .

وكما ذكر الرئيس ريجان فذلك ليس طريقا ذا اتجاه واحد ، لان الولايات المتحدة تعطى كل شيء واسرائيل تأخذ كل شيء . فاسرائيل تتيح بالفعل فوائد استراتيجية هامة للولايات المتحدة ، وفى جزء من العالم غير مستقر تماما ، فاسرائيل هى الدولة الديمقراطية الوحيدة ، والحليفة المعتمد عليها ، ولها القدرة العسكرية المؤكدة التى تمكنها من مساعدة أمريكا والغرب . وفى الوقت ذاته من الغباء أن يفقد زعماء اسرائيل رؤية الحقيقة ، وهى أن بلدهم مازال يعتمد تماما على الولايات المتحدة ، لذلك من غير المتوقع أن يكون رد فعل دافعى الضرائب الامريكيين حسنا ، تجاه الاضطرابات المعادية لامريكا .

ويعلم بيجين بنفسه تماما المدى الاليم الذى أصبحت عليه تبعية اسرائيل ، خاصة منذ حرب ١٩٧٣ . وتأكد ذلك أمامه لاول مرة بعد فترة وجيزة من توقيع مصر واسرائيل أطر اتفاقيات كامب ديفيد فى عام ١٩٧٨ ، حينئذ اضطرب بشدة واصابته نوبة من الكبرياء الوطنى فأخبر سيروس فانس وزير الخارجية أن اسرائيل ترغب فى أن تعطى الولايات المتحدة لاسرائيل قروضا بدلا من المنح المباشرة ، كى تدفع تكاليف اقامة قواعد جديدة فى صحراء النقب ، ونفقات أخرى ثمن الانسحاب من سيناء . وقال بيجين ان اسرائيل سوف تدفع كل دولار أخذته « بفوائده » وأن اسرائيل

لا تريد احسانا من احـــد . لكن حينما ذكره مستشاروه الاقتصاديون المذهولون فيما بعـــد بتكاليف هـــذا الاجراء ـــ ومدى آثاره السيئة على الاقتصاد والمجتمع الاسرائيلى ـــ انسحب سريعا من موقفـــه النبيل . لقـــد أصيب فى كبريائه ، ولكن مهما كان ذلك مؤلمـــا لبيجـــين ، الا ان حقائق الوضع المـــالى الاسرائيلى تأتى اولا .

وكانت القواعـــد الاساسية للتأييد الامريكى لاسرائيـــل والتى تتمثـــل فى مجلس الشيوخ والنواب ، قـــد كشفت عن بوادر التصـــدع ، أثر تحرك اسرائيـــل الى لبنـــان . وادرك اصدقاء اسرائيل فى كابيتول هيـــل الاضرار الناجمة عـــن ذلك ، واتضـــح هـــذا المغضب السائد ، أثنـــاء المقابلة التى دامت تســـعين دقيقة بين بيجـــين وستة وثلاثين من اعضاء مجلس الشيوخ فى الثـــانى والعشرين مـــن شهر يونية عـــام ١٩٨٢ ، قبل بضـــع ساعات من عودته الى اسرائيل . وانعكس ذلك فى اهتمـــام واشنطون العميق بكثافة الوفيات بين المدنيين ، وكـــذلك الاضرار التى نتجت عـــن تحرك اسرائيـــل فى داخل لبنـــان .

ومن جانب ، كان يوجـــد بالطبـــع اعجاب بالاسلوب الذى ادت بـــه اسرائيـــل العملية . خاصة من وجهـــة النظر العســـكرية . ولكن على الجانب الآخر ، استياء عدد كبير من الشيوخ لما اعتبروه تطرفا فى استعمال القـــوة من جانب اسرائيـــل اثنـــاء العملية . وتأثر هؤلاء الشيوخ أيضـــا بالتقارير الاخبارية المصورة التى تناولتها وسائـــل الاعـــلام ، والتى تؤكد الآلام والمعاناة والدمار الذى حل بلبنـــان . وكما ساءت صورة اسرائيـــل ، كذلك تأثر نفوذها فى كابيتول هيل ، وتذمر الاعضاء الموالون لاسرائيـــل من جراء ابطاء اسرائيل فى الاعـــلان عن احصائياتها المتعلقة بالخسائر ، أما الاكـــثر ضررا لجماعات الضـــغط الموالية لاسرائيل ، فهو استعداد بعض الشيوخ الاعـــلان عن توبيخهم لاسرائيـــل . وكان هؤلاء الشيوخ يعتقـــدون أن غطرســـة بيجـــين أصبحت هى القضية ، وذلك بالرغم من تأييدهم طويل الامد لدولة اسرائيل .

وكان بيجين بالتأكيـــد كفـــؤا لأى احـــد فى الاجتماعات الثنائية . وكان رئيس الوزراء متشـــددا ومتمسكا بل مزهوا . وكل تلك الســـمات ظهـــرت جليـــة وبصورة سريعة فى كل اجتماعاته فى واشنطون ، وكان ايضـــا يتســـم بالجاذبيـــة خاصة خلال الاجتماعات الخاصة المصغرة ، لكنه أثنـــاء الاجتماعات الموسعة كان يميـــل الى أن يكون متساهلا بعض الشىء وهى سمة مشتركة سائدة بين الزعماء السياسيين . وذلك يفسر أسباب نجاح بيجين فى التأثير على ريجان ، اثنـــاء اجتماعهما المنفرد بالمكتب البيضاوى يوم الحادى والعشرين مـــن شهر يونيو ١٩٨٢ . ولكن لـــماذا فشل بشكل مرير اثناء اجتماعـــه المغلق مـــع الشيوخ فى اليوم التالى . فبوصفه يجيـــد الخطابة كان فى استطاعتـــه

التــاثير فى الجماهــير الخطيرة خاصة حينما تكون من المواليــة فى اسرائيل او فى الطائفة اليهودية الامريكيــة . ولكنه أظهر جانبه الأسوأ خلال لقــائه بعــدد من الشيوخ الذين اعتــادوا على تلقى الاحــترام العظيم من كل الذين يلتقون بهــم . وقــال المراســل الدبلوماسى لجريدة نيويورك تايمز برنارد جوير برنارد أن بيجــين « يميــل الى أن يكون مفرطا فى الوعظ ، كمــا لايطيق النقــد » .

ووفقــا لعــدة مصادر حضرت اللقاء ، لجأ بيجين الى اسلوب خاطىء باستمراره فى « محاضرة » الشيوخ ، بدلا من أن يــرد عــلى اسئلتهم فقط ، وادعى عــدد من الشيوخ فيما بعد ، أن محاضرة بيجــين وصلت الى حــد الغطرسة . وقال السناتور الديمقراطى عن ماساشوستس بول تسونجاس : « من العــدل أن اقــول اننى لم أشاهد طوال ثمانى السنوات لى فى واشنطون مثــل هــذا اللقاء الغاضب مــع احــد زعماء الدول الاجنبية . اما العضو الديمقراطي الآخــر دانييل رموينيهان ، مــن دائرة نيويورك وهو احــد الشيوخ القــلائل الذين دافعوا عــن اسرائيل ، أثنــاء الاجتماع ، فقــد قال : كان ذلك الاجتماع أصعب الاجتماعات التى شاهدتها فى حياتي مع الزعماء الاجانب » . وأما العضو الجمهورى عــن ولايــة ساوث داكوتا لارى بريسلر فقــد قال فيما بعــد للمراسلين : « كانت المرة الاولى التي شاهدت فيهــا مثــل تلك المواجهة المباشرة بين رئيس وزراء أسرائيل والشيوخ » .

وفى الليلة السابقة تقابل بيجــين فى جناحه بالفنــدق مع سبعة مــن الشيوخ الآخرين ، وسار الاجتماع بصورة طيبــة وفقــا لجميــع المقاييس . وخرج الشيوخ بتفهم أفضــل لأوضاع اسرائيــل ، واكتسب بيجــين معرفة بعض وجهات النظر السائدة بين قطــاع أوســع من الجمهوريين والديمقراطيين فى كابيتــول هيل . كذلك ســار الاجتماع المنفصل بين بيجــين وأعضــاء لجنــة الشئون الخارجيــة سيرا حسنا ، وفقــا لمــا قالته المصــادر التى حضرت الاجتماع ، ومــع ذلك تبخر كل ذلك الانجــار بالكونجرس ، خــلال الاجتماع الرسمى مــع الشيوخ .

وفى الآونــة الاخــيرة يميل السفير الاسرائيلى موشى آرينز الى نــوم الديناميكية الجماعية الناتجة اثر قيــام السناتور الديمقراطى عــن ولايــة ديلاوير جوزيف بيدن بالهجوم عــلى سياسة اسرائيــل الرامية الى اقامــة المستوطنات فى الضــفة الغربية ، وبيدن هــذا من الاصدقاء المعروفين لاسرائيل ولكنه ليس وترا حساسا فى رئيس الوزراء ، وكلما انتقــد احــد الاعضــاء المشهورين الموالين لاسرائيل سياستها ، يقفز بعض أصدقائها المغمورين الى الركب المعادي لإسرائيل . ولم ينتقد بيدن وهو محلم مرموق وخطيب متزن ه الغارة الإسرائيلية على منظمة التحرير الفلسطينية فى لبنان ، بل فى الواقــع

ايدها ، ولكنه هاجم بشدة مسالة المستوطنات ، كما رفض تاكيد بيجين السابق ، ردا على تعليق ألقاه العضو الجمهورى عن ماريلاند لشارلى ماثياس مفاده ، أن التأييد لاسرائيل من جانب الشعب الامريكى لا يتضاءله وقد اصر بيجين على أن التأييد لاسرائيل لم يكن اكثر ابدا فيما مضى . وخرج الاعضاء الآخرون المعارضون لتقويم بيجين من الاجتماع ليقولوا ان التأييد الشعبى الامريكى لاسرائيل قد وصل الى الحد الادنى . وقال تسونجاس : « أعتقد انه يوجد بعض الاهتمام فيما بيننا نحن المؤيدين لاسرائيل ، بوجود بعض الاسراف فى سياساتها . ولذلك فان التأييد لاسرائيل فى هذه البلاد أخذ يتضاءل » . وفرق تسونجاس مثل بعض الآخرين ، بين تأييده لاسرائيل وتناقض ذلك مع رد الفعل تجاه بيجين ، وكان ذلك المفهوم يتخذه تسونجاس منذ ضرب اسرائيل المفاعل النووى العراقى منذ عام مضى .

وقد اسفرت النتيجة النهائية ، عن نهاية مخيبة للآمال بالنسبة لزيارة بيجين لواشنطون التى كانت تبدو ناجحة من قبل . وساد بعض التأرجح فى المناورات التقليدية فيما بين الأوساط التنفيذية والتشريعية بواشنطون ، ويعد من المرات النادرة فى التاريخ ان يجد احد رؤساء الوزارات الأسرائيليين تأييداً من الادارة الامريكية اكثر من الكونجرس،وهى القاعدة المعتادة والمتوقعة لتأييد اسرائيل داخل واشنطون . ولاول مرة على ما أذكر ، يحتج عدد كبير من اعضاء الكونجرس على عدم اتخاذ الادارة موقفا متشددا تجاه رئيس الوزراء الاسرائيلى ، ولان الاجتماع مع النواب حصل على دعاية هائلة فى وسائل الاعلام الامريكية ، فقد ضعف موقف اسرائيل فى واشنطون بصورة فورية ، واشارت ادارة ريجان الى هذا الخفض الملحوظ فى المساعدات لاسرائيل ، للضغط عليها من أجل تنازلات أخرى .

لكن عمق تأييد الكونجرس لاسرائيل اكد أن تلك الفترة الشديدة التوتر لن تدوم طويلا . وبدأت الامور تتحسن فى كابيتول هيل ، قبل ان توقع اسرائيل اتفاقية انسحاب قواتها من لبنان فى مايو ١٩٨٣ ، اذ اخذ كبار اعضاء الكونجرس يصطفون لابداء تأييدهم لاسرائيل.وقد عكسوا وجهة نظر الادارة المؤيدة لاسرائيل منذ عدة شهور ، وتأكد هذا الاتجاه فى جلسة استماع بلجنة الشئون الخارجية الفرعية الخاصة بأوروبا والشرق الاوسط فى فبراير ١٩٨٣ .

قال مساعد وزير الخارجية لشئون الشرق الاوسط وجنوب آسيا نيكولاس فيليوتيس فى صدر بيانه « ان التأييد لاسرائيل فيما يتعلق بأمنها واقتصادها ورفاهيتها من المبادىء الاساسية الراسخة فى السياسة الخارجية الامريكية . وينبع تأييدنا لاسرائيل من التزام طويل الامد لدولة حرة ، كانت ملاذاً للمهاجرين من كافة أنحاء العالم . كما تشاركنا فى تقاليدنا الاجتماعية والديمقراطية . ونحن نعد برامج مساعداتنا الامنية بحيث تساعد اسرائيل فى الاستمرار فى تفوقها النوعى

والتكنولوجي على مجموع القوى الاقليمية المتوقعة . كما تساعد معوناتنا الاقتصادية اسرائيل فى تمويل العجز فى ميزان مدفوعاتها . ولذلك تعتبر برامجنا اعلانا ماديا عن التزاماتنا المتوارثة لاسرائيل » .

واكتشف العضو الديمقراطى عن كاليفورنيا ميرفين ديمالى وهو زنجي ، وزميله الديمقراطى ميل ليفين وهو يهودى تجاور دائرته دائرة ديمالى فى لوس انجلوس ، أن لدى ناخبيهم آراء متعارضة بشكل جوهرى ، بصدد المساعدات الاقتصادية والعسكرية الامريكية التى تقدم لاسرائيل ، واخبر ديمالى اللجنة الفرعية بأن ٩٥٪ من الناخبين فى دائرته الانتخابية المكتظة بالزنوج لا يؤيدون ارسال المعونات الضخمة الى اسرائيل فى وقت تسود فيه البطالة الشديدة والتخفيضات فى الميزانية الامريكية ، ثم مضى يقول ، انه مما جعل الامر أكثر سوءا حصول اسرائيل على منح وقروض أمريكية منذ حرب يوم كيبور ١٩٧٣ ، أكثر مما حصلت عليه دول أفريقيا السوداء مجتمعة . وعلى الجانب الاخر ، قال ليفين ان ناخبيه ومنهم عدد كبير من اليهود ، يرغبون فى تعديل الاداره شروط المساعدات المقررة لاسرائيل فى السنة المالية ١٩٨٤ ، والتى تبلغ ٤٨٥ر٢ بليون دولار .ويعنى ذلك ان تكون فى صورة منح مباشرة ، بدلا من القروض ، وقال عضو ديمقراطى ثالث وهو روبرت توريتشيللى نائب نيوجيرسى وهو يمزح ، ان الذى يهم ناخبيه بشكل اكثر هو السياسات المتعلقة بايطاليا . ولكنه ، مثل ليفين ، حث الادارة على تعديل شروط المعونات المقترحة لاسرائيل ، وكان يرغب فى التأكد من أن اسرائيل لن تسيىء فهم اقتراحات الادارة ، مثلما فعل الكونجرس فى العام السابق، على أن ذلك يعنى الحد من التأييد الامريكى لاسرائيل .

وأجاب فيليوتس مساعد وزير الخارجية بأن حجم المساعدات المقترحة لاسرائيل تؤكد ثقتنا فى علاقتنا مع اسرائيل ، بالرغم من أنها تحتوى على منح اقل بمقدار ٢٠٠ مليون دولار عن التى خصصها الكونجرس فى تشريعاته للسنة المالية ١٩٨٣ ، وقال ان المعونة الاجمالية لاسرائيل « سوف تكون أكبر معونة امريكية خارجية » .

لكن بعض أعضاء الكونجرس الاخرين أبلغوا فيليوتس بأن المعونات المقترحة لاسرائيل غير كافية . واوضح لى هاملتون رئيس اللجنة الفرعية ، أن الجهود سوف تبذل فى كابيتول هيل مرة اخرى لتحويل بعض القروض الاخرى الى منح . وانضم الاعضاء الديمقراطيون — توم لانتوس من كاليفورنيا ، ولارى سميث من فلوريدا ، وستيف سولارز من نيويورك الى الخط الموالى لاسرائيل . وسألوا — مثل هاملتون ، وتورتشيللى وليفين — فيليوتس بعض الاسئلة المحددة بغرض التأكيد بأن المصالح الاستراتيجية الامريكية تقتضى ان تكون اسرائيل قوية ، وعلى سبيل المثال ، استطاع سميث أن حصل من فيليوتس على تصريح بأن تظل المساعدات الاقتصادية والعسكرية لاسرائيل داخل الولايات المتحدة تدفع

ثمن المعدات والسلع والخدمات اللازمة لاسرائيل . وسوف يخلق ذلك ، كما قال سميث فرص عمل أكثر للأمريكيين . لكنه حتى فى مواجهة تلك الضغوط ، تمسك فيليوتس بموقف الادارة ، وان المعونة المطلوبة « تفى تماما بما تقتضيه أهداف خططنا » . وردد ايضا حجة « قيود الميزانية » . ورفض المعونات الاضافية لاسرائيل التى تتعدى التوصيات السابقة ، ولكنه غير موقفه بعد أربعة اشهر .

وتأكد مرة أخرى موقف الكونجرس المؤيد لاسرائيل . وكان مصدرا جوهريا لاتاحة التأييد لاسرائيل منذ عام ١٩٤٨ . وبالطبع لم يكن تأييد الكونجرس لاسرائيل يتخذ خطا متصاعداً منذ ذلك الحين .

وقد وجد نقاد لاسرائيل داخل الكونجرس ، كان بعضهم يثير الدهشة فعلى سبيل المثال ، استطاع سميث ان يحصل من فيليوتس على تصريح بأن تظل الحكومة الاسرائيلية ؟ احد الامور أن يؤدى ذلك الى تشجيع الأعضاء غير اليهود فى الكونجرس على تجاهل المواقف المؤيدة لاسرائيل . ففى يونيو ١٩٧٦ قبل العضو الديمقراطى عن ولاية كونيكتيكت ابراهام وريبيكوف دعوة تلقاها من السناتور الديمقراطى عن ساوث داكوتا جيمس أبو رزق ، على غداء عمل لممثل منظمة التحرير الفلسطينية الرسمى شفيق الحوت ، الذى كان يجرى محادثات فى الكونجرس . وحينما سئل العضو الديمقراطى عن ميسورى توماس ايجلتون عن سبب قبوله الدعوة هو ايضا ، قال ايجلتون ، انه عندما دخل الى الحجرة « رأيت بها ابى ريبيكوف » . وكان ذلك سبب استياء المسئولين الاسرائيليين ، والموالين لاسرائيل فى واشنطون ، ازاء قرار ريبيكوف بمهاجمة رئيس الوزراء بيجين ، واليهود الامريكيين الذين يؤيدونه علنا . واصبح الشيوخ المهتمون بمكانتهم بوصفهم من المؤيدين الكبار لاسرائيل ، يشيرون الى موقف ريبيكوف ، ويقولون انهم يرغبون فى أن يظلوا من اصدقاء اسرائيل الاوفياء ، فى حين يتخذون مواقف ضارة بالمصالح الاسرائيلية . وكان ذلك ما حدث تماما اثر حديث ريبيكوف فى جريدة « ذى وول ستريت جورنال » فى ١٣ مارس ١٩٧٨ . اذ قال ان الاغلبية العظمى من الامريكيين ضد بيجين « وذلك ما يجب أن يحدث » . وهاجم ريبيكوف ايضا اللجنة الامريكية الاسرائيلية للشئون العامة *ALPAC* قائلا ان اللجنة باتخاذها موقفا نشيطا مواليا لاسرائيل فانها تلحق اضرارا كبيرة بالولايات المتحدة وباسرائيل وبالطائفة اليهودية على السواء .

ارتاع عدد كبير من الامريكيين اليهود وغير اليهود حينما شاهدوا ريبيكوف يهاجم الحكومة الاسرائيلية علنا ، وكان ريبيكوف بعد دخوله مجلس الشيوخ فى عام ١٩٦١ قد اكتسب شهرة بوصفه احد افضل اصدقاء اسرائيل فى الكونجرس — ليس فقط من جراء ديانته اليهودية ، ولكن أيضا

بسبب مواقفه القوية التى اتخذها احيانا تاييدا لاسرائيل . ولكن العليمين ببواطن الامور فى واشنطون ، سواء فى الكونجرس أو وزارة الخارجية أو السفارة الاسرائيلية والاوساط الصحفية ، لم يدهشوا كثيرا ، فمنذ عام ١٩٧٦ اصبحوا قلقين بصدد ذلك التغير التدريجي الذى حدث فى موقف السناتور تجاه اسرائيل .

انكر ريبيكوف ان تأييده لاسرائيل قد ضعف بل ظل ذلك التاييد قويا كما كان دائما ، وقال فى حديث لجريدة وول ستريت جورنال ، ان الشيء الوحيد الذى تغير ، هو رغبته فى انتقاد اسرائيل علنا . لكن من أجل الاسباب المذكورة من قبل ، فذلك وحده تطور هام .

وايد ريبيكوف تأييدا تاماً ، سياسات كارتر فى الشرق الاوسط ، وكان واحدا من ثلاثة شيوخ دافعوا علنا عن قرار كارتر باصدار البيان المشترك مع الاتحاد السوفيتى فى أكتوبر ١٩٧٧ ، المتعلق بالشرق الاوسط ، وهو البيان الذى تحدث لاول مرة ، عن الاعتراف الامريكى « بالحقوق المشروعة » للفلسطينيين .

وكانت « ردة » ريبيكوف جزءا من ائتلاف أوسع مدى يضم بعض اليهود الامريكيين الذين يرغبون فى الانشقاق علنا عن وجهة النظر الاسرائيلية ، واتضح ذلك فى ابريل ١٩٧٨ ، اثر خطاب تاييد لحركة « السلام الآن » الاسرائيلية وقعه سبعة وثلاثون من المثقفين اليهود الامريكيين البارزين .

وحتى قبل ان يصرح ريبيكوف بآرائه كانت الحكومة الاسرائيلية قد استبعدته من قائمة افضل اصدقائها بالكونجرس . وعلى سبيل المثال ، حينما حضر بيجين الى واشنطون فى شهر ديسمبر من عام ١٩٧٧ لاطلاع الرئيس كارتر على خطته للسلام ، عقد رئيس الوزراء اجتماعا خاصا فى بلير هاوس مع كبار اصدقاء اسرائيل فى مجلس الشيوخ ، ولم يتلق ريبيكوف دعوة للحضور .

وفى الواقع ، كان القادة الاسرائيليون الزائرون يخرجون من الجلسات المغلقة مع لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ ، قلقين ازاء مبادرة ريبيكوف بانتقاد المواقف الاسرائيلية المختلفة . ولم يكن ريبيكوف عضوا فى تلك اللجنة ، ولكنه كان يحضر احيانا لقاءات مع زعماء الشرق الاوسط الزوار . ويقول المسئولون الاسرائيليون ان توجيهه الاسئلة المحرجة ، من شانه ان يشجع زملاءه على اتخاذ وجهات نظر انتقادية للموقف الاسرائيلى .

ومن الامور المثيرة للسخرية فى قرار ريبيكوف ، بالحملة على اللجنة الامريكية الاسرائيلية للشئون العامة ، تولى موريس ج . أميتاى منصب المدير

التنفيذى للجنة وكان اميتاى قد عمل لمدة خمسة اعوام كبيرا لمساعدى ريبيكوف لشئون السياسة الخارجية ، قبل انضمامه للجنة فى نهاية عام ١٩٧٤ .

وقال ريبيكوف فى انكاره لتناقص تأييده لاسرائيل انه أيد مواقف رئيسة الوزراء السابقة جولدا مائير ، ووزير الخارجية ابا ايبان ، الذى انتقد هو أيضا الحكومة الاسرائيلية . ومن المؤكد من جراء احساس ريبيكوف بالنقد الذى سيوجه اليه أثر تصريحه ، فقد أدرج فى مدونة الكونجرس يوم ١٣ ابريل ١٩٧٨ تصريحا يمدح فيه المناقشات الصريحة فى اسرائيل فيما يتعلق بسياسات بيجين . وقال « بالرغم من الحروب والمشاكل والخصومات فقد ظلت اسرائيل صادقة فى مبادئها الديمقراطية وحرية الكلمة والنقاش فى المعتقدات الاساسية للوجود والايمان الاسرائيليين . سواء فى الكنيست أو الصحافة أو المنزل أو الشارع .. لذلك مما يثير القلق وجود البعض فى تلك البلاد ممن يحاولون خنق حرية النقاش فى الولايات المتحدة او شعب العقيدة اليهودية فى كل مكان ، اكثر من منع أى أمريكى حرية الحديث عن اية قضية وهى الحرية التى تعنى الكثير للاسرائيليين والامريكيين على السواء ، فالسعى نحو سلام حقيقى فى الشرق الاوسط يحتم اجراء مناقشات مستفيضة فى القضايا الاساسية ، بحيث انه اذا تحقق السلام يكون قائما دائما » .

واودع ريبيكوف قبل ذلك فى التاسع من مارس فى مدونة الكونجرس ، المقال الذى كتبه ابا ايبان فى جريدة جيروزاليم بوست ، ينتقد فيه تفسير حكومة بيجين لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، وقال فى صدر تعليقه « لقد ذكرنا بعض زعماء اسرائيل الكبار والمحترمين ، بأن الانشقاق والاختلاف هما من سمات الحياة السياسية فى الديمقراطية الاسرائيلية وكذلك فى نظامنا . ومن الشخصيات العظيمة والبطولية فى تاريخ الامة الاسرائيلية ، رئيسة الوزراء السابقة جولدا مائير ، ووزير الخارجية السابق أبا ايبان . فاخلاصهما وتفانيهما من أجل دولة اسرائيل ، وعلاقتهما المتينة المتجانسة مع الولايات المتحدة ، من الامور المعروفة فى شتى أرجاء العالم وللشعب اليهودى فى كل مكان » . ومضى ريبيكوف يقول ان اسحق رابين رئيس الوزراء السابق ، ووزير الخارجية السابق ايجال آلون اختلفا ايضا مع بيجين . وكانت حجته سليمة : فاذا كان هؤلاء الزعماء الاسرائيليين العظام يستطيعون الانشقاق صراحة عن وجهات نظر الحكومة الاسرائيلية الحالية ، فلما لا يستطيع سناتور أمريكى ذلك واشار بعض الشيوخ الاخرين الى نفس النقطة ، تبريرا لانتقادهم لاسرائيل .

واسعدت وجهة نظر ريبيكوف المنشقة البيت الابيض وكارتر كثيرا . كما اتضح من مواقف اللجنة اليهودية الامريكية ، ومن خلال الخطاب

الموقع من سبعة وثلاثين مثقفا يهوديا ، ومن النقاش الدائر حول سياسات بيجين فى اسرائيل ، وحركة « السلام الان » . وتحدث كارتر أحيانا عن تأثير الرأى العام الذى يشمل الرأى العام اليهودى ، على مواقف الحكومة الاسرائيلية . وكان كارتر يرى أن ذلك أكثر تأثيرا من الضغوط الاقتصادية والسياسية والعسكرية القاسية من أجل اقناع اسرائيل لتغيير موقفها .

حينئذ أعتبر الانصار الموالون لاسرائيل فى واشنطن ، تلك الاراء الحرة بمثابة نقد ملائم · اذ جاءت كما قالوا ، فى وسط المفاوضات الصعبة بين مصر واسرائيل · ولانها فى النهاية ، ستقوم ، أى كل تلك الضغوط بتعزيز موقف مصر فى المفاوضات ، مما يسمح لانور السادات وحكومته بالتمتع بالجلوس وانتظار التنازلات الاسرائيلية . وزعم المسئولون الاسرائيليون ، والامريكيون الموالون لاسرائيل ، أن تلك الضغوط تعد محاولة أخرى ، لفرض تسوية على اسرائيل · بدلا من السماح لاسرائيل ومصر بالسعى فى التوصل الى تسوية عادلة فيما بينهما ·

وبالرغم من تلك الاستثناءات العابرة أذعن معظم الاعضاء اليهود فى الكونجرس لواجباتهم الخصوصية ، لذا كان السناتور الجمهورى عن مينيسوتا رودى بوشقيتز رئيس لجنة العلاقات الخارجية الفرعية الخاصة بالشرق الاوسط ، تلقا دائما بصدد واجبه الخصوص بوصفه يهوديا ، واحد الناجين من الابادة (الهولوكوست) . وكان قد ولد فى برلين عام ١٩٣٠ . وكان يقول مسترجعا للتاريخ : « كان أبى بعيد النظر · وقد جاء يوما الى المنزل وهو اليوم الذى تولى فيه هتلر السلطة يوم ٣٠ يناير ١٩٣٣ وقال لوالدتى اننا يجب أن نغادر ألمانيا ، وقد غادرناها فى يوليو ١٩٣٣ » ·

وتجولت عائلة بوشفيتز ، مثل العديد من اللاجئين اليهود فى أوربا من بلد الى بلد ، قبل الحصول على تأشيرات دخول الى الولايات المتحدة فى عام ١٩٣٥ · ويؤكد السناتور الذى تربى فى نيويورك وفى ضواحيها ، قبل اقامته فى مينيسوتا حيث كون مؤسسة ناجحة لبيع معدات البناء ، أن الابادة (الهولوكوست) كان لها تأثير هائل على حياته فيقول « كان أبى يشعر دائما بأنه لم يبتعد كثيرا عن ألمانيا وعن النازيين ، لذلك أخذنا فى التحرك دائما صوب هذا الطريق · ولقد أتاحت لى ذكرى الهولوكوست ادراك ما يسمى « بعقلية الهولوكوست » ، أكثر مما تتيحه لمعظم الناس الآخرين . وأنا لدى احساس كبير بالاخطار التى تواجه اليهود واسرائيل » ·

وتعلم أيضا النائب الديمقراطى عن كونيكتيكيت سام جيجدينسون ، عضو لجنة الشئون الخارجية بالمجلس ، أن يتغلب على مشاعره تجاه الهولوكوست · فهو أول ، والى الان ، « ابن الهولوكوست » الوحيد المنتخب

في كونجرس الولايات المتحدة · اذ كان قد ولد في أحد معسكرات المشردين بألمانيا الغربية عام ١٩٤٨ · وجاء مع والديه الى أمريكا بعد ذلك بعامين·

ويتحدث جيجدينسون ، وهو موظف عام ملتزم وذكي ، ببعض المرارة في ذلك اذ يحاول التأكد من أن العالم لن ينسى الهولوكوست وآثارها المترتبة حتى اليوم قال « سواء أنت تتحدث عن قارب يحمل اليهـــود على سواحل كوبا أثناء الحرب بحثا عن مكان يعيشون به ، أو عن فيتناميين معاصرين في بحر الصين الجنوبي ، فلا يقتضي الامر كثيرا من الخيال لادراك التشابه في ذلك ، وما زلنا نناقش تلك الدروس نفسها » ·

واذ لم يكن لدى معظم المسئولين اليهود الامريكيين انطباعات مباشرة ازاء الهولوكوست ، فان القليل منهم كانوا جديرين بأن ينظروا بعيدا ، الى أقاربهم للبحث عن من يكون قد تأثر بصورة مباشرة بما حدث ونتيجة لتلك العلاقة ، وكذلك للمصالح المتبادلة بين الولايات المتحدة واسرائيل ، قاد معظم رجـــال الكونجرس والشيوخ الامريكيون اليهود ، تيار التأييد لاسرائيل في دوائر الكونجرس المختلفة ·

الفصل الســادس

اليهود الامريكيون والسياسة ـ ١

جاء فى دليل الانتخابات « اننا مجتمع جيل ثان عرقى من المهاجرين . لنا ارتباطات ومشاعر نحو الارض التى هى منشأنا · لقد كنا فى كثير من المراحل مشغولين برفاهة أسرتنا وأصدقائنا الذين عادوا الى وطنهم · اننا نطـالب باحترام تراثنا ، وبألا يتعرض عنصرنا أو تقاليدنا للقذف « لاتشهير » .

قد يبدو ذلك وكأنه من اعداد منظمة أمريكية يهودية ··· ولكنه لم يكن كذلك ، فقد كان مدرجا فى وثيقة أعدتها فى عام ١٩٨٢ « اللجنة الامريكية العربية المناهضـة للتمييز » ، وهى منظمة قائمة فى واشنطن على غرار رابطة بناى بريث المناهضة للتشهير ، ومؤسسها هو العضــو الديمقراطى بمجلس الشيوخ ، جيمس أبو رزق ، من داكوتا ، وهو أمريكى لبنانى ، ومن المؤيدين المعروفين للفلسطينيين ·

يقول الدليل فى مقدمته « لقد أعددنا هذا الدليل الصغير لتشجيع أعضاء اللجنة المناهضة للتمييز لكى يقوموا بدور ايجابى فى انتخابات ومناقشات عــام ١٩٨٢ وفى العملية الملاحقة للانتخابات · اننا نريد من جميع أعضاء اللجنة أن يواجهوا بالتحدى أولئك الذين يسعون لتمثيلهم فى واشنطن ·· ان جيلا جديدا من المساندة الامريكية المطلقة لاسرائيل قد أدى الى مذابح ذات أبعاد فى لبنان ، وان الاستمرار فى تزويد اسرائيل بتســعة ملايين دولار يوميا انما هى عملية مكلفة من الصعب أن تمر بلا تحد ... انها تكلف الولايات المتحدةالكثــير ، لا اقتصاديا وسياسيا فحسب ، بل معنويا أيضا » ·

استطرد الكتيب يناشد الامريكيين العرب أن يشتركوا فى المســيرة السياسية : « قد يفضل معظم المرشحين تجنب مناقشة مشكلة الشرق الاوسط والمساعدة الامريكية لاسرائيل ، لذا كان لزاما علينا نحن أن نعمل على احياء هذه القضايا فى أذهان المرشحين والناخبين · علينا أن نعبر عن اهتمامنا دائما وعلانية ، بالخطابات وبالعرائض والمناقشات والمحاضرات والاحداث العامة »·

وقد قدمت اللجنة لاعضائها العديد من الافكار التنظيمية المفيدة ، وعززها المتطرفون السياسيون اليهود أيضا على مر السنين أن أعضاء الكونجرس ، وهم معزولون فى واشنطن ، لم يشعروا على الاطلاق قبل ذلك بأى ضغط من الخارج ، ونحن بحاجة لان يشعروا الآن بذلك الضغط » .

ويعترف اليهود الامريكيون بان « الجانب الآخر » اخذ يزداد نشاطاً وفعالية فى دفع قضيته ، وان أولئك الامريكيين الذين يريدون أن يروا الحفاظ على العلاقات الامريكية الاسرائيلية ، بل وأيضا تعزيزها ، عليهم أن يضاعفوا جهودهم فى سوق السياسة ، وطبيعى أن تكون واشنطن هى المركز الرئيسى للنشاط .

والواقع انه منذ حرب يوم الغفران فى عام ١٩٧٣ ، بزغت اللجنة الامريكية الاسرائيلية للشئون العامة كمنظمة جذابة جديدة للمجتمع اليهودى الامريكى .

فى يوم ما ، كان تأثير تلك اللجنة على اعضاء الكونجرس يتم فى هدوء ، ولكن بفعالية ، وقد اصبح اليوم عملية واضحة تماما ، ووصفها أحد المراقبين فى واشنطن ، هو « كين وولاك » مساعد رئيس تحرير « ميدل ايست بوليس سيرفى » وكان مديرا تشريعيا للجنة بانها « المنظمة اليهودية الجنسية » .

وبينما اليهود الاثرياء ذوو النشاط السياسى قد تهافتوا على « النداء اليهودى المتحد » ، والسندات اليهودية ، او اللجنة اليهودية الامريكية ، كأسبقيتهم الاولى فى الخمسينيات والستينيات ، بدأ عدد متزايد من اقطاب الزعماء اليهود فى البلاد يركزون جهودهم على تلك اللجنة فى السبعينيات . قال « وولاك » : « اذكر عندما بدأت أعمل باللجنة الامريكية الاسرائيلية للشئون العامة قبل حرب ١٩٧٣ ، أننى كنت اذهب الى بعض مناطق العاصمة ، ولم يكن قد سمع عن تلك اللجنة سوى نفر قليل ممن اجتمعت بهم ، أما اليوم فالحال مختلف تماما » .

وقد اثنى « وولاك » وغيره فى واشنطن على « كينين » ، الرجل الذى اسس « اللجنة الامريكية الاسرائيلية للشئون العامة » فى عام ١٩٥٤ ، وعمل بها مديرا تنفيذيا حتى ديسمبر ١٩٧٤ . كان نجاح « كينين » مثيرا فى اكتساب أصدقاء لاسرائيل خلال تلك الفترة ، وحتى معارضو اسرائيل فى واشنطن ، أصبحوا يشعرون على مضض بالاعجاب به .

وكان كينين خلال نشاطه المباشر فى التأثير على ذوى النفوذ من أعضاء الكونجرس ، وفى محاضراته وأحاديثه الاذاعية والتليفزيونية ومقالاته اللامعة فى « نير ايست ريبورت » ، وهى صحيفة واشنطن الاسبوعية التى لا تزال اللجنة الامريكية الاسرائيلية للشئون العامة تبعث بها الى جميع اعضائها ، كان « كينين » رصيدا سياسيا قويا للمجتمع اليهودى فى الكونجرس .

غير ان تلك اللجنة تغيرت كثيرا منذ ذلك الوقت ، وبوجه خاص لان احتياجات اسرائيل قد تغيرت . واسوق مثلا على ذلك هو أنه قبل حرب ١٩٧٣ كانت المشكلة الملتهبة للجنة هي محاولة زيادة حصة المساعدة الاقتصادية من صفقة المساعدة الامريكية لاسرائيل من خمسة وعشرين مليون دولار الى خمسين مليون دولار ، واخذت اسرائيل تتلقى منذ الحرب ما يزيد على مليارى دولار سنويا فى أشكال متعددة من المنح الاقتصادية والعسكرية والقروض .

ووفقا لارقام وزارة الخارجية ، تلقت اسرائيل ٨٦ر٥ مليون دولار كمنح اقتصادية بين عام ١٩٤٨ وعام ١٩٥٢ ، والى جانب ذلك اعتمد لها فى عام ١٩٦١ مبلغ ٥١٨ مليون دولار (٢٤٩ مليون كقروض و ٢٦٩ مليون كمنح) .

وظل المستوى المتواضع نسبيا للمساعدة الامريكية على حاله الى ان نشبت حرب يوم الغفران . ان التوريدات العسكرية الامريكية المنقولة جوا الى اسرائيل بعد الاسبوع الاول من الحرب ، وما طلبته ادارة نيكسون بعد ذلك من قروض قيمتها ٢ر٢ مليار دولار كقروض عسكرية لسداد فاتورة الكثير من الحرب ، كل ذلك قد غير بصورة مثيرة مستوى ونوع المساعدة . وحتى ذلك الوقت كانت كل الحصص العسكرية من المساعدة الامريكية الخارجية والفواتير لاسرائيل فى صورة قروض بفوائد . وبعد صفقة الـ ٢ر٢ مليار دولار فقط بدات اسرائيل تتلقى منحا عسكرية دفعة واحدة . حقا ان هذه الصفقة التاريخية للمساعدة كانت ذات أهمية فى كثير من الطرق الاخرى ، ومنها انها خلقت اتجاها للتغاضى عن سداد الكثير من اجمالى الصفقة

فانه فى عام ١٩٨٤ تلمت ادارة ريجان ، يساندها الكونجرس ، فجعلت صفقة اسرائيل بأكملها منحة .

ومنذ عام ١٩٤٨ جاوزت المنح والقروض الامريكية ، الاقتصادية والعسكرية ، لاسرائيل ٢٧ مليار دولار ، وتشمل برنامج السنة المالية ١٩٨٥ . ان الحاجة الى مجاراة سباق الاسلحة المتصاعد فى الشرق الاوسط قد ضمنت ان طلبات اسرائيل من المساعدات الاجنبية من الولايات المتحدة ستستمر فى الارتفاع خلال المستقبل المتوقع ، وان المبلغ الذى اقترحه الفرع التنفيذى فى حكومة الولايات المتحدة وخصصه الفرع التشريعى سيظل جزءا لاغنى عنه من الميزانية الاسرائيلية .

وهكذا يمكن ان نرى الوجه الجانبى الاعلى للجنة الامريكية الاسرائيلية للشئون العامة الذى ترتب على الزيادة المرتفعة فى مساعدة الحكومة الامريكية لاسرائيل . قبل حرب ١٩٧٣ ، كانت التبرعات النقدية المباشرة للنداء اليهودى المتحد ، والقروض عن طريق شراء السندات الاسرائيلية وتعويضات المانيا

الغربية ، واهم الموارد فى المساعدة المالية الخارجية لاقتصاد اسرائيل الواهى ، ولكن فى السنوات الاخيرة ، اصبحت موارد ذلك المدخل التى كانت بالغة الاهمية بالنسبة لاسرائيل هى الحصة الاقل مقدارا بين اجمالى المساعدة المالية الخارجية، اما مبلغ ثلاثمائة المليون دولار تقريبا الذى يقدمه « النداء اليهودى المتحد » كتحويلات نقدية كل سنة ، فانه يقدر فى السنوات الاخيرة بعشر ما يخصصه الكونجرس . وهناك خمسمائة مليون دولار اخرى يتم شراؤها سنويا من سندات اسرائيل ، ولو أنه مبلغ سيسدد بفوائده بسعر فائدة منخفض ولاجل طويل .

ان « اللجنة الامريكية الاسرائيلية للشئون العامة » تلعب دورا فريدا فى المجتمع الامريكى اليهودى . انها الهيئة اليهودية الوحيدة المسجلة لدى الكونجرس الامريكى للاتصال باعضائه من اجل مصلحة التشريع الــذى يمس اسرائيل . ولما كانت هذه هيئة تأثير سياسى محلى فانه يتعين بذل الجهود لجمع الاموال لها .. والتبرعات المقدمة لها لا تخصم منها ضرائب ، كذلك لا يمكنهــا قبــول امــوال من اسرائيل لانهــا لو فعلته لكان عليها ان تســجل نفسها لــدى وزارة العدل كوكالة اجنبية . ولكنه بالرغم من تلك الصعوبات اتسعت ميزانيتها سريعا منذ عام ١٩٧٣ . وكانت قبل الحرب قد نجحت فى أن تكون ميزانيتها ثلاثمائة الف دولار ، اما ميزانية ١٩٨٥ فكانت تربو على خمسة ملايين مــن الدولارات .

قال « موريس ج . اميتى » ، الذى خلف « كينين » كمدير تنفيذى « ان من البديهى ان يكون اسم اللعبة ، اذا اردتم مساعدة اسرائيل ، هو العمل السياسى » ، وكان « أميتى » مساعدا تشريعيا لعضو الشيوخ الديمقراطى « ابراهام ويبيكوف » من ولاية كونيكتيكت ، وموظفا بادارة الخدمات الاجنبية بوزارة الخارجية ، وعمل طوال ست سنوات مع اللجنة الامريكية الاسرائيلية للشئون العامة » . وفى ديسمبر ١٩٨٠ عمل فى الاستشارات الخاصة والاعمال القانونية (وهو من خريجى مدرسة هارفارد للحقوق) ، وحل محله « توم داين » ، الذى كان مساعدا تشريعيا سابقا من اعضاء مجلس الشيوخ بما فيهم «ادوارد كنت » و « ادموند ماسكى » و « فرانك تشيرش » .. وكان داين هو الاخر يعمل من قبل بوزارة الخارجية .

ونظرا لاحتياجات اسرائيل المتزايدة ، والاعتراف بأن اى خطأ تشريعى واحد فى اللجنة الانتخابية الفرعية ، أو مناورة برلمانية ، قد يكلف اسرائيل مئات الملايين من الدولارات ،فقد توسعت « اللجنة الامريكية الاسرائيلية للشئون العامة » فى عدد افرادها ، كما توسعت فى مواردها المنتشرة لمساندتها .

كان « كينين » حتى عام ١٩٧٣ هو الوحيد المسجل لتلك اللجنة كشخص له حق الاتصال باعضاء مجلس الشيوخ ، وقبل الحرب استأجر « وولاك » ليلحق به كعنصر من عناصر الضغط لدى المجلس . وبحلول عام ١٩٨٣ كان

لدى « داين » بين موظفيه ستة كعناصر ضغط مسجلين لدى المجلس ، كل واحـد منـهم مختص بمنطقة معينة : مجلس النواب ، مجلس الشيوخ ، الديمقراطيين أو الجمهوريين ، الليبراليين أو المحافظين . ويبلغ العدد الاجمالى لمن يعملون مع اللجنة ثمانين شخصا جميعهم مقيدون بجدول الرواتب ، مقابل اثنى عشر شخصا كانوا فى عام ١٩٧٣ .

وبدأ نمو « اللجنة الامريكيـة الاسرائيلية للشـئون العـامة » خـلال السنوات الاخيرة من تولى « كينين » لاعباء منصبه ، ولكن نموها تنز خـلال السنوات الست التى باشر فيها « اميتى » عمله خلفا له .

وتكاد الصفحات الاولى من الصحف الامريكية تركز على الحرب البارده فى الخمسينيات ، وعلى فيتنام فى الستينيات ، ولكن الشرق الاوسـط اصبح الموضوع الساخن بعد حظر بترول العرب كذلك خـلال جولات كيسـنجر المكوكية ، وفى السبيعينيات سيطر الشرق الاوسط على تغطية انباء الشئون الخارجية . فى تلك السنوات العشر بدأ العرب ومؤيدوهم السياسيون يضاعفون نشاطهم ، وخلق ذلك مزيدا من التأييد للجنة الامريكية الاسرائيلية فى المجتمع اليهودى .

وعشـية حرب ١٩٧٣ بعثت شركة « ستاندارد أويل ــ كاليفورنيـا » بخطاب الى حملة الاسهم ، ونشرت « موبل » اعلانا فى أمهات الصحف الامريكية تنادى بسياسة أكثر موالاة للعرب ،واصبح الامريكيون ممن هم من أصل عربى اكثر نشاطا سياسيا ، فأسسوا الجمعية الوطنية للامريكيين العرب فى واشنطن على غرار اللجنـة الامريكية الاسرائيلية ، وبدأت عشرون سفارة عربيـة فى واشنطن تستأجر كبار خبراء واشنطن فى العلاقات العامة وفى ممارسة الضغط على النواب والشيوخ ، وتستأجر ايضا المحامين وذلك تعزيزا لقضيتهم .

وردا على هذه المنافسة ، انتقلت « اللجنة الامريكية الاسرائيلية للشئون العامة » الى مكاتب اكبر واحدث ، تبعد عن مبنى مجلس الشيوخ بمجموعتـين من الابنية فقط . وتوسعت فى قائمة اتصالاتها السياسية المحلية على مسـتوى عال داخل البلاد ، كما ازدادت عمليات جمع الاموال .. واستمر هذا التقـدم فى عهـد « دايـن » .

ظل توجيه اليهود لمزيد من النشاط السياسى بندا اكبر آخر فى الاجنـدة اليهودية الوطنية لسنوات عديدة . وفيما يتعلق باسرائيل كان التطرف السياسى اليهودى محرجا وخطيرا .

وفى لقاء لى مع « آرثر شوتين » من اللجنة الامريكية الاسرائيلية اشـاد بقيمة البريد المباشر واثره على اللجنة ، حيث قال « اعتقد أن قوة بريدنا المباشر فى المجتمع اليهودى لا حدود لها . ان من الامور الحاسمة فى نظرى أن بريدنا

ليس موضوعا لمجرد جمع المال للجنة واعضائها الجدد ، بل هو تعليمى وثقافى .. اننا لم نبعث بنشراتنا الا للتعريف بما يحدث فى واشنطن ، وهذا هدف آخر لنا » .

وكان من الواضح أن نظام المراسلات المباشرة قد حقق نجاحا هائلا للجنة الامريكية الاسرائيلية للشئون العامة » ، وقال « شوتين » أن اللجنة كانت تضم ثمانية آلاف عضو فى يناير ١٩٨١ ، وفى الفترة التى عقدت فيها حكومة ريجان صفقة « أواكس » للسعودية ، بدات اللجنة لاول مرة حملة قوية من الرسائل المباشرة ، وكانت أول مراسلات بريدية بعثت بها اللجنة تقدر بنحو اربعمائة الف نشرة ، أسفرت عن انضمام عشرة آلاف عضو جديد ، وتلك حصيلة ناجحة وغير عادية . وفى أواسط عام ١٩٨٣ ازداد عدد الاعضاء الى خمسة واربعين الفا ، ويرجع الفضل الاكبر فى ذلك الى « البريد المباشر » .

وفى السنوات الاخيرة كان هناك فحص دقيق للجنة التنفيذية والمجلس الوطنى للجنة الامريكية الاسرائيلية ، وهى الزعامة التخطيطية التى تساند الافراد المهنيين ، وبدأت عدد كبير من قساة النقاد ممن لهم نشاطهم الكبير فى الاتحادات اليهودية المحلية ومجالس علاقات المجتمع يركزون اهتمامهم على اللجنة الامريكية الاسرائيلية ... واصبح « ادوارد ساندرز » ، من لوس انجيلوس ، رئيسا ، (واستقال فيما بعد ليعمل لحساب جيمى كارتر فى انتخابات ١٩٧٦ ، والتحق بالبيت الابيض كضابط اتصال مع المجتمع اليهودى ، وكمستشار لوزير الخارجية سيروس فانس) . وبينما اشترك معظم رؤساء كبرى المنظمات اليهودية الامريكية فى اللجنة الامريكية الاسرائيلية بدرجات متفاوتة ، فان كثيرين من الزعماء اليهود من الشبان النشيطين يعتبرون الان تلك اللجنة انها هى التى تمسك بالمفتاح الى السلطة السياسية اليهودية فى أمريكا .

وخلف « لارى واينبرج » ، من لوس انجيلوس ، « ساندرز » وانتقلت أوجه عديدة الى طليعة الزعامة التخطيطية فى « اللجنة الامريكية الاسرائيلية للشئون العامة » ، تضم « مورت سيلبرمان » من ميامى ، و « بوب اشير » من شيكاغو ، و « دون ديامونــد » من توكسون ، و « جوردون زاكس » من كولومبوس ، و « ايروين ليفى » من بام بيتش ، و « روبرت ريسمان » من بروفيدنس ، و « تسالز تشيسترمان » من تولسا ، و « جيمى كوهين » من بيتسبورج ، و « روبرت لوب » من دينفر .

كذلك جمع « أميتى » فريقا استشاريا غير رسمى من المحامين بواشنطن ، وغيرهم من الخبراء السياسيين لمساعدته . واشترك معه يهود وغير يهود ، بمن فيهم « جون ليهمان » وزير البحرية السابق فى ادارة ريجان ، و « اليوت ابرامز » مساعد وزير حقوق الانسان سابقا ، و « ماكس كيملمان » ، كبير مفاوضى مراقبة الاسلحة ، و « بن واتنبرج » ، من المعهد التجارى الامريكى ،

الى جانب بعض من التشريعيين السابقين المحترمين من مساعدى اعضـــــاء الشيوخ من امثال « جيى بيرمان » و « كين ديفيز » .

وكان طبيعيا ان تعمل « اللجنة الامريكية الاسرائيلية للشئون العامة » فى ارتباط وثيق مع نواب واشنطن من المنظمات اليهودية الاخرى ، وتضم « هيمان بوكبايندر » من اللجنة الامريكية اليهودية و « دافيد برودى » من رابطة مناهضة التشهير : كان اجتماعهم اسبوعيا ، ولكن فى فترات الازمات كانت اجتماعاتهم اكثر ، وذلك لتخطيط الاستراتيجية السياسية لدفع التشريع عبر الكونجرس أو للرد على الدعاية المناهضة لاسرائيل .

ولكن منح استغلال ذاتى غير عادى للجنة الامريكية الاسرائيلية واعضائها فى اتخاذ القرارت ، وهذا استغلال استثنائى عن زعامة اللجنـــة وغيرها من المنظمات الامريكية اليهودية ممن لهم اتصالات يومية مع الكونجرس ، التى من شأنها توفير المعلومات الضرورية عن العملية التشريعية التى تضمن الموافقـــة على قانون المساعدة الاجنبية دون الخوف من اضافة اية تعـــديلات عرجاء . ولذلك فانه مالم تتوفر لاعضاء اللجنة حرية العمل فقد يكون من الممكن أن يحدث اقتطاع كبير فى المساعدة خلال بضع دقائق .

أضف الى ذلك وجود احتمال ان اى خطأ بسيط يقع خلال الدراســـــة الطويلة والمعقدة غالبا لقانون المساعدة الاجنبية قد يكلف اسرائيل الملايـــين . وقليل هم أولئك الذين يستطيعون التمييز بين « سلطة الميزانية » و « التزامها » ، وبين «التخصيص » و « الترخيص التشريعى » أو بين « اتفاقات الميزانية » و « بنود تخطيط الميزانية » ، وذلك لافتقارهم الى الخبرة المباشرة فى الســــاحة التشريعية الامريكية . وهذا هو السبب فى أن الفريق المهنى فى اللجنة الامريكية الاسرائيلية فى عهد « كينين » و « داين » قد حصلوا على تفويض من الزعامـــة اليهودية المنظمة لكى يعملوا استنادا لهذا الاستقلال ، وهو بلا شك أكبر من اى تفويض من الزعامة اليهودية المنظمة لكى يعملوا استنادا لهذا الاستقلال ، وهو بلا شك اكبر من اى تفويض قالته اية منظمة يهودية أخرى . قال « ريتشـــارد ستراوس » من صحيفة « ميدل ايست بوليسى سيرفى » : « يتمتع (داين) بقوة مصدرها المعرفة . لقد رسخت أقدام اللجنة الامريكية الاسرائيلية للشـــئون العامة والى حـــد انه لن يكون من السهل أن تداس ، يقول واين عن تلك اللجنة انه يجب استعمال عبارة اننا منظمة صغيرة من الصفوة المهنيـــة .. دون ان تكون صـــفوة .

لقد اظهر « داين » ذكاء سياسيا كبيرا ، حيث خلق معارضة قوية ضـــد بيع طائرات أواكس للسعودية ، ولو ان اللجنة خسرت فعلا هذه المعركة . ان لديه رؤية بعيدة بالنسبة للمستقبل ، وهى الرؤية التى بدأت بالتفكـــير فى تجربة حملة البريد المباشر التى اثبتتها العمليات السياسية المحافظـــة .

لقد ركزت اولى النشرات المرسلة بالبريد فى الثامن من سبتمبر ١٩٨١ . على مخاطر صفقة أواكس ، ومن ثـم ارتفـع رسم العضوية الى « ٣٥ دولارا غير قابلة للتخفيض) ، وازدادت التبرعـات المـالية ، وهو نقـلا عن تعليقات بعض الصحف التى نشرت مؤخرا عن المنظمة .

وكتبت نيويورك تايمز : انها اقوى فريق ، لـه فعاليته وتنظيمه ، وله اهميته فى السياسة الخارجية فى واشنطن .

كما كتبت واشنطن بوست : انها قـوة يجب ان يحسب لها حساب فى البيت الابيض ووزارتى الخارجية والدفاع والكابيتول .

وكانت حمـلة البريد المبـاشر التى قامت بهـا « اللجنـة الامريكيـة الاسرائيلية للشـئون العامة » مجرد تطويـر جديد لاسلوب ناجح فى جمـع تبرعات اليهود . ويتذكر « يهودا هيلمان » ، نائب الرئيس التنفيـذى لمؤتمر رؤساء المنظمات الامريكية اليهوديـة الكبرى ، خطابـه الذى القاه فى عـام ١٩٤٨ من اجل جمع الأموال فى الولايات المتحـدة . وفى لقـاء معى ذكـر لى ما قاله احـد الزعماء البـارزين فى المجتمع اليهودى بنيويورك : « ساتبرع ، ولكن ابنى غـير مهتم . نحن آخـر جيل من مؤيدى النـداء اليهـودى » . وبعد خمس وثلاثين سـنة التقى هيلمان بابن ذلك الرجـل فى اجتماع آخـر للنـداء اليهودى فى المجتمع اليهودى بنيويورك ، وقـد قال هو لى « رأيت الابن يترأس مأدبة العشاء ، وقال لى « لـم يكن أبى من كرام المتبرعين .. لقد أحب اسرائيل كل الحب ، لكنه لم يكن متبرعا سخيا » .

وبالطبع كانت وجهة نظر « هيلمان » أن اليهـود الامريكيين قـد نجحوا على مر السنين فى الحفاظ على التزامهم التقليـدى ازاء المجتمع اليهودى فى العـالم كله ... وقال « ن القـانون هو أنه فى عـام ١٩٤٨ كان الابن يتكلم باللهجة » البيدية (١) ، « أما اليـوم فالابن امريكى عصرى » .

واكتسب اليهود صـفة الاحسـان وعمل الخير . واصبحوا موضـع الحسد من كثـير من المنظمات الامريكيـة الاخرى المشـاركة فى جمع التبرعات ذكرت صحيفة « وول ستريت جورنال » فى أول ابريـل ١٩٨٣ أن ميزانيـة « النداء اليهودى » التى قدرت فى عام ١٩٨٢ بمبلغ ٥٦٧ مليون دولار ، تعادل ما يقـرب من ثلث حجم ميزانية « الفريق المتحـد » العالمى الانتشار ، ولو أن الستة الملايين من اليهود فى امريكا يمثلون اقل من ثلاثة فى المـائة من مجموع

---

(١) البيدية : لهجة من لهجات اللغـة الالمـانية تكثر فيها الكلمات العبرية والسلافية وينطق بها اليهود فى الاتحاد السوفيتى وبلدان أوروبا الوسطى ، وهى تكتب بأحـرف عبرية .

السكان ... وقالت الصحيفة ان « النداء اليهودى » يجمع ما يزيد على ما تجمعه جمعية السرطان الامريكية وجمعية القلب الامريكية وجمعية الحثل العضلى .

ان فى هذا ، فى الواقع ، مايثير الاعجاب . والجدير بالملاحظة أن اليهود يدفعون فى سخاء للكثير من القضايا اليهودية الاخرى الى جانب « النداء اليهودى » .. انهم يتبرعون لمعابدهم المحلية وللمدارس والكليات اليهودية ، والمستشفيات اليهودية ، ولكافة أنواع المنظمات اليهودية ذات الميزانيات المستقلة ، كما يتبرعون أيضا للاعمال الخيرية غير الدينية .

ومع ذلك ، فالزعامة اليهودية الامريكية غير راضية . انهم يعتقدون ان كثيرين من اليهود الامريكيين لا يتبرعون ببنس واحد لأية قضية يهودية ووفقا لبعض التقديرات السائدة فان هؤلاء يشكلون خمسين فى المائة من السكان اليهود . انهم ليسوا يهودا فقراء ممن يجدون غالبا الطريق الى التبرع مهما تواضعت قيمته للقضية اليهودية . وفى كثير من المجتمعات اليهودية يوجد يهود اثرياء ، قد يكونون متبرعين أسخياء لمستشفى للاطفال ولقضايا غير يهودية ، ولكنهم لا يتبرعون للاتحاد اليهودى المحلى .

وفى أكبر المجتمعات اليهودية ، مثل نيويورك ولوس أنجيلوس ، تعتبر نسبة المتبرعين للمنظمات اليهودية ضئيلة نسبيا . ووفقا للمسئولين فى اتحاد لوس انجيلوس فان عشرة فى المائة فقط من الخمسمائة ألف يهودى فى لوس انجيلوس يتبرعون للاتحاد المحلى . وفى المجتمعات الاصغر تزيد هذه النسبة حيث يمكن ممارسة ضغط اكبر . وقد اخبرنى « تشارلز شيفمان » ، المدير التنفيذى السابق ، انه فى المجتمع اليهودى الذى يضم اثنى عشر الف عضو فى كولومبوس ، أوهيو ، يتبرع من ستين الى سبعين فى المائة للاتحاد المحلى . وفى المجتمعات اليهودية الصغيرة المنتشرة حول جنوب الينوى يصل الاتحاد الفيدرالى الى حوالى تسعين فى المائة من اليهود ، وذلك طبقا لما يقوله « جيرشنسون » ، المدير التنفيذى للاتحاد المحلى .

اشتهر المجتمع اليهودى بين مختلف المجموعات العرقية فى أمريكا بأنه منظم سياسيا الى حد كبير . وقد ساد انطباع عن وجود مزعوم لجماعة ضغط يهودية قوية فى الكونجرس ، وخاصة فيما يتعلق بمساندة اسرائيل . ولكن ، كما قال العضو « جوزيف بيدين » ، من ديلاوير ، أمام الف واربعمائة يهودى وفدوا الى واشنطن من كافة أنحاء الولايات المتحدة فى العاشر من مايو ١٩٨٢ لحضور المؤتمر السياسى السنوى للجنة الامريكية الاسرائيلية للشئون العامة ، ان جماعة الضغط الاسرائيلية خسرت معركتين كبيرتين فى السنوات الاخيرة ، أولاهما صفقة الطائرات « اف ــ ١٥ » للسعودية فى عام ١٩٧٨ التى نجحت ادارة كارتر فى تصويت مجلس الشيوخ لصالحها باغلبية ٥٤ صوتا مقابل ٤٤ ، والاخرى عندما

عندما استعمل الرئيس ريجان كل قوته فى الاقنـاع الشخصى السياسى ليحمل مجلس الشيوخ على اعتماد صفقة طائرات أواكس (اف ــ ١٥) للسعودية ، وكان التصويت عليها باغلبية ٥٢ مقابل ٤٨ . كان لهاتين الهزيمتين تأثيرهمـا الكبير على كثيرين من كبار المتطرفين السياسيين اليهود ، وقد تعلموا الكثير من هـذين الدرسـين .

وأدرك اليهود ان المعارضة الموالية للعرب قد ازدادت فعالية فى خلـق ائتلاف سياسى تموله دولارات البترول ضد اسرائيل ، فبداوا من الساحل الى الساحل ، وفى الاسكا وهاواى ، شن هجومهم المضاد ، واقحمـوا أنفسهم فى العملية السياسية بطريقة اكثر نشاطا .. وتكلم « داين » عن « تفجر واقعى للنشاط السياسى اليهودى » داخل الولايات المتحدة .

واذا كان المجتمع اليهودى لم يعرف ذلك من قبل ، فقد تعلمه بلا شك بعد هزيمة اواكس ، وهو : ان النصر لم يعد تلقائيا عندما يكون معتمدا على استمرار المساندة الامريكية لاسرائيل . لقد علموا ايضا أنه لا مكان التأثير على أحد أعضاء الشيوخ أو النواب فى قضية معينة فانه يتعين بادىء ذى بدء مساعدته للفوز فى الانتخابات .. وكانت تلك هى رسالة « داين » الاساسية خلال مؤتمر « اللجنـة الامريكية الاسرائيلية للشئون العامة » فى عام ١٩٨٢ .. فقد قال للاعضاء « نحن، انتم ، وانا ، علينا أن نضاعف من مستوى نشاطنا السياسى . قد يكون لـدى الاخرين المال ، ولكن لدينا نحن الرجال ، الرجال الذين لا يضعون نصب أعينهم المكسب أو الربح ، بل المبدأ . ان مؤيدينا رجال نشيطون يعملون بقلوبهم ، انهم امريكيون ممن ليسوا بحاجة الى الامراء السعوديين ليتحدثوا بلسانهم سعيا وراء كسب دولارات البترول » . وقد الح ، وهو من فريق الضغط فى اللجنة . على المجتمع اليهودى : « أن يعمل بهمة على مستوى وبكثافة لم يعمل بها من قبل » .. وحذر من أن « المغامرة جد خطيرة لان الزبائن السعوديين لا يريدون لنا الخير » .

والى جانب الوسائل التقليدية للتنظيم السياسى ، قام اليهود أيضا فى كافة انحـاءالولايات المتحدة بتاسيس لجان عمل سياسية مستقلة هى « لجان العمل السياسى » . ولعل ذلك التاسيس كان اكثر الجوانب اغراء فى تورط المجتمـع اليهودى فى السياسة فى السنوات الاخيرة .

ولما كانت القوانين المالية الفيدرالية للحملات الانتخابية الصادرة فى السبعينيات قد حدت كثيرا من تبرعات الحملة للمرشحين ، فان جميع أنواع « لجان العمـل السياسى » قد انشئت للافلات من اللوائح الجديدة . انها تمثل فى الواقع كل فريق عرقى ذي اهتمامات خاصة فى البلاد ، بما فيهم اليهود . وكان من الممكن أن تصبح المجموعات اليمينية الجديدة اكثر وضوحا فى استخدام لجان العمل السياسى التابعة لها من اجل تعزيز المرشحين المحافظين ، ولكن قلم غيرهم من الساحة الامريكية السياسية فاستغلوا « نفس القطار » مع لجنة العمل السياسى .

وإذا قيست لجان العمل السياسى بالعمالقة ، فان الكثير منها ، سواء فى شيكاغو أم لوس انجيلوس ونيويورك أو المدن الصغيرة ، قد ظلت متواضعة فيما يتعلق بعددها وقيمة المبالغ التى جمعتها للمرشحين الموالين لاسرائيل .. ولكن مما لا شك فيه أنها بذلت جميعا فى التأثير فى الكونجرس .

وان من الصعب تحديد المبالغ — على وجه الدقة — التى جمعتها لجان العمل السياسى اليهودية ، حيث أنه ليس عليها أن تعلن عن هويتها كلجان يهودية أو كلجان توجهها اسرائيل فى اتصالاتها باللجنة الانتخابية الفيدرالية . ان لجان العمل السياسية اليهودية ، شأن معظم اللجان العرقية ذات الاهتمامات الخاصة ، قد اتخذت كهدف اساسى لمجموعتها اما « حكومة طيبة » واما « جماعة غير مؤدية » .... ولكن ليست تلك هى الحال عندما يتم تسليم الشيكات بالفعل الى المرشحين الذين يدركون تماما الاهتمامات الخاصة للجان العمل السياسى اليهـــودية .

فى السادس والعشرين من شهر فبراير ١٩٨٥ كتبت صحيفة « وول ستريت جورنال » ان أكثر من سبعين لجنة عمل سياسى يهودية أسهمت بمبلغ ٦ر٣ مليون دولار فى الحملات الانتخابيةللكونجرس . وقالت الصحيفة « ان اليهود الامريكيين نظموا قوة مالية جديدة لتعزيز قوة الضغط القوية فعلا من أجل مساعدة اسرائيل . ومالم توجد لوائح انتخابية جديدة لتقييد جمع الاموال للسياسة فستكون لجان العمل السياسى هى الحركة الموجهة للسياسة الامريكية المستقبلة . ان اليهود شأن الامريكيين ممن لهم قضايا ، سيستخدمون هذا الطريق ليدفعوا قدما فى محاولة التأثير فى مجرى السياسة الامريكية ازاء اسرائيل ... وقد اصبح ذلك جزءا من الديمقراطية . قال « داين » فى اجتماع اللجنة الامريكية الاسرائيلية فى عام ١٩٨٢ « علينا أن نأخذ بكلمات عضو الشيوخ «جيسى هيلمز» ، وهى : « اذا أردتم أن تكسبوا القضية فعليكم أن تساعدوا المرشحين للفوز فهم الذين سيصوتون لصالحكم » .

لذلك ، فان ذوى النشاط السياسى من اليهود يجعلون الاولوية لمعرفة كيفية العمل عبر لجان العمل السياسى ومسيرتها القانونية المعقدة . وقد قال « موريس أميتى » ، المدير التنفيذى السابق للجنة « ليس هناك ما يدعو للدهشة أن نرى فى المجتمعات داخل البلاد أن لجان العمل السياسى ذات التوجيه اليهودى قد نمت وترعرعت وخاصة فى السنتين الاخيرتين (ويجب ملاحظة الفارق بين لجنة العمل السياسى واللجنة الامريكية الاسرائيلية ، فالاخيرة منظمة يهودية أمريكية داخلية ، ومسجلة لدى الكونجرس للتدخل من أجل التشريعات التى تمس اسرائيل وليس من حقها توزيع الاموال على المرشحين) .

اوضح « أميتى » أن لجان العمل السياسى اليهودية ، التى تأسست فى مجتمعات محلية بالبلاد ، « تعمل كنقطة تركيز على اليهود ذوى النشاط السياسى

لتأييد المرشحين ممن لهم حساسية لاهتمامات المجتمع اليهودي الامريكى فى عـام ١٩٨٣ كان هناك حوالي ستين لجنة يهودية محلية للعمل السياسي ، كان معظمها صغيرا ، ولو أنها كانت فعالة فى مساعدة المرشحين الموالين لاسرائيل . ومنذ أن ترك أميتى « اللجنة الامريكية الاسرائيلية للشئون العامة » ، فتح له فى واشنطن مكتبا قانونيا واستشاريا ، ونظم لنفسه لجنة للعمل السياسى ، وفى عام ١٩٨٢ تورط فى نزاع لجنة العمل السياسى الوطنية ، وهى أول لجنـة عمـل سياسى وطنية موالية لاسرائيل ، فكيف يتأتى ان يقوم متطرف سياسى اسرائيلى ، مثـل « أميتى » ، بانتقاد منظمة هدفها تأييد الالتزام الامريكى قديم العهد ازاء اسرائيل حقا ان لقضية هنا قضية الوسيلة لا الغاية . .

أوضح أمين صندوق لجنة العمل السياسى الوطنية « مارفين جوزيفسون » عميل نيويورك ورجل الاعمال الموهوب ، أهداف فريقه قائلا : « ان لشركة موبل أويل لجنة للعمل السياسى ، وكذلك شركات بكتيل ، وفلور ، وبوينج ، وأموكو ، وجرومان ، لها جميعها لجان عمل سياسى . ولكن أولئك الذين يعتقدون من بيننا اعتقادا فى ضمان أمريكى طويل الاجل لبقاء اسرائيل ، لم تكن لهم لجنة للعمـل السياسى . ان اشتراكنا فى لجنة العمل السياسى الوطنية يتيح لنا الوقوف فى وجه قوة ضغط دولارات البترول فى واشنطن وفيضها من التبرعات للحملة الانتخابيـة .

انضم « فيليكر وودى الين » ، من عملاء جوزيفسون الى القائمة الطويلـة والمثيرة التى تضم الشخصيات التى تساند لجنة العمل السياسى الوطنية ، ووقع على النشرات المرسلة الى مائتى ألف أمريكى ، يحثهم فيها علا الانضمام اليها .

وكتب « الين » يقول : « أعتقد بشدة ان خير ما يخدم المصالح الاستراتيجية لبلادنا فى الشرق الأوسط هو الحفاظ على التزامنا التقليدى بأمن اسرائيل . لكن ليس هذا ما يعتقده كل فرد . أن أرباح الكثير من الشركات متعددة الجنسيات مرتبطة ارتباطا وثيقا بمصالح دولارات البترول . هناك الآن محاولات واسـعة النطاق ترمى الى تشويه سمعة اسرائيل فى أعين الكونجرس ، ولتحويل الخلاف حول التكتيكات الى اضعاف الروابط بين ديمقراطية بلدينا . ورغم أن بعضنا قد لا يتفق دائما مع سياسة اسرائيل حول جميع الامور ، الا أن الروابط الوثيقـة بين الديمقراطيتين ترجح نقاط الخلاف » .

وقد سجلت لجنة العمل السياسى الوطنية انطباعة قوية فى محاولة جمع الاموال ، فنشرت صفحة كاملة من الاعلانات فى أمهات الصحف ، يمثل أحدهـا صورة لياسر عرفات ، زعيم منظمة التحرير الفلسطينية ، ومعها هذا التعليق « السنة القادمة فى القدس ! » . وجاء فى اعلان آخر بالبنط العريض « ان تأييد المرشحين الذين يؤمنون باسرائيل ليس بالذات لصالح اليهود بل لصالح الامريكيين» واستطرد اعلان لجنة العمل السياسى الوطنية ، فى موضـع الاشارة الى المزايا

الاستراتيجية الاسرائيلية للولايات المتحدة ، يقول « ان المنظمات الخيرية ، مثـل النداء اليهودى المتحد أو اللجنة المناهضة للتشهير ، لا يمكنهـا تقـديم تبرعات سـياسية ، وعمـلا بقانون الانتخـابات الفيـدرالي فان المنظمـة الوحيـدة التى يمكنهـا تمويل أولئك المرشـحين هى لجـان العمل السياسى .

وخلال الحملة الانتخابية فى عام ١٩٨٢ ، قدمت لجنـة العمل السياسى الوطنية اكبر قدر من التبرعات للناخبين ، خمسة آلاف دولار فى احـدى وثلاثين ولاية يتنافس فيهـا الشـيوخ ، وثلاثا وسبعين بولاية يتنافس فيهـا النواب ، وفى عام ١٩٨٤ وزعـت لجـان العمـل السـياسى ٧٨٤,٠٠٠ دولار على المرشحين . ويبدو ذلك انجـازا مثيرا ... وهكذا يبقى هـذا التسـاؤل : « لمـاذا تواجه هذه العملية معارضـة « اميتى » وغيره من المحللين السياسيين من اليهـود ذوى النفـوذ فى واشنطن ؟ » .

ان الاجابة تكمن فى امكانية الرؤية . انهم يعتقدون ان المظهر العـالى الذى وصلت اليـه لجنـة العمل السياسى الواسعة الانتشـار انمـا يعزز الانطبـاع بأن اليهـود يتبرعـون بسـخاء للسياسيين ، وأن قـوة الضغط اليهـودى تحاول شراء الكونجرس . انهم يفضلون أن يكون النشـاط السياسى اليهودى أقل اندفاعا وأن يتم فى سرية تامة . قال « اميتى » ان لجـان العمل السياسى اليهودية المحلية مكبوتة ولا تثير جـدلا وخـلافا .. انهـا لا تجتذب الا القليل من الاهتمام .. ولكنه يرى أن انشـاء لجنـة وطنية للعمـل السياسى كان غلطـة . وقال : « ان الذى لا يحتـاج اليه اليهـود الامريكيون هـو هـدف قد يستغله أولئك الذين يندِّدون بنـا كمثل آخـر لتأثير اليهـود على الكونجرس . وذلك أن تتصـور تلك التوقعـات التى يمكن أن تثيرها مثـل تلك المنظمة ، ولن تقـوم بهـا . ان كل عضـو تقريبا فى الكونجرس يعتبر نفسـه ، أو تعتبر نفسـها ، صديقا للمجتمع اليهـودى واسرائيل . ومن الذى سيحكم على تلك اللجنة العليـا للعمـل السياسى فى « كتـاب الحيـاة السياسية » .. واستطرد « اميتى » يقـول : « ان القـوة السياسية للمجتمع اليهودى تتبدى فى توزيعه الجغرافى ، وفى روابط المجتمع القوية والمتماسكة » .. وقال « ان لجنـة كبيرة للعمل السياسى فى نيويورك لا يمكن أن تحل محـل العشرات من المجموعات الصغرى التى تعمل لتحقيق نفس الاهداف » .

ويختلف مع اميتى « دافيد واينشتين » ، المدير التنفيذى السـابق للجنـة العمـل السياسى الوطنية . لقـد طالب بشـدة بمزيد من الاشـتراك اليهودى المنسـق فى السياسة على جميع المستويات . وقد قال لى : « اليوم يمكن أن تختفى امكانية المسـاندة الامريكية لاسرائيـل .. لا اقـول يصيبها النحـر « التآكل » أو التدهـور ، بل اقـول تختفى . وهـذا واقعى جـدا . انى أرى فى ذلك تهـديدا لكل من امريكا واسرائيل على السـواء ، وأقـول بصراحة

اننى اشعر ايضـا بتهـديد شخصى » .. وهذا هو السبب الذى من اجـله اشترك مع اللجنـة الوطنية للعمل السياسى . وقال : « ان صـوتا جـديدا مواليـا لاسرائيل قد اضيف الى مسرح واشـنطن والدوائر الانتخـابية فى انحـاء البلاد لاستكمال محاولات الهيئات التى كانت قائمة من قبـل فـردية و جمـاعية » .

ورغم الفوارق التكتيكية القائمة ، فان السياسة بالنسـبة للمتطرفين من امثـال « واينشتين » و « أميتى » وكثيرين غيرهم فى أنحـاء البـلاد انمـا هى تسمية للعبـة .

وواضـح ان اليهـود الامريكيين قـد تعلموا على مـر السـنين كيف يستخدمون العملية السياسية بفعالية . واليوم ، أصبح اليهـود يعترفون ان لجـان العمل السياسى أداة هامة ستكون هنا وهناك لبعض الوقت .

ولا يمكن انكار ان المـال اليهـودى والمهـارة التنظيمية كانا من وراء هزيمة عضو الكونجرس « بول فندلى » اكبر مؤيـد لمنظمة التحرير الفلسطينية فى الكونجرس ، وهزمه العضو الديمقراطى « ريتشـارد دربن » ، الذى تلقى مساعدة مالية كبيرة من اليهـود داخل البـلاد . وقـد انفقت لجنـة العمـل السياسى اليهودية ما يزيد على مائة واربعة آلاف دولار على حملته الانتخابية ، اما « فندلى » فكان قد تلقى تبرعات من الامريكيين المؤيدين للعرب ولجـان العمـل السياسى المشتركة معهم .

وكان بعض المتطرفين السياسيين اليهـود من ذوى النفـوذ يـرون ان اشتراكهم لا يعنى فقط سياسة وطنية ، بل أيضـا سياسة دوليـة ومحلية ، كانوا يرون ان الوقت المناسب قد حـان لاقامـة اتصـالات مع السـاسيين الناشئين ممن سـيكون لهم مكانهم فى المستقبل . قال « ريتشـارد كريجـر » الذى كان من قبـل مديرا فيدراليا يهـوديا فى ميتشجان ونيوجيرسى ، ثـم عمـل بعـدها مع اللجنـة الوطنية الديمقراطية ، قال « ان من اكبر الاخطـاء التى ارتكبهـا المجتمع اليهـودى الامريكى اخفاقـه فى اقامـة عـلاقات مع السياسيين فى مستهل عملهـم » ، واضـاف « عنـدما يأتى سـياسى الى واشـنطن قد يكون ذلك بعد فوات الاوان » .

تولى جيل جديد من المشرعين عملهم فى واشنطن . واولئـك الشـيوخ والنواب ـ على عكس « هنرى جاكسون » و « هيوبرت همفرى » و « جاكوب جافيتس ـ لا تتوافر لديهم الخبرة الشخصية والمباشرة اذ لـم يعاصروا أحداث الحـرب العالمية الثانية ، والابادة الجماعية ، ثم مولـد اسرائيل . واسرائيل فى نظـر الكثيرين من ذلك الحشـد الجـديد مجـرد دولة أخرى فى العالم ... وكان التحـدى للزعامة اليهودية الامريكية هو تعريف أولئك القوم باسرائيل ، وهـذا يعنى فى المقـام الاول دعوتهـم لزيارة اسرائيـل ، ويتفق الزعمـاء

اليهـود والمسئولون الاسرائيليون فى ان زيارة السياسيين لاسرائيل قد تكون هى الطريقة الوحيدة والاكثر اهمية وفاعلية لتخلق فيهم المشاعر الموالية لاسرائيل . كانت الاولوية الكبرى لدى « اللجنة الامريكية الاسرائيلية للشئون العامة » والمجموعات اليهودية المؤيدة داخل البلاد ، هى ترتيب الرحلات لاسرائيل ، ومن الممكن تحقيق أقصى الفائدة من قيام الناخبين اليهود المحليين بمرافقة المشرعين فى زيارتهم مما يهيىء لهم موردا جاهزا دائما لاسترجاع المعلومات . وعهد الى مكتب امريكا الشمالية بالخارجية الاسرائيلية بالعناية بأولئك الزوار الرسميين . وبعد بعض الاخطاء الغبية والمكلفة التى سجلتها السنوات الماضية ، بدأت اسرائيل تأخذ هذه الزيارات على محمل الجد .

وكان من شأن هذا الخط فى التفكير أن أقنع « كريجر » بتنظيم عدة زيارات لاسرائيل للموظفين المحليين والحكوميين ممن بدت منهم بعض دلائل النجاح فى مجال عملهم ، ففى أواسط السبعينيات نظم « كريجر » رحلة الى اسرائيل للمحامين المحليين . وكان من بين من لحقوا به شاب ديمقراطى من توكسون ، هو « دينيس دى كونشينى » ، الذى أصبح فيما بعد عضوا بمجلس الشيوخ عن ولاية اريزونا .

ومن المفهوم طبعا ان نسبة كبيرة من الشيوخ والنواب فى واشنطن كانوا فى يوم من الايام موظفين محليين ورسميين . ان صعود السلم السياسى من اكثر المظاهر شيوعا فى السياسة الامريكية ، فحوالى نصف الاعضاء الثمانين الجدد فى الكونجرس الذين احتلوا مقاعدهم فى عام ١٩٨٣ كانوا من قبل مشرعين رسميين ، يضمون كثيرين من الاعضاء اليهود الجدد : عضو الشيوخ الجمهورى « شيك هيشت » من نيفادا ، والنائبين الديمقراطيين « ميل ليفين » و « هوارد برمان » من كاليفورنيا ، والاخيران عملا سويا فى جمعية الولاية ، والديمقراطى « لارى سميث » من فلوريدا ، والذى كان يعمل فى المجلس التشريعى بولايته . وبالمناسبة انضم هؤلاء النواب الثلاثة الى لجنة الشئون الخارجية بالمجلس .

والمجتمع الموالى لاسرائيل فى الولايات المتحدة محدود فى مقدرته على التأثير فى سياسة الشرق الاوسط ، وعليه أن يختار بعناية وبطريقة عملية المناطق المستهدفة الرئيسية ، مع ادراك العوامل المالية والسياسية وغيرها التى قد يكون من شأنها تقييد نشاطه . لذلك فانه اذا أقام المجتمع علاقات طيبة مع عضو رئيسى بمجلس الشيوخ ومجلس النواب الامريكيين كان ذلك منطقيا أكثر مما يقيمها مع مسئول محلى .. ولكن هذا لا يعنى تجاهل السلطات السياسية الاقليمية .كما يقول « داين » عن اللجنة الامريكية الاسرائيلية للشئون العامة ان منطقة حاسمة بوجه خاص تضم مشرعين رسميين من اليهود من جميع انحاء البلاد ، ومن هذا الفريق يتوقع ظهور كثيرين من الجيل القادم من ساسة واشنطن ، وذلك هو ما دعا « داين » ليقول فى كلمته أمام الجمعية الوطنية

للمشرعين اليهود في اجتماعهما في أتلانتا في عام ١٩٨١ « ان المجتمع اليهودي في الولايات المتحدة معرض للهجوم · نحن متهمون بأننا نمتلك قوة مفرطة ، وان اهتماماتنا محدودة ، وان ولاءنا مزدوج » واستطرد رجل اللجنة الامريكية الاسرائيلية بحث المشرعين اليهود على الاشتراك بصـــورة أكثر ايجابية في المعركة من أجل اسرائيل ، قال « ان النشاط السياسي هو البقاء ، وليس للمرء أن يختار البقاء ، فهو شعور فرضته علينا الطبيعة » ·

كان آل « ابرامس » ، السكرتير المتقاعد لمجلس الشيوخ ، هو القـــوة الدافعة في التأسيس الاصلي للجمعية الوطنية للمشرعين اليهود في عـــام ١٩٧٨ · ومنذ ذلك الوقت توسعت سريعا تلك المنظمة · وبحلول عام ١٩٨٣ كان هناك كما يقول « ابرامس » مائتان وخمســـون مشرعا يهوديا في حوالى خمس وثلاثين ولاية . وقال ان هـــذا يشمل ثلاثـــة في المائة من جميع المشرعين أو على وجه التقريب نسبة اليهود الى مجموع الشعب الامريكي · وفي الايام الاولى للمنظمة اشترك « بارني فرانك » وهو المشرع الديمقراطي من ولاية ماساشوسيتس اشتراكا ايجابيا في مساعدة « ابرامس » وقـــد انتخب فرانك عضوا بالكونجرس في عام ١٩٨٠ وسرعان ما برز كشخص ذي ســـلطة في الكابيتول ·

ماهو على وجه التحديد ما يمكن للمشرعين اليهود أن يفعلوه لمساعدة في تقرير الروابط الامريكية الاسرائيلية ·

يقول « ابرامس » أن هناك عدة مناطق هامة وقال لي أن في وسعهم أن يقدموا الى مجالس الولايات حلولا « لتثقيف » زملائهم اذ قد لا يكونون على دراية باهتمامات اسرائيل · وتتجه تلك الحلول الى التقاطها من جانب وسائل الاعلام وان من الممكن أن « يفيد ذلك دائما في تحسين الرأى العام »·

ان انتهاج السياسة الخارجية الامريكية انما هو بالطبع مسئولية الحكومة الفيدرالية في واشنطن وهناك حد واضح فيما يتعلق باشتراك الموظفين المحليين والحكوميين في هذه الشئون الخارجية ولكن على مر السنين كان هنك شيء من التجاوز ·

وذكر « ستيف اسـكلار » العضو السابق بدار المندوبين في ميريلاند وذو النشاط المعروض في جمعية المشرعين اليهود انه كان شخصيا وراء حملة الطعن في شرعية تعاون أمريكي مع المقاطعة الاقتصـــادية العربية ضد اسرائيل · والواقع أن الهيئة التشريعية هي التي وضعت الخطـــوة لاقناع الكونجرس بمحاربة المقاطعة العربية وحذت عدة هيئات تشريعية حذو ميريلاند وساعدت في خلق جو من الرأى في الولايات المتحدة أسفر عن سن قانون قوى ضـــد المقاطعة صدر في عهد ادارة كارتر ·

وقام بعض الاعضاء اليهود فى الكونجرس باتصالات مبدئية مع زملائهم من غير اليهود عادوا الى هيئاتهم التشريعية . ان النائب الديمقراطى « جوز لافانس » من غرب نيويورك لا يمثل بوجه خاص دائرة يهودية كبيرة ومع ذلك كان ثابتا على تأييده لاسرائيل منذ أن دخل الكونجرس فى عام ١٩٧٥ وكان يصوت دائما لصالح صفقات المساعدات الاقتصادية والعسكرية لاسرائيل كما عارض مبيعات الاسلحة على نطاق واسع للدول العربية وعندما جـاء الى واشنطن لاول مرة قال انه قد أصبح صديقا حميما للنائب الديمقراطى « ستيف سولارز » منذ عملا سنويا فى جمعية نيويورك فى « الباتى » . وقال « لافانس » انه سيعتمد على سولارز الذى هو من خيرة أصدقاء اسرائيـل فى الكابيتـول للاسترشاد به فى القضايا المتعلقة باسرائيل . وكان هذا هو نموذج التأثـير الذى يمكن أن يحدثه سياسى ممتاز موال لاسرائيل بين زملائه .. وهذا يفسر سبب اعتماد اللجنة الامريكية الاسرائيلية للشئون العامة على المشرعين اليهود وغيرهم من الموظفين المحليين بالبـلاد كوسـائل رئيسية الى المشرعين ذوى النفوذ فى واشنطن .

وكانت قوة اللجنة الامريكية الاسرائيلية ثمرة تأييد الحزبين إن اقطاب الديمقراطيين والجمهوريين يعملون فى صلة وثيقة مع اللجنة . فالمتطرفون اليهود الديمقراطيون الذين وقعوا خطابا موجها الى ريجان يعترضون فيه على صفقة أواكس انضموا جميعا الى اللجنة باستثناء اثنين أو ثلاثة . وكان من المفروض أن يأتى « داين » الى اللجنة من المكاتب الديمقراطية بمجلس الشيوخ ولكنه سرعان ما أصر على اقامة علاقات وثيقة مع كبار الزعماء الجمهـوريين وخاصة من الادارة الجمهورية التي تتولى السلطة وعمل فى صلة وثيقة مـع ماكس فيشر من ديترويت الـذى كان لفترة طويلة أكثر اليهـود نفـوذا فى الحزب الجمهورى . وقد ضاعف فيشر من اشتراكه فى اللجنـة الامريكية الاسرائيلية فى السنوات الاخيرة مع استمرار نشاطه فيها .

ولكن أولئك المتطرفين السياسيين من اليهود الامريكيين الذين كانوا أكثر نجـاحا فى مساندة اللجنة الامريكية الاسرائيلية للشئون العامة هم من كانوا أولا صهاينة ثم اصبحوا ديمقراطيين أو جمهوريين . قال « دين » أنه يأمـل أن يعمل طوال السنوات القليلة القادمة فى توسيع النشاط السياسى اليهـودى فى البلاد فى كلا الحزبين ، وقال « ان الامر الخطير هو أن اليهـود يعملـون سبعة أيام فى الاسبوع ، أى اثنين وخمسين اسبوعا فى السنة ، أى ليس فقط خلال سنوات انتخابات الرئاسة » . لذلك بحثت اللجنة الامريكية الرئيسـية عن متطرفين سياسيين من اليهـود الاصغر سنا فى المجـالس المحلية بالمدن والهيئات التشريعية واهم الدور القـانونية ، وهذا ما فعلته بتأييـد سخى كالمعتاد من الاتحادات اليهـودية المحلية ومجالس علاقات المجتمع ، ويتمتـع كثيرون من الزعماء المحليين بالدهاء السياسى ، وعندما يتعاونون مع اللجنـة

الامريكية الاسرائيلية تكون النتيجة مفيدة لكل من عناصر الضغط فى الكابيتول والمنظمات اليهودية المحلية. قال « داين » : « يمكننا أن نتغلغل الى أعماق المجتمع اليهودى المحلى ، ماليا وسياسيا ، اذا ما عملوا معنا » . ولاول مرة ، اخذ يمتدح نقط الهيكل التنظيمى للمجتمعات اليهودية بالبلاد ... انهم على اتصال مستمر بنوابهم وشيوخهم ... انهم يتخطون المشاكل ، واصبحت لهم القدرة على الاقناع السياسى .

وقد اصبحت السياسة أكثر اهمية لخلق التأييد الامريكى لاسرائيل ، لذلك أصبح النشاط السياسى هو الآخر أكثر اجتذابا لليهود ليشاركوا فى مساعدة اسرائيل ، ولم يعد كثيرون من أقطاب الزعماء اليهود بالبلاد يهتمون بالتبرع لمختلف القضايا اليهودية قدر اهتمامهم بممارسة الضغط للتأثير فى اعضاء الكونجرس ، واصبح الاجتماع بالمشرعين ومسئولى الادارة امرا مثيرا . وهناك طابع جديد للنشاط السياسى اليهودى فى أمريكا ، وهذا بالنسبة للكثيرين يعنى : « اللجنة الامريكية الاسرائيلية للشئون العامة » .

ويظهر ذلك على نحو سريع فى المؤتمر السياسى السنوى للجنة الامريكية الاسرائيلية فى واشنطن ، ففى السنوات الاخيرة قضى حوالى ألف من أعضائها من كافة أنحاء البلاد ثلاثة أيام كاملة يستمعون فيها الى الشيوخ والنواب وموظفى وزارة الخارجية الامريكية ، وغيرهم من الاعضاء من كبار مسئولى الادارة ، ويناقشون حلقة واسعة من القضايا التى تمس العلاقات الامريكية الاسرائيلية . ويمكن لمتطرفى المجتمع اليهودى المحلى تبادل الآراء ووجهات النظر مع زملائهم من اماكن اخرى بالولايات المتحدة وهناك شعور واضح بالزمالة بين المندوبين . ان المكافأة التى ينالها المؤيدون المخلصون الآخرون لاسرائيل من أنحاء أخرى بالبلاد ممن يفدون الى واشنطن هى اتاحة الفرصة لهم للاستماع الى الزعامة السياسية الامريكية وهم يعلنون حبهم الابدى لاسرائيل ، يعودون إلى أهليهم وهم يحملون شعورا قويا بأنهم قد أنجزوا شيئا . وفى كل مؤتمر للجنة الامريكية الاسرائيلية تخصص عدة ساعات للناخبين ليذهبوا الى مكاتب المشرعين ليتحدثوا عن اسرائيل ... وبمعنى آخر يذهبون لممارسة الضغط . وليس لهذا تأثيره الهام على الشيوخ والنواب فحسب ، بل ان له تأثيره أيضا فى اعادة شحن طاقات أعضاء اللجنة الامريكية الاسرائيلية

اضف الى ذلك انه لما كان اليهود الامريكيون قد نشأوا فى ظل الهيكل السياسى والاقتصادى للبلاد ، فقد بدأوا يشعرون انهم اكثر ارتياحا وهم يمارسون الضغط فى الكونجرس علانية .

ان السلطة السياسية اليهودية لم تعد وظيفة تعتمد على مجرد شبكة قديمة من المعارف الشخصية وقد ظهر أسلوب متطور للاتصالات السياسية فى

البلاد بؤرته هى اللجنة الامريكية الاسرائيلية للشئون العامة .. وقد نمت رؤية اللجنة ، ونما معها ناقدوها .

وكان « بول ماكلوسكى » ، عضو الكونجرس الجمهورى السابق والذى يكتب فى « لوس انجيلوس تايمز » ، وعضو الشيوخ الجمهورى « تشارلى ماثياس » ، الذى يكتب فى « فورين افيرز » — الشئون الخارجية هما فقط السياسيان اللذان أبديا علانية انتقاداتها للجنة الامريكية الاسرائيلية . فقد قال « ماكلوسكى » عنها انها ليست مجرد قوة ضغط لاقناع الكونجرس .. « انه ضغط للسيطرة على كونجرس أصبح مستعدا للتنازل عن مسئولياته .. واذا كانت الولايات المتحدة تريد أن تعمل بصورة فعالة على طريق السلام فى الشرق الاوسط فعليها ان تتعرف على قوة الضغط هذه ، وأنتقاومها علنا وبالمناقشة المعادلة » .

فى عام ١٩٨٠ ، أعيد انتخاب أحد أعضاء لجنة العلاقات الخارجيه من ذوى النفوذ ، وهو عضو الشيوخ « ماثياس » ، وذلك بتأييد كاسح من اليهود فى بلتيمور وميريلاند من ضواحى واشنطن ، وقد أضافت هذه الوقائع الى شعور الاسى الذى الم باليهود الامريكيين عندما عبر «ماثياس» عن رأيه فى صحيفة «فورين افيرز» قائلا : « ان التأييد القوى لاسرائيل قد يكون أحيانا ضد المصلحة الوطنية » ، واضاف : « فلتقرأوا هذه الصفحات على أنها نقد لجماعات عرقية فى بلادنا .. ويجب التمييز بين العرقية التى فيها اثراء للحياة الامريكية والثقافة الامريكية ، وبين مجموعات عرقية منظمة ذات مصلحة قد تصر أحيانا على بعض القضايا التى تنتقص من المصلحة الوطنية » .

ويتمسك «ماثياس» بقوله ان الشيوخ والنواب أخذوا يتعرضون سنوات عديدة لضغوط متكررة من جانب ما أصبح معروفا «بقوة الضغط الاسرائيلى » .

ان مقاله الذى يقع فى أربع وعشرين صفحة . والذى يستعرض فيه نفوذ الامريكيين ممن هم من أصل ايرلندى أو يونانى أو عربى أو من أوروبا الشرقية أو غيرهم ، يستخلص أن قوة الضغط اليهودية أكثرها فعالية الى حد بعيد . ويوضح أن هذا يرجع الى حد ما الى ما لقضيتهم من « أهلية واقعية » ، وقال : لقد كانت عناصر قوة الضغط فى أغلب الاحوال سريعة الاستجابة ، ولم يكن ضغطهم متصلا بالاقتناع الشخصى أو التفكير الواعى للمصلحة الوطنية . ليس العرب بالمنافسين المعادلين لاسرائيل التى تعتمد على المساعدات بسبب تأثيرها فى السياسة الامريكية .. ولا يرجع ذلك الى الافتقار الى الموارد ، بل الافتقار الى مجتمع عربى أمريكى يساوى فى حجمه ووحدة تحركه المجتمع اليهودى فى الولايات المتحدة » ..

اثار المقال شبح قوة ضغط يهودى ، تنسف السياسة الخارجية الامريكية بالنسبة للشرق الاوسط . لقد كانت هناك ، وخاصة منذ حرب يوم الغفران فى

عام ١٩٧٣ اتهامات عديدة مماثلة ، بما فيها الاتهام المعروف الذى اعلنه فى سنة ١٩٨٤ رئيس هيئة اركان الحرب المشـــتركة الامريكية، الجنرال « جورج براون » ، من أن اليهود كانوا يسيطرون على الصحف الامريكية والمصـــارف وغيرها من المؤسسات ذات النفوذ . حقيقة ان مقال « ماثياس » لم يذهب الى ماذهب اليه « براون » فى نقده لقوة الضغط اليهودية ، غير أن مقاله مـازال يثير الصـــخب .

وفى انتقاد « ماثياس » لقوة الضغط الاسرائيليـة ، وخاصـــة اللجنة الامريكية الاسرائيلية للشئون العامة ، ضرب مثلا تلك المعركة التى دارت بين ادارة كارتر والكونجرس حول صفقة المقاتلات « اف ــ ١٥ » للمملكة العربية السعودية ، والتى وافق عليها مجلس الشيوخ بعد مناقشة طويلة ، وفيهـا صوت « ماثياس » بالموافقة . وهو الذى كان يعتبر من قبل « صديقا » لاسرائيل وبالرغم من أن ذلك قد فسر وقتها بأنه هزيمة لقوة الضغط الاسرائيلية ، فان تفسيرا أكثر هدوءا وموضوعية يقول ان مجلس الشيوخ قاوم ضغوطا موازية تهدف الى الاعتراف بمختلف المصالح الامريكية فى الشرق الاوسط ، والحاجة الى سياسة ترمى الى التوفيق بين تلك المصالح للتمييز بين ما يمكن اختياره منها وما يمكن التضحية به » .

لقد بدأ مقال ماثياس وكأنه معركة حول صفقات الاسلحة للســـعودية ، شبيهة بتلك التى قامت بين ادارة ريجان ومؤيدى اسرائيل فى الكونجـرس ، حيث أخذت « اللجنة الامريكية الاسرائيلية للشئون العامة » والمنظمات اليهودية الامريكية الاخرى فى ممارسة الضغط بشدة ضد صفقة أواكس للسعودية . وقال « ماثياس » غداة نشر مقال فى « فورين أفيرز » « أنه سيصوت ضد صـــفقة الاواكس اذاطرحت اليوم للتصويت » .. ولكنه صوت بتأييدها فيما بعد .

لم يكن « ماثياس » على الاطلاق مناهضا لاسرائيل ، حتى بالرغم من أن بعض يهود بلتيمور يذكرون أنه بعد زيارته للشرق الاوسط فى عـــام ١٩٧٦ التى تضمنت لقاء له مع ياسر عرفات ، وصف زعيم منظمة التحرير الفلسطينية بانه « رجل معتدل ومعقول » .. كما نقل عنه قوله ان عرفات « يسعى الى حل سلمى لأصعب مشكلة فى العالم » .

وابدى « أميتى » وآخرون أن اولئك الذين ينتقدون « اللجنة الامريكيـــة الاسرائيلية للشئون العامة » على أنها مفرطة فى عدوانيتها ، انما يقفون على الجانب الآخر من الخط فى مشكلة خاصة تتعلق بمصلحة اسرائيل ، اذ قال أن «ماكلوسكى » و « ماثياس » كليهما يريدان للحكومة الاسرائيلية أن تتخذ موقفا اكثر موالاة للعرب فى المسألة الفلسطينية .

وكان هناك من بين الزعامة اليهودية الامريكية من ينتقدون « أميتى » اذ يتهمونه بأنـــه على المستوى الشـــخصى مندفع اكثر من اللازم ، بينما يرون

« داين » معسول اللسان ومتحفظا ، على نهج « كينين » . ولكن خلال معركة الاواكس استاء بعض مسئولى الادارة مما تنطوى عليه تكتيكات « داين » من عدوانية مفرطة فى ممارسته للضغط ، ولا يمكن انكار أن « داين » ، مثله مثل « أميتى » محارب خشن ، وهى السمة التى اكتسبها بعد سنوات من الخبرة فى الكابيتول .

وفى عالم السياسة فى واشنطن قال « أميتى » : يكون الانسان فى حال افضل اذا قيل عنه أنه « قاس وعدوانى » بدلا من أن يكون « هادئا ولطيفا » (. واضاف : « جميل أن يكون المرء محبوبا فى ظروف معينة ، ان علاقتى الشخصية بالقوم فى الكابيتول تميل لان تكون طيبة جدا . وقد كنت ميالا لان اكون مخلصا للقضايا ، واحاول أن أكون ملتزما قدر الامكان ») .

وبين الفينة والفينة ، اتهم اليهود الامريكيون بازدواج الولاء — ولاء للولايات المتحدة ، وولاء لاسرائيل . وعلى سبيل المثال ، انه عندما حدث توتر خطير فى العلاقات الامريكية الاسرائيلية ، عاد هذا الادعاء يتأكد من جديد ، وعندما قال الرئيس ريجان فى مؤتمر صحفى تليفزيونى فى أول أكتوبر ١٩٨١ « ان التقويم الموضوعى للمصالح الوطنية الامريكية لابد أن يؤيد الصفقة المقترحة لبيع أواكس للسعودية » ، لم يكن يدرك أنه كان على وشك أن يمس عصبا بالغ الحساسية فى المجتمع اليهودى الامريكى . لقد اعتبر تحذير ريجان لاسرائيل بالابتعاد عن موضوعى أواكس بمثابة ايحاء ولو غير مباشر بان اولئك الأمريكيين الذين عارضوا الصفقة كانوا مهتمين بمصالح اسرائيل اكثر من اهتمامهم بمصالح امريكا . وقال ريجان : « بينما يتعين علينا ان نأخذ دائما فى الاعتبار المصالح الحيوية لحلفائنا ، يجب أن تظل اهتماماتنا بأمن أمريكا مسئوليتنا الداخلية .. ان صنع السياسة الخارجية الامريكية ليس من شأن الدول الاخرى » .

وفضلا عن ذلك ، فان الرئس بتأكيده الصريح بأن صفقة أواكس لا تشكل تهديدا لاسرائيل سواء الآن أم فى المستقبل ، قد تحدى بصورة مباشرة البيانات المتكررة التى ادلى بها رئيس الوزراء بيجين ، وهى البيانات التى تؤكد أن الصفقة تمثل تهديدا لامن اسرائيل . وتحدى أيضا بصورة واقعية جميع الخبراء العسكريين الاسرائيليين ، وفى اسرائيل كان حزب العمل اكثر اهتماما بالصفقة من حكومة ائتلاف ليكود . وعلى سبيل المثال ، عندما ألمح بيجين الى التخفيف من مستوى المعارضة على اثر لقاء القمة مع ريجان فى أوائل سبتمبر من تلك السنة ، سارع شيمون بيريز وغيره من زعماء حزب العمل : بانتقاده . واذا كان الرئيس قد رأى فيما بعد أن تقدير اسرائيل كان خطأ ، فان كثيرين من الاسرائيليين رأوا فيما قاله صورة منقحة من المذهب الفكرى القديم لجورج بول الذى يقول أن الولايات المتحدة تعلم جيدا ما هو فى المصلحة الوطنية لاسرائيل .

وخلال مناقشات اواكس اثار مسئولون آخرون فى الادارة ، ومؤيدوهم فى الكابيتول ، تلميحات بغيضة حول الولاء المزدوج للولايات المتحدة ولاسرائيل . وهب « كاسبار واينبرجر » وزير الدفاع ، الى أبعد مما ذهب اليه الرئيس ، حيث أسقط من الحساب احتجاجات اسرائيل ضد الصفقة . وفى الرد على الاسئلة امام لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ فى اول اكتوبر ١٩٨١ ، اصر واينبرجر على ان الصفقة لا تمثل تهديدا لاسرائيل ، حيث قال « لا اعتقد ان هناك اساسا لتلك المعارضة . ان فى الامكان اسقاط تلك الطائرة فى اقل من دقيقة ونصف .. انها ليست طائرة مسلحة ، بل لا توجد أيضا عليها مدافع « ب.ب » ..

« اية سياسة تؤيدون ، سياسة ريجان أم سياسة بيجين ؟ » .

كان هذا هو السؤال الذى تردد أثناء الممارسة المحمومة لقوة الضغط من جانب مسئولى الادارة .. ولقد كان المغزى هنا واضحا .

وبعد خمسة اشهر ، وفى الخامس عشر من شهر مارس ١٩٨٢ ، سعى جورج بوش ، نائب الرئيس ، الى محو تلميحات الادارة السابقة بأن اليهود الامريكيين ولاء مزدوجا . ففى مؤتمر زعامة الشباب للنداء اليهودى ، خطب جورج بوش فى نحو الالفى مندوب ، فقال انه يريد « تنقية الجو من بعض الاعتقادات الخاطئة » .

وقال بوش : « خلال المناقشات التى دارت حول صفقة أواكس للسعودية ، اتهم البعض المجتمع الامريكى بازدواج الولاء ، وانتهز افراد فى بعض الجماعات الفرصة خلال ذلك الوقت المشحون بالانفعالات لاتهام اليهود الامريكيين بأنهم اكثر ولاء لاسرائيل منهم للولايات المتحدة .. وقد كان ذلك اتهاما سفيها .. اتهاما شائنا .. وما كان يجوز صدوره على الاطلاق . ان من فعلوا ذلك انما ارتكبوا فعلا فاحشا قبل جميع الامريكيين » ..

ولم يحدد بوش من هو بالذات صاحب هذا الادعاء ، ولو أنه نفى صراحة ان يكون الاتهام صادرا عن البيت الابيض او عن الرئيس . وقال بوش ان للامريكيين ضمانا دستوريا بأن يقولوا « لا » ، وانهم يمارسون هذا الحق — علم الله — فى كل يوم ، وبكل طريقة ..

ثم استطرد يقول : « كلنا رعايا للولايات المتحدة ، واذا كان دمنا ايرلنديا أو افريقيا أو يهوديا أو ايطاليا أو بولنديا ، فان هذا لن ينتقص ذرة من كوننا امريكيين . فاذا قيل ان شخصا ما ليس على ولاء لامريكا لتعلقه ، أو تعلقها — بدولة أخرى ، فتلك اهانة .. وانه لقول كريه .. كما انه اساسا ليس من خصال الامريكيين » .

وتردد الاتهام بازدواج الولاء لبعض الوقت فى انحاء البلاد ، ولو انه كان فى الماضى مرتبطا غالبا بشعبة صغيرة من الجناح اليمينى على الساحة السياسية الامريكية . وفى السنوات الاخيرة ، وخاصة فى اوقات التوتر بين واشنطن والقدس ، كان الاتهام مقبولا سياسيا . واثار جورج بوش شبح ذلك الاتهام فى مناسبات عديدة .. ففى الثلاثين من شهر يولية ١٩٨١ كتب بوش فى « واشنطن بوست » يقول : « ان الاوروبيين يشعرون بالقلق من جراء ان امريكا التى استحوزت على دبلوماسية الشرق الاوسط تبدو الآن عاجزة بسبب تقييداتها المحلية عن تعزيز السلام بصورة فعالة ، او كبح نزعة المغامرات الاسرائيلية » .. وفى المؤتمر الصحفى الذى عقد فى اول نوفمبر ١٩٨١ وافق ريجان ، على ما يبدو ، على هذا الخط من التفكير عندما سئل عن تحذيره لاسرائيل فيما يتعلق بالسياسة الخارجية » .

ولعل افضل اجابة واكثرها تحمسا تهمة ازدواج الولاء ، هى تلك التى ادلى بها عضو الشيوخ ، هيوبرت همفرى ، أمام المؤتمر السياسى السنوى السابع عشر « للجنة الامريكية الاسرائيلية للشئون العامة » فى الثالث من مايو ١٩٧٦ ، حيث قال :

« لاحظت تعليقا أو اثنين فى بعض اعمدة الصحف حول ملاءمة نوع العمل الذى تشتركون فيه . وبمعنى آخر ، كان من حظ بعض الاسئلة التى اثيرت . هل يجب أن تكونوا هنا ؟ واقول صراحة ان الكثير من الحديث ، كما ارى ، كان مضحكا بمعنى الكلمة ، وتافها . ان بعض الصحفيين ورؤساء التحرير قد حذرونا من قوة الضغط العرقية .. وقد سمعنا عن « العرقية » مؤخرا . لقد حذرونا من تأثير قوة الضغط العرقية وخاصة فى الشئون الخارجية . سمعنا امورا طائشة ومتهورة ، تتسائل عن تأثير الضغط اليهودى القوى ، واليونانى والتركى ، ودول البلطيق — انكم تتذكرونه — كما لو كان هذا او ذاك ضد القانون فى هذه البلاد للتعبير بحرية عما تعتقدونه .

« والآن ، دعونا نطرح الامر فى الحال . يالها من ميزة كبرى أن يكون المرء يهوديا صالحا وامريكيا صالحا فى نفس الوقت ، انه لا يجوز لاحد ان ينازع اخلاص وولاء المجتمع اليهودى الوطنى فى الولايات المتحدة . منذ الايام الاولى لجمهوريتنا ، ومنذ الايام التى احتاج فيها جورج واشنطن للمساعدة فى معركة الاستقلال ، كان اليهود فى الخطوط الامامية يقومون بدورهم من اجل الحرية والعدالة . ان نظرية العدالة وطبيعة الروح الانسانية التى لا تقدر بثمن ، نابعان من الفلسفة اليهودية والديانة . انى فخور أن أكون مع مستمعين كهؤلاء ، واريدكم أن تعلموا اننى اقدر ما تفعلونه ، ومن الخير للمسيرة الديمقراطية الاساسية أن على اولئك الذين هم مقتنعون بالسياسة العامة الامريكية أن يكون لديهم

الوقت لكى يقنعوا رفاقهم الامريكيين والموظفين العامين بما يعتقدونه ويطلبوا تأييدهم .. وهذا هو ما نعنيه بحرية الكلام فى هذه البلاد .

« هناك اناس فى هـذه الحكومة يظنون انهم لـو ادلوا ببيان ، كان مـن المفروض فى كل شخص ان يوافقهم عليـه ، واعتقـد اننا تغلبنا عـلى هـذا الهراء ، واقول انـه سيكون يوما محزنا لبـلادنا يتوقف فيـه رعاياها عن استخدام الضمان الثمين للتعديل الاول لتقـديم العرض الى الحكومة .. علينـا الا ننسى ذلك ، وعلينا ان نتذكـر انه حتى فى اعـلان الاستقلال كان النـاس يقدمون عرائض للحكومة ، يبثون فيها شكواهم ، وكان الناس يرفعون مظالمهم ايضا الى ملك انجلترا .

« والآن ، اذا امكن لمنتجى البترول انـفاق ملايين الدولارات فى محاولات الضغط للتـأثير على الكونجرس ، وتنزل لهم الاعلانـات على صفحات كاملة بالصحف ليكون لهـا اعتبـارها للتأثير فى الهيئـة التشريعية .. واذا كانت شركات السكر وشركات الاجذيـة ومصـانع الثيـاب ، تسـعى الى سياسة تجارة وتعريفة وحصـة يعتقدونهـا فى صالحهم ... واذا كان العمل يبحثون عن تشريع عمالى ملائم ... واذا امكن للاطبـاء أن يعملوا ضـد التأمـين الصحى الوطنى ... فلماذا لا يمكن ان يشـعر الامريكيون بالقلق أمام القتل الفكرى والجسمانى لاخوتهم فى الدين واقاربهم فى الاتحـاد السوفيتى والشرق الاوسـط .. اعتقد ان ذلك غنى عن البيان .. نحمد الله أن هنـاك أصواتا فى امريكا تتكلم ضد الظلم ، ولا يهمنى اين يقع هذا الظلم ..

« لذلك أقول بأنه ليس هنـاك جديد حـول ممارسة الضغط باسم القضايا فى اماكن خارجية .. انه امريكى ، مثل سندويتش العجق او فطيرة التفـاح او الاسباجتى او السمك او السـجق البولندى . نحن شعب من المهاجـرين حتى فى السنة المـائتين من تاريخنا . اننا مهتمون بأرض آبائنا ، سواء اكانت بولنـدا أو ايطاليا أو روسيا او النرويج او انجلترا او ايرلنـدا او افريقيـا . لدينـا كل الحق فى أن نستحث الكونجرس والرئيس لاتباع السياسة التى نرى انها صحيحة . لـم يضمن لنا أى احـد انهم سيتبعون تلك السياسة ، وقـد لا نفوز ، وقـد لانكون قادرين عـلى الفوز بالاغلبية ، ولكن من المؤكد أن لنـا الحـق فى أن نبسـط قضيتنـا » .

« من وقت لآخر اسمع اناسا يقولون « حسنا ، ان البلاء الحقيقى هو هـذا الشـعب ـ اى الشعب اليهودى ـ انهم لا يفكرون الا فى اسرائيل .. هـذا كلام فارغ . اريد ان اقول لكم ان الشعب اليهودى فى امريكا ، شعب الدين اليهودى ، كان يفكر فى فقراء هـذا البلد ، كان يفكـر فى تعليـم شعبنا ، كان يفكر كيف يرقى بمدننا ، وكان يفكـر فى قوانين الهجرة ، وفى قانون الانسان والطريقـة وحقوق الحقيقية وتطور الولايات المتحدة وانا اعتقـد أن

عليكم أن تفخروا ، أنتم جميعا يامن تمثلون تلك المنظمات العظيمة ، أن تفخروا بما تناضلون من أجله . انني كعضو بالكونجرس أصفق لكم ، وادعو الله فقط بأن يكون هناك الاف مثلكم ... اننا بحاجة اليكم » .

ومن الواضح أن من الاسباب التى جعلت اللجنة الامريكية الاسرائيلية للشئون العامة بمثل تلك القوة الكبيرة فى المجتمع اليهودى الامريكى فى السنوات الاخيرة هو أن الحكومة الاسرائيلية نفسها أصبحت تعتمد على نصيحة اللجنة فى فهم ما تعتبره اسرائيل عملية تشريعية امريكية معقدة على نحو غير مالوف . وأصبحت قوة الضغط الاسرائيلى ظاهرة معروفة فى اسرائيل منذ حرب ١٩٧٣ . ولما كان الاسرائيليون يركزون مزيدا من اهتمامهم فى السياسة الخارجية على العلاقات مع الولايات المتحدة ، فقد أصبحوا يدركون الدور الخطير الذى تلعبه اللجنة الامريكية الاسرائيلية للشئون العامة وغيرها من المنظمات اليهودية المزيدة فى اكتساب الاصدقاء ذوى النفوذ من أجل علاقات أوثق بين أمريكا واسرائيل . ان السفير الاسرائيلى فى واشنطن والمستشارين السياسيين المعينين لتركيز الاهتمام على الكابيتول وحده ، لا يمكن على الاطلاق أن يأملوا فى أن تتصل اللجنة بالسياسيين الامريكيين أو أن تفهمهم . والواقع أن هذا ما دعا « كينين » لان يحضر الى واشنطن فى أوائل الخمسينيات ، كوجهة أولى .

هناك حالة تستحق الدرس ، وهى أن قرار حكومة بيجين الاستمرار بقوة فى محاربة صفقة أواكس بدلا من الوصول الى نوع من التسوية مع الادارة ، كان بتأثير شديد من جانب اللجنة الامريكية الاسرائيلية . وكان « داين » وغيره من زعماء اللجنة قد حذروا رئيس الوزراء من دانسال يشغل فى موقف اسرائيل قد يؤثر بالضرر فى مصداقية اسرائيل فى الكابيتول حيث كان الكثيرون من أعضائه قد هبوا يعترضون على الصفقة بسبب ما يساورهم من قلق ازاء ما تنطوى عليه من تهديد محتمل لامن اسرائيل ، وفى فبراير ١٩٨١ كان بيجين والحكومة الاسرائيلية قد وافقوا على التراجع عن معارضتهم لصفقة طائرات « اف ــ ١٥ » (ماعدا طائرات أواكس) مقابل قروض عسكرية اضافية قدرها ستمائة مليون دولار موزعة على السنتين التاليتين ، والاذن بتصدير طائرة « كفير » الى الاكوادور وغيرها من دول امريكا اللاتينية ، الى جانب بعض الامتيازات السياسية الامريكية الاخرى . ولكن عندما أعلنت الادارة فى أبريل قرارها بادراج أواكس ضمن الصفقة الشاملة ، وقدرها ٨٫٥ مليار دولار ، شنت اسرائيل حملتها علانية على الصفقة . وبعد ذلك ، عندما أوصى بعض المسئولين بالخارجية الامريكية بتجنب الدخول فى « حرب شاملة » ضد رئيس يعتبر بوجه عام متعاطفا مع اسرائيل ، قامت اللجنة الامريكية الاسرائيلية وغيرها من المنظمات اليهودية الامريكية وأعضاء الكونجرس المعارضين للصفقة فأبلغوا الحكومة

الاسرائيلية مشاعر قلقهم البالغ .. انهم لم يريدوا أن يروا البساط وقد سحب من تحت أقدامهم . وفى النهاية ظل بيجين ثابتا على معارضته ، وكان من بين ما اجبره على التزام ذلك هو الموقف الخطير الذى اتخذته المعارضة العمالية . وما كان لبيجين أن يقبل توجيه لاتهام اليه بأنه يتخذ موقف الضعف فى قضية تتصل بالامن الوطنى . وبين خير اصدقاء اسرائيل فى واشنطن والتقييدات السياسية الداخلية باسرائيل ، أصبح بيجين مكتوف اليدين فعلا .

وغالبا ما تتعرض « اللجنة الامريكية الاسرائيلية للشئون العامة » الى الاتهام بأنها تذعن لقيادة حكومة اسرائيل شأن الكثير من المنظمات اليهودية الامريكية الاخرى . ولكن هنا حالة يبدو فيهما ان الحكومة الاسرائيلية هى التى تذعن لقيادة اللجنة . ومن الواضح ان اللجنة كانت فى موقف الصدارة من هذه القضية . واصبحت ممارسة الضغط الموالى لاسرائيل عملية كبيرة ، واصبحت اللجنة ، كغيرها من قوى الضغط بالمدينة كجمعية الرماة الوطنية أو اتحاد العمل الامريكى أو مؤتمر المنظمات الصناعية ، تقوم بدور حماسى وشاق ، واضطلعت بمهمتها كقوة ضغط كبرى فى واشنطن

فى عام ١٩٨٠ ضمت مجلة واشنطونيان « أميتى » الى قائمة العاملين معا الى التسعة عشرة من الكتاب « الناقدين والمشيرين والمطلعين على بواطن الامور » . وبعد سنتين أضيف اسم « داين » الى القائمة . وهذا فى حد ذاته ينطوى على دليل النضج السياسى للمؤسسة السياسية اليهودية الامريكية .. فاللجنة الامريكية الاسرائيلية للشئون العامة تمثل قضية ، ولا يزال ذلك هو سلاحها السرى .

الفصل السابع

اليهود الامريكيون والسياسة — ٢

على مدى السنين ، أدى مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الامريكية الكبرى خدمة كبيرة كانت فى الغالب مكتملة للجنة الامريكية الاسرائيلية للشئون العامة . فقد كان المؤتمر بمثابة مجموعة تغطية ، تمثل أكثر من ثلاثين من أهم المنظمات اليهودية الوطنية ، كما يعتبر الصوت الموثوق للزعامة اليهودية فى التيار الرئيسى وخاصة فى الاتصالات بالبيت الابيض ووزارة الخارجية الامريكية . واصبح فى وسع اية ادارة أمريكية أن تستدعى ببساطة مؤتمر الرؤساء بدلا من أن تتعامل مع عدد لا يحصى من المنظمات اليهودية المنفصلة ، الامر الذى من شأنه جعل الحياة اكثر سهولة بالنسبة للجميع .

ومنذ حرب ١٩٧٣ ، تعززت مكانة مؤتمر الرؤساء بشكل كبير بفضل مواهب رؤسائه : « الحاخام اسرائيل ميللر » وهو من الراشدين ، والحاخام « الكسندر شندلر » وهو من دعاة الاصلاح ، و « ثيودورمان » محام من فيلادلفيا ، و « هوارد سكوادرون » و « جوليوس برمان » و « كين بيالكين » وهم جميعا محامون من نيويورك . وقد أظهرت هذه المجموعة مهارة فى ان تجمع سرا الزعامات اليهودية وراء اجماع راسخ الاساس فى فترات عصيبة من الزمن ، وينطبق هذا على « شندلر » الذى كان فى موقعه هذا عندما أصبح مناحم بيجين رئيسا للوزراء . ولعل « شندلر » كان أشد تأثيرا من أى يهودى أمريكى آخر فى تثبيت شرعية بيجين وشعبيته فى الولايات المتحدة . وعلاوة على ذلك كانت للجميع فعاليتهم الكبرى فى تصوير اهتمامات المجتمع اليهودى لاجهزة الاعلام الامريكية .

ولما كان مؤتمر الرؤساء ، شأن اللجنة الامريكية الاسرائيلية ، مؤيدا باستمرار للموقف الرسمى الاسرائيلى ، اخذ المسئولون فى جميع الادارات الامريكية الاخيرة ينظرون اليه « كسلاح فى الواقع » فى يد الحكومة الاسرائيلية . ولا يمكن انكار أنه بينما ينتقد مؤتمر الرؤساء ومعظم المنظمات اليهودية الامريكية سياسة حكومة الولايات المتحدة عندما تتحرك ضد اسرائيل ، فانهم لا يخرجون ابدا علانية عن الخط الاسرائيلى حتى ولو كان الزعماء اليهود يعتبرون فى مجالسهم الخاصة هو عدم ارتياحهم أو عن قلقهم ازاء قرارات وبيانات القدس ، وباستثناءات واضحة ، كما هو الحال بالنسبة للجنة اليهودية الامريكية ، يميل اعضاء المجتمع اليهودى المنظم الى التزام الصمت عندما يشعرون بعدم الارتياح لتصرفات اسرائيل . وسرعان ما أصبح ذلك هو التقليد اليهودى الامريكى فى السنوات التى تلت قيام اسرائيل ، ولو

أنه بعد ما تولى بيجين السلطة ، وبعد قيام الزعماء العماليين المعارضين من ذوى المكانة ، مثل « شيمون بيريز » و « ابا ايبان » و « ايزاك رابين » ، بحملاتهم ضد الائتلاف الذى يتزعمه كتلة ليكود ، لم يكن هناك التزام بتقاليد كما كان من قبل .

لقد خدع مسئولو ادارة ريجان انفسهم فى البداية عندما اعتقدوا ، كما اعتقد فترة من الزمن من سبقوهم فى البيت الابيض فى عهد كارتر ، بأن فى وسعهم فصل اليهود الامريكيين عن اسرائيل ، فان الروابط التى تجمع بين اليهود الامريكيين واسرائيل شديدة القوة وكان على جميع الادارات الامريكية ان تتعامل مع الزعامات اليهودية ذات التاثير القوى ومع مرور الزمن تأثر بذلك اتجاه السياسة الامريكية ازاء اسرائيل والشرق الاوسط .

وفى السنوات الاخيرة ، مرت المعارضة فى المجتمع اليهودى الامريكى ، من اليمين واليسار ، بمراحل عديدة . كانت هناك فى السبعينيات منظمة « برايرا » ... صغيرة ولكن كانت الرعاية لها طيبة .. والآن لم يعد لها وجود ، فقد حلت محلها مجموعات اخرى من « الحمائم » ، بما فيها « البرنامج اليهودى الجديد » ، وفى صيف ١٩٨٠ ، قام «ليوناردفاين » رئيس تحرير مجلة « مومنت » ، فى حقده على رئيس الوزراء بيجين ، باعداد خطاب عام ، وقع عليه كثيرون من مشاهير المحامين اليهود ، يؤيدون فيه البيان الذى سبق ان اصدرته حركة « السلام الان » فى اسرائيل . وسانده القليل فقط من المنظمات اليهودية اليمينية المتشددين فى اسرائيل . ولسنوات عديدة اخذت رابطة الدفاع اليهودية الصغيرة تتهم جميع الحكومات الاسرائيلية بأنها فى الواقع تخون الشعب اليهودى .

واعلنت حفنة من زعماء المؤسسة اليهودية من ذوى المكانة خروجهم على الموقف الرسمى الاسرائيلى ، وكانت تضم الحاخام « آرثر هيرتزوج » الرئيس السابق للمؤتمر اليهودى الامريكى ، و « فيليب كلوتزنيك » الرئيس السابق للمؤتمر اليهودى العالمى ، و « بناى بريث » العالمية . وفى الاجتماعات التى تمت فى أواخر عام ١٩٧٧ مع وزير الخارجية الامريكية « سيروس فانس » ومستشار الامن القومى زبيجنيو برزيزينسكى ، ومعاون البيت الابيض « مارك شبيجيل » ، وصف الدكتور « ناحوم جولدمان » مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الكبرى بأنهما « قوة ممزقة » و « عقبة كبرى » امام مفاوضات السلام فى الشرق الاوسط . وناشد جولدمان ، الذى طالما عارض سياسة بيجين الخارجية ، الزعماء الامريكيين الا يتهربوا من مواجهة المجتمع اليهودى الامريكى . وقال ان كارتر قد يكون فى وضع يؤهله للفوز اذا نجح فى التوصل الى اتفاق للسلام ، وان الرئيس قد يصبح « بطل اليهود » .

ونشر احد المحررين غير الرسميين ، وهو « مستول شتين » هذه النداءات فى مقال بمجلة « نيويورك » .

لم تكن تلك هى المرة الاولى التى يسعى فيها « جولدمان » للتاثير فى توجيه السياسة الامريكية بعيدا عن حكومة اسرائيل . وفى أوائل عام ١٩٥٠ اخطر الرئيس السابق للمؤتمر اليهودى العالمى وزارة الخارجية الامريكية انه سيحاول أن يساعد فى الحيلولة دون قيام اليهود الامريكيين القلقين من السياسية الخارجية بالضغط على الحكومة الامريكية .. وهذا ما كشفت عنه الوثائق البالغة السرية التى اذنت بنشرها الخارجية الامريكية فى ١٣ يولية ١٩٧٨ ، وهى الوثائق التى تضمنها كتاب من ١٨٨٩ صفحة عنوانه « العلاقات الخارجية للولايات المتحدة — ١٩٥٠ — الجزء الخامس : الشرق الادنى وجنوب آسيا وأفريقيا » . تضمن الكتاب مذكرة عن محادثات جرت بين وزير الخارجية « دين أتشيسون » و « جولدمان » فى ٢٨ مارس ١٩٥٠ . والمذكرة من اعداد « أتشيسون » الذى ذكر أن جولدمان قد طلب عقد هذا الاجتماع ، وكان عندئذ رئيس القسم الامريكى فى الوكالة اليهودية .

وفى موضع الاشارة الى ما سبق من نقد من جانب الزعامة اليهودية الامريكية للسياسة الامريكية ، كتب « أتشيسون » يقول : « بدأ جولدمان الحديث بقوله : أنه يعتقد أن الموقف فى مختلف المنظمات اليهودية الامريكية أصبح الان تحت السيطرة تماما . وأبدى جولدمان بالذات أن الموقف قد تحسن لان منافسه الحاخام « أبا هيليل سيلفر » قد خرج من الصورة ، وأنه سيظل كذلك .

واستطردت مذكرة أتشيسون تقول : « كان جولدمان يعتقد لذلك ان فى وسعه أن يكرس مزيدا من الوقت للعلاقات بين المجتمع اليهودى الامريكى والخارجية الامريكية . وقال انه نجح فى الماضى فى وقت الضغط على الوزارة من جانب مختلف المنظمات اليهودية التى تشعر بالقلق ازاء التطورات التى تمس الموقف الفلسطينى ، وانه يعتقد فى امكانية ان يفيد فى نقل مشاعر المجتمع اليهودى الامريكى للخارجية الامريكية ، وأن ينقل لليهود الامريكيين تفكير المسئولين بالوزارة . قال دكتور « جولدمان » انه يرى مضيعة للوقت بالنسبة للمندوبين اليهود اتصالاتهم بالوزارة ، وربما كان الافراد « أكثر نفعا » فى ذلك . واستفسر عما اذا كنت أعتقد من المفيد أن يقوم هو باتصال منتظم مع خبراء الشرق الادنى بالوزارة » .

ويذكر « أتشيسون » انه رد على جولدمان بالآتى : « انني أعلم أن الدكتور جولدمان كان دائما حكيما « متحفظا » فى الماضى ، وانه ليسرنى أن يكون على اتصال بقسم الشرق الادنى » ، وأصبح « جولدمان » فيما بعد

رئيسا لمؤتمر رؤســـاء المنظمات اليهــودية الامريكية الكبرى ، ورئيســـا للمؤتمر اليهودى العالمى .

رغم ذلك ، كان الزعماء اليهود الامريكيون حتى عهد قريب يميلون للظهور كجبهة متحدة لمساندة اسرائيل فى تعاملها مع الولايات المتحدة . وطرأ الآن تغيير طفيف ولكنه جوهرى . وعلى سبيل المثال ، فان ضابط الاتصال السابق فى البيت الابيض مع المجتمع اليهودى خلال السنة الاولى من ادارة ريجان ، وهو « جاكوب شتاين » ، طالب بمزيد من النقاش فى المجتمع اليهودى ، حاملا على الصحافة اليهودية الامريكية التى يصفها بأنها « سطحية فكريا » ، « ساذجة سياسيا » ، وقال ان الصحف الاسرائيلية أكثر انفتاحا للاراء المعارضة . وقد كان شتاين فى الماضى رئيسا لمؤتمر رؤســـاء المنظمات اليهــودية الامريكية الكبرى ..

وهذا لا يعنى ، على الجملة ، ان مجموعات التيار الرئيسى الوطنية لـم تظل ثابتة فى محاولة التفكير فى انشاء جبهة متحدة تساند اسرائيل ... بل لقد ظلت كذلك ، حتى فى الفترات العصبية من تغير الادراك الامريكى عن اسرائيل من بلد مظلوم محاصر الى قوة عسكرية متسلطة بالمنطقة .. وذلك ما قاله « سكوادرون » ، رئيس مؤتمر الرؤساء ، خلال لقاء تم فى ١٥يناير ١٩٨٣ أمام الاذاعة الوطنية العامة « اذا سألتمونى ما اذا كنت أقر كل شىء يقوله رئيس الوزراء بيجين ويفعله ، وكل خطبه أو كلمة تكون أحيانا غير ضرورية ، وتكون أحيانا اســـتفزازية ، فان ردى على ذلك هو « لا »... نعم لا أقر ذلك . ولكى هذه فى تصورى ليست سياسة هدامة ومن الامــور التى يجب ادراكها أن رئيس الوزراء الاسرائيلى هذا انما هو بشر .. ومــن تاريخ حياته ندرك أنه اذا ما تعرض للضغط فانه يرد بالمثل . اننا لن نتقدم قيد انمله فا قضية السلام أن كنا نوقع الجزاء على أصدقائنا الصغار بينما نخطو بحذر شديد بالنسبة للدولة العظمى الاخـــرى التى من المفروض أنها خصمنا الرئيسى فى العالم » .

وحتى هذا السخط المعتدل سرعان ما تم تجنبه .

كان اليهود الامريكيون بالغى الحساسية بالنسبة للحقيقة السياسية فى الحياه ، وهى أن الكثير من ضربتهم الســـياسية فى واشنطن انما جاءت من وحدتهم . وفى خطاب الزعامة اليهودية للبيت الابيض والكونجرس الامريكى تحدثت فى الغالب بصوت واحد ، ثابت ومرتفع .. ولهذا خطورته متى نجحت اقلية فى دفع احدى القضايا قدما ، وكما تتضاءل القوة الاجمالية لأية مجموعـــة عرقية أو مجمـــوعة ذات نفوذ فى الولايات المتـــحدة نتيجة خليط من المواقف المختلفة التى تتخذها المنظمات التمثيلية فى العديد من القضايا الحاسمة ، كذلك

تتضاءل قوة المجتمع اليهودى فى تعزيز الروابط الوثيقة بين امريكا واسرائيل ولا يمكن انكار ان المساندة الامريكية لاسرائيل قد تضعف اذا ساد الاحساس داخل الحكومة وبين العامة بأن خير أصدقاء اسرائيل فى الولايات المتحدة ، أى المجتمع اليهودى ، قد انقسموا فيما بينهم حول القضايا الشائكة . ان السياسيين حساسون للفوارق الرقيقة للانقسام داخل مجموعات الناخبين ، الامر الذى قد يترتب عليه تحرك أعداء اسرائيل على الفور ، استغلالا لهذا الجدال .

كان طبيعيا ، على مر السنين ، أن يقضى خير أصدقاء اسرائيل فى الولايات المتحدة الكثير من الوقت فى قلق ازاء مختلف السياسات الاسرائيلية كان هذا القلق يبلغ الى الحكومة الاسرائيلية مباشرة ، ولو بطريقة هادئة دائما ودون جعجعة . وكانت تلك ولا شك هى الحال خلال السنوات الست التى قضاها بيجين فى الحكم . ان ما كان يحلم به بيجين من « أرض اسرائيل الكبرى » ، بما فيه من برنامجه العدوانى للسير قدما فى اقامة المستوطنات بالضفة الغربية ، قد اصطدم بوجهة النظر الشخصية لكثيرين من زعماء المجتمع اليهودى الامريكى .

لكن قد يكون من الخطأ افتراض أن الزعماء اليهود كانوا يتفقون دائما مع كل سياسة انتهجتها الحكومات السابقة فى اسرائيل ، كان هناك الكثير من الازمات فى العلاقات بين اسرائيل واليهود الامريكيين قبل أن يتولى بيجين الحكم ، وذلك بالرغم من عدم السماح باظهارها علانية وعلى سبيل المثال ، أبدى كثير من الزعماء اليهود فى عام ١٩٧٥ رد فعل سلبى ، بل وأيضا مصحوبا بالخوف ، ازاء ما كانت ترغب فيه اسرائيل من وجود امريكى فى سيناء بعد الاتفاق المؤقت الذى تم مع مصر فى أول سبتمبر من تلك السنة .... ربما كان عدد الامريكيين هنا قليلا ، ولكن بعد تجربة فيتنام أصبحت تلك السابقة السياسية مصدرا للكثير من الشك . كانت اسرائيل فى الماضى تصر على القول بأنها ليست بحاجة الى الامريكيين للدفاع عن اسرائيل ، وان مجرد ما تحتاج اليه هو المعدات من الولايات المتحدة لتتولى بنفسها مهمة الدفاع عن نفسها ، ولكن فى المفاوضات المعقدة التى أدت الى اتفاق « سيناء ــ ٢ » ضغطت اسرائيل من أجل ادخال فنيين أمريكيين مدنيين لتشغيل محطات الانذار المبكر قرب ممرى متلا والجدى . وطبيعى أنهم ادركوا مؤخرا أن أولئك المائتى أمريكى انما كان نذيرا بزيادة عدد الجنود الامريكيين الذين انضموا بعد ذلك الى قوة حفظ السلام المتعددة الجنسيات فى سيناء فى أعقاب توقيع معاهدة السلام بين اسرائيل ومصر فى عام ١٩٧٩ ، والالف والمائتى جندى من مشاة البحرية الامريكية الذين أرسلوا الى لبنان فى عام ١٩٨٢ وقد كتبت صحيفة « نيويورك تايمز » فى ٣١ اغسطس ١٩٨٣ » ان الفشل فى لبنان قد اثبتت بطلان ما

ادعته اسرائيل من قبل من انها لا تحتاج أبدا الى المساعدة من جندى أمريكى واحد .

فى أواسط السبعينيات كان الكثيرون من الزعماء اليهود يشعرون ببالغ القلق من جراء تزايد الاعتماد على المساعدة الاقتصادية والعسكرية الامريكية ، وبالرغم من أن الزعامة اليهودية لم تعارض علانية سواء تزايد الاعتماد ماليا على أمريكا ، أم على استخدام أفراد امريكيين فى سيناء الا ان القلق قد انتابهم وأخذوا يتساءلون عما اذا كانت حكومة رابين تتجه فى الطريق الصحيح .

وأخذ الحاخام « اسرائيل ميللر » ، رئيس مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الامريكية الكبرى ، يكرر القول لوزير الخارجية هنرى كيسنجر بأنه رغم وجود كثير من الفوارق الطفيفة فى الرأى بين ستة ملايين يهودى فى امريكا ، فـــان التيار الرئيسى قد ساند منذ القدم سياسة اية حكومة اسرائيلية فى السلطة وأكد « جوليوس بيرمان » نفس الرأى لوزير الخارجية جورج شولتز ان معظم الزعماء اليهود يفترضون أن الحكومة التى تم انتخابها بصورة ديمقراطية فى القدس لديها تفويض مباشر لتحديد أسبقيات اسرائيل وصياغة السياسات التى تحمى مصالحها الوطنية . ويعتبر من غير الملائم لليهود الذين يعيشون فى شتات إن يقولوا للأسرائيليين اى سبيل افضـــل لتأكيد بقاء اسرائيل ... ومع ذلك ، فاليهود الامريكيون غير مطالبين بأن يخاطروا بأرواح ابنائهم .

... غير أن ذلك لم يحل دون قلق زعماء اليهود ذوى السلطة ، كما لـم يحل أيضا دون أن يقولوا أحيانا رايهم فى المواضيع الحساسة خلال السنوات الاولى القليلة بعد حرب يوم الغفران عام ١٩٧٣ كان ثمة قلق حـــول تزايد العلاقة بين « المانح والمتلقى » التى أخذت تتطور بين واشنطن والقدس ، وكان اليهود القلقون يتساءلون الى أى مدى تستطيع اسرائيل انتهاج سياسة خارجية مستقلة بمعنى الكلمة اذا ما استمرت فى هذا الاتجاه ؟ كانوا يخشون أن طلبات المساعدة من الولايات المتحدة التى تربو على المليارى دولار ، فى وقت يسوده الاضطراب الاقتصادى والبطالة المتزايدة فى أمريكا ، قد تنسف قاعدة مساندة اسرائيل فى الكونجرس وبين العامة .

اعتقد عندئذ كثيرون من اليهود الامريكيون وبعض المسئولين الاسرائيليين — ولا يزالون يعتقـــدون — أن اسرائيل تكون فى حال أفضـــل اذا ما قررت اتخاذ تدابير اضافية للتقشف الاقتصادى من شأنها الاقلال من اعتمادها على المساعدة الأمريكية بدلا من زيادته ، غير أن تركيب معظم الحكومات الاسرائيلية الاخـــيرة يجعل فرض المزيد من الحرمان الاقتصادى على الشعب الاسرائيلى بمثابة انتحار سياسى ، ومما لا شك فيه أن من الاسلم سياسيا لحكومات الائتلاف ان تسعى للحصول على المساعدة الماليـــة من واشنطون بدلا من ان تسعى لفرض مستوى معيشة أدنى .

وخلال فترة حكم بيجين كانت التحفظات حول مرابطة الامريكيين في سيناء ، واستمرار الاعتماد على المساعدة الامريكية الضخمة ، عوامل قلق بالنسبة لليهود الامريكيين ، ولكن غلبته عليهما الرغبة الواضحة من جانب حكومة ليكود الائتلافية في التمسك بالضفة الغربية وغزة حتى ولو واجهتها بعض المشاكل الديموغرافية والسياسية القصوية والطويلة الاجل . نعم ، كانت هناك مساندة كبيرة في الولايات المتحدة لاهتمامات اسرائيل المشروعة لامنها واحتفاظها بعدة أجزاء استراتيجية هامة من تلك الارض .. نعم ، كان لابد أن تحدث بعض التعديلات في حدود ما قبل عام ١٩٦٧ التي هي اكثر تعرضا للخطر ... نعم ، وايضا لا يمكن ان يحدث تقويم آخر للتدمس . ولكن بعد ان اتخذ بيجين موقفه المتشدد ، بدا كثير من اليهود يتساءلون عما اذا كان من الضروري حقا لاسرائيل أن تعلن أنه لا مجال للبحث في أي تقسيم للضفة الغربية ؟

ومما يدعو للاستغراب ان المجتمع اليهودي الامريكي ، وهو المشاكس سياسيا ، قد أظهر في اغلب الاحوال مقدرة ملحوظة للعدول عن تفكيره ليأخذ بتفكير الحكومة الاسرائيلية مهما كان مثيرا للجدل . ومتى قامت حكومة اسرائيلية من ليكود أو من العمال باتخاذ موقف رسمي ، بادر المجتمع اليهودي في أمريكا بالانحياز الى جانبها . ومن قبل كانت التحفظات الصاخبة لا تلبث ان يخفت صوتها ، وهذا ما حدث في أعقاب مرابطة الامريكيين في سيناء ، والزيادة السنوية في المطالبات الاسرائيلية ، وتشجيع نشاط الاستيطان الجديد بالضفة الغربية .

قال « هيمان بوكبانيدر » ، ممثل اللجنة اليهودية الامريكية في واشنطن ، « هناك شعور بالذنب ، ما اذا كان على اليهود ان يكبحوا الحكومة الاسرائيلية ... انهم يوافقون تلقائيا على ما يرغب فيه الغير لهذا السبب بالذات ... ليس هناك شيء عويص جدا لشرح أو ادراك سبب مساندة اليهود لاسرائيل » .

كان « بوكبانيدر » والمنظمة التي يمثلها يختلفان أحيانا مع سياسة اسرائيل ، وخاصة فيما يتعلق بالمستوطنات بالضفة الغربية ، ولكن ذلك هو الاستثناء ، وليس القاعدة ، قال « اننا انصار لاسرائيل ، غير معقدين ، ونحن مخلصون لها » .

وهناك ايضا ذكرى ما خلفته الابادة الجماعية . لقد اتهم المجتمع اليهودي في أمريكا ، في الثلاثينيات والاربعينيات ، بأنه لم يعمل ما يكفي لاذاعة ما كان يحدث في اوروبا خلال حكم النازي . فهل كان من الممكن أن يؤدي مزيد من النشاط السياسي اليهودي الامريكي الى اجبار الرئيس فرانكلين روزفلت على اصدار امر بنسف الخط الحديدي المؤدي الى معسكر « أوشفيتز »

وغيره من معسكرات الموت ؟ سيظل هذا السؤال موضع المناقشة الحادة للسنين العديدة القادمة .

في عام ١٩٨٣ أعيد احياء هذا السؤال بنشر دراسة يرأسها «آرثر جولدبرج» الرئيس السابق لمحكمة العدل الامريكية . ومهما كان الحكم الاخير فان جيلاً جديدا من الزعماء اليهود لا يريدون أن يوجه اليه الاتهام بأنه يفعل الآن أى شيء من شأنه أن يسهم في اضعاف اسرائيل . وهذا هو السبب في انه هناك قليل من النقد الصريح نسبيا لاسرائيل فيما يتعلق بالقضايا المتصلة بالامن ، حتى من اليهود الامريكيين ممن اشتهروا بأنهم من « الحمائم » في معظم الموضوعات العسكرية .

ومن ناحية اخرى ترددت الشكوى من انعدام الحرية الدينية لليهود غير المتمسكين في اسرائيل . ان « بوكبانيدر » وحفنة من زعماء المؤسسة اليهودية مستعدون لانتقاد اسرائيل في بعض الامور التى يدعون فيها أن مصالح أمن اسرائيل قد حددت على نحو هزيل ، مثل المستوطنات . قال « بوكبانيدر » « ان ذلك لا يضعف اسرائيل ، بل يمكن أن يقويها ... اذا ساعدتم في تشكيل ما الذى تفكرون فيه فان تلك هى السياسة الافضل ... ولكن الاقلية نسبيا مستعدة لان تصل الى ذلك .

واستطرد بوكبانيدر يشرح لماذا لا يزال يوجد اعراض عن الدخول في صراع علنى مع اسرائيل ... « انه لن يقدم لاسرائيل وجود بدون مساندة من أمريكا ، لذلك فنحن مسوقون دائما لان نجعل قضية اسرائيل موضع القبول والرضا قدر الامكان لدى الامريكى العادى . انكم لا تفعلون ذلك بالقول ان اسرائيل مخطئة . انكم أساسا ، تريدون أن تثبتوا ما تريد اسرائيل اثباته ، والا خسرتم التأييد الامريكى . ولا يمكنكم أن تكونوا غير مبالين بذلك . وما لم يكن هناك شيء مزعج بصورة رهيبة وخطيرة أو اساسية ، فانكم ترددون كالببغاء سياسة اسرائيل للابقاء على المساندة الامريكية . اننا ، كيهود أمريكيين ، لا نذهب هنا وهناك ونقول أن اسرائيل مخطئة في سياستها .. بل علينا أن نقول انها على صواب » .

وأبدى » بوكبانيدر « تلميحا شرح به التوترات التى تمس درجة الخلاف اليهودى مع الموقف الاسرائيلى الرسمى ، قال « ان معظم اليهود الامريكيين لم يلعبوا اطلاقا بفكرة الهجرة الى اسرائيل . انهم أمريكيون ، ومع ذلك فان أواصر القربى والصداقة الوثيقة مع اسرائيل قد نمت عبر السنين . الى حد ما ، اننا كأعضاء مناوبين في المجتمع الاسرائيلى ... لنا هناك أصدقاء عديدون ، ونحن على علم بمكائد الاحزاب الداخلية ... ولنا ايضا أقارب هناك ... والى حد ما ، يوجد موضوع حساس ، يمكن الخروج به عن مضمونه واستغلاله لاحراج المجتمع اليهودى ... بالحقيقة ، كما سأطرحها

دون تزويق ، هى ان كثيرين من اليهــود يشـعرون ان اسرائيل هى وطنهـم الثانى ... وان من بيننـــا من لا يفكرون بهذا المعنى ، وهنــاك ما يذكرهم من وقت لآخــر بأن بقية امريكا لا تفكر فى اسرائيل كوطننا الثــانى ... هناك كبار المسئولين الامريكيين ، والصحفيين ممن يتحـدثون الى يهـــودى مثلى ويقولون « قال سفيركم » ، يشيرون بذلك الى السفير الاسرائيلى

نفى « ارون روزنباوم » ، مدير البحوث السابقة باللجنــة الامريكيـة الاسرائيلية للشئون العامة ويعمل الآن كمستشـار خاص بواشنطن ، ان يكون المجتمع اليهودى مسايراً للحكومة الاسرائيلية فيوافقها دون تفكير او مناقشة ، وقد قال فى لقاء معى « لا اظن المجتمع اليهودى مطواعا هكذا كما يعتقد البعض ، وذلك ان تتأمل فى الانتقادات الحقيقية التى ترددت وسط المجتمع اليهودى أثناء حرب لبنــــان » .

ولكنه وافق على ان التيار الاساسى لليهود الامريكيين كان دائما تواقا لمساندة اسرائيل . قال روزنباوم « هناك اعترافا باننا نساند البلاد أيا كان من يعدها الحكومة . ان احدى المشاكل التى واجهها بيجن ، وواجهها الكثيرون ، عندما وصل الى الحكم هى الاعتراف بأن حزب العمل ليس مرادفا لاسرائيل . انه شىء لم يكن عليهم مواجهته من قبل .. كان هذا بالتأكيد تحديا للشعب . ومنذ ذلك الوقت انتهى الامر بالشعب ليوافق عليه . جاء بيجين وشعر الشعب بعدم الارتياح معه ، ولكنهم هم ايضا بداوا يشعرون بعدم الارتياح مع حـزب العمل لان بعض زعمائه فاسدين وغير أكفاء » .

وقال « روزنباوم » ان اليهود الامريكيين قد تعلموا كيف يؤيدون حـتى الحركات غير السارة الاسرائيلية ، وذلك لان اعداء اسرائيل يتوعدونها . وهكذا فان التحرك الى لبنان فى عام ١٩٨٢ كان مفهوما ، وان كان لم يلق التأييد الكامل حيث كان يستهدف منظمة التحرير الفلسطينية . وقال « كان الناس مستعدين لايجاد منطق معقول لتأييد عمل اسرائيلى كانوا من قبل ينظرون اليه فى شىء من القلق . ونفس الشىء يقال عن ضم اسرائيل لمرتفعات الجولان فى عام ١٩٨١ ... « كان الناس من قبل يرون ان قرار الجولان سيأتى بنتيجة عكســية ، ولكنهم اعترفوا ايضا ان السوريين هم الذين جلبوا ذلك على انفسهم . ونفس الشىء يقال عن الضفة الغربية وكثير من الناس يشعر بالقلق بالنسبة للمستوطنات ، ولكن هناك شد وجذب فيما يقولونه .. وانظر ، ان الفلسطينيين يرفضـــون التفاوض والاعتراف بحق اسرائيـــل فى الوجود .. وهـــاهم اولاء يجلبون المتاعب لانفسـهم » ..

وكثيرا ما يحـدث أن اليهود والمؤيدين الموالين لاسرائيـــل وخاصة فى الكونجرس يلتزمون مجرد الصمت عندما تعرض لهم سياسة حكومة اسرائيلية

لا يوافقون عليها . قال « روزنباوم » : « ان أصدقاء اسرائيل يتصدرون عادة الجبهة ، ولكن عندما يكون من الصعب عليهم ذلك يلتزمون الهدوء .

« ان الذين ينتقدون اسرائيل انما هم اولئك الذين يعادونها ... انهم الاقلية . أما بالنسبة لاغلبية المؤيدين فليس الاختيار « تأييدا » أم « نقدا » ، بل هو اما التأييد واما التزام الصمت .. وهذا هو التمييز الذى عليكم أن تأخذوا انفسكم به .

ان لدى المجتمع اليهودى احساسا تاريخيا قويا بانكم لن تتخلوا عن اليهود الآخرين ، لان ذلك يهدد جميع اليهود .. انهم لن يتخذوا موقفا اخلاقيا على نحو غير واقعى فى عالم لا اخلاقى . انهم لن يتخذوا موقفا فى عالم لايبسالى .» أضف الى ذلك أن اعداء اسرائيل لايتصرفون بأمانة أو انصاف . ان الذى يحدث احيانا هو أن نجد ناقدا محبا لاسرائيل . ولكن المشكلة هى ان أعداء اسرائيل لا يشعرون بكبح أو تقييد ، وهذا أمر يدركه كثير من المحامين ولذلك فانهم يقيدون انفسهم ، ويعترف اليهود أن من هم فى موقف من يحكم لا يعاملون اسرائيل باتصاف حقيقى ، فلماذا اذن نشركهم ؟

لذلك ، فانه فى فترة ما بعد بيجين لا يعقل توقع اى تصدع حقيقى بين اسرائيل والمجتمع اليهودى فى الولايات المتحدة ، مهما كانت المواقف التى يتخذونها فعلا فى القدس ، وسرعان ما عرفت الزعامة اليهودية الامريكية كيف توافق على تقلبات واهواء حكومات العمال السابقة ، وكذلك تقلبات واهواء بيجين نفسه .. وستستمر هذه القدرة على الخضوع نظرا لطبيعة العلاقة الشاملة ..

واذا كان هناك شك كامن ، فان انتخابات التجديد النصفى للكونجرس فى الثانى من نوفمبر ١٩٨٢ قد أثبتت بوضوح أن اليهودى الامريكى قد بلغ سن الرشد كاملا فى السياسة الامريكية . والامر الذى كان واضحا جدا فى المخلاف فى مجلسى النواب والشيوخ هو أن عددا كبيرا من اليهود كانوا جادين فى السعى الى المنصب السياسى . ومنذ وقت ليس ببعيد كان اليهود الامريكيون يفضلون البقاء فى خلفية السياسة الامريكية ، فكانوا عادة المنظمين ومديرى الحملات وجامعى الاموال للمرشحين غير اليهود . ولكن فى السنوات الاخيرة قرر اليهود المتطرفون الموهوبون ، من الساحل الى الساحل ، أن يتصدروا الجموع وأن يندفعوا مباشرة الى الساحة السياسية ، بادئين بالمناطق المأهولة باليهود مثل مدينة نيويورك ، ولكن هناك الان من يسعون الى مناصب فى الولايات المتحدة التى يقل فيها عدد السكان اليهود . ولما كان اليهود قد أخذوا حريتهم فى أمريكا أكثر منه فى اى مكان آخر ، فقد بدأوا يسعون الى المناصب المنتخبة باعداد كبيرة .

ومن الممكن الادلاء بحجة مقنعة ، وهي أن اليهود قد اشتركوا في المسيرة السياسية منذ أيام تأسيس الجمهورية .. وعلى سبيل المثال كان « حاييم سولومون » اكبر معاون مالي لجورج واشنطن خلال حرب الثورة ، وكان « يوداه بنجامين » ، نائبا لرئيس الاتحاد الفيدرالي . ومنذ تعيين « لويس د . براندايز » بالمحكمة العليا في عام ١٩١٦ ، وفترة تعيين « بنجامين كاردوزو » و « فيليكس فرانكفورتر » و « آرثر جولدبرج » الى يوم استقالة « ابي فورتاس » في عام ١٩٦٩ ، كان هناك ما يسميه السياسيون « المقعد اليهودي » في أعلى محكمة بالبلاد (خلال فترتين قصيرتين كان هناك مقعدان لليهود بين تسعة مقاعد للقضاء) . كذلك تم انتخاب عدة يهود بارزين للمناصب السياسية الهامة في هذا القرن ، وخاصة بالولايات التي بها عدد كبير من السكان اليهود ، ففي نيويورك ، على سبيل المثال ، انتخب « هربرت ليهمان » محافظا في عام ١٩٣٩ ، وعضوا بالشيوخ في عام ١٩٤٩ ، وشغل « لويس ليفكوفيتز » لفترة طويلة منصب النائب العام للولاية ، وعمل « جاكوب جافيتس » عضوا بالكونجرس ونائبا عاما وعضوا بالشيوخ — ولكن حتى السنوات الأخيرة كان قرار تسجيل اليهودي بقائمة المرشحين للانتخابات لأى من الحزبين السياسيين يتطلب أن يعزز تعيينه اهتمامات التوازن في قوائم الترشيح لا أن ينتهكها . وفي السنوات الاخيرة فقط خرج اليهود من خلوتهم ، وسعوا الى المناصب السياسية على اساس مؤهلاتهم ، دون كبير اعتبار للفوز بأكبر عدد من الاصوات أو عدم الفوز بها بسبب يهوديتهم .

ومما يؤكد هذا الاتجاه أن مجلس الشيوخ في ١٩٨٣ — ١٩٨٤ كان يضم ثمانية اعضاء من اليهود ، وهو رقم قياسي بالمقارنة بالمجلس حيث كانوا ستة . (عدد اليهود يمثل ثلاثة في المائة فقط من مجموع السكان الامريكيين) . وفي مجلس النواب ، كان هناك واحد وثلاثون يهوديا ، وهذا أيضا رقم قياسي ، كان عددهم في الدورة السابقة خمسة وعشرين يهوديا . ولو أن جميع اليهود الذين كانوا يسعون الى الفوز بمقاعد في مجلس الشيوخ والنواب فازوا في انتخابات ١٩٨٢ لكان هناك اثنا عشر عضوا يهوديا بمجلس الشيوخ وما يقرب من خمسين عضوا يهوديا بالكونجرس .. وكانت المنافسة على مقاعد مجلس النواب في نيويورك تدفع بيهودي لينافس يهوديا آخر .

وكان معظم اليهود الذين يسعون الى المناصب السياسية الوطنية معروفين تماما ، وكانوا من اليهود المتمسكين بالدين ، وكان لكثيرين منهم نشاط في مجتمعاتهم اليهودية . وفي مجلس الشيوخ كان « رودى بوشفيتز » الجمهوري ، من مينيسوتا ، و « هوارد ميتزنباوم » ، الديمقراطي ، من أوهيو ، يشتغلان بالشئون الدينية المحلية قبل توليهما لمنصبهما العام . ويمكن أن يقال طبعا

نفس الشيء عن عضو الشيوخ الديمقراطى « فرانك لاوتنبرج » ، من نيوجيرسى ، وكان من قبل رئيسا دينيا « للنداء اليهودى المتحد » .

ومما يؤكد نزعة اليهود القادمين الى الكابيتول من الولايات الصغيرة حيث عدد السكان اليهود فيها ضئيل ، انتخاب « شيك هيشت » مرشح الشيوخ الجمهورى فى نيفادا . لقد هزم « هوارد كانون » ، الذى كان عضوا لدورات خمس .

كذلك اعيد انتخاب « ادوارد روزينسكى » عضو الشيوخ الديمقراطى من نبراسكا .

ولكن ، كما يقول المتطرفون السياسيون الموالون لاسرائيل ، اذا كان عضو الشيوخ يهوديا فان ذلك لا يعنى بالضرورة أنه ــ أو أنها ــ سيساند اسرائيل ... فخلال التصويت فى مجلس الشيوخ على صفقة أواكس السعودية (حيث كانت النتيجة النهائية خمسة وخمسين صوتا ضد ثمانية واربعين لصالح الصفقة) صوت مع حكومة ريجان يهوديان تأييدا لهذه الصفقة ، وهما « زورينسكى » والجمهورى « وارين رودمان » من نيوهامشير . وفى مجلس النواب ايضا طالما صوت عدة اعضاء من اليهود ضد مشروع المساعدات الخارجية السنوية ، والتى انفردت فيها اسرائيل بالنصيب الاكبر . (يتردد فى واشنطن مثل يقول : لا يمكن أن تكون مواليا لاسرائيل وانت تصوت ضد قانون المساعدة الاجنبية) .

فى كلا المجلسين نظم الاعضاء اليهود أنفسهم ولكن فقط بصورة غير رسمية . وعلى عكس الاعضاء السود والنساء فى مجلس النواب مثلا لم ينظم اليهود اى مؤتمر حزبى يهودى رسمى . انهم يجتمعون بشكل غير رسمى فى السنوات الاخيرة تحت رئاسة الديمقراطى « سيدنى باتيس » من الينوى عميد الاعضاء اليهود فى الكونجرس . وهم عندما كانوا يجتمعون عادة لمناقشة الاستراتيجية التشريعية لتأييد اسرائيل كانوا يوجهون الدعوة الى كثير من أصدقاء من غير اليهود ولمزيد من الملاءمة يمكن تسمية هذا الفريق « بالمؤتمر الحزبى الموالى لاسرائيل » . ان رئيس الوزراء بيجين ، فى اعترافه بأهمية الاعضاء اليهود ، حرص على الاجتماع بهم كفريق عندما زار واشنطن فى عام ١٩٨٢ . والاعضاء اليهود يدركون فى الغالب ، الدور الذى يلعبونه . ومن بينهم زملائهم من غير اليهود يحتلون مكان الصدارة فى مساندة اسرائيل . واذا قام يهودى من بين أعضاء مجلس الشيوخ أو النواب بانتقاد اسرائيل فان الاحتمال الاكبر هو أن يشعر أصدقاؤه من غير اليهود بحرية التعبير عن نقدهم .

وكان من الممكن لعدد كبير من اليهود الامريكيين الدخول فى حملة انتخابات الكونجرس فى عام ١٩٨٧ ، وأن يفوز فى الانتخابات عدد قياسى كاعضاء فى مجلس الشيوخ أو مجلس النواب غير أن الكثير من هذه المنافسات

صحتها حوادث كريهـة من مناهضة السامية . وكان من أبغض الوان القذف في « بوا » حيث واجهت المرشحة الديمقراطية « الين كيتلر » المرشح الجمهوري « كوبر ايفانز » .. انها لم تتهمه بأية تكتيكات مناهضة للسامية ولو أن بعض مؤيديه كانوا غير مهذبين في مهاجمة المرشحة الديمقراطية .

لقد عاشت « الين كتلير » في « ايوا » أكثر من خمس وعشرين سـنة وعندما بلغت الرابعة والاربعين كانت نائبة لرئيس اللجنة الوطنية الديمقراطية وكان ايفانس قد فاز عليها في انتخابات ١٩٨٠ ، ولم تكن تعتقد أن معـاداة السامية كانت وراء هزيمتها . ولو أنها هي الاخرى لم تتجاهل الحوادث . وفي الانتخاب الثـاني خسرت بحوالي واحد في المائة من النقط وكانت توجـد في دائرتها بضع مئات من الاسر اليهودية . وفي يوم الاحد السابق على الانتخابات قامت مجموعة تسمى « الصوت المسيحي .. حكومة الصوت المسيحي الاخلاقية » بتوزيع ما وصفته بأنه » دليل الناخبين المسيحيين » ، وقالت انه تم توزيعه فيما يزيـد على المائتي كنيسة محلية وابدت أن تأييد ايفـانز كان بمثـابة صلوات ترددها المدارس العامة والمدارس المسيحية .

في « امارشالتاون » بولاية « ايوا » . سأل رئيس تحرير الصحيفة المحلية المرشحة « الين كتلير » . امام مجموعة من المواطنين ، « سيدتي ، يتهامسـون في المدينة انه بسبب يهوديتك ستؤيدين اسرائيل بتهور ، رغم مسلكها القتالي العنيد فاجابت انها كامريكية ستساند اسرائيل ، واستطردت تشرح لماذا كانت هذه المساندة لمصلحة أمريكا .

وعندما أشارت الي الحوادث المناهضة للسامية اثار ذلك الضيق لدى الكثيرين في الولاية وفي أنحاء البلاد . لقد كانوا يفضلون ـ كما قالت لي لو أن اليهود وغير اليهود تجاهلوا هذه الحوادث . وقالت « لقد ذهلت لهذه العبارة التي سمعتها .. كان الكثيرون حانقين يتملكهم الغضب . انهم لـم يريدوا أن يسمعوا شيئا عنها . كنت مكثت يومين كاملين افكـر قبل أن أثيرها ، وكنت شديدة الحرص كيف أفعل ذلك . اني فخورة بديني ، وأشعر بالاسف أن ذلك قد حدث في « أيوا » ..

• كانت هناك حوادث اخرى متفرقة في أنحاء البلاد ، بعضها غير مهذب وفي كاليفورنيا ، على سبيل المثال ، اعيد انتخاب عضو الكونجرس الديمقراطي « توم لانتوس » ، الذي كتب له البقاء بعد الابادة الجماعية ، « هولوكوست » وذلك رغم أن منافسه الجمهوري « بيل روبر » استخدم شعارا يقول «انتخبوا روبر ـ انه واحد منا » . وفي برمنجهام بولاية الأباما ، واجه المرشح الديمقراطي « بن إردرانج » اليهودي ، العضو الجمهوري « البرت لي سميث » . وكان من بين الشعارات التي ترددت على الاسماع خلال الحملة : « هل تريدون أن

يمثل يهودى المسيحيين فى برمنجهام ؟ .... ولكن « سميث اردرانج » الذى فاز رغم اتهامه بذلك ــ لم يصدر عنه هذا القول .

غير أن « دافيد برودى » ، نائب واشنطن من رابطة « بناى بريث » المناهضة للتشهير ، لا يعلق اهمية على هذه الحوادث الورعة « المنعزلة » المناهضة للسامية ، اذ قال ان مثل هذا القول قد يتردد ولكن خارج التيار الأساسى للنظام السياسى الامريكي ، وكان « برودى » شأن غيره من المتطرفين السياسيين اليهود فى واشنطن ، سعيدا بالرقم القياسى لليهود الذين تم انتخابهم لمجلس النواب والشيوخ ، الامر الذى يميل لتأكيد انطباعه أن ما ظهر من مناهضة السامية لم ينتشر .

غير أن المتطرفين السياسيين فى انحاء البلاد كانوا أشد قلقا . كانت « كارول بورون » مديرة للبحوث فى لجنة العمل المشتركة ، وهى لجنة نسائية كبيرة للعمل السياسى تساند المرشح الوطنى الموالى لاسرائيل ، ومقرها شيكاجو . قالت : « كانت مناهضة للسامية فى كل حملة انتخابية اشترك فيها واحد من اليهود » ، واضافت انه لحسن الحظ كان معظمها حوادث ذات اهمية ثانوية ، واشارت بوجه خاص الى الطعن المزعج الذى تعرض له عضو الكونجرس الديمقراطى « سيدنى يايتس » ، من شيكاجو ، وكذلك المرشح الديمقراطى لمجلس النواب « آدم ليفين » ، من نيوجيرسى الذى لم يكتب له الفوز فى الانتخابات . (أما « يايتس » فقد أعيد انتخابه) .

وكما يقول « بورون » لم تمس جميع الحوادث المرشحين اليهود ، ففى هوستون ، على سبيل المثال ، تعرض عضو الكونجرس الديمقراطى « ميكى ليلاند » ، وهو اسود ، لحملة شرسة بسبب رعايته لبرنامج خاص يتضمن ارسال الاطفال المحليين المعدمين لقضاء اشهر الصيف فى المستعمرات الاسرائيلية . وقيل عندئذ انه يرعى ذلك البرنامج الخاص بعد أن قبل تبرعات سياسية من اليهود المحليين فى هوستون .

ويكاد كل شخص يعترف بان الهدف السياسى لليهود الامريكيين قد يتعرض لنكسة خطيرة اذا الغى نظام مجمع الناخبين الخاص بانتخاب الرؤساء الامريكيين ، غير أن العديد من الشيوخ اليهود اصبحوا يؤيدون ذلك . وهذا من شأنه أن يثير تساؤلات اساسية ، حتى ولو كان بعض المراقبين يعتقدون فعلا ان التعديل الدستورى المقترح لالغاء النظام التقليدى الخاص باختيار الرؤساء من الممكن أن يحظى بالاصوات اللازمة فى المستقبل القريب سواء اكان موضع تأييد اليهود او عدم تأييدهم .

ولسنوات عديدة كان الذى يقود الحملة لالغاء نظام المجمع الانتخابى هو عضو الشيوخ الديمقراطى السابق « بيرسن بايه » ، من انديانا ، الذى

طالما تقدم باقتراحاته التي تقضي بأن يكون انتخاب الرئيس ونائب الرئيس بتصويت شعبي . وفي محاولة اعادة انتخابه هو في عام ١٩٨٠ لم يتحقق له الفوز .

والوضع الراهن هو ان الرئيس ونائب الرئيس يتوليان منصبهما عن طريق الجمع الانتخابي ، وهو النظام الذي وضعه الاباء المؤسسون للدستور منذ قرنين ، ونص عليه في الدستور . وبمقتضى هذا النظام لا يتم انتخاب الرئيس مباشرة من جانب الشعب الامريكي . ان هذه الانتخابات التي تشمل الدولة بأكملها مرخص لها قانونا بالا تفعل اكثر من تمكين الولايات من اختيار ممثليها في الجمع الانتخابي الذي يقوم اعضاؤه بتعيين الرئيس الجديد .

وللولايات حق التمثيل في الجمع الانتخابي بنسبة عدد سكانها « تقريبا » فولاية كاليفورنيا ، وهي اكثر الولايات كثافة في السكان لها اكبر عدد من الناخبين ، والاسكا ، وهي الولاية الاقل كثافة في السكان ، لهما العدد الاقل . . ونقول « تقريبا » بدلا من أن نقول مباشرة « بنسبة » لان الدستور قد حدد الناخبين من كل ولاية بعدد مقاعد كل ولاية في مجلس النواب (وهذه المقاعد محددة بنسبة سكان الولاية) ، وذلك بالاضافة الى عدد اعضاء الشيوخ (وقد حددها الدستور باثنين عن كل ولاية بصرف النظر عن تعداد سكانها) . والواقع أن هذا التمثيل غير المتناسب في مجلس الشيوخ لم يتطلبه الدستور فحسب ، بل هو ايضا النص الوحيد في هذه الوثيقة الذي استبعدته عملية التعديل . ان المادة الخامسة التي توضح كيفية امكان تعديل الدستور تتضمن هذه العبارة « بشرط عدم حرمان اية ولاية — دون موافقتها — من تصويت معادل في مجلس الشيوخ » .

ان هذا التحديد بالنسبة للولايات الصغرى ليس في صالح اليهود والمجموعات العرقية الاخرى التي تميل للمجتمع في المناطق ذات الكثافة السكانية الاكبر . وعلى اية حال ، فانه الى جانب المساس بمبدأ شخص واحد / صوت واحد ، يعمل نظام الجمع الانتخابي بطريقة اكثر حسما تساعد مجموعات المدن على الاتجاه الى التصويت ككتلة .

وانه وان كانت سلطة تحديد كيفية قيام كل ولاية باختيار ناخبيها متروكة اصلا للولايات فان القانون المستمد من السوابق والتقاليد يقضي بأن تطبق كل ولاية قاعدة الوحدة ، اى ان المرشح للرئاسة الذى يحصل على معظم الاصوات في كل ولاية يفوز بجميع أصوات الناخبين في تلك الولاية . وبهذا الاسلوب الذى به يحصل الفائز على كل اصوات الناخبين يسمح بانتخابه مرشح الرئاسة دون أن يكون قد حصل على اغلبية أو حتى اكثرية التصويت الشعبي . وعلى سبيل المثال ، يمكن أن يفصل المرشح ذلك اذا

كسب الولايات للثمان الاكثر تعدادا بأضيق هامش فقط ، بينما يخسر الولايات الاثنين والاربعين الباقية بهامش أوســع .

ان فوز المرشح بالرئاسة بينما يكون قد خسر التصويت الشعبى ، هو ما يخشاه غالبا المعارضــون لنظــام الجمع الانتخابى .

غير ان هناك عواقب سياسية اخرى للتمسـك بهـذا النظــام . ان اسلوب « الفائز يأخـذ كل الاصوات » يجعل من الممكن الفــوز بالاعــداد الهائلة من اصــوات الانتخــاب فى الولايات الكبرى برجحــان قدر ضئيــل من الاصــوات ، لذلك فان المجموعات التى تمسـك بميزان القــوة فى تلك الولايات تمارس سلطة جامحة على من سينتخب رئيسا . والواقع أن الحاجة الى الفــوز بهذه الولايات الكبرى تؤثر عمليا فى كل قــرار متعلق بحمــلات الانتخــاب للرئاسة ، اى القــرار الخاص بمكان الحملة ، والقضــايا التى ستطرح ، والمواقف التى ستتخذ من هذه القضايا ، والمستوى الذى ستدور عليه الحملة . وبين العــديد من الليبراليين بالمــدن فى المجتمع اليهــودى الامريكى تقــوم الحجة ضد المجمع الانتخــابى على اســاس : ان المجمــع نفسه يعطى قوة انتخابية غير متناسبة للولايات الريفية الصغيرة ، وان الانتخاب غير المباشر للرؤســاء يفضى الى نكبــة سياسية للمرشح الفائز بالرئاســـــة بينما هو قــد حصل على اصوات اقل من منافسه .. ولهذه الحجة طبيعتها فى اجتذاب التعاطف ، رغم أن الغــاء النظــام الحالى قد يقلل من نفــوذها وتأثيرها السياسى الذى يعززه التيار الحالى .

ورغم ان اليهود الامريكيين يمثلون فقط ثلاثة فى المائة ، أو ما هــو اقرب من ذلك ، من اجمالى الشعب الامريكى ، فان معظم اليهــود الامريكيين متمركزون فى الولايات الثمان الكبرى التى تجرى فيهــا اكبر منافســات انتخــابية . وفى تلك الولايات يمثــل اليهود اكثر من ثلاثة فى المــائة من الســكان . ففى نيويورك ، مثلا ، يوجــد اكثر من مليونى يهودى ، أى حوالى خمسة عشر فى المائة من سكان الولايات ، ولكن هذه النســبة تمثل حوالى خمســة وعشرين فى المائة من الاصوات الفعلية وذلك بسبب صافى المعــدل العالى غير العادى لليهــود فى يوم الانتخــاب . وهكذا كان اليهــود فى نيويورك ، شأن غيرها من الولايات الكبرى الاخرى ، يمثلون صــوتا انتخــابيا مرجحــا تتوقف عليــه النتيجة النهائية للانتخــاب .

ولما كان من البديهى أن المرشحين يريدون الفــوز بالولايات الكبرى ، فان عليهم ان يأخــذوا جديا فى الاعتبار مصالح المجتمع اليهودى الامريكى . وعلى سبيل المثــال لم يكن بدعا أن كلا من جيمى كارتــر وجيرالد فورد قــد حاول أن ينافس الاخــر فى الادلاء ببيانات موالية لاسرائيل خلال الحملة الانتخابية

فى عام ١٩٧٦ ، أو ان كارتر ورونالد ريجان عملا نفس الشىء فى عام ١٩٨٠ ... ونفس الشىء يقال عن المنافسة بين ريجـــان ومونديل .

وبدون المجمع الانتخابى قد يفقد الصوت الصهيونى الكثير من أهميته للسياسيين ... وهذا واقع سياسى فى الحياة . لكن كثيرين من اليهـــود جاهدوا لتبرير مساندتهم للمجمع الانتخابى على هذا المستوى المحدود الضيق والواقع ان كثيرين من الشيوخ اليهود ساندوا على مر السنين التعديل الذى اقترحه « باية » لالغاء النظام وهم « جاكوب جافيتز » (جمهورى من نيويورك) و « ابراهام وبيكوف » (ديمقراطى من كنيتيكت) و « ادوارد زورينسكى » (ديمقراطى من نبراسكا) و « كارل ليفين » (ديمقراطى من ميتشيجان) و « هوارد ميتزنباوم » (ديمقراطى من اوهيو) .

ويفضل كثيرون من الزعماء اليهود الامريكيين عدم التورط فى الجـــدال لان كثيرين منهم يعتبرونها معركة بين الليبراليين والمحافظين ، ويخشـــون من ان التورط اليهودى على هذا النحو قد يأتى بنتيجة عكسية .

هناك آخرون يساورهم القلق ، اذ يخشون ان تحدث تطورات معكسية فى ذلك فيما بعد ويرون وقف هذه الحركة قبل ان يزداد عـــدد انصارها ومن هـــذه المنظمـــات المؤتمـــر اليهـــودى الامريـــكى الـــذى يسجلون له وقوفه ضد هذا النوع من الاصلاح الانتخابى . وقد شهد « هوارد سكولدرون » احد الرؤساء السابقين للمنظمة ضد الاقتراح فى الثـــالث من ابريل ١٩٧٩ امام اللجنة التشريعية بمجلس الشيوخ ... ولكن من الطريف انه حتى « سكوادرون » لم يذكر مباشرة فى بيانه التأثير الذى قد يحـــدثه التخلص من المجتمع الانتخابى فى النفوذ السياسى للمجتمع اليهودى الامريكى بل استدرك بعدد الاسباب القياسية ضد التعديل ، حيث قال ان اى تحرك لالغاء المجمع الانتخابى قـــد يؤثر فى « شـــبكة » التوازنات والتسويات مما يشـــكل قلقا لكل المجموعات ولاية حكومة تمثيلية صحيحة . ودون الاشـــارة بالذات الى المجتمع اليهودى الامريكى قال « ان الرئاســـة يجب ان تستجيب للاهتمامات العرقية واهتمامات المدن كقوة موازنة للكونجرس .

قدم رئيس الوزراء السابق ، اسحاق رابين ، فى اواخر عام ١٩٧٩ نصيحة الى ائتلاف ليكود حول اثر انتخابات الرئاسة الامريكية فى سياسة اسرائيل الخارجية ، ففى مقال نشرة « جويش كرونيكل » بلندن كتب يقول « ستكون سنة ١٩٨٠ سنة سهلة لاسرائيل . لا يمكن تصور ان تجد الادارة فى واشنطن فى سنة الانتخابات متسعا من الوقت لهذا النوع من التحرك الدبلوماسى الذى قد يعتبر ضارا باسرائيل وعلاوة على ذلك ، فهناك خلال سنة الانتخابات مزيد من التقبل المعتاد للافكار الجديدة ، ان التحدى من جانب تيدى كينيدى للرئيس كارتر ، الى جانب ذلك الحشد من المرشحين فى المعســـكر الجمهورى قد يؤيد من موقف اسرائيل بطريق مباشر وغير مباشر » .

وكتب رابين فى شيء من الوثوق بالنفس حول الانتخابات الامريكية ؛ حيث سبق له العمل كسفير لاسرائيل فى واشنطن خلال الحملة الانتخابية فى عام ١٩٧٢ · وحيث خلق نوعا من القلق بسبب تأييده للرئيس ريتشارد نيكسون ضد منافسه الديمقراطى عضو الشيوخ جورج ماكفرين » من ساوت داكوتا ·

ولم يكتم رابين شعوره بالارتياح لوجود أحد الجمهوريين بالبيت الابيض ولوجود اغلبية ديمقراطية فى الكونجرس ··· ان من المحتمل ان الديمقراطيين فى مجلس النواب والشيوخ · ومعظمهم موالون لاسرائيل قد يكونون أكثر استعدادا للدفاع عن اسرائيل خلال أية مواجهة بين القدس والبيت الابيض ، اذا كان الرئيس عضوا من الحزب المعارض : وحتى يومنا هذا يتمسك رابين بتلك النظرية ·

على اية حال لم يكن تحليل رابين مقبولا من جانب وزير الدفاع الاسرائيلى « عزرا فايتسمان وغيره من الاسرائيليين داخل الحكومة وخارجها . وفى المحادثات التى جرت مع كارتر فى واشنطن فى أواخر ديسمبر ١٩٧٩ أيد « فايتسمان » تجديد فترة أربع سنوات أخرى للرئيس ، وقد قال لى « فايتسمان » انى أحب هذا « .. انه بذلك يردد وجهة نظر وزير الخارجية السابق « موشى ديان » الذى سبق ان قال فى سبتمبر ان كارتر بتوصله الى معاهدة السلام بين مصر واسرائيل قد عمل من اجل اسرائيل مما عمل أى رئيس أمريكى سابق وصحب فايتسمان كارتر فى رحلة بالطائرة فى حملة انتخابية واسعة الدعاية .

ان استعراض علاقات اسرائيل بمختلف الرؤساء الامريكيين ومنافسيهم فى الانتخابات يدل على أن اسرائيل كانت تؤيد الرئيس الجالس على كرسى الحكم ، باستثناء واحد : فى عام ١٩٥٦ لم يؤيد ايزنهاور الهجوم الاسرائيلى البريطانى الفرنسى المشترك ضد مصر ولذا كان الاسرائيليون يؤيدون صراحة « أدلاى ستيفنسن » · ومن المفهوم أن الاسرائيليين الذين هم فى السلطة يكونون اكثر ارتياحا مع الرؤساء الذين هم فى الحكم . والمسئولون فى واشنطن والقدس يقضون الكثير من الوقت سويا ··· انهم يصبحون أصدقاء · وحتى اذا ما اختلفوا حول قضايا معينة ، كان خصومهم المعروفون كثيرين ولكن فى السياسة ، كما هو فى الحياة ، فالخوف من المجهول اكبر من الخوف من المعروف ·

وهذا الحال يساعد على ايضاح السبب الذى من اجله كانت حكومة بيجين تومىء بمساندتها لكارتر رغم الضغط الموجع الذى مارسته الادارة خلال الاشهر التى انتهت بمعاهدة السلام ، ورغم مواصلة الادارة لغزلها مع منظمة التحرير الفلسطينية ، وأثبت كارتر مساندته ، وان لم تكن كاملة ، بمنح مليارات

الدولارات كمساعدة اقتصادية وعسكرية ، بلغت عشرة مليارات خلال السنوات الاربع من ادارته .

ولكن لعل الامر الذى كان آكثر مدعاة للدهشة ازاء ميل اسرائيل لكارتر حتى عندما هبطت أسهمه بشكل كئيب فى استفتاء الرأى العام هو ما يدركه المراقبون السياسيون فى واشنطن من ان لدى الرؤساء فى الفترة الثانية من ولايتهم مزيدا من المرونة للضغط على اسرائيل حيث لم يعد هناك ما يشغل بالهم بالنسبة لاعادة انتخابهم ٠ وقد اعترف مؤيدو كارتر فى المجتمع اليهودى الامريكى وفى اسرائيل بهذه الاخطار ولكن كان ردهم على ذلك هو ان اشاروا الى أن نائب الرئيس والتر مونديل صديق قومى ونائب لاسرائيل وسبق أن أبدى بوضوح أنه يتطلع الى أن يخلف كارتر فى عام ١٩٨٤ ومن المفروض ان مونديل قد يفيد كقوة موالية لاسرائيل كما كان فعلا فى السنوات الاربع الاولى ٠

ويتردد فى موازاة كل هذه الاعتبارات السؤال الاهم : هل كانت اسرائيل افضل حالا مع الجمهوريين أو مع الديمقراطيين فى البيت الابيض لقد كان المجتمع اليهودى الامريكى تقليديا ، سنادة للحزب الديمقراطى منذ أيام فرانكلين روزفلت ، ولكن فىالسنوات الاخيرة تحول كثير من اليهود الى الجانب الجمهورى ، وأصبح للبعض منهم نشاطه فى سياسة الحزب ٠ ومن الامثلة الاولى : « ملكس فيشر » ، من ديترويت ، و « البرت شبيجل » من لوس انجيلوس ، و « جوردن زاكس » ، من « كولومبوس » و « ريتشارد فوكس » ، من فيلادلفيا ، و « جورج كلاين » من نيويورك لقد نجحوا مع كثيرين من الزعماء اليهود الجمهوريين المحليين فى انحاء البلاد فى ان يجعلوا الزعامة الوطنية ذات حساسية لاهتمامات المجتمع اليهودى الامريكى ٠

فى عام ١٩٧٩ أثار المرشح الجمهورى لرياسةالجمهورية « جون كونالى غضب أصدقائه فى اسرائيل حين « أذاع بيانا »عنيفا عن سياسة الشرق الاوسط ينادى فيه بانسحاب فعلى للاسرائيليين الى حدود ١٩٦٧ وبحق تقرير المصير للفلسطينيين بما فيه حقهم فى كيان مستقل . ولكنه تراجع بعد ذلك فى محاولة لتدعيم روابطه مع الزعماء اليهود الجمهوريين ٠

ولكن اذا كان علينا ان ناخذ بالارقام لوجدنا الحزب الديمقراطى هو الحزب الاكثر يهودا امريكيين ، وبين زعامة الحزب على المستوى الوطنى والمحلى نلمس الوجود اليهودى ، وفى مواقع مرموقة .. وكان « روبرت شتراوس » ، مدير حملة كارتر اوضح مثال فى ذلك ٠

ولو تأملنا كبار جامعى التبرعات والاعضاء المهنيين الرئيسيين ، لتاكد لنا أن اليهود يلعبون دورا خطيرا فى كافة مجالات شئون الحزب .

ويحتج الساسة الديمقراطيون بأن اسرائيل كانت دائما في حال أفضل مع رئيس ديمقراطي نظرا للنفوذ الهائل للمجتمع اليهودي داخل الحزب . والواقع انه بعد انتخاب كارتر لم يكن هناك اية مشكلة لزعماء اليهود في نقل وجهات نظرهم مباشرة الى كبار المسئولين في الادارة . ولم يكن هذا يعني بالضرورة ان البيت الابيض كان يكترث دائما لنصائح اليهود . ولكن مما لا شك فيه انه ما كان للزعماء اليهود أن يشتكوا من انه لم يكن هناك من يستمع اليهم خلال ادارة كارتر .

« ان الالفة تخلق الاحتقار » ... كان هذا هو جواب « ما يكل جيل » . وهو من المتطرفين الجمهوريين .. لقد ألمح أنه من سخرية القدر أن اسرائيل كانت اسعد حالا مع الرؤساء الجمهوريين الذين لم يكونوا على صلة وثيقة بالزعماء اليهود ، وكان عليهم أن يكونوا أكثر حساسية لوجهات نظر المجتمع اليهودي . وبما أن الديمقراطيين قد تعاملوا مع اليهود خلال معظم فترة نشاطهم السياسي فقد كان من الأسهل عليهم رفض توصياتهم .. وهذا ما قاله لي « جيل » في لقاء لنا معي .

هناك حقيقة مقررة في العلاقات الامريكية الإسرائيلية تشير الى أن السنوات الاولى من الادارة كانت عادة اشد صعوبة بالنسبة لاسرائيل ... ان الرئيس ، وقد أصبح أكثر إطمئنانا بعد الإنتخابات ، وهو يدرك أن الانتخابات القادمة ستكون بعد اربع سنوات ، يقرر عادة أن الوقت قد حان لمبادرة سلام جديدة في الشرق الاوسط .. وهذا يعني غالبا ضغطا على اسرائيل لتقديم تنازلات ، ان مشروع روجرز قد طرحته في عام ١٩٦٩ ادارة جمهورية . وفي عام ١٩٧٧ ظهر اقتراح كارتر باقامة وطن للفلسطينيين . ولا يمكن انكار أن سنة ١٩٨١ أصبحت سنة عصيبة على اسرائيل ، وخاصة بسبب معركة صفقة أواكس للسعودية .

والإفتراض السليم اليوم هو ان اسرائيل ستواجه فترة اشد قسوة خلال السنوات الاولى من الادارة بغض النظر عمن انتخب في نوفمبر السابق . ان الزعماء الاسرائيليين المسئولين يتقبلون هذه الحقيقة ، وليست لديهم أوهام كبيرة حول الخطب الانتخابية .

الفصل الثامن

اجهزة الاعلام ومراكز البحوث

انتهى شهر العسل الاسرائيلى مع اجهزة الاعلام الامريكية — ان كان هذا الشهر قد وجد بالفعل — وظهر ذلك بشكل مثير فى أعقاب ما اقدمت عليه اسرائيل فى السابع من يونية ١٩٨١ عندما ضربت طائراتها المفاعل النووى العراقى ، وما تلاه من قصف أهداف منظمة التحرير الفلسطينية فى بيروت ، فقد تعرضت اسرائيل للنقد الصريح والحاد .. ولكن قبل ذلك بكثير ، منذ حرب يوم الغفران فى سنة ١٩٧٣ ، استعرضت الصحف الامريكية مختلف القرارات الاسرائيلية ، وخاصة اقامة المستوطنات الجديدة على الضفة الغربية .. والواقع ان معظم أوجه الحياة الاسرائيلية وسياسة الحكومة الاسرائيلية أصبحت لعبة الصحافة الامريكية . وربما كان ما تنقله شبكات الاذاعة والتليفزيون الامريكية والمجلات والخدمات السلكية والصحف من أحداث اسرائيل اكثر مما تنقله من احداث اى بلد آخر ، باستثناء واحد ، هو بريطانيا وفرنسا .

وفى السنوات الأخيرة ، ساد الكثيرين من الاسرائيليين والمؤيدين الموالين لاسرائيل فى الولايات المتحدة احساس مقلق بأن أجهزة الاعلام الامريكية أخذت تتحول باطراد ضد اسرائيل . واخذت التيارات المضادة لاسرائيل تحمل على امهات الصحف مثل « واشنطن بوست » و « نيويورك تايمز » و « تايم مجازين » وكثيرات غيرها . واتهم بعض الصحفيين النقابيين ، ومن بينهم « كارل روان » و «انطونى لويس» و «رولاند ايفانس» و «روبرت نوفاك» بأنهم دأبوا على اتخاذ مواقف مناهضة لاسرائيل .. وهم بالطبع ينفون عن انفسهم مثل هذه الاحاسيس ، ويفرقون بين مساندتهم لاسرائيل كبلد ، وبين حقهم فى نقد قرارات اية حكومة فى السلطة مثل ائتلاف ليكود برئاسة بيجين . وتأييدا لموقفهم يشيرون الى عدد الاسرائيليين ذوى النفوذ والصحف الاسرائيلية التى تنتقد هى الأخرى الحكومة الاسرائيلية بحرية .

قد يكون ذلك فى الواقع من الاسباب التى جعلت تغطية احداث اسرائيل فى السنوات الأخيرة اشد خشونة ان اسرائيل مجتمع مفتوح ، وديمقراطيتها مزدهرة ، حيث المعارضة غير محدودة ، ولأحزاب المعارضة كما هو الحال فى جميع البلاد الديمقراطية حريتها فى ان تقول ماتشاء ، وهذا ما يفعلونه . ولكن هذا الانفتاح يختلف اختلافا حادا عن المجتمعات المغلقة عادة فى العالم العربى حيث تخضع الانباء للرقابة الحكومية . فى اسرائيل يمكن للصحفى الأجنبى ان يجول فى انحاء البلاد ، ويتحدث فعلا الى اى شخص ، وهناك تسهيلات كثيرة فى المواصلات مما يجعل وصوله الى مختلف الآراء أمرا ميسرا غير معقد

اما فى معظم بلدان العالم العربى فان الصحفيين ، الذين يتنقلون عادة فى صحبة موظفين حكوميين ، ممنوعون من الذهاب الى اى مكان يعتبره النظام المحلى محظورا ، الأمر الذى يجعل من الصعب توجيه أي سؤال صريح الى الاهالى . وهكذا فان أعضاء الصحافة لا يرون عادة الا مايريد لهم النظام أن يروه . وهناك القليل جدا — ان لم يكن لا يوجد بالمرة — من حرية تغطية احداث ليبيا وسوريا والعراق والسعودية ومعظم الدول العربية الاخرى ، وقد خفضت القيود على الصحافة فى مصر فى السنوات الأخيرة ، ولكن هناك لاتزال المعوقات قائمة .

وطبيعى أن الكثير من المواقف التى يعلم بها الناس عن طريق السماح داخل اسرائيل حول القضايا الحاسمة ، تميل لأن تتسرب فوراً الى العالم الخارجى . وعندما قام رئيس الوزراء السابق ، اسحاق رابين ، كعضو فى المعارضة العمالية ، يتحدى رواية لبيجين عن قصف بيروت ، مثلا ، ترددت اصداء النقد تلقائيا تقريبا خارج اسرائكل ، وهذا من بين ما دفعته اسرائيل كثمن لانها ديمقراطية ، فالعالم كله يرقب مسئولياتها فى عملية صنع القرارات . ولكن معظم الاسرائيليين يرون ان هذا الثمن جدير بان يدفع ، فحرية الكلمة فى اسرائيل من التقاليد التى يتعلقون بها .

فى نفس الوقت ، عمل العرب أنفسهم على تحسين حملاتهم فى العلاقات العامة . انهم الآن اكثر حنكة فى دعايتهم ، ولم نعد نسمع غالبا تلك التصريحات العربية الصارخة التى كانت تنادى بتدمير اسرائيل على نحو ماكنا نسمعه عشية حرب الأيام الستة فى عام ١٩٦٧ وبدلا من عبارة « فلنلق باليهود الى البحر » ، هناك الآن كلمات معقولة تعبر فى الواقع عن نفس النية . وهكذا تدعو منظمة التحرير الفلسطينية الى اقامة دولة ديمقراطية علمانية فى فلسطين .. والمستمع الواعى هو وحده الذى يدرك ان ذلك يعنى نهاية اسرائيل .

وفى محاولة لتعزيز صورة العرب ، ارتبطوا مع اهم بيوت العلاقات العامة والاعلان بشارع « ماديسون » ليكونوا وكلاء لهم دون غيرهم . ولمحاولتهم شعبتان : تسليط الاضواء بقوة على الجوانب الايجابية للقضية العربية ، وفى نفس الوقت « نشر الغسيل القذر لاسرائيل على الملأ قدر الامكان » . .وهناك حالة فى صميم الموضوع ، وهى نشرة ممتازة فى ست عشرة صفحة بالالوان ، اعدها « فريد داتون » ، الذى كان يقوم فى الماضى فى البيت الابيض باعداد خطب الرئيس جون كينيدى ، ويشغل الآن منصبا مرموقا فى مكاتب قوة الضغط فى واشنطن . وقد تم اعداد هذه النشرة بتكليف من احد كبار زبائن « داتون » ، وهى السفارة السعودية . كان « داتون » مسجلا لدى وزارة العدل الامريكية كوكيل اجنبى للسعودية .. وقد تضمنت نشرته حججا مقنعة لادارة ريجان بصدد صفقة أواكس

للسعودية . وكان طبيعيا أن يؤكد تأييد السعودية للولايات المتحدة والجوانب الايجابية الاخرى فى حالة السعودية .. ولكنه حاول أيضا ان يكسب بعض النقاط لزبائنه حيث أوحى بأن اسرائيل ليست بالصديق للولايات المتحدة . وعلى سبيل المثال ، أراد تذكير من عساهم نسوا ، بالهجوم المأساوى ضد السفينة الامريكية « ليبرتى » خلال الساعات الأولى من حرب ١٩٦٧ .

ولكن الاهم من ذلك فيما طرا من تحسين مثير ومتزايد لصورة العرب فى أمريكا ، هو قرار الرئيس المصرى السادات السفر الى القدس ، وعقد السلام مع اسرائيل . وقبل قيام السادات تلك الخطوات كان هناك ادراك فى الولايات المتحدة ان اسرائيل تريد السلام مع جيرانها العرب . وأن العرب هم الذين يريدون تدمير اسرائيل .. ونجح السادات فى تغيير هذا الادراك .. وما كان بالامس أبيض وأسود اصبح اليوم رماديا . وكانت اغلب أجهزة الاعلام الامريكية ترى حقيقة الواقع على كلا الجانبين ، وكانت النتيجة أن أصبح هناك الآن استعداد لمحاولة الاصغاء الى وجهة النظر العربية بسبب افتراض ما كانت عليه اسرائيل من حرية فى أن تصول وتجول دون رادع .

وقد تأثرت تغطية أجهزة الاعلام لاحداث اسرائيل تأثرا كبيرا بالقرارات التى كانت تتخذها واشنطن . وعندما يتناقش رئيس أمريكى مع رئيس وزراء اسرائيلى ، كان من المتوقع انحياز افتتاحيات الصحف الامريكية الى البيت الابيض . وهذا صحيح بوجه خاص عندما يكون الرئيس متمتعا بشعبيته . وإذا سارت العلاقات الحكومية بين أمريكا واسرائيل دون معوقات ، فالمتوقع أن تكون الصحافة ودية ازاء القدس .

ويتطلع الكثيرون من المراسلين الدبلوماسيين ومحررى الشئون الخارجية الى واشنطن للاسترشاد بآرائها ، لذلك كانت تغطية أجهزة الاعلام وكان ذلك بوجه خاص هو الحال خلال الستة عشر شهرا بين رحلة الرئيس السادات الى القدس وتوقيع معاهدة السلام بين اسرائيل ومصر فى واشنطن فى مارس ١٩٧٩ . وعندما يتعلق الامر بالنزاع العربى الاسرائيلى يظهر خلل اشد خطورة فى عملية جمع الأنباء ، فان كثيرين من المراسلين الصحفيين يعتمدون غالبا على خبراء الشرق الاوسط بالخارجية الامريكية دون غيرهم ، بينما يبدو أن نفس أولئك الخبراء لا يلمون بأهمية التطورات والاتجاهات فى هذه البقعة من العالم ، ويجب ان نتذكر أن هؤلاء هم انفسهم الذين لم يتنبأوا بسوقت سقوط الشاه فى ايران ، أو الغزو السوفيتى لافغانستان . ان الصحفيين الذين هم مستعدون لقبول تحليلهم كما لو كان حقيقة ملهمة من السماء ولا يفيدون أحيانا فى شيء سوى اثارة البلبلة لدى الشعب الامريكى حول الوضع فى الشرق الاوسط .

ولمـــا كان أقطاب صحافة واشنطن ومحرروها يعتمدون فقط على مسئولى الادارة فى فهمهم للشرق الاوسط ، فلا عجب اذن أن ينفـد غالبا صبرهم مع بطء خطوات المفاوضـــات وكان هــذا ظاهرا بعد رحلة السادات الى القدس .. وهى الرحلة التى يصــعب تصديقها على ما يبدو ، فهى لم تقـابل فى البداية بترحاب مـــن جانب كثـــيرين من الخبراء الامريكيين حيث انها اجبرت الولايات المتحـدة على التخلى عن الاسلوب الشامل القائم وقتئذ ، وهو « أما كل شىء ، او لاشىء » ، والاتجاه الى صيغة « الخطوة بخطـــوة . والواقـــع ان عددا كبيرا من موظفى الخارجية الامريكية ، الآن وفى المـــاضى ، لايزالون يتفقون مع « جورج بول » فى نظرة الاستخفاف بمعاهدة السلام بين مصر واسرائيل .... ويقول لك أولئك الموظفون فى مجالسهم الخاصة أن ضمان أمريكا للمعاهدة انما كان غلطـــة .. وقيل أن المعاهـــدة بتمزيقها للعالم العربى قـــد جعلت حشد القوى الامريكية ضد الاتحاد السوفيتى أشد صعوبة .

لقد كانت المنـــاورات مـــع أجهزة الاعلام من تقاليـــد فن الحكم والادارة لسنوات عديدة ، وغالبـــا ما تكون لموظفى الادارة مصلحة واضحة فى استعادة « سيناريوهات » قديمة كئيبة لتحقيـــق أهدافهم . ولاغراض تكتيكية عمل انتشار بث التكهنات المتشائمة على زيادة الضغط على الطرف الآخـــر فى التفاوض ليصبح أكثر استجابة .... وهـــذا بعينه ما حدث قبل أن ينجح الرئيس كارتر فى وضـــع التفاصيل النهائيـــة لمعاهدة السلام خلال تأرجحه بين اسرائيل ومصر فى مارس ١٩٧٩ .

ان ما تنبأت بـــه الصـــحافة عن احتمال الانهيار فى المفاوضات بســـبب هذا الطرف او ذاك ، قـــد الزم ذلك الطرف بتقديم تنازلات أكبر . ان كلا من اسرائيل ومصر مهتمة بالاحتفاظ بصورة ايجابية لها فى نظر الولايات المتحـــدة بسبب اعتمادهما الكبير على المساندة الأمريكية الاقتصادية والعسكرية .. وكل منهما تأبى أن تتهم بالعناد والتشدد .

وبعد قليـــل من اقلاع الطائرة من مطار القـــاهرة الدولى فى طريق العودة الى قاعـــدة اندروز العسكرية خارج واشنطن فى مارس ١٩٧٩ ، نهض « جودى باول » ، السكرتير الصحفى بالبيت الابيض ، من مقعـــده بالصف الاول ، وبدأ يتمشى نحو مؤخرة الطائرة ليتحدث مـــع جماعة الصحفيين المسافرين معه .. كان يبـــدو مظهر الاعيـــاء على معظم المراسلين نتيجة ذلك التوتـــر الجسمانى والعاطفى حيث كتبوا وارسلوا البرقيـــات المطولة يصفون فيهـــا البيان المثير الذى اعلن فيه الرئيس كارتر تعثر مفاوضـــات معاهدة الســـلام . كان معظمهم ساخطا على « باول » لاعتقادهم بأنه قـــد ضللهم عن عمد فى الليلة السابقة فى القـــدس حول احتمالات التوصـــل الى نتيجة ناجحـــة .. واستنادا الى الاعلان الملبس « لباول » فى تلك الليلة تكهن معظم مراســـلى البيت الابيض

بما يكاد يكون فشـــلا محققا لاول مغامرة لكارتر فى عالم صنع السلام فى الشرق الاوسط .. ولكنهم لم يكونوا وحدهم فى ذلك ، فنجوم الانباء فى شاشة التليفزيون الذين كانوا أيضا فى صحبة الرئيس واستمعوا الى بيان « باول » أعطوا هو ـــ بدورهم ـــ صورة قاتمة للموقف .

وعندما هبط المتحدث من الطائرة واجهتـــه الاتهامات الحادة ، وكان بعضها بغيضا ... كانت هيئة المراسلين تغلى فى ذلك اليوم ، حيث كانوا أنبأوا مستمعيهم ومحرريهم قبل ذلك بساعات قليلة أن كارتر سيعود الى أمريكا بخفى حنين ، أما الآن فكان العكس هو الصحيح .. ومن هنا كان حرجهم .

وجاء التفسير بعد ذلك وسط خضم من الجدل ، فعلى سبيل المثال ، كتبت هيلين توماس ، المراسلة المخضرمة « لليونيتد بريس انترناشيونال » لدى البيت الابيض تعليقا ، بعد ساعات قليلة فقط من عودة كارتر المظفرة الى أمريكا : « هل أتى الرئيس كارتر ، رغم المصاعب ، بمعجزة السلام فى آخر دقيقة بين العـــرب واليهود ؟ أم أن الهزيمة التى تحولت الى نصر انما هى ضربة موفقة للعـــلاقات العامة ؟ » .

وقد نفى باول بشدة ، وبأسلوب مقنع ، انه حاول عن عمد تضليل الصحافة. ودافع ، خارج الطائرة ، عن تلك التصريحات ، مؤكدا أنه قدم صورة دقيقة للموقف كما كان ، وقال ان الأمور فى الواقع بدت على حافة الانهيار ، ولو انه كان يعلم أنه قد تحددت جلسة أخرى بين الرئيس كارتر ورئيس الوزراء بيجين صباح اليوم التالى ، كما انه كان يعلم أيضا أن وزير الخارجية سيروس فانس ووزير الخارجية موشى ديان سيلتقيان مساء بفندق الملك داوود ، كما أن وزير الدفاع هارولـــد براون ووزير الدفاع عزرا وايزمان كانا مجتمعين قريبا منهما بالطابق السادس .. فلماذا اذن كل هذا النشاط اذا كانت المفاوضات على وشك الانهيار .

وبعد التحول المفاجىء فى اليوم التالى ، بدأ المراسلون يبحثون عن كبش الفداء . ولما كان المراسلون لا يحبون أن يخطئوا أنفسهم بفشلهم فى سبق الاحداث فقد أصبح « باول » هو المتهم المباشر ... اتهم البعض المتحدث الرسمى بأنـــه يحاول التلاعب بأجهزة الاعلام لكى يجعل نجاح كارتر المحتمل اكثر اثارة ..... كم يكون النصر اكثر لذة اذا بدا وكأنه قد انتزع من براثن الفشل المؤكد .

كانت هناك فوائد أخرى يمكن أن يجنيها الرئيس اذ يعرض مشهدا قاتمـــا فى تلك الليلة . وطبيعى أن البيت الابيض لا يريد أن يلام على الفشل ، فلماذا لا يضع اسرائيل اذن فى موضع المغفل ضحية الخداع ؟ كانت هناك سابقة ، وهى عندما وجه وزير الخارجية السابق هنرى كيسنجر اتهامه لاسرائيل بقلة التبصر على اثر انهيار مفاوضات « سيناء ـــ ٢ » ، وهو الانهيار الذى أدى الى اعـــادة تقويم السياسة الامريكية ازاء اسرائيل .

ولكن كان فى مقدور المراسلين نجنب الوقوع فى الفخ لو كانوا اخـــذوا على الاقل ملاحظات « باول » ببعض الشك والقليل من الفطرة السليمة فى محاوله تقييم موقف المفاوضات عند هذه النقطة على النحو الصحيح . إن قليلين مـن مراسلى البيت الابيض وجهوا هذا السؤال الاساسى : « لماذا كان من مصلحـه « باول » ان يقول ما قاله ؟ هل كانت لديه وجهة نظر خاصة ومغرضة ؟ » .

وفى أثناء تلك الجولة من البيانات علم جميع من كانوا يغطون انباء المفاوضات انه قد تمت تسوية جميع القضايا الحساسة بما فيها الموضوعات البالغـــة الحساسية المتعلقة « بالربط » بين المعاهده ومشروع الحكم الذاتى الفلسطينى المقترح للضفة الغربية وقطاع غزه ، وماده « أسبقية الالتزامات » التى تشمل العلاقة بين المعاهدة وما لمصر من احلاف دفاعية مع الدول العربية الأخرى ... واعترف « باول » نفسه بأنه قد تم التغلب على هذه العقبات ، ويتعين التأكيـد ان هاتين النقطتين كانتا جوهر تأجيل توقيع المعاهدة منذ مفاوضات « بلير هاوس» المنحوسة فى واشنطن فى اكتوبر السابق . ولكن وسط ذلك الاهتياج العصبى فى النشاط الدبلوماسى الذى بدأ بزيارة بيجين للبيت الابيض فى أوائل مارس ١٩٧٨ ، أمكن بنجاح الاتفاق على تسوية هاتين النقطتين ، وتخلى كل طرف عن موقفـه السابقة ، وهذا تطور كان من المفروض أن يقنع الجميع ، حتى اولئك الذين كان فهمهم للشرق الاوسط فهما متواضعا والعلاقات الجغرافية السياسية بـين واشنطن وهذين البلدين ، بأن المعاهدة أصبحت وشيكة .

نعم ، لم تزل هناك بعض القضايا تحتاج للمعالجة ، ولكن اتفق الجميـع على انها قضايا ثانوية من السهل نسبيا التغلب عليها ، ومع أن كلا منها رمزى اكثر منها واقعى أو أساسى ، الا انها اثبتت مدى عناد كل من البلدين خلال اليومين الأولين من زيارة كارتر لاسرائيل ، فقد رفض الاسرائيليون أن يتزحزحوا عن مواقفهم وسأل بيجين الرئيس « لماذا تفرضون علينا تقديم هذه التنازلات الاخيرة ؟ لماذا لا تضغطون على السادات ؟ » ... واوضح الامريكيون أن السادات ذهب الى ابعد ما يمكن فى التنازلات ، وهناك ردود الفعل المعادية فى العالم العربى .. وقالوا « لا يمكننا أن نضغط عليه أكثر من ذلك » .

ولهذا ، وجدت اسرائيل والولايات المتحدة ، فى مساء الاثنين ، إنهما دخلتا فى جولة خشنة من المساومات ، حيث كان كارتر يضغط من أجل تنازلات من جانب الاسرائيليين حتى يمكن التعجيل بتوقيع المعاهده .

وقبل أن يدلى « باول » ببيانه العام بساعتين فى فندق هيلتون بالقدس ، حيث كان ينزل المراسلون الزائرون ، أدلى المتحدث بلسان الحكومة الاسرائيلية « دان باتير » ببيان للمراسلين فى مسرح القدس الذى تحول الى مركز صحفى ضخم . كان « باتير » مبتهجا فى بيانه ، مؤكدا انه تم بالفعل احراز تقدم وأنه لم يبق سوى خلافات قليلة لم تتم تسويتها ...... وترك انطباعا واضحا بـأن

الامور ليست سيئة كما يتصورها البعض ، والواقع ان الحل كان لا يزال ممكنا جدا . ولكن نفرا قليلا جدا من مراسلي واشنطن من المشتركين في الرحلة هم الذين استقلوا الاوتوبيس في جولة من عشر دقائق مبتهجين الى المسرح للاستماع الى بيان « باتير » أما الآخرون فقد كانوا سعداء أن يتركوا لزملائهم الذين يرابطون عادة في اسرائيل لتغطية بيان « باتير » .

وعندما سمع « بول » والوفد الامريكي آخر عبارة في رسالة « باتير » شعروا بالضيق ، واعتقدوا أن اسرائيل قد عمدت الى رسم صورة وردية لكي تلقي بالعبء على اكتاف المصريين ، ولم يشأ فريق اجهزة الاعلام الامريكي ان يأخذ التقييم المتفائل ، فمثل ذلك التطور قد يسهل الضغط على اسرائيل لتقديم التنازلات الاخيرة خلال الاجتماع المقرر عقده بين كارتر وبيجين صباح اليوم التالي . عندئذ قرر « بول » الادلاء ببيان للمراسلين .... ولذلك ، فانه اذا كانت استراتيجية « باول » استهدفت تحييد « باتير » فيكون قد نجح .

وفي صباح اليوم التالي ، تجاهلت شبكات التلفزيون والخدمات السلكية وكبرى الصحف الوطنية بيان « باتير » ، وذلك تأييدا لموقف « باول » ، وبذلك تكون اسرائيل هي الملومة على ما سيكون من فشل . وفي الوقت بادرت على الفور السفارة الاسرائيلية في واشنطن بارسال برقية الى وزارة الخارجية بالقدس تصف فيها برنامج الانباء التي أذاعتها شبكة التليفزيون ليلا ولكنها وكلها — كما تقول البرقية قد أضرت بسمعة اسرائيل . لقد نجحت ادارة كارتر في التصدي للمناورة الاسرائيلية تلك هي الخلفية التي يجب فهمها في محاولة تحديد السبب الذي من أجله القى « باول » بيانه بتكهناته المشئومة في الليلة السابقة على الانتصار .

لم يكن ذلك مفاجئا بوجه خاص للاسرائيليين رغم ما أكده بيجين في التليفزيون في الليلة التالية بعد اعلان تعثر المعاهدة من أن أجهزة الاعلام الامريكية قد تورطت في لعبة ضغط .... قال بيجين : « لعل المعلقين الامريكيين يسلمون الآن بانهم كانوا مخطئين وأن عليهم أن يعتذروا للشعب الامريكي الذي ضللوه » .. ولكن بيجين استطرد يقول « ربما لا يكون أولئك المتحدثون الذين تحدثوا اليهم بتلك الطريقة فعليهم أن يعتذروا لانني سمعت أن أولئك المتحدثين الامريكيين قالوا ان اسرائيل هي الملومة وان رئيس الوزراء عاجز عن التقدم في الموضوعات الصغيرة » .

في اسرائيل يعلم المراسلون وكذلك العامة أن عليهم أن يأخذوا كل شيء لان من النادر أن توزع الانباء الحقيقية في حيدة وعدم تحيز . والواقع أن كل شيء يسمعونه من المصادر الحكومية الرسمية في مزيد من الشك والتحفظ جميع موظفي الحكومة يحاولون — كجزء من مهمتهم — حمل الغير على رؤية الاحداث تحت ضوء خاص وهذه بوجه خاص هي الحالة عندما يتعلق الأمر

بتغطية صحفية للدبلوماسية القائمة : وبتذكر الاسرائيليون جولة كيسنجر « المكوكية » طوال واحد وثلاثون يوما فى عام ١٩٧٤ بين دمشق والقدس وخلالها تلاعب كبير موظفيه بالصحافة على النحو الذى جعلها تساعد محاولاته فى الضغط على اسرائيل أو على سوريا لتقديم مزيد من التنازلات غير أن الجانب المتعب فى ذلك هو أن عدم التوازن كان حتميا حيث ان اسرائيل أكثر من سوريا حساسية لصورتها فى الولايات المتحدة وان الصحافة بنفس الجهود يمكن أن تكون أكثر فعالية فى الضغط على القدس أكثر من ضغطها على دمشق ومع هذه القصة الاخيرة كان المفروض فى أولئك المراسلين فى استماعهم لبيان « باول » أن يدركوا أنه قد استعملهم فى ممارسة ضغوط اضافية على الاسرائيليين .

ورغم كل ما أحاط السادات من دعاية واعلان ظل لغزا غامضا بالنسبة للصحفيين الامريكيين .. انهم لم يفهموا جيدا قراره الاول بعقد السلام مع اسرائيل ثم الدور الذى قام به بعد ذلك فى المفاوضات معها . لقد خاطر بكل مستقبله السياسى وأخيرا بحياته من مبادرة السلام . لم يكن هناك سبب لترديه فى الهزيمة بطلب تنازلات من اسرائيل وهو يعلم انها لن تقدمها والتى لم يكن هو فى الواقع يريد تقديمها . لقد فاز بانتصاره الكبير : عودة سيناء وتحرير المجتمع المصرى من حروب ثلاثين عاما بتكاليفها الباهظة ، كذلك فاز بعض تنازلات لعرب الضفة الغربية .

وقد كانت لاسرائيل مشاكل خاصة مع أجهزة الاعلام الامريكية جاء فى مقال افتتاحى لصحيفة « واشنطن بوست » فى الرابع والعشرين من شهر سبتمبر : « هناك معيار مزدوج للحكم على اسرائيل .. وقد أصبح من مفاخرها ان رد الفعل الغاضب داخل اسرائيل نفسها ازاء مذابح اللاجئين الفلسطينيين فى ذلك الشهر ، والالم المبرح الذى عبر عنه كثيرون من الاسرائيليين ازاء المسئولية المباشرة لحكومتهم ، يؤكدان بشكل مثير حيوية الديمقراطية الاسرائيلية . والواقع أنه ما كان لغير النائب الجمهورى « بول فندلى » من الينوى وخير صديق فى الكابيتول لمنظمة التحرير الفلسطينية ، أن ينقل ذلك خلال اجتماع اللجنة الفرعية للشئون الخارجية بمجلس النواب فى الثانى والعشرين من سبتمبر للاستماع الى تقرير حول أوروبا والشرق الاوسط . وكان من المقرر أن يظهر أمام اللجنة فى جلسة علنية مساعد وزير الخارجية لشئون الشرق الادنى وجنوب آسيا ، « نيكولاس فيليوتس » . وتضمن جدول الاعمال آخر التطورات فى لبنان . ونظرا للحساسية البالغة للموقف — كما قال « فيليوتس » للاعضاء تمسكت الخارجية الامريكية بأن يكون الاستماع فى جلسة سرية ، وشعر « فندلى » بالضيق ، شأن بقية أعضاء الكونجرس الحاضرين ، وطالب بأن يكون الاجتماع مفتوحا للصحافة والجمهور وقال ان

البرلمان الاسرائيلى استعرض فى بداية اليوم فى جلسة علنية الظروف التى أدت الى مذابح بيروت وكانت المناقشات فيها ذات « حساسية لبلادهم » ... ثم أشاد بالمناقشة الصريحة فى الكنيست .. وتساءل لماذا لا تكون ادارة واشنطن مستعدة لاتباع المثل الاسرائيلى ؟ وبالطبع تمسك «فيليوتس » بموقفه ووعد الاعضاء بأنه سيعود الى لجنتهم فى القريب العاجل لمناقشة الموقف علانية .... ونودى على الاصوات .. وبعدها اوصدت الابواب .

وكانت اشد الصحف الاسرائيلية عدوانية بالغة القسوة فى تحقيقاتها فى المذابح . وفى الثالث والعشرين من شهر سبتمبر تحدث جورج بوش نائب الرئيس ، فى نادى الصحافة بواشنطن ، فأعرب عن ثقته الكاملة فى أن جميع الحقائق المحيطة بالمأساة ستظهر من داخل اسرائيل نفسها ، وقال « ان هناك فى اسرائيل مراسلين يتقصون الحقائق أكثر مما لديكم فى « واشنطن بوست فى أوقات ووترجيت » .

والواقع أنه اذا كان هناك أى أمل مشرق لاسرائيل فى تلك المحنة فهو أن صورة اسرائيل كدولة ترعى حرية الصحافة والمناقشة المفتوحة قد تأكدت تلك الصورة بآثار تلك المذبحة فقد تناقلت الصحف الامريكية على نطاق واسع ما جاء فى المقالات الاسرائيلية اللاذعة ، وكان المراسلون الاسرائيليون أول من أذاع ما تسرب من المعلومات الجديدة الضارة التى اكتنفت الحادث . وبعد ان التقى « تيد كوبيل » . مراسل الاذاعة الامريكية ، باثنين من رؤساء التحرير الاسرائيليين كانا قد تحديا بيجين ان يدلى بالحقائق ، اشار الى مدى حرية الصحافة فى اسرائيل .

وعلقت « واشنطن بوست » على ذلك : قد يعجز اللبنانيين عن توجيه اى سؤال عن المسئولية ، ولكن اسرائيل القت بنفسها فيها بطريقة حددت جوهرها .

وتضيف صحيفة « ذى نيوريبابليك » : « عندما ترتكب جريمة بهذه الضخامة خلال فترة مناوبة شخص ما ، فان الشرف يقتضى من ذلك الشخص أن يستقيل . ليست هذه وجهة نظرنا وحدنا ، بل هى أيضا وجهة نظر شعبية كبيرة من المجتمع الاسرائيلى الذى أثرت فيه الصدمة ، وانتابته مشاعر السخط ووخز الضمير ، كما أنها أيضا وجهة نظر الكثير من أمهات الصحف الاسرائيلية بما فيها صحف اليمين السياسى التى تتعاطف عادة مع حركات بيجين .. اننا نكتب هذا الاسبوع لا لنثنى على اسرائيل ، بل لنثنى على خزيها » .

كان الشعور بالعذاب والقلق داخل اسرائيل حول تلك المسئولية متناقضا تماما مع رد الفعل فى بقية انحاء العالم ازاء المسئولية اللبنانية . فبرغم كل شىء ، كان القتلة الحقيقيون هم المسيحيون اللبنانيون وليس اليهود .

وكتب « نورمان هوريتس » ، رئيس تحرير « كومنترى » : « فى الجـو النقى اخلاقيا يمكن القاء المسـئولية على قطـاع الطرق الذين بدأوا تلك الحلقـة الغريبة من الفظائع المهلكة ، وعلى المجموعات التى واجهتها بهمجية وبربرية .. غـير أن شيئا آخر كان يكمن فى الحقيقة الآتية ، وهـو انـه عنـدما قتـل المسيحيون المسلمين لانهم قتلوا المسيحيين ، هب العالم يشجب عمل اليهـود الذين كانوا ــ فى أسـوأ الاحـوال ــ متورطين بشكل غير مباشر » ...

واضـاف « هنـا يعـود المعيار المزدوج ليظهر من جـديد فى صورة بغيضة .. وفى هذا الاخفـاق الجـديد فى التمييز بين أوازن المسئولية ، انزلق حديثنـا العام الى منحـدر كبير آخـر من الحماقة الاخلاقية » .

كتب « دافيد شيبلر » ، مراسل القدس ، مقالا فى « نيويورك تايمز » شرح فيه وجهة النظر الاسرائيلية كما يأتى : « من هم أولئك الامريكيـون الذين يمكنهم أن يهاجموا اسرائيل ، وهم الذين ذبحت قواتهم النسـوة والاطفـال الفيتناميين الابرياء فى ماى لاى ؟ ومن هم أولئك الاوروبيون الذين يمكنهم أن يتباكوا على هذه المذبحة ، وهم الذين علموا صراحة بالمذابح التى قتـل فيهـا آلاف اللبنانيين المسيحيين والمسلمين ، كل على يـد الآخر ، خـلال سنوات الحـرب الأهلية ؟ وكيف أمكن للبابا يوحنـا بولس الثانى ، الذى هـو تجسيد للفضيلة العالمية ، أن يستقبل ياسر عرفات ، زعيم منظمة التحرير الفلسطينية ، الذى أمر الفدائيين بالاسـتيلاء على احدى المدارس واطـلاق النـار على الاطفـال فى معلوت ، واخـذ الاطفـال كرهائن فى مستعمرة سجاف آم ، ومصادرة سيارة اوتوبيس وانطلقوا الى الطريق الساحلى » .

ما هى الصحيفة الامريكية التى كانت فى السنوات الاخيرة اكثر الصحف موالاة لاسرائيل بمقالاتها الافتتاحيـة ؟ قد يدهشـك أن تعـلم انهـا صحيفة « وول ستريت جورنال » ، وذلك باجمـاع معظم المسئولين الاسرائيليين وأكثر مؤيديهم نشـاطا فى واشنطن . ونظرا لان تركيز الصحيفة أساسا يكمن فى التجـارة الكبرى ، فان فى ذلك ما يدعـو حقـا للدهشـة . ان لاكبر المصـارف والمؤسسات الامريكية تعاملات ضخمة مع العالم العـربى الغنى بدولارات البترول ، بينما كانت علاقاتها باسرائيل اكثر تواضعا . ولكن هـذا لم يمنع صحيفة « وول ستريت جورنال » من الدفاع بانتظـام عن اسرائيـل فى كثير من القضايا ، وعلى سبيل المثال ، كان هذا واضحا فى الثالث من اكتوبر ١٩٨٣ عندما حملت الصحيفة بعنف على مصر لرفضها عودة سـفيرها الى تل ابيب ، جـاء فى افتتاحيـة الصحيفة (تعطى الولايات المتحـدة المصريين الان مليارى دولار كمساعدة ، وتريد الخارجية الامريكية اضافة المزيـد لهذه المساعدة ، ويقوم الرئيس مبارك الان بزيارة لشواطئنا ، وليس هناك ما يدل على أن اى شخص ، من الرئيس ريجان ومن دونه ، قد مارس أى ضغط حقيقى عليه لتعديل موقفه . ان السياسة الخارجية الامريكية تطلق ابتسامتها الدالة

على الجهـــل ، وهى سعيدة أن تراقب هدم مخططاتها ومصالحهـــا فى الشرق الاوسط » .

ومن قبل ، كانت تلك الصحيفة تنتقد باستمرار ادارة ريجان لانها تشوه سياسة اسرائيل فى لبنان ... وكانت قبل ذلك تعارض بين الأواكس للسعودية . وعندما أمسكت واشنطن عن توريد الاسلحة لاسرائيل ضاعفت الصحيفة من حملتها الشديدة ضد هذا الحظر . وما من مرة اتخذت فيها اسرائيل قرارا مثيرا للجدل بما فى ذلك قصف المفاعل النووى العراقى ، وقانون الكنيست الذى يعلن القدس عاصمة أبدية لاسرائيل ، وإقامة مستوطنات اضافية بالضفة الغربية ، وضـــم مرتفعات الجولان ، الا وانبرت الصحيفة للدفاع عن اسرائيل .

فلماذا كل هذا التأييد ؟

تنظر الصحيفة أساسا الى اسرائيل على أنها واحدة من الدول القـــلائل ذات الميول الغربية ، ذات حكومة تم انتخابها بشكل ديمقراطى ، واستراتيجية موثوقة ، فهى بذلك صديقة لامريكا فى عالم يعاديها .

وتعتقد الصحيفة ان على الولايات المتحدة أن تعامل الاصدقاء كأصدقاء ، والاعـــداء كأعـــداء ، « انك اذا اختلفت مـــع حليف فليس لك أن تحرجـــه او توبخـــه علانيـــة كما تفعـــل مـــع خصومك .. وعليك أن تتعاون مـــع اصـــدقائك وأن تتشـــاور معهم سرا .. وليس لك أن تنشر غســـيلهم القذر امـــام أعين العـــالم كله .. وباختصـــار ، عليك الا تشوه صورة أصدقائك حتى ولو كانت هنـــاك اختلافات خطيرة فى الرأى » .

وعندما يتعلق الامر بالشرق الاوسط ، كانت الاراء التى تضمنتها افتتاحيات « وول ستريت جورنال » فى هذه السنوات الماضية تشبه كثيرا تلك التى عبر عنها المحرران « وليام سافير » و « جورج ويل » ، وكلاهما جمهورى ومحافظ فى اتجاهه السياسى ، ولعلهما ، بهذه المناسبة ، أخلص صديقين لاسرائيل بين المعلقين الوطنيين ، كما ان صحيفة « نيوريبابليك » التى يراس تحـــريرها « مارتن بيرتيز » تدخل ضمن هذا النمط الموالى لاسرائيل ، ولو أن اتجاههـــا الايديولوجى الاساسى ليبرالى وديمقراطى .. وهذا يؤكد حقيقة أساسية عن التأييد الامريكى لاسرائيل وتطوره على مدى السنين . ان لاسرائيل أصدقاء واعداء بين الديمقراطيين والجمهوريين ، وكذلك بين الليبراليين والمحافظين .. ويمتد تأييد اسرائيل بين الطيف السياسى والأيديولوجى للتفكير فى الولايات المتحدة . وكان ذلك واضحا أيضا فى أخذ الاصوات بالكونجرس حول مايتناول اسرائيل والعرب . قد يكون « سافير » و « ويل » من المحافظين ، ولكن كان هذا أيضا شأن عضو الشيوخ الجمهورى « بارى جولد ووتر » ، من أريزونا ، وهو واحد من الثابتين على عدائهم لاسرائيل فى الكابيتول .

واذا كان على الرسميين الاسرائيليين أن يكيلوا المديح لصحيفة « وول ستريت جورنال » فان الحـال عكس ذلك مـع « واشنطن بوست » ، وهى الصحيفة التى دابت على تحديد الكثير من السياسـات الاسرائيلية . ان انتقادات « واشنطن بوست » لاسرائيل قد ازدادت بعد انتخاب رئيس الوزراء بيجين فى عام ١٩٧٧ ، ولكن ذلك فى كثير من جوانبه جزءا من ثورة الغضب فى واشنطن حتى مع حكومات العماليين برئاسة جولدا مائير وايزاك رابين . فلماذا خلفا لنظرة « وول ستريت جورنال » الشاملة واستراتيجيتها الموالية للغرب ، تنظر صحيفة « واشنطن بوست » الى الشرق الاوسط والنزاع العربى الاسرائيلى بصورة أكثر ميلا لحب الخير العام . انها ترى ان لب المشكلة هو المسالة الفلسطينية ، وهذا يعنى الاتكاء على اسرائيل للانسحاب الى ما قبل حدود عام ١٩٦٧ . ان مصادر التوتر الخارجية ، مثل نزعة المغامرات السوفيتية ، تعتبر مصادر ثانوية . وهذا يفسر السبب فى أن المقالات الافتتاحية فى صحيفة « واشنطن بوست » قد دابت على استنكار معظم القرارات الاسرائيلية المثيرة للجدل والتى كانت « وول ستريت جورنال » تدافع عنها .

فى عام ١٩٨٢/١٩٨٣ ملأت « وول ستريت جورنال » أعمـدة افتتاحيتها بالاشادة بتدمير اسرائيـل للمنشـآت العسكرية لمنظمة التحرير الفلسطينية فى لبنان ، وما استتبعه ذلك من زوال الهدف السياسى للمنظمة .. وأعربت عـن اسفها لان الولايات المتحدة لم تترك اسرائيل تنتهى من ضربتها غربى بيروت وعلقت الصحيفة بأن اضعاف منظمة التحـرير الفلسـطينية كان مكسبا كبـيرا العالم الحر ، فالمنظمة ، كدويلة داخل لبنان ، اصبحت ميدان تدريب للارهاب الدولى . واذا كان الارهاب الدولى قد فقد قوته فانما يرجع لذلك الى ما قامت به اسرائيل فى لبنـان .. ولكن مثل هـذا الثناء على اسرائيل لم يكن له وجود فى افتتاحيات صحيفة « واشنطن بوست » .

وكما يقول كبار المسـئولين الاسرائيليين الذين يراقبون بعناية أجهـزة الاعلام الامريـكية ، يوجد فارق هـام آخر بين الصحيفتين ، انهم يقولون أنه قد سمح لآراء افتتاحيات « واشـنطن بوست » بالافـراط فى التغطية العنيفة للأنباء .

ويقـولون انه كانت هناك فى السـنوات الاخيرة تغطية هائلة لحـالة الفلسطينيين الذين يعيشون تحت الاحتلال العسكرى الاسرائيلى ، ومن المحتمل أنها كانت أكثر من ذلك فى اية صحيفة أمريكية اخرى باستثناء « كريستيان ساينس مونيتور » . والظاهر أن مكتب « بوست » الخارجى له تقريبـا نفس التركيب الفكرى لمحررى افتتاحيات الصحيفة .. وهـذا لا ينطبق على « وول ستريت جورنال » حيث أن لمحرريها الدبلوماسيين ولمحرريها للشرق الاوسـط مواقف تختلف غالبا فى وضوح ازاء النزاع العربى الاسرائيلى ـ اى اقل موالاة لاسرائيل ـ عن موقف محررى افتتاحيتها .

فما هو موقف أهم صحيفة أمريكية ، وهى « نيويورك تايمز » من هـــذه المسائل ؟ .. انه موقف وسط ، كما يقول الموظفون الاسرائيليون . انهـــم يقولون أن معظم افتتاحيات « تايمز » مواتية بوجه عام بالنسبة لاسرائيل .. كان القليل منها خشنا ... و فى السنوات الاخيرة برزت «تايمز» بفريقها ذى الخبرة من الصحفيين الذين يغطون أحداث الشرق الاوسط ، ومن بينهم « برنـــارد جوريتزمان » و « توماس فريدمان » و « دافيد شيبلير » ، وقد اكتسب هـــذا الثلاثى شهرته بأنه الاكثر اطلاعا والاكثر وثوقا عندما يتعلق الامر بفهم الفوارق الطفيفة فى الامور بالمنطقة .

والى جانب اجهزة الاعلام توجد شبكة كاملة ، مقرها واشنطن ، من مراكز البحوث والمؤسسات الاكاديمية غير الحكومية ، لها أثرها الهام فى تشكيل السياسة الامريكية بالنسبة للشرق الاوسط ، ولها تأثيرها فى الرأى العام الامريكى فى الداخل عن طريق اجهزة الاعلام بصورة عامة .

ويعلم كل فرد أن هناك عدة عوامل خارجية تحاول التأثـــير فى توجيـــه السياسة الامريكية بالنسبة للنزاع العربى الاسرائيلى . وعلى سبيل المثال ، تبدأ كل حكومة بالاراء ووجهات النظر الكامنة فى بيروقراطية السياسة الخارجية للحكومة فى وزارة الخارجية ووزارة الدفاع ومختلف وكالات المخابرات وغيرها

ان اعضاء الكونجرس ، وخاصة أولئك الذين يشتركون فى لجان العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ ، والشئون الخارجية بمجلس النواب ، يحاولـــون دائما أن يلعبوا دورهم ، وتوجد بالطبع اسرائيل ودول عربية ، وهى ممثلة عن طريق سفاراتها فى واشنطن ، وفى حالة العرب فانهم ممثلون ايضا عـــن طريق المستشارين ، الذين يتقاضون اجورا ضخمة ومسجلون لدى وزارة العـــدل كوكلاء أجانب . واخيرا ، هناك المؤيدون المحليون للجانبين المتنافسين ، وهم بوجه عام الزعامة اليهودية الامريكية المنظمة ، والمجموعات العربية الامريكية أو الموالية للفلسطينيين . ولكن الذى نغفل عنه غالبا هـــو وجود المعـــاهد والمؤسسات الثقافية « المحايدة » أو « الموضوعية » المنتشرة بالمدينة . ونظـــرا لما للاقناع الفكرى من قوة تقليدية واحترام فى أمريكا ، فقد كان هؤلاء بين الفينة والفينة يلعبون أدوارا هامة فى طرح بعض الافكار ليبحثها صانعو السياسة... وفى بعض الاحيان تكون مقترحاتهم بمثابة عملية جس النبض ، وهى لحساسيتها واحتمال اثارتها للجدل لا تأتى مباشرة من الحكومة . وفى أوقات أخرى يمثلون أسلوبا جديدا ومستقلا لتناول مشكلة قديمة . ان شق الطريق عبر تلك المتاهات التنظيمية يعتبر من المقومات الضرورية تماما لفهم عملية صـــنع القرارات فى السياسة الخارجية فى واشنطن .

وفيما يتعلق بالنزاع العربى الاسرائيلى ربما كان من أشهر تلك المجموعات معهد « بروكينجز » ، ومنذ سنوات قليلة كتبت صحيفة «نيويورك تايمز » :

« لا تقف الصفوف الطويلة من السائحين خارج ١٧٧٥ شارع ماساشوسيتس ، اى مقر معهد بروكينجز .. انه لا يمثل سلطة قاسية كما يفعل البيت الابيض ، بل يمثل النفوذ المهذب لجامعة دون طلاب» . لقد احتل معهد بروكينجز مكانة على خريطة الشرق الاوسط وبذلك التقرير الذى اعده فى ديسمبر ١٩٧٥ « نحو السلام فى الشرق الاوسط » ، وكان الرئيس جيرالد فورد ، وزير الخارجية هنرى كيسنجر لا يزالان فى منصبهما . فى ذلك الوقت لم يكن اى فرد من الاعضاء الستة عشر فى مجموعة دراسات الشرق الاوسط بمعهد بروكينجز يعمل فى الحكومة . ولكن بعد أن دخل الرئيس كارتر البيت الابيض فى يناير ١٩٧٧ لحق به اربعة من اعضاء بروكينجز ، وهم « زبيجينو بيرزيزنسكى » كمستشار للامن القومى . و « ويليام كواندت » كعضو للشرق الاوسط بمجلس الامن القومى ، و « روبرت بوى » كنائب لمدير وكالة المخابرات المركزية ، وأخيرا « فيليب كلوتزنيك » كوزير للتجارة . كان « بيرزيزنيسكى » و « كواندت » نشيطين بوجه خاص فى تأييد توصيات دراسة معهد « بروكينجز » ، كدليل ارشادى لسياسة ادارة كارتر حول الشرق الاوسط ، وكان هذا واضحا بجلاء خلال السنة الاولى من الادارة الجديدة .

وهكذا ساعد معهد بروكينجز على انهاء اسلوب « الخطوة بخطوة » الذى انتهجه كيسنجر ، والاخذ بفكرة التسوية الشاملة . وأبدى أن على الولايات المتحدة « أن تعمل مع الاتحاد السوفيتى للقيام بدور بناء » . ونادى بحق تقرير المصير للفلسطينيين الذى « قد يأخذ اما شكل دولة فلسطينية مستقلة تقبل التعهدات والالتزامات لاتفاق سلام ، واما شكل كيان فلسطينى يتحد فيدراليا عن طيب خاطر مع الاردن ولكن يمارس استقلاله السياسى الشامل » . وأضاف : ان على اسرائيل أن تنسحب الى حدود الخامس من يونية ١٩٦٧ ولكن فقط مع التعديلات التى يتم الاتفاق المتبادل عليها .

وايد كارتر فى الفترة الاولى من ولايته مبدأ « الاسلوب الشامل » نحو النزاع وطالب بوطن أو كيان للفلسطينيين ، وفى مارس ١٩٧٧ قال ان على اسرائيل أن تنسحب من الارض التى استولت عليها فى حرب ١٩٦٧ فيما عدا بعض « التعديلات الطفيفة » ، وفى أول أكتوبر ١٩٧٧ وقعت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى بيانا مشتركا يؤيد العودة لعقد مؤتمر جنيف للسلام تتناوب الدولتان العظميان رئاسته .

وبفضل الادوار الرئيسية التى لعبها بيرزيزنسكى وكواندت ، وتأييد وزارة الخارجية الامريكية لتقرير معهد بروكينجز ، كان لذلك التقرير الذى تم اعداده بعناية أثره فى تشكيل السياسة الامريكية .. فكان ذلك تأكيدا مثيرا لقوة مراكز البحوث فى واشنطن .

وقد اثبتت خبرة « بروكينجز » ايضا قيمة « الباب المفتوح » بين الحكومة ومراكز البحوث فى واشنطن . وعلى سبيل المثال : عاد كوانت الى « بروكينجز » فى عام ١٩٧٨ بعد فترة وجيزة من توقيع اتفاق اطار كامب ديفيد . واذا كان كثيرون من صانعى السياسة ذوى النفوذ يمرون عبر هذا الباب المفتوح (وليس بالضرورة من بروكينجز واليه ، ولكن بين الحكومة وأى مراكز بحوث اخرى ، فان ذلك يضمن التعاون الوثيق بين الجانبين ... ان الموظفين بعد تركهم لمناصبهم يكونون فى الغالب مهتمين بمواصلة مهنتهم الاكاديمية ، بالكتابة والبحث ، بينما ينتظرون فى صبر العودة الى السلطة ... والمعاهد الاكاديمية تتيح لهم اساسا طيبا به يتقدمون فى مهنتهم) .

ان مجلس الاطلنطى للولايات المتحدة الذى تأسس فى عام ١٩٦١ . يصف نفسه بأنه « هيئة تعليمية فريدة للمواطنين ، غير حكومية ، ثنائية الحزبية ، معفاة من الضرائب » . ويتألف المجلس من الشخصيات البارزة فى مؤسسة السياسة الخارجية بواشنطن ، راسك » و « ويليام روجرز » .

فى نوفمبر ١٩٧٩ ، وعلى غرار ماكان عليه نمط بروكينجز منذ اربع سنوات ، نشر مجلس الاطلنطى دراسته عن الشرق الأوسط ، وأعد التقرير مجموعة من الخبراء تضم اربعة سفراء امريكيين سابقين لدى دول الشرق الاوسط ، وكان يرأسه الجنرال « برينت سكوكروفت (متقاعد) مستشار الامن القومى للرئيس فورد ، والذى برز بعد ذلك كمساعد فى السياسة الخارجية لمرشح الرئاسة الجمهورى رونالد ريجان ، والجنرال « اندروجود باستر » قائد الاكاديمية العسكرية الامريكية فى « ويست بوينت » . ومن بين الموقعين على التقرير « جورج بول » و « والتر ليفى » الاقتصادى المعروف فى البترول ، و « نستون لورد » رئيس مجلس العلاقات العامة ، و « تشارلى بوست » السفير الامريكى السابق لدى الامم المتحدة فى عهد الرئيس نيكسون . حدث بعد ذلك ان قام عضوان ، هما البروفيسور « يوجين روستو » من ييل ، والدكتور جوزيف سيسكو ، وكلاهما وكيل سابق بوزارة الخارجية ، متراجعا عن بعض قرارات هذا التقرير .

ان التقرير فى اتباعة الدقيق للآراء السائدة بوزارة الخارجية ابدى ان « مسألة تقرير المصير للفلسطينيين فى الضفة الغربية وقطاع غزة مسألة حاسمة فى عملية المفاوضات وامكانيات التسوية السياسية » ، وابدى ان الولايات المتحدة هى القوة الوحيدة « التى لها تأثيرها فى اسرائيل » ، واضاف ان على الولايات المتحدة ان تفصح عن اقتناعها بأن أمن اسرائيل سيتحقق على خير وجه بالسلام الحقيقى القائم على اساس ثابت اكثر مما يكون بالحرب المستمرة والارهاب . وجاء بالتقرير : « بينما لم يحن الوقت بعد لاشراك منظمة التحرير الفلسطينية فى مفاوضات فعلية ، فان على الولايات المتحدة أن تظل على اتصال غير رسمى مع منظمة التحرير الفلسطينية » .

لم يصبح تقرير مجلس الاطلنطى اسما لتقرير محلى للمجلس دون غيره ، فقد كان موضع الدراسة والقراءة داخل الدوائر العليا بالخارجية الامريكية وبين الاخصائيين المطلعين على شئون الشرق الاوسط ، وخارج الحكومة . ولما كان التقرير يميل الى تأكيد الموقف الذى تتخذه الخارجيه الامريكية ، وهو أن حل النزاع العربى الاسرائيلى يعتبر عاملا رئيسيا فى الابقاء على علاقات طيبة مع العرب مما يضمن استمرار التزود بالبترول والحيلولة دون امتداد السيطرة السوفيتية بالمنطقة ، لذلك كان لتوصيات التقرير أثرها .

اما معهد « كارنجى للسلام العالمى » فيحاول التأثير فى السياسة عن طريق أسلوب آخر .. فقد نشر فى السنوات الاخيرة عدة كتب عن الشرق الاوسط ، واستضاف بعض الخبراء ليناقشوا فى مأدبه العشاء المشاكل مع الموظفين الامريكيين والصحفيين والدارسين ، كما نظم مأدبة افطار المؤتمرات صحفية للزعماء الاجانب الزائرين ، عن طريق صحيفتهم الذائعة الصيت « فورين بوليسى » (السياسة الخارجية) ، كما ينظم برنامجا تليفزيونيا عن اسرائيل والفلسطينيين يظهر فيه « تيرنس سميث » ، المراسل السابق لنيويورك تايمز ، فى القدس ، و « ريتا هاوزر » المحامية بنيويورك والتى عملت من قبل كعضو فىالوفد الامريكى لدى الامم المتحدة .

وعلى نطاق أصغر ، كان ذلك ايضا أسلوب مركز « وود رو ويلسون » الدولى للدارسين فى معهد سميثسونيان . قام ذلك المركز ، الذى يدعو عادة الخبراء لقضاء سنة فى بحث مشكلة معينة ، بتنظيم مؤتمرات فى المناسبات الخاصة ، مثل المؤتمر الخاص » الامن فى الشرق الاوسط ومنطقة الخليج الفارسى فى الثمانينيات ، وفيه عقد البروفيسور » موشى ماوز « من الجامعة العبرية ، والبروفيسور هشام شرابى ، من جامعة جورج تاون ، بعض الندوات .

هناك أيضا معهد « أميريكان انتربرايز » الذى يوصف غالبا بأنه المعهد المحافظ فى مؤسسة بروكينجز للقضايا الاقتصادية ، وله هو الاخر نشاطه حول الشرق الاوسط . لقد حاول ان يكون محايدا غير متحيز فى أسلوبه ، ولو أن بعض المتطرفين الموالين لاسرائيل فى واشنطن كانوا ينظرون اليه على انه موال للعرب » وربما كان ذلك لان رئيسه السابق الراحل « ويليام بارودى » كان من زعماء المجتمع العربى الامريكى .

وبعد أن ترك «هارولد سوندرز » ، مساعد سكرتير وزير الخارجية للشرق الاوسط فى عهد كارتر ، منصبه الحكومى انضم الى معهد « أمريكان انتربرايز » .

ولقد اعتبر المسئولون الاسرائيليون ومؤيدوهم فى واشنطن دراسات « روبرت برانجير » و « ديل تاهتينين » بالمعهد انهما موالية للعرب اكثر

مما ينبغى .. ولكنه كمعهد كان يضم أصواتا محترمة موالية لاسرائيل ، من بينهم « بن واتنبرج » و « أيرفنج كريستول » و « مايكل نوفاك » و « جين كيركباتريك » ،وطلب السفير السابق المتخصص فى الشرق الاوسط ، « روبرت شتراوس » ، من « ريتشارد سكامون » و « هوارد بينيمان » ، الخبيرين فى الانتخابات ، اعداد بعض الخطوط الارشادية عن اجراء الانتخابات لسلطة الحكم الذاتى الفلسطينى المقترح للضفة الغربية وقطاع غزة .

ويدعى معهد الشرق الاوسط بأنه مركز أكاديمى بحث للبحوث ، مع اهتمام خاص بالشرق الاوسط ... غير أن الموظفين الاسرائيليين وغيرهم يتفقون بوجه عام على أن تكوينه والجهات التى تكلفه وهى كبريات شركات النفط والهيئات الامريكية الاخرى التى لها تعاملات شاسعة مع العالم العربى ، قد تضافروا فى اعطائه اتجاها لصالح العرب يضم مجلس محافظيه كثيرين من أبرز المستعمرين بالخارجية الامريكية ممن يشتركون غالبا مع المعهد بعد ترك مناصبهم . واهم حدث للمعهد هو مؤتمره السنوى الذى يجذب الى واشنطن عدة مئات من المتخصصين فى الشرق الاوسط من كافة انحاء البلاد للتركيز على قضية معينة .

وفى حساسية المعهد للاتهام بأنه مناهض لاسرائيل ، حاول مجلس محافظيه أن يستميل فى السنوات الاخيرة بعض الاكاديميين والخبراء فى شئون الشرق الاوسط المعروفين بأنهم اكثر ميلا لاسرائيل . وبين الفينة والفينة تنشر صحيفته التى تصدر كل اربعة أشهر ، وهى « ميدل ايست جورنال » بعض الانباء عن اسرائيل ، ولو أن الاهتمام الاكبر موجه الى العرب .

ومن ناحية اخرى ، يعتبر « مركز الدراسات العربية المعاصرة » بجامعة « جورنال تاون » ، اكثر حماسا فى اسلوبه الموالى للعرب ، وقد قبل تبرعات مالية ضخمة من ليبيا والكويت ودول عربية أخرى . ومديره البروفيسور « مايكل هدسون » مؤيد صريح للقضية الفلسطينية . وقد ضم مجلس مستشاريه منصور كيخيا ، سفير ليبيا السابق لدى الامم المتحدة ، و « ج . ويليام فولبرايت » وهو محام فى واشنطن وكان ناقدا شديدا لاسرائيل عندما كان رئيسا للجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ ، وكذلك وزير الاعلام القطرى .

وكان لجامعة جورج تاون ايضا مركز للدراسات الاستراتيجية والدولية كما لو كان لموازنة مركز الدراسات العربية المعاصرة .

ومن بين من انضموا الى مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية وزير الخارجية السابق هنرى كيسنجر ، واخصائى الدفاع « ادوارد لاتواك » ،

وهــو أيضا من مستشارى ريجــان) ، والدكتــورة « جويس ســـار » وكانت تعمل من قبــل كضابط اتصـــال بين البيت الابيض والمجتمع اليهــودى الامريكى خــلال السنتين الاوليين من ادارة كارتر ، وقد عملت للمركــز فى تنسيق بعثة الدراســـة لمصر واسرائيل ونظمت المؤتمرات فى واشـــنطن بالاشـــتراك مع مركــز جامعة تل أبيب للدراســـات الاســـتراتيجية التى تولاهـــا الرئيس السابق للمخابرات الحربية « أهارون ياريف » . ومن أكثر الدارسين احترافا الذين اشتركوا فى المركــز بواشنطن البروفيسور والتر لاكــور ، الذى تلقى كتاباته عن الشرق الاوســـط فى مجلة « كومنتارى » وغيرها اهتمـــام القراء .

وهناك طبعا عدة مراكز بحــوث ذات ميول سياسية معينة . وعلى سبيل المثال : لم يكن للمعهــد اليســـارى لدراسات السياسة نشـــاط كبير فى النزاع العربى الاسرائيلى ، ولكن معظم المشتركين فيه موالون للفلسطينيين الى اقصى حــد . وقد حاضر عضــو الشيوخ السابق « جيمس أبو رزق » فى مدرســـة المعهد بواشنطن ، كمـــا قام بالتدريس فى نفس المدرســـة « جيمس زغبى » المــدير السابق للجنة الامريكية العربية المناهضة للتمييز العنصرى .

وعلى الجانب الاخــر من الطيف السياسى توجــد مؤسســة « هيرتيج » التى ازداد اهتمامها فيما بعــد بتناول شئون الشرق الاوسط ، وهى مواليـــة لاسرائيل تماما . وهنـــاك أيضا مركز الدكتور « جــوزيف اشـــوربا » للامن الدولى ، وركز اهتمامه على قيمة اسرائيل الاستراتيجية للولايات المتحـــدة .. وكان « اشوربا » عضوا بالمخابرات للشرق الأوسط فى السلاح الجوى الامريكى وقد تناول ذلك فى كتاب « سياسات الدفاع ، وأفول نجم أمريكا فى الشـــرق الاوســـط » .

فى ســـنة ١٩٨٥ أسس المتطـــرفون المشـــتركون فى « اللجنـــة الامريكية الاسرائيلية للشئون العامة » مركز بحـــوث مواليا لاسرائيل ، هـــو « معهـــد واشـــنطن لسياسة الشرق الاوسط » .

وطالما استمر مسئولو الحكومة وأعضاء الكونجرس فى الاعتماد على تلك المعاهد والمؤسسات من أجل حـــوز المعلومات والتفكير الجـــديد ... وطالما استمر مبدأ الباب المفتوح قائما ، فان فى وسعنا أن نتوقع من « بروكينجز » و « أميريكان انتربرايز » و « هيرتيج » و « كارتيبجى » وغيرها ، ان تلعـــب أدوارا هامة فى صياغة سياسة الولايات المتحـــدة .

الفصل التاسع

التجارة ، واليد العاملة ، والسود ، والمسيحيون

كان جون بلوك ، وزير الزراعة ، ومربى الخنازير الناجح فى الينوى ، ضيف الشرف فى السفارة الاسرائيلية بواشنطن عشية سفره فى يناير سنة ١٩٨٤ الى أوروبا والشرق الاوسط ، وهى الرحلة التى يتوقف فيها أيضا باسرائيل وقد قال لى ان هناك اسبابا عديدة لادراج اسرائيل فى تلك الرحلة ، الى جانب كونها من أوثق اصدقاء أمريكا بالمنطقة . وقال ان هناك ما يجعل اسرائيل ثانى اكبر شريك تجارى لامريكا فى الشرق الأوسط بعد المملكة العربية السعودية . واضاف ان اسرائيل كانت أكبر دولة مشترية للمنتجات الزراعية الامريكية بما تقدر قيمته بحوالى ٤٠٠ مليون دولار فى سنة ١٩٨٣ وحدها .. وقال « يجب أن أظل على اتصال بعملائنا » .

ولقد اكد كلامه اتجاها يكاد يكون غير معروف ، ولكنه مهم جدا ، ظهر خلال السنوات الماضية فى العلاقات التجارية بين أمريكا واسرائيل ، واعنى ان الصفقات التجارية بين واشنطن والقدس أصبحت ذات أهمية لكلا الجانبين ، لا لاسرائيل وحدها ، ان هذا يفتح باب العمل للكثيرين فى اسرائيل وأمريكا على السواء ، ولو انه لا يمكن انكار أن السوق الامريكية لصادرات اسرائيل اهم من السوق الاسرائيلية لصادرات أمريكا .

فى عام ١٩٨٣ ، صدرت الولايات المتحدة الى اسرائيل سلعا غير عسكرية بما قيمته ٧ر١ مليار دولار (تتراوح قيمه المبيعات العسكرية الامريكية لاسرائيل بين مليار وملياري دولار أمريكى) ، وبلغت الصادرات الاسرائيلية للولايات المتحدة فى عام ١٩٨٣ بما قيمته حوالى ٢ر١ مليار دولار . أما المبيعات العسكرية الاسرائيلية للولايات المتحدة فهى متواضعة ، ولو ان هناك محاولات تجرى حاليا لزيادتها . كما ان اسرائيل تسير قدما مع عقود خدمات للمهمات العسكرية الامريكية ، بما فيها الطائرات المقاتلة الملحقة بالاسطول السادس .

وفى عام ١٩٨٤ استأجرت البحرية الامريكية اثنتى عشرة طائرة مقاتلة كافير . الاسرائيلية الصنع لمحاكاة « الميج » السوفيتية فى تمرينات التدريب . وفى العملية فازت مصانع الطائرات الاسرائيلية بعقد قيمته ٦٨ مليون دولار نظير خدمة طائرات « كافير » من اصلاح وصيانة .

وهكذا تمثل التجارة بين البلدين مبالغ كبيرة لكلا البلدين ، ولكن بالطبع لاسرائيل بوجه خاص . وتعتبر الولايات المتحدة اكبر شريك تجارى ممتاز لاسرائيل التى يذهب ما يقدر بنحو ٢٣ فى المائة من صادراتها الى الولايات

المتحدة . أضف الى ذلك أن ٢٥ فى المائة من الواردات الاسرائيلية يصلها من الولايات المتحدة .

ولكن هناك بعض الفوائد الحقيقية نواشنطن أيضا . فتأسيسا على الحساب التجريبى التقليدى لوزارة التجارة الامريكية ، أصبح كل بليون دولار من الصادرات يعنى خلق ثلاثين الف فرصة عمل ، وبالتالى فان حركة الصادرات الامريكية لاسرائيل تعنى على وجه التقريب خمسين فرصة عمل للامريكيين . وبتطبيق نفس المبدأ ، يتم استخدام خمسين الفا آخرين من الامريكيين فى المصانع التى تشتغل بمهمات الدفاع ، نتيجة بيع المقاتلات والمعدات العسكرية الأخرى المتطورة لاسرائيل .

وقد قدر أنه فى السنوات العشرين القادمة سيوفر انتاج المقاتلة الاسرائيلية الجديدة «لافى» مالا يقل عن سبعة وثلاثين الف فرصة عمل فى الولايات المتحدة حيث ان الكثير من انتاج تلك الطائرة سيتم بعقود من الباطن مع شركات أمريكية . وستمثل هذه العقود من الباطن تدفق ٥ر١ مليار دولار أخرى الى الشركات الامريكية المعنية .

ومن الواضح أن هناك متسعا لزيادة التجارة بين الولايات المتحدة واسرائيل وعلينا أن نتذكر أن اجمالى واردات اسرائيل فى عام ١٩٨٣ كانت تزيد على ثمانية مليارات من الدولارات وهذا يعنى أنه لايزال فى امكان المصدرين الامريكيين ان يستحوذوا على أكبر نصيب من السوق الاسرائيلية ، ويعتقد المصدرون الاسرائيليون أنهم هم أيضا يستطيعون أن يصلوا الى نتائج أفضل فى الولايات المتحدة مع بعض المساعدة الاضافية من أصدقائهم .

وهذا يمكن أن يفسر قرار الرئيس ريجان فى ختام لقاء القمة فى نوفمبر ١٩٨٣ مع رئيس الوزراء اسحاق شامير ، بالترخيص ببدء مفاوضات رسميةبين البلدين ، من شأنها انشاء منطقة تجارة حرة قد تؤدى الى التخلص تماما من جميع الحواجز التجارية القائمة بين البلدين . لقد كانت اسرائيل تضغط على ادارة ريجان زهاء السنتين من أجل البدء فى هذه المحادثات ، ولكن الرئيس لم يوافق فى النهاية الا بعد التحسن الذى طرأ على العلاقة الاستراتيجية بين أمريكا واسرائيل ، وهناك مزايا اقتصادية وسياسية لكلا البلدين . قال توم داين ، المدير التنفيذى للجنة « الامريكية الاسرائيلية للشئون العامة » : « انها سياسة تجارية طيبة وسياسة خارجية سليمة للولايات المتحدة » .. وقد تمت الاتفاقية بنجاح فى أوائل عام ١٩٨٥ .

ان هذه الامور بالغة التعقيد ، نظرا لارتباط كل من الولايات المتحدة واسرائيل باتفاقيات تجارية دولية أخرى ، وخاصة الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة « جات » . وانه وان كانت اسرائيل قد دخلت فى منطقة تجارة حرة

للكثير من السلع مع السوق الأوروبية المشتركة ، فانها ستسير قدما فى القضاء على الحواجز التجارية مع الولايات المتحدة . وبالنسبة للولايات المتحدة ، يمثل ذلك المرة الأولى التى توافق فيها على مثل ذلك النظام الكاسح فى التجارة الحرة مع دولة أخرى ، ولو انها وافقت على بعض النواحى مع كندا وبعض الدول الصديقة من جزر الكاريبى .

وفى الماضى ، كان تفكير الولايات المتحدة متجها الى مجرد تحقيق النظام التجارى « للدولة الاكثر رعاية » مع الدول الأخرى . موجز القول ، عوملت كل الدول الصديقة على قدم المساواة . ولكن مع اسرائيل ، كانت ادارة ريجان مستعدة لأن تذهب الى ابعد من ذلك المبدأ التقليدى ، مع اشراك دول اخرى الى مدى بعيد أيضا . وقد أكد المسئولون الامريكيون أنهم سيطبقون المثل الاسرائيلى مع الغير .

ولكن لم يهتز كل شخص فى الولايات المتحدة ازاء توقعات المزيد من المنافسة ، ان العديد من منظمات الضغط الصناعية والزراعية قد أبدت معارضتها اقامة منطقة تجارة حرة مع اسرائيل .. انهم لم يكونوا مناهضين لاسرائيل . والواقع ، انهم لما حضروا أمام اللجنة المالية بمجلس الشيوخ ، تعمدوا أن يسجلوا رأيهم .. ولكن الذى كان يثير قلقهم هو الخسارة الكبيرة فى بيع الواردات الاسرائيلية ، والاهم من ذلك هو السابقة التى يخلقها اتفاق من هذا القبيل مع اسرائيل . ويتساءلون : ما الذى يحدث لو سعت أسبانيا أو اليونان أو البرتغال الى مثل ذلك النظام التجارى الخاص ؟ .

ومن بين أولئك الذين كانوا يشعرون بالقلق ـ الذى له ما يبرره ـ ازاء صناعاتهم المكتب الزراعى الامريكى ومزارع الزيتون بكاليفورنيا ومنتجو الطماطم بكاليفورنيا وجمعية البصل والثوم الامريكية واتحاد النسيج والالياف وجمعية الجواهرجية . لقد رأوا كيف تزحف الواردات الأقل تكلفة على الصناعات الامريكية الأخرى مع مر السنين ، وأرادوا استمرار منع المنافسة الأجنبية من تحدى احتفاظهم بالسوق الامريكية .

لكن موظفى ادارة ريجان يدافعون بشدة بأن ازدهار الاقتصاد الامريكى ورخاء المستهلك الامريكى كانا أسعد حالا مع التجارة الحرة . واقترحوا أن يترك السوق يخفض السعر لكل شخص حتى ولو كان ذلك بسبب الضرر لبعض الشركات الامريكية على المدى القصير ، وفضلا عن ذلك ، فان المنتجات الامريكية فى هذه العملية ستتاح لها فرصة افضل للاستحواذ على أسواق خارجية اضافية مما يخلق المزيد من فرص العمل فى أمريكا .

وهناك بالطبع بعض الأسباب الخاصة جدا لمحاولة مساعدة الاقتصاد الاسرائيلى المطوق ، ان اسرائيل تواجه التزامات ديونها الخارجية ، وتقدرها آخر

الاحصاءات بثلاثة وعشرين مليار دولار ، وهى أعلى ما يمكن بالنسبة للفـرد الواحد فى العالم الغربى .. ومن ثم فان عليها أن تحاول تحسين ميزانها التجارى السلبى .. وعلى المـدى الطويل . فان الطريقة الوحيدة التى يمكن لاسرائيل التغلب بها على هذه المشاكل هى بزيادة صادراتها .. وهذا هو الأمل الحقيقى للاقتصاد .. وهذا هو السبب فى اعتبـار منطقة التجارة الحـرة حيوية لرخاء اسرائيل المستقبل .

وبالقاء نظرة متمعنة الى حافة اسرائيل التنافسية ، يستخلص الاقتصاديون الاسرائيليون أن خير آمالهم على المدى الطويل يكمن فى تطوير امكانيات التصدير الاسرائيلى فى المجالات المتخصصة التى تنطوى على التكنولوجيا العالية .. وهذا بالطبع باستغلال الخبرة الاسرائيلية فى تكنولوجيا الفن فى مجموعة من المجالات : العلوم والحاسـبات الاليكترونية ، والطب ، وغيرها ، ان بعضـا من تلك الشركات الاسرائيلية الحديثة قد سجلت نموا مثيرا . لقد ارتفعت قيمة مخزونها بما فيه ما بيع للولايات المتحدة . وان هذه هى المجالات التى سيكون فيها تطور النمو الحقيقى للصادرات الاسرائيلية ، ولو أن رزقها ، طوال السنين القادمة ، كما يعترف المسئولون الاسرائيليون ، هو فى المنتجات التقليدية من الموالح والماس المصقول .

لقد اعترف موظفو ادارة ريجان بأن من مصلحة أمريكا الكبرى قوة وازدهار الاقتصاد الاسرائيلى ، نظرا لأهمية اسرائيل الاستراتيجية والسياسية بالنسبة للولايات المتحـدة .. وفى ذلك ما يساعد على تفسير السـبب فى أن الاداره ، تساندها اغلبية الحزبين فىمجلسى النواب والشيوخ ، مستعدة لتزويد اسرائيل سنويا بمساعدة اقتصادية وعسكرية شاملة . كما يفسر ايضا السبب فى استعداد الادارة والكونجرس للموافقة على منطقة تجارة حرة مع اسرائيل .

لذلك فانه ، لمـا مثـل روبرت بيلليترو ، نائب مساعد وزير الخارجيـة لشـئون الشرق الادنى ، أمـام اللجنة الفرعية للشئون الخارجيـة بمجلس النواب ، ليـدلى بشهادته فى أول فبراير ١٩٨٤ فيما يتعلق بأوروبا والشرق الاوسط ، تحدث عـن الحوار الشامل بين الولايات المتحدة واسرائيـل حول مشاكلها الاقتصادية ، وقال : « طـوال تلك المناقشات ، تقدمنـا من منطلق اساسى ، وهـو أن مصالحنا ومصالح دولة اسرائيـل تتطلب اسرائيل قوية . لا لليوم فقط بـل للمدى الطويل ... وهـذا يستلزم اقتصادا اسرائيليـا قويا .. اننا نريـد أن نجعل ذلك واقعا ، بل أيضا نحتاج الى ذلك » .

لقـد سلم بيلليترو بالمتـاعب الاقتصادية الاخيرة فى اسرائيل ، ولكنـه أوضح أن الموقف لا يدعو لليـأس .. وقال « بينما تدهورت ظـروف اسرائيل الاقتصـادية فى العام المـاضى ، وأنه سيبذل جهد كبير من جانبها للتغـلب

عنى أثـر سياسة اسرائيل المـاضية والعداوات الدوليـة ، فانه لا مجـال للشـك فى ثبات عزم اسرائيـل أو فى سلامة قاعدة اقتصادها . واننا لنعلم ، كما يعلم الاسرائيليون ، أن نزع البرنامج المطلوب لا يمكن تحقيقه دون بعض التكاليف .. ولكن الشـعب الاسرائيلى هو قوة الدولة . وقد أظهروا مرارا قدرتهم واستعدادهم لمواجهة الظروف الصعبة » .

التقط « داين » من اللجنـة الامريكية الاسرائيلية للشئون العـامة تلك الفكرة عنـدما أدلى بشهادته لصـالح منطقة التجارة الحرة .. لقـد سعى الى وضع مشاكل اسرائيل الاقتصـادية فى صورتها التاريخية : « انها أمة من مهاجرين فقراء عادوا الى الارض التى تكاد تكـون محرومة مـن الموارد الطبيعية . وخلال سنوات قليلة أنشـأ الاسرائيليون قطاعات زراعية وصناعية وللخدمات ، ويمكن أن تقـارن فى مستواها بالكثـير فى أوروبا ، وهذا ينعكس فى الاحصائيات لانتـاج الفرد الواحد ، وفى الدليل المرئى الذى تشهدونه عندما تسافرون داخل البلاد » .

واضـاف « أن هـذا التقدم المرموق خلال سنوات قليلة قد تحقق أولا بالعمل الشاق والروح الملتزمة للشعب نفسه ، فى اقتصـاد يجزى العمـل الحر والذكى .. انـه أيضـا مثال لمـا يمكن ان يعمله شعب فى سوق حرة غير مكبلة بالاغلال » .

ولكنه عبء اسرائيل الهـائل فى الدفاع ، وهـو ما يزيد على خمسـة وعشرين فى المـائة من انتاجها القومى ويقابله سبعة فى المـائة فى الولايات المتحدة ، قـد أجبر البـلاد على قبول ديون خارجية ضخمة ، معظمها للولايات المتحدة لسداد ثمن الاسلحة منـذ حرب يوم الغفران فى عام ١٩٧٣ . ولقـد كان ذلك هـو السبب الوحيـد الاكبر فى محنة الاقتصاد الاسرائيلى اليوم .

ولسـنوات عـديدة ، ظل « المرونتر » ، رجل الاعمال الناجح من مليووكى ، يعمل فى تنظيم الاستثمار الامريكى الخاص فى اسرائيـل ، وقد أنشأ « ونتر » ، وهـو رئيس سابق للجنـة الامريكية اليهودية ، لجنـة التنسيـة الاقتصادية لاسرائيل وذلك من أجل تحقيق هـدفه . لقـد نظم بعناية جميع الاعمال الكثيرة الناجحة ، الشركات الامريكية الكبرى التى قامت بعمليـات فى اسرائيل وحققت من ورائها الارباح . ويوجد حاليا مايربو على الاربعمائة شركة لها فروع تعمل فى اسرائيل . وقد قال « ونتر » للجنة المـالية بمجلس الشيوخ انه بانشـاء منطقة التجارة الحرة سيكون هناك المزيد منهـا .. وستكون اسرائيل فى طريقهـا الى الاستقلال الاقتصـادى ... ولكن ذلك اليوم لا يزال يبدو بعيـدا .

الحركة العماليـة الامريكيـه

ماكان لزوار المبنى المدهش الذى يضـم مقر اتحاد العمل الامريكى ومؤتمر الهيئـات الصناعية الذى لا يبعد الا بضـعة أمتار من البيت الابيض ، ان تتملكهم الدهشـة اذ يرون فى ردهته تمثالا لجولدا مائير الراحلة . والواقـع انه ، باستثناء المجتمع اليهودى الامريكى ، كانت الحركة العمالية الامريكية هى المصدر الوحيـد الثابت من بين مختلف المجموعات فى الولايات المتحدة التى عملت لمساندة اسرائيل طوال السنين . وتتمثل هذه المساندة فى القيـام بعمل سياسى حاسم لصـالح اسرائيـل . قال « آل تيريستمان » ، الذى عمل كهمزة اتصـال للسندات الاسرائيلية لدى الحركة العمالية الامريكيـة ، ان مشتريات السنوات التى تـم معظمها من فروع الاتحاد الفيديرالى العمالى الامريكى ومؤتمر المنظمات الصناعية قـد جاوزت المـائتين وخمسين مليون دولار — وذلك خلال السنوات الثلاثين المـاضية ، وقال لى أن سـائقى الشاحنات ، الذين لا ينتمون للاتحـاد العمالى أو للمؤتمر ، كانوا المجموعـة الاكبر والوحيـدة فى العالم التى تحمل سندات اسرائيل ، اذ يحملون ما تتراوح قيمته بين ٣٥ و ٤٠ مليون دولار .

لقـد كانت مساندة اسرائيل من الحركة العمالية سابقة استقلال اسرائيل فى عام ١٩٤٨ بما يزيد على الثـلاثين عاما ، ففى عـام ١٩١٧ ، أعلن الاتحاد العمالى الفيديرالى الامريكى ، فى اجتماعه فى بافلو ، مساندتـه « للمطـالب الشرعية للشعب اليهـودى باقامة وطن فى فلسطين على أساس الحكم الذاتى » . وفى أكتوبر ١٩٨٢ قال « توماس دوناهيو » ، أمين صندوق الاتحـاد والمؤتمر ، ان اجتماع عـام ١٩١٧ اتخـذ قرارا يناشد الرئيس « وودرو ويلسون » بأن يطرح عنـدما يحين الوقت للتفاوض لانهـاء الحرب العالمية مواد السـلام التى تفى بحق الشعب اليهودى فى ان يكون لـه وطن . وقال « دوناهيو » « أنه كما ثبت ذلك ، لم يكن أمرا سـهلا . ولكن مع مرور عشرات السـنين من الـدم والعـرق والدموع ، التى انتهت بقيام اسرائيل ، لم تتردد مساندة الحركة العمالية الامريكيـة على الاطـلاق .. لقـد كنا ، ولا نزال ، فخورين كل الفخر بأن قيـام اسرائيل والدفاع عنها قد تـم على يد أناس مثلنا ، من النقابيين أعضاء الهيستادروت ، الذين بنوا حركة نقابية وطنية ديمقراطية ، كنقابتنا ، ثـم نجحوا فى بنـاء أمة على الاسس الراسخة للفلسفة الديمقراطية الاجتماعية التى تعلموها » .

لقد كان هناك بالطبع صلة وتحالف شبه طبيعى بين المنظمات العمالية الامريكيـة والهيستادروت التى هى اتحاد النقابات الوطنية الاسرائيلية . ولكن « جورج مينى » ، الذى ظل لفترة طويلة رئيسا للاتحاد العمالى الفيدرالى ومؤتمر

المنظمات الصناعية ، قد أوضح بعد انتخاب مناحيم بيجين ، زعيم الليكود ، رئيسا للوزراء ، أن مساندة العمال الامريكيين لاسرائيل ذهبت الى ما هو أبعد من روابطها بالهبستادورت والانحياز العمالى الاسرائيلى . وفى اجتماع الاتحاد العمالى الفيدرالى الامريكى ومؤتمر المنظمات الصناعية الذى عقد فى لوس انجيليس فى عام ١٩٧٧ ، اتخذ قرار يقول : « أن مساندتنا لاسرائيل ليست مهمة أى من الاحزاب يكون فى الحكم فى وقت معين ، انما هى مساندة متأصلة فى الاحترام العميق لتلك الانجازات الرائعة التى قامت بها تلك الدولة الصغيرة التى تعمل عبر المسيرة الديمقراطية ، كما أنها متأصلة ايضا فى اقتناعنا بأن الطريق الديمقراطى يقدم خير الامال فى التقدم والسلام لجميع بلاد تلك المنطقة » .

وعندما قام الرئيس الاسرائيلى اسحاق نافون بزيارة واشنطن فى أوائل يناير ١٩٨٣ ، فعل ما تفعله معظم الشخصيات الاسرائيلية الهامة الاخرى عندما يحضرون الى العاصمة الامريكية : لقد طلب أن يلتقى برئيس الاتحاد العمالى ومؤتمر المنظمات الصناعية ، « لين كيركلاند » ، الذى يعتبر قوة حقيقية فى واشنطن والمعروف بأنه موال قوى لاسرائيل . التقنا على مائدة الافطار بفندق شيراتون بواشنطن حيث كان ينزل الرئيس الاسرائيلى . واصطحب كيركلاند معه « دوناهيو » و « توم كاهن » مساعد رئيس الاتحاد الفيدرالى والمؤتمر ، وكان فى صحبة « نافون » السفير الاسرائيلى « موشى أرينز » ، والمستشار العمالى بالسفارة « دانى بلوخ » .. تحدثوا لاكثر من ساعة حيث استعرضوا جميع أنواع القضايا ، السياسية والعمالية .. على السواء وكان « نافون » مهتما بمعرفة كل شىء حول مشاكل البطالة فى الولايات المتحدة .... وأراد «كيركلاند» أن يعرف شيئا حول الانقسام فى حزب المعارضة العمالى فى اسرائيل بين اسحاق رابين وشيمون بيريز .

وفى العشرين من شهر يولية ١٩٨٢ قام وفد يضم ثلاثة رجال من الاتحاد العمالى الفيدرالى الامريكى ومؤتمر المنظمات الصناعية بجولة لتقصى الحقائق فى اسرائيل ولبنان .. وتضم « دوناهيو » « وكاهن » « وجون سويتى » رئيس الاتحادالدولى لموظفى الخدمات.واعتبرت النتائج التى توصلوا اليها كذريعة لاعداد المرحلة اللازمة للتأييد الموالى جدا لاسرائيل ، وهو ما قرره المجلس التنفيذى للاتحاد فى اجتماعه بنيويورك فى الخامس من أغسطس .. وجاء فى البيان الصادر عن المجلس : « فى النزاع بين اسرائيل ، من جانب ، ومنظمة التحرير الفلسطينية وسوريا ، من الجانب الآخر ، لايمكن أن نقف على الحياد ، اننا نساند اسرائيل . وعلى العالم أن يطالب منظمة التحرير الفلسطينية وسوريا بان ترحلا عن لبنان الان ، وأن تسمحا للبنانيين بالقيام بمهمة التعمير واقامة حكومة مركزية مستقلة » . واستطرد البيان يقول « أنه بتدمير منشآت منظمة التحرير التحرير الفلسطينية العسكرية ، لم تعمل اسرائيل فقط على ايجاد امكانية لبنان

حر ، بل وجهت أيضا ضربة للارهاب الدولى ، وعوقت النفوذ السوفيتى فى الشرق الاوسط ، وبذلك عززت مصالح الديمقراطيات الغربية .

قبـل اصدار هذا البيان طلب اثنان من اهم زعماء الاتحـاد العمالى ومؤتمر المنظمات الصناعية اجراء بعض التعديلات فيه لتخفيف الطابع الموالى لاسرائيل بعض الشىء .

لقد شعر كل من « ويليام وينبيسنجر » من الميكانيكيين ، و « دونالـد فريزر » من عمال مصانع السيارات المتحدة ، بالضيق من جراء القصف الجوى الاسرائيلى لمعاقل منظمة التحرير الفلسطينية فى بيروت الغربيـة فى أوائـل أغسطس . قال « براون » : فى المناقشات أثارا بعض الاسئلة . لقـد أرادا تغيير عبارات معينة . لم يكن شكا من جانبهما فى مساندتها لاسرائيل .. بل انتقدا بعضا من الاعمال التى تمت فى عمليات شارون » .... وفى النهاية تمت الموافقة بالاجماع على القرار الذى كان مع ذلك مؤيدا تماما لكل الحملـة الاسرائيلية . وفى أواسط أغسطس ألقى « وينبيسنجر » خطابا فى مأدبة عشـاء لحاملى السندات الاسرائيلية فى « سانت لويس » ، وكان مواليا لاسرائيل الى اقصى حـد .

وتفسيرا لقرار الاتحاد العمالى والمؤتمر ، قال « كيركلاند » فى مؤتمـر صحفى عقد فى الخامس من أغسطس : « اننا نأسف للخسارة التى نزلت بالارواح فى النزاع الحالى ، ونلاحظ ان جزءا كبيرا من ذلك يرجع الى أن منظمة التحرير الفلسطينية قد دابت على تخزين أسلحتها بالمدارس والمستشفيات ، وغيرها من المرافق العامة ، وفى المناطق المدنية ، وأنها تمسك بالمدنيين فى بيروت الغربية كرهائن » . واضاف « كيركلاند » : ونود أن نشير الى أنه فى غياب اى عمـل فى زحف اسرائيل على لبنان ، وقعت مذابح بالجملة خلال السنوات السبع فى لبنان على يد السوريين ومنظمة التحرير الفلسطينية ، ولم يثر ذلك اية صيحة فى العالم ، أو حتى يسترع اهتمام الامم المتحدة ، ان تلك المذابح والاضرار تجعل تقدير أى شخص للخسائر المدنية تبدو أصغر بكثير من حقيقتها .

وحتى بعد صابرا وشاتيلا صمد الاتحاد العمالى الفيدرالى الامريكى والمؤتمر فى الدفاع عن اسرائيل . وفى الرابع والعشرين من سبتمبر شجب « كيركلاند » المذابح .. قائلا : « انه فصل آخر رهيب فى المأساة المستمرة من النزاع المدنى الذى راح ضحيته مائة الف شخص فى لبنان فى السنوات العشر الماضية ، ان ما أثارته من رد فعل عالمى يجب ان يتحول ضد الارهاب الشرير الذى كان السمـة المميزة للنزاع فى الشرق الاوسط ، والذى إعتنقته منظمة التحـرير الفلسطينية ومؤيدوها كتكنيك سياسى ملائم لهم » .

وبعد أن طالب « كيركلاند » باجراء « تحقيق موضوعى غير متحيز » أضاف: « ان ما هو اهم ، اذا لم تكرر هذه المآسى ، هو التقدم سريعا نحو تعمير لبنان ، واقامة حكومة مركزية مستقلة وثابتة قادرة على حفظ النظام والامن العام » .

فى العاشر من اكتوبر كان « كيركلاند » ضيفا فى البرنامج التليفزيونى الامريكى « واجـــه الامة » ، وســئل عما اذا كانت المذابح قد غيرت موقفه من دخـــول أسرائيل لبنان ، فأجـــاب : « كلا . اننا نعتقد بأنه لـــه ما يبرره ، فقـــد كانت منظمة التحـــرير الفلسطينية والسوريون قد أخذوا يســـتولون على لبنـــان ويتخـــذون منها قاعدة لهجماتهم على اسرائيل ، لذلك كان هنـــاك ما يبرر هجـــوم الاسرائيليين سواء فى القانون الدولى أو فى نطـــاق واقـــع حاجتهم للدفاع عن النفس » .

وقد كان التضامن مع اسرائيل مهما فى مجالات أخرى طوال السنين ، ان للحركة العمالية الامريكية أصدقاء عديدين فى مجلس الشيوخ الامريكى ومجلس النواب . وكانوا عادة يؤيدون المساعدة الاقتصادية والعسكرية لاسرائيل . وخلال المناقشات التى جرت فى عام ١٩٧٨ حول صفقة ادارة كارتر ببيع طائرات « اف ــ ١٥ » للسعوديه ، وقف المجلس التنفيذى للاتحاد الفيدرالى يعارض بشدة تلك الصفقة .. قائلا : « انه الى جانب موضوع مصداقية الولايات المتحـــدة ، تثير صفقة الاسلحة تساؤلات اضافية حول حكمة السياسة الامريكيه . ولسوء الحظ ، ان مصادقيتنا كوسطاء لن يعززها ما نطلب من تنـــازلات من جانب واحد فقط ، أى اسرائيل ، أو عدم الوفاء بوعودنا لاسرائيل ، أو تزويد أعداء اسرائيل بالاسلحة كحافز للسلام ، ان من المحتمل أن تؤدى سياستنا الحالية الى زيادة تعنت العرب ، كما تزيد من شكوك اسرائيل فى نوايا الولايات المتحدة ومدى الاعتماد عليها » .

وعاد الاتحاد الفيدرالى يحمل على قيام ادارة ريجـــان فى عـــام ١٩٨١ ببيع طائرات « اواكس » للسعودية . وكان « تيرنر » ، رئيس المهندســـين العاملين ، نشيطا وفعالا فى اثارة المعارضة ضـــد الصفقة ، وان كانت قـــد تمت الموافقة عليها فى مجلس الشـــيوخ بأغلبية اثنين وخمسين صوتا ضـــد ثمانية واربعين .

وكذلك قام « دانى بلوخ » ، المراسل السياسى السابق لصحيفه «دافار» التى يمتلكها الهيستادروت ، والذى كان يعمل كمستشار عمالى بالســـــفارة الاسرائيلية فى واشنطن ، فأكد حملة النقـــد التى قامت بها الحركـــة العمالية الامريكية لصالح اسرائيل ، وفى لقاء له معى اشار الى الجهود الشاقة للمساعدة وقال لى انه فى الاجتماع الذى عقدته الامانة الدولية لعمال النسيج فى اليابـــان

فى عام ١٩٨٢ ، امتزج بعض المندوبين نقل الاجتماع المقرر عقده فى اسرائيل فى عام ١٩٨٤ الى احدى دول اوروبا الغربية .. لقد أعربوا عن خوفهم من انـــــه لو عقد الاجتماع فى اسرائيل فقد يفسر ذلك بانه تأييد لحكومة بيجين ، وعارض هذه المحاولة بشدة « سول شيكين » ، رئيس الاتحاد الدولى للابس السيدات»، الذى يتبع الاتحاد الفيدرالى الامريكى ، وتحقق له الفوز بأغلبية ست أصوات ضد خمسة .

وقد كانت هناك فى السنوات الاخيرة جهود مكثفة من جانب العـــــرب والمجموعات الموالية للعرب لاضعاف تأييد العمال الامريكيين لاسرائيل .. ولكنها على الاغلب لم تحقق نجاحا كبيرا .. والاستثناء الوحيد كان مع « العمـــــال المتحدة فى صناعة السيارات » ، ويرجع ذلك أساسا الى وجود عدد كبير من أعضائه فى منطقة ديترويت ممن ينتمون الى اصل عربى · وفى كندا حقق العرب نجاحا أكبر ، فقد اتخذ اتحاد العمل فى أونتاريو قرارا فى عـــام ١٩٨٢ يعلنون فيه أن منظمة التحرير الفلسطينية هى الممثل الشرعى للشعب الفلسطينى .. ولكن خلال أيام الغى مؤتمر العمل الكندى ذلك القرار .

وكما يقول المسئولون الاسرائيليون ومؤيدوهم فى منظمات العمل الامريكية ازدادت الضغوط لاقتصاد الولايات المتحدة عن اسرائيل ·· وكانت الجهود من كل حدب وصوب . لقد كانت هناك على سبيل المثال بعض التوترات والشـــــد الخطير خلال المناقشات حول منطقة التجارة الحرة التى كانت النقابات تعترض عليها .. كانوا يخشون ضياع فرص العمل للامريكيين . ويقول موظفو السفارة الاسرائيلية ان عواقب تفتيت مساندة اسرائيل فى الاتحاد العمالى الفيدرالى الامريكى ، وغيره من النقابات العمالية الامريكية الهامة ، ستكون بمثابة الكارثة لمركز اسرائيل فى الولايات المتحدة .

وكما قالت جولدا مائير قبل موتها بقليل كان « جورج مينى » من بين من لجأت اليه طلبا للمساعدة عندما تعرضت اسرائيل للعناء والقلق العميق فى عام ١٩٧٣ عندما اقتحمت الجيوش السورية والمصرية سيناء ومرتفعات الجولان .. ثم : « لا أظنه يعلم ، لاننى لست ادرى كيف اقولها ، ما الذى يعنيـــه سماعى لصوته. ان الذى يعنيه هو أن يعلم ما الذى يحدث هناك فى الجنوب ، أن يعـــلم ويعتقد ويؤمن أننا سنخرج من الموقف بسلام، ولكن فى نفس الوقت يضحى الاولاد بارواحهم دون سبب » ... وبالطبع ، استمع « مينى » ، كغيره ممن ســـبقوه ومن جاء بعده الى ذلك النداء ، وسرعان ما استجاب له .

السـود

هناك الانباء الطيبة والانباء السيئة فى الوضع الحالى القائم للعلاقات بين الطائفة اليهودية وطائفة السود فى الولايات المتحدة ، والانباء السيئة التى روج لها بصورة واسعة خلال حملة جيس جاكسون الفاشلة للحصول على ترشيح الحزب الديمقراطى لانتخابات الرئاسة ـ تمثلت فى اسـتمرار مصـادر التوتر الواضح بشـأن سلسلة كاملة من القضايا : ـ الشرق الاوسط ، والعمـل الايجابى والعلاقات الاسرائيلية مع جنوب افريقيا ومسائل اخرى . وتتمثـل الانباء الطيبة فى أن الزعماء الموثوق بهم من كلا الجانبين وبصفة خاصة مسئولى الحكومة المنتخبين ، يناقشون هذه المشاكل الحقيقية بأسـلوب جاد ورزين ، يرأودهم الامل فى احياء التحالف التاريخى الوثيق الصلة بين الطائفتين .

ومما لا شك فيه أن كثيرا من العقبات مازال يعترض الطريق لحل كافـة هذه الخلافات وازالة المشاعر غير الودية التى تولدت خلال السنوات الاخيرة . غير أن هناك ما يبدو رغبة صادقة للقيام بشىء ما بصدد هذه الخلافات قبل ان تصبح فى وضع يتعذر معه السيطرة عليها . وقد حاول جاكسون فى خطابـه الذى القاه امام المؤتمر القومى للحزب الديمقراطى فى سان فرانسيسكو عام ١٩٨٤ ، حاول من جانبه وبصورة واضحة ، رب الصدع الحالى مع الطائفة اليهودية . اذ اعلن أن « المشاعر فى كلا الجانبين قد أصيب بالضرر ، وهناك ازمة فى وسائل الاتصال . وتعم الفوضى من غير اساس ، غير أننا لا يمكن ان نضل طريقنا .وربما نتفق على الاختلاف بشأن بعض المسائل ، غير اننا يجب أن نتخلى بالكياسة بدلا من التوتر » . ثم مضى يقـول « ان كنت فى احـلك اللحظات التى مرت بى ، قد تسببت فى خلق استياء بكلمة أو تصرف أو موقف من خلال خطأ ما فى المزاج او اللهجة وسبب ذلك الما او أحيى مخاوف شخص ما، فان ذلك لم يكن قصدى » .

وأشار جاكسون الى الروابط التاريخية بين السود واليهود وبصـفة خاصة فى مجال حركة الحقوق المدنية ، فقال : « اننا شركاء فى تاريخ دينى طويل وعريق يتمثل فى التقاليد اليهودية ــ المسيحية . ويتحلى عدد كبير من السود واليهود بعاطفة مشتركة تستهدف العـدالة الاجتماعية فى الداخل والسلام فى الخارج ، ويتعين علينا السعى لاحياء هذه الروح بوحى نظـرة جديدة وامكانات جديدة ، كما يتعين علينا العودة الى المعتقدات الاسمى» .

واضاف الزعيم الاسود « اننا مرتبطون بالدكتور مارتن لوثر كينج جى . آر ، والحاخام ابراهام هيشيل ، اللذين يصرخان فينا من قبريهما لنتوصـل الى اساس مشترك . ونحن مرتبطون بالدماء المشتركة والتضحيات المشتركة

كذلك واننا لانكياء ... ومرتبطون بشــكل وثيق جــدا بالتراث اليهــودى المسيحى . كما اننا ضحايا الى حد كبير كبير كبير للغاية للتمييز العنصــرى والتحيز للنوع والتسلط العسكرى ومعاداة السامية ومهددون بصورة مروعة بصفتنا كبش فداء على مدى التاريخ لنظل منقسمين كل منا على الاخر .

« انه يجب علينا أن نوحد صفوفنا بدلا من أن نفرقها ، كمــا يجب أن نتقاسم اعباءنا ولفراحنا من جديد . ويجب أن نسعى لبعضنا البعض وليس ضد بعضنا بعضا » .

بيد انه حتى فى الوقت الذى سعى فيه جاكسون لتخفيف حــدة التوتر فان آخرين فى طائفة السود ، بقيادة الزعيم المسلم لويس فاراخان ، واصلوا العمل على تدهور الامور .

ففى الثلاثين من شهر يوليو عام ١٩٨٤ ، ظهر فارخان أمام نادى الصحافة القومى فى واشنطن . وعاد من جديد تصريحاته المعادية للســامية ، التى توانى جاكســون بصورة واضحة فى ادانتها فى وقت سابق .

وقال فاراخان أمام نادى الصحافة ان اسرائيل لم تعرف السلام حلال « اربعين عاما ولن تنال السلام لانه لا يمكن أن يكون هناك سلام يقوم على أساس الظلم والكذب والسرقة والاستخدام المخادع لاسم الله لحماية ديتكم وممارساتكم القذرة تحت اسم الجلالة » . وكان بالطبع قد اشار فى وقت سابق الى اليهودية على أنها « ديانة وضيعة » ووصف انشاء دولة اسرائيل على أنه « عمل غير شرعى » .

واعترف هنرى واكســمان عضــو الكونجرس من ولايــة كاليفورنيا بالتوترات المستمرة فى العلاقات بين السود واليهود وبصفة خاصة كما ظهرت اثناء صياغة برنامج الحزب الديمقراطى ، اذ قال « اننى لا أريد أن أكون مفرطا فى التفاؤل . فهناك عداء صريح للغاية بين بعض السود ليس تجــاه اسرائيل فحسب بل تجاه اليهود الامريكيين أيضا » .

وكتب واكسمان فى صحيفة « بناى بيرث ميسنجر » فى لوس انجيليس يقول ان معارضة كثيرين من السود ادانة فاراخانى هو رمز لهذه العداوة ولك ان تتخيل رد الفعل الذى يمكن ان يحدث اذا أشار أى شخص يمت بصله الى سياسى كبير من البيض الى المسيحيــة على أنهــا « ديــانة قذرة » أو « ديانة وضيعة » .

غير أن واكسمان مثله مثل الكثيرين من الاعضاء اليهود فى الكونجرس الذين حافظوا بصورة تقليدية على تحالف قوى للغاية مع زملائهم السود ، اسرع بالاشارة الى مجالات متعددة يتقاسم اليهود والسود فيها نفس المصالح

الأساسية ، كما أشار أعضاء يهود آخرون من الكونجرس ينتمون الى الحزب الديمقراطى ، ومن بينهم بارنى فرانك من ولاية ماساشوستش وهوارد وولب من ولاية ميتشجان الى نفس الخاصية . وقال وولب رئيس اللجنة الفرعية الخاصة بافريقيا فى لجنة العلاقات الخارجية التابعة لمجلس النواب ، وهو معارض صريح لنظام التفرقة العنصرية فى جنوب افريقيا « يجب على السود واليهود توحيد صفوفهم لاننا ندرك ما يعنيه ان نقف بمفردنا وان يحتل السود واليهود ، بسبب تجربتنا المشتركة فى التغلب على حواجز التحيز والعزلة الاجتماعية ، أن يحتلوا مكانة فردية للتأثير بطريقة انسانية وايجابية على القرارات التى تؤثر علينا جميعا على المستويات المحلية والوطنية والدولية » .

وحاول فرانك دحض القول الخاص بأن طائفة السود والطائفة اليهودية قد اصبحتا على طرفى نقيض بأن قال ان « تأييد السود فى الكونجرس لسياسة أمريكا المؤيدة لدولة اسرائيل قد ظل تأييدا شديدا . كما ظلت معارضة اليهود لسياسة الاضطهاد السائد فى جنوب افريقيا قوية بصورة مماثلة لتأييد معظم الاعضاء اليهود لاتخاذ اجراء صارم ضد التفرقة العنصرية التى مازالت تبتلى بها أمتنا . ويشترك السود واليهود فى مجلس النواب فى التزام يقضى بحماية مذهب التعددية لما يحمل فى طياته من أهمية كبيرة لجماعات الاقلية » .

واكدت واقعة أن وولب كان يتحدث خلال احتجاج لهيئة الحاخامات فى فلادلفيا لتكريم عضو الكونجرس الديمقراطى بيل جراى ، الذى ينتمى الى طائفة السود والمؤيد لاسرائيل منذ فترة طويلة ، على العلاقات الوثيقة القائمة بين السود واليهود فى مجلس النواب ، وفى مجلس النواب ، لا يقف جراى ، بين السود ، بمفرده . فزميله ميكى ليلاند الديمقراطى عن ولاية تكساس على سبيل المثال يرعى برنامجا صيفيا شتويا لارسال الشباب السود من هيوستون الى اسرائيل للعمل فى المزارع الجماعية اليهودية (الكيبوتز) .

ووجه وولب فى خطابه بعض اللوم للطائفة اليهودية لحدوث التوتر الحالى بين السود واليهود . وقال « اننى جئت لاوكد هذا المساء على اهمية توصل اليهود الى تفاهم مع عرقيتنا الخاصة ، لاننى اعتقد ان هذه المسألة تقع فى صميم التوترات المعاصرة بين طائفة السود والطائفة اليهودية . وان مايتجاهله اليهود ولا يستطيع السود نسيانه مطلقا هو اننا ايضا من البيض وكنا تاريخيا جزءا من المشكلة كما كنا جزءا من الحل .. وان هدف هذا المساء ليس تشويه المساهمات الهامة التى بذلها اليهود الامريكيون فى النضال من أجل الحقوق المدنية فى الولايات المتحدة بل لاقتراح اذا كنا نريد ازالة التوترات المتزايدة بين السود واليهود فيجب أن نبحث عنصريتنا الخاصة .

ومضى وولب فى حثه طائفة السود « للاعتراف بسياستهم المعادية للسامية اللاعقلانية والهدامة ومواجهتها . وأهم ما يجب ادراكه فى جوهر هذه المواجهة

هو ان مجرد اطلاق شعارات والقيام بتصرفات معينة هي اشارات خطر للسود الذين يتبنون موقفا معاديا للسود ، وينطبق نفس الشيء على أحاسيس اليهود

وقد اظهرت استطلاعات الرأى العام ان السود واليهود يتفقون فى الرأى تجاه طائفة من القضايا الهامة تتسم بالحساسية ٠

وقال مستطلع الراى لويس هاريس ، خلال خطاب له امام اجتماع لرابطة بنادى بريث المناهضة للتشهير عام ١٩٨٤ ، ان هناك اتفاقا جوهريا بين السود واليهود حتى ان جاكسون « قد ارتكب خطأ عندما ادلى بملاحظته المهينه » . وهى اشارة الى افتراء جاكسون ضد اليهود الذى روج له بصورة كبيرة عام ١٩٨٤ . ووفقا لهاريس فان ستة وسبعين فى المائة من اليهود قد أدانوا هذا البيان ، بينما عارضه ثمانية وخمسون فى المائة من السود ٠

ومضى هاريس يقـــول « ان اليهــــود متعاطفون اكثر من تعاطف معظمهم الامريكيين من غير السود ، مع طموحات السود فى تحقيق المساواة : بيد انه اضاف قوله « أن نقطة الخلاف بين السود واليهود فى الواقع تتمثل فى تقييم ايجابا : وسلبا لجيسى جاكسون . وان أكثر ما يزعج اليهـــود بشأن جيسى جاكسون هو قلقهم بأنه قد أدلى بتصريحات تبـــــدو لهم انعكاســـــا لمعاداة السامية .. وان التحدى لا يكمن فى مراكمة الاحداث والبيانات بل مواجهتهـــا بأمانة وايجاد سبيل لتخفيف مضامينها » .

وقد اتفق « فيرتون ايه جوردان الرئيس السابق للرابطة القومية الحضرية مع هاريس فى هذا الراى » .

وعرض جوردان خلال القائه خطابا امام لجنة اليهود الامريكيين ، حلا لتخفيف هذا التوتر ، اذ قال « برغم اليأس السائد عن تدهور العلاقات بين السود واليهود او عدم انصاف المدركات الحسية التى يكنها اليهود والسود لبعضهما البعض ، فان علينا أن ننظر للموقف الحالى على انه فرصة لاعــــادة بناء علاقة خالية من الرومانتيكية والطريقة الابوية التى ســـــادت فى الماضى بمشاركة صحية ومتساوية تقوم على الاقدام والتفاهم المتبادل » .

وقد اعترف جوردان بأن الطائفتين على وشك الاختلاف فى العمل الايجابى غير أنه حث اليهود على اعادة النظر ، وبصفة خاصة فى القيادة التنظيمية . وتساءل « كيف يمكن أن تستفيد الطائفة اليهودية من ادارتها لمنظماتها مثلها مثل الاشخاص المستهدفين فى قضية يختلف بشأنها اليهود انفسهم ؟ وما هى الفائدة الملموسة التى تعدد على اللجنة اليهودية الامريكية ، على سبيل المثال ، من وراءرعايتها وارتباطها بجريدة كومنترى ، وهى جريدة ناطقة بلسان المبادىءالمحافظة المتطرفة التى تعكس آراء اللجنة اليهودية الامريكية او آراء اعضائها بصورة لاتقل عن الطائفة اليهودية ككل » .

ومما يتعلق باسرائيل ، حث الزعيم الاسود ايضـا الطائفة اليهودية بان تكون اكثر اتسـاعا تجاه الانتقاد ، قال « انني ثابت على المبـدا في تأييد اسرائيـل ومعارضة الارهابيين الذين يريدون تدمير اسرائيـل ، سواء كانوا سفاحين مثـل منظمة التحرير الفلسـطينية او حكاما مستبدين وحشـيين مثـل اولئـك الموجودين في ليبيا وسوريا وايران واماكن مماثلة . غير ان نقطة الخـلاف تتمثـل في وحدة القيـاس التي ينظر بهـا للتاييد لسياسات الحكومة الحالية على انه اختبـار للمصـالحة بين السود واليهود . وانني ساحاول البرهنـة على ضرورة ان يكون هـذا الاختبار اوسع مدى ، فاذا كان السود يرغبون في التغاضي عن العداوة للعمل الايجابي في اعـادة بناء تحالفنا ، فيتعين على اليهود تبول نطـاق اوسـع من الآراء عـن اسرائيل ايضـا » .

وكانت اهم رسـالة وجهها جوردان هي انه يجب على السود واليهود « الحذر من الحكم على بعضهما البعض كجماعات على مجرد اساس تصريحات يدلي بهـا افراد . فمن الانفضـل اخلاقيا ، القول ان اليهود يعارضون السود لان بعض اليهود يعارضون العمل الايجابي .كما انه من الكريه اخلاقيا القول ان السود معادون للساميـة بسـبب ان يكون بعض السود قد ادلى بتصريح معاد لليهود او معاد لاسرائيل » .

وانعكاسا لراي طائفة كبـيرة من اليهود الليبراليين ، قال هوارد فريدمان رئيس اللجنـة اليهودية الامريكية ، ان « وضـع العلاقات بين السود واليهود في هـذا البـلد هو اقوى ، على الرغـم من وجود بعض الخلافات في الراي ، مما يوحي بـه الادراك العام » . وحمل هوارد فريدمان وسـائل الاعـلام مسئولية تعزيز الفكرة الخاصة بوجود توتر بين الطائفتين ، وقال ان « القوى التي توحد بيننا اقـوى من تلك التي تفرق بيننا . واننا ندين بذلك للاحساس المشترك بالقيم المشركة والتجارب المشـتركة بعدم السماح للقوى المسببة للخلاف ان تتغلب على القوى الموحدة » .

وقـد شارك في هـذا الموقف ايضا الحاخام الكسندر شيندلر ، رئيس اتحاد الطوائف اليهودية الامريكيـة (الاصلاح) ، الذي القى خطابا مثـيرا للمشاعر احتفالا بالذكرى العشرين لاغتيـال ثلاثة مـن العمال المنـاصرين للحقوق المدنية في مسيسيبي . وكان اثنان من بينهم وهما مايكل سـيفيرز واندرو جودمان ، من اليهود ، والثالث وهـو جيمس شاني كان من السود . وقال شيندلر « لقد كانوا شبابا ، بشرتهم مختلفة غير ان روابط الضـمير المشترك الفت بين قلوبهم . وهم ان كانوا يعتنقون عقائد مختلفـة ومتباعدة ، غـير انهما اشتركوا في نفس التصـميم الجبار على مقاومة القمع وتوسيع نطاق الحرية . ولهذا لم يفرق القتلة بينهم فقتلوهم جميعا » .

وكان كثير من الزعماء السود المنتخبين ، ومن بينهم العمد ، توم برادلى عن لوس انجيليس ، وكولمان يونج عن ديترويت ، وهارولد واشنطن عن شيكاغو ، وويلسون جودى عن فلادلفيا ، فى الطليعة لتذكير الاخرين بهذه الروابط الفريدة بين السود واليهود . وقد حظيت حملاتهم طوال سنوات بمساعدات كبيرة من جانب الناخبين اليهود . وقد سعوا سرا بصورة فعالة لرأب الصدع الذى حدث خلال حملة ترشيح جاكسون . وتلقوا تأييدا من جانب تشارلس رانجيل عضو الكونجرس الديمقراطى عن ولاية نيويورك .

غير أن زعماء سود آخرين لا يزالون يواصلون ازعاج الطائفة اليهودية ، وبصفة خاصة بسبب مواقفهم تجاه اسرائيل . ومن بين هذه الفئة ريتشارد هاتشر عمدة جارى بولاية انديانا ، ووالتر فاونتروى عضو مجلس النواب عن ولاية كولومبيا ، واعضاء الكونجرس الديمقراطى جورج كروكيت وجون كونيارز عن ميتشجان وميرفين ريمالى عن كاليفورنيا .

ولم يكن مجرد مصادفة ان يخصص عدد شتاء ١٩٨١ من المجلة الفصلية جورنال أوف بالبستاين ستاديز (جريدة الدراسات الفلسطينية) التى يصدرها معهد الدراسات الفلسطينية فى بيروت بالاشتراك مع جامعة الكويت ، على وجه الحصر لبحث موقف « السود الامريكيين من مشكلة فلسطين » .

وخلال السنوات الاخيرة ، وبصفة خاصة فى أعقاب استقالة اندرو يانج سفير الولايات المتحدة لدى الامم المتحدة الاضطرارية التى جاءت نتيجة اجتماع لم يكن مصرحا به مع منظمة التحرير الفلسطينية فى نيويورك ، قامت الدول العربية ومؤيدوها بمحاولة كبيرة لجذب اتباع من السود فى الولايات المتحدة . وفى نفس الوقت حاولوا دق أسفين بين السود واليهود فى أمريكا .

وردد البروفيسور رونالد و . والترز من جامعة هوارد فى واشنطن ، فى المقال الرئيسى الذى كتبه فى المجلة الفصلية ، الموضوع المألوف الذى ردده خلال وقت استقالة يانج ، جيمس جاكسون ووالتر فاونترى والقس جوزيف لويرى من اتحاد القيادة المسيحية الجنوبية — وأبدى والترز ضيقه بصفة خاصة من ان كبقية مبالغ كبيرة من المساعدات المالية الامريكية للشرق الاوسط هى « من أموال الضرائب المفروضة على السود » . وقال ان السود يواجهون رهانا كبيرا فى الشرق الاوسط بسبب انه « فى نفس الوقت يجرى تقليص برامج الانفاق المحلية مثل الاموال المخصصة لبعض الوظائف ، بسبب نقص الراسمال الكافى لذلك .

وفى الوقت الذى كان يتلقى فيه العديد من أعضاء الكونجرس هذا العدد من المجلة الفصلية ، كان مؤتمر فلسطين بشمال امريكا يدعو اعضاء مجلس النواب ومجلس الشيوخ لعقد مؤتمر عن « الانعكاسات المحلية لازمة

الشرق الاوسط والسياسة الامريكية » . وقد تضمن خطاب الدعوة هذا التحذير : « تؤثر أزمة الشرق الأوسط على نمو ينذر بكارثة على واقع حياتنا اليومية » بدءا من أسعار الطاقة الى التهديد بنشوب نزاع عسكرى وامكانية خوض القوات الامريكية مرة أخرى حربا أجنبية ، الى الأسلحة الضخمة وبرامج المساعدات التى تستنزف ميزانية معدة بالفعل بصورة غير كافية لتلبية الحاجات الملحة لمجتمعات السود » .

ووقع فاونتروى ، الذى اجتمع مع ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية خلال زيارة اتحاد القيادة المسيحية الجنوبية ببيروت بعد فترة قصيرة من استقالة يانج ، وقع على خطاب مرفق يقول « كافة الملتزمين بالسلام العالمى عن طريق مبدأ اللاعنف مدعوون لحضور » الاجتماع فى مبنى رايبورن هاوس أوفيس وقال ان المناقشة التى ستجرى حول المائدة المستديرة سوف « تركز اهتمامها على استراتيجيات تقليل حدة التوتر فى الشرق الأوسط المضطرب والانعكاسات المحلية لعملية صنع القرار الأمريكى على تطور السياسة الخارجية » . وقد بدا أن توقيع فاونتروى كان يحمل بعض الاهمية الاضافية ، حيث كان حينئذ يرأس مجموعة السود فى الكونجرس .

وكان فاونتروى وتاتشر ولورى من ناحية أخرى من بين الذين وقعوا على برقية غاضبة ارسلت للسفير الاسرائيلى افراييم افرون فى فبراير عام ١٩٨١ ، تدعو اسرائيل لاعادة اثنين من عمد الضفة الغربية وهما ، محمد ملحم عمدة حلحول وفهد القواسمة عمدة الخليل الذين تم استبعادهما وقد صاغ هذه البرقية الدكتور جيمس زغبى ، رئيس حملة الحقوق الانسانية للفلسطينيين ، التى تتخذ من واشنطن مقرا لها . وكان من بين الآخرين الذين وقعوا على البرقية كونيارز عضو مجلس النواب عن ولاية ميتشجان والحاخام رالف ابيرناثى . ووقعت على البرقية أيضا القائمة المألوفة للمتحدثين الموالين لمنظمة التحرير الفلسطينية فى واشنطن ، التى تضم السناتور السابق جيمس ابو رزق عن ولاية ثاوث داكوتا وعضو مجلس النواب الجمهورى بول فيندلى عن ولاية ايلينوى .

وحذروا قائلين « اننا الامريكيين المهتمين بحقوق الانسان والسلام لا يمكن أن نظل صامتين فى مواجهة هذا التحدى الشديد » .

ومع ذلك ، وبرغم هذه الحوادث ، قوبلت جهود بث الشقاق داخل الائتلاف الليبرالى التقليدى بين السود واليهود فى مبنى الكابيتول هيل (الكونجرس الامريكى) بنتائج متفاوتة فحسب . ولا تزال العلاقات بين الاعضاء السود واليهود فى مجلس النواب علاقة وثيقة .

وعلق عضو مجلس النواب الديمقراطى ستيفى سولارز عن ولاية نيويورك خلال مقابلة معى ، قائلا انه « برغم كافة التوترات التى قد تنشأ بين اليهود

والسود فى البلاد ككل ، فان هناك علاقة وثيقة الصلة ـ ومدعمة على نحو مشترك ، بشأن مجموعة واسعة من المسائل القائمة بين اليهود والسود فى الكونجرس · وعلى العموم يساند السود اسرائيل بقوة ، ويساند اليهود بقوة موقف السود عن المشكلة الافريقية » ·

وكان حديث سولارز يتضمن نوعا ما من الخبرة حول هذا الموضوع ، حيث كان يشغل سابقا منصب رئيس اللجنة الفرعية الخاصة بشئون أفريقيا التابعة للجنة الشئون الخارجية لمجلس النواب · ويتخذ سولارز ، بين اعضاء مجلس النواب اليهود ، موقفا مؤيدا للغاية تجاه المسائل التى تلقى اهتماما من جانب اليهود ، وبصفة خاصة اسرائيل ويعلم أعضاء مجلس النواب السود جيدا أنه يهودى ·

وقال « ان احدى الاشياء التى حاولت اظهارها حينما كنت رئيسا للجنة الفرعية ، هى انه لايتعين عليك أن تكون أسودا لتؤيد العدالة العرقية فى افريقيا ، ولا يتعين عليك أن تكون يهوديا لتؤيد أمن دولة اسرائيل » .

والسود فى الكونجرس لايهتمون كثيرا بمسالة تختص بالشرق الاوسط . فأولويات اهتمامهم فى مكان آخر ، مثل الناخبين فى دوائرهم الانتخابية . واظهرت استطلاعات الرأى العام التى جرت مؤخرا ان الصراع العربى الاسرائيلى لايمثل قضية خطيرة للغاية بالنسبة للسود ، فهم مهتمون أكثر بالبرامج المحلية للصحة والتعليم والعدالة الاجتماعية . وفشل المؤيدون للفلسطينيين فى واشنطن ، فى اغلب الاحوال ، فى جهودهم المكثفة لاقناع المشرعين السود فى الاشتراك بصورة اكبر فى تبنى موقف معاد لاسرائيل . ولم تصل العلاقة المباشرة بين تأييد الولايات المتحدة لاسرائيل والظروف الاقتصادية للسود فى أمريكا ، لمعظم السود .

بل لم تصادف الحملة الرامية لاثارة مسائل أخرى متصلة بصورة هامشية ، مثل المعاملة التى يلقاها مايسمى باليهود السود فى اسرائيل أو علاقات اسرائيل التجارية مع جنوب افريقيا ، أى نجاح كبير · فقد قامت القيادة اليهودية المنظمة مع عدد كبير من السود الذين أيدوا اسرائيل فى الماضى ، بخطوات منظمة لمكافحة هذه الجهود . وترأس بايارد روستين من معهد أيه . فيليب راندولوف ، ورون براون من اتحاد العمال الامريكى ومؤتمر المنظمات الصناعية وفدا من الشخصيات السود البارزة فى زيارة لاسرائيل عقب فترة قصيرة من مهمة لوارى ـ فاونتروى فى الشرق الاوسط .

وفى ٢٤ فبراير عام ١٩٨١ اصدر مناحيم بيجين رئيس الوزراء امرا له « أسبقية قصوى » لمنع تكرار اية مضايقة للزائرين السود القادمين لاسرائيل .

وكان بعض السود ، الذين اشتبه فى اعتزامهم الانضمام الى اليهود السود فى ديمونا ، قد تعرضوا فى وقت سابق لمعاملة اقل احتراما من جانب ضباط حرس الحدود فى مطار بن جوريون ·

ويعترف الزعماء السود المسئولون فى واشنطن بأن اية مواجهة خطيرة مع الطائفة اليهودية بشأن اسرائيل لن تكون ، على نحو واضح ، من المصلحة الأفضل لهم بصورة عامة . وحتى فى وقت حدوث أزمة اندرويانج ، اتخذ معظم السود قرارا محدودا للتخفيف من الازمة ، وذلك تجنبا لطريق الصدام .

وطوال السنوات ، كرست القيادة اليهودية قدرا كبيرا من جهودها لاقامة نوع ما من الصداقية مع نظيرتها السود ، ففى واشنطن بذل ممثلو المنظمات اليهودية الكبرى ، ومن بينهم الحاخام ديفيد سابير شتين من اتحاد الطوائف اليهودية الامريكية وهيمان بوكيندر من اللجنة اليهودية الامريكية ، وديفيد برودى من رابطة بناى بريث المناهضة للتشهير ، ووارين آيسنبيرج من مجلس بناى بريث الدولى وسارة ايهرمات من اللجنة الامريكية الاسرائيلية لشئون العامة AIPAC جهودا مضنية لاقامة علاقة طيبة مع المجموعة البرلمانية للسود فى الكونجرس .

ولم يكن غريبا أيضا أن تزرع اللجنة الخاصة باقامة غابة تذكارية للدكتور مارتن لوثر كينج جى . آر ، فى اسرائيل حوالى مائة الف شجرة على جانب التل فى الجليل، وتضم اللجنة بين أعضائها جميع الاعضاء السود واليهود فى مجلس النواب . ويتناوب رئاستها كل من عضوى مجلس النواب الديمقراطيين كرديس كولينز وسيدلى بيتس عن ولاية الينوى . ويرسل عمدة القدس تيدى كوليك سنويا رسالة تكريما للدكتور كينج عمدة واشنطن ماريون بارى . وقال كوليك فى رسالته عام ١٩٨٠ : « حتى فى ذكرى الدكتور مارتن لوثر كينج جى . آر ، فان شعب القدس مع المقاتلين فى كل مكان من أجل الحرية والكرامة الانسانية ، نقدم من جديد البيعة لعملاق بين الرجال » . وقد تضمنت تلك الرسالة تصريحات أدلى بها الدكتور كينج قبل اغتياله بعشرة أيام فقط أعلن فيها أن : « اسرائيل هى احدى المعاقل العظمى للديمقراطية فى العالم ، ومثل رائع لما يمكن أن يحدث فى كيفية تحويل الارض الصحراوية الى واحة للاخاء والديمقراطية » .

ويدرك الزعماء اليهود ، بالمناسبة ، انه يتعين عليهم أيضا اقامة تحالف مع المجموعة البرلمانية الاسبانية . فروبرت جارسيا عضو مجلس النواب الديمقراطية من برونكس ، هو أحد الموالين لاسرائيل . كما أن كثيرين من زملائه ومن بينهم عضوا الحزب الديمقراطية هنرى بى جونزاليز من تكساس وادوارد رويبال من كاليفورنيا هم أيضا أصدقاء لاسرائيل .

ويلعب أفضل أصدقاء اسرائيل فى اللجنة اليوهدية الامريكية ومبنى الكابيتول هيل دائما دورا حيويا فى محاولة تدعيم مصالح اسرائيل الدبلوماسية فى أنحاء العالم . وقد بدا ذلك جليا فى عام ١٩٨٣ فى المحاولة الاسرائيلية الدؤوب لاقامة علاقات دبلوماسية مع الحكومة الاشتراكية الجديدة فى أسبانيا . وكانت أسبانيا حتى ذلك الوقت الدولة الوحيدة فى أوروبا الغربية التى رفضت باباء الاعتراف

باسرائيل . بل ان اليونان وتركيا تربطهما دبلوماسية رسمية مع اسرائيل ، برغم أن تلك العلاقات لاتصل الى مستوى السفراء . والبرتغال الدولة المجاورة لاسبانيا من ناحية المغرب ، تربطها أيضا علاقات كاملة باسرائيل . وكانت هناك ضغوط على اسبانيا من جانب الكابيتول هيل ومن جانب شخصيات من بينها جارسيا وأعضاء المجموعة البرلمانية الاسبانية (العشرة) . وقد قدموا الى رئيس الوزراء الاسبانى خطابا بهذا الخصوص .

وجاء فى هذا الخطاب « ان انتخابكم مؤخرا انما يدل على تغيير ايجابى لصالح الشعب والحكومة الاسبانية . ويعزز التأكيد على البروز الكامل لاسبانيا كشريك ديمقراطى كامل فى مجتمع الدول الاوروبية » .

« ولهذا فان الدور السياسى والدبلوماسى لاسبانيا قد اصبح ذا اهمية متزايدة . ونحن لذلك ، نطلب من حكومتكم بحث موقفها الدبلوماسى الراهن تجاه اسرائيل . وحيث أن اسبانيا تحتفظ بعلاقات علنية بطائفة كبيرة من الدول بغض النظر عن اتجاهاتها السياسية . فمن المنطقى ان نأمل فى أن تدرس حكومتكم بجدية مسألة اقامة علاقات دبلوماسية رسمية مع اسرائيل » .

« كما أن العلاقات الخاصة بين اسرائيل والولايات المتحدة اصبحت معروفة جيدا ، واصبح العالم ايضا على وعى أكثر بنفوذ أسبانيا المتزايد فى الشئون الدولية . وقد جعل ايضا التراث الثقافى الفريد والموقع الجغرافى لبلادكم مكانة تسمح لها بالعمل كوسيط بين العالم العربى واسرائيل . وأى تخفيف لحدةالتوتر بين هذه الدول لن يكون فى صالح هذه الدول المعنية والولايات المتحدة فحسب بل فى صالح كافة الدول التى تكرس جهودها للسعى من أجل التوصل لسلام دائم فى الشرق الاوسط . ونحن نأمل أن تولوا هذا الطلب الاهتمام المطلوب » .

المسيحيون

بعد فترة قصيرة من تولى الرئيس رونالد ريجان الرئاسة تلقى برقية من بعض زعماء اليمين المسيحى البارزين ، يحثونه فيها على التمسك بالالتزامات التى أعلن عنها خلال حملته الانتخابية تجاه اسرائيل ، وقد قالوا فى برقيتهم « نحن مهتمون باخلاق مبادىء الوفاء بالوعد والتأكيد عليها ليس على صعيدالمساحة الامريكية الداخلية فحسب ، بل أيضا على صعيد شئوننا الدولية . واسرائيل ، من منظورنا الدينى والاخلاقى والاستراتيجى تمثل على نحو رفيع قيمنا وآمالنا فىاقامة السلام والامن فى الشرق الاوسط » .

وقد شعر كثيرون من الاسرائيليين ، من بينهم رئيس الوزراء بيجين،علاوة على عدد كبير من اليهود الامريكيين ، بالسرور عندما نشر نص البرقية . وهنا يلوح دليل ملموس على أن هناك مصدرا جديدا للنفوذ السياسى لصالح اسرائيل

فى الولايات المتحدة قد بدأ فى الظهور . كان من بين الذين وقعوا على هذه البرقية القس جيرى فالولرئيس الاغلبية الاخلاقية .

وخلال السنوات الاخيرة ، كان فالول زائرا مستديما لاسرائيل واعرب بالفعل عن تأييده المطلق لها . وكان يبدو فى الغالب مواليا لاسرائيل أكثر من كثيرين من اليهود فى الولايات المتحدة . وقال فالول « لايوجد هناك ادنى شك فى ضرورة ان تكون يهودنيا والسامرة جزءا من اسرائيل » . وماذا عن مرتفعات الجولان ؟ « اعتقد انه يجب ضم مرتفعات الجولان كجزء مكمل لدولة اسرائيل » . وعندما سئل عن مشروع القانون الذى قدم للكنيست اكد من جديد على ان القدس عاصمة لاسرائيل ، قال « نعم اننى اعتقد بضرورة أن تكون القدس العاصمة الموحدة لاسرائيل وانى أؤيد مشروع القانون » . وتلقى فالول مكالمة هاتفية شخصية من بيجين فى أعقاب الغارة الجوية الاسرائيلية فى يونيو عام ١٩٨١ على المفاعل النووى العراقى . وطلب رئيس الوزراء مساعدة فالول فى تكوين بعض الاراء المؤيدة للتصرف الاسرائيلى الذى « ادانته » ادارة ريجان .

وقبل ذلك بثمانية اشهر تأكد بيجين من ادراج اسم فالول بين اصدقاء اسرائيل الذين سيتسلمون ميدالية حفل عشاء أقيم فى نيويورك احتفالا بذكر مرور مائة عام على ميلاد زيف جابوتينكس ، معلم بيجين السياسى خلال النضال الذى قاد الى تأسيس دولة اسرائيل .

وحتى قبل تولى بيجين رئاسة الوزراء عام ١٩٧٧ ، كانت العلاقات بين اسرائيل واليمين المسيحى قد تمت ، غير انها اتسعت بصورة حقيقية حتى بدأت فى الازدهار فى ظل الائتلاف الذى تقوده كتلة ليكود . وكانت الكثرة الكثيرة من الاسرائيليين قد تخلصوا فى وقت سابق من وهم منظمات الكنائس التى تتسم ببعض المبادىء الليبرالية وبالبروتستانية على نطاق أوسع فى الولايات المتحدة وبصفة خاصة مجلس الكنائس القومى والكويكرز الذى تودد مرارا لمنظمة التحرير الفلسطينية .

واتفق أيضا اليمين السياسى فى كل من اسرائيل والولايات المتحدة فى بعض المواقف العقائدية الرئيسية وعلى سبيل المثال المعارضة القوية للاتحاد السوفيتى وتأييد الاقتصاد الحر . وابتعدت حكومة بيجين ، فور توليها السلطة ، بصورة جذرية عن صهيونية حزب العمل التى انتهجها الابناء المؤسسون لدولة اسرائيل . وحاول بيجين فى أحيان كثيرة السخرية من حزب العمل المعارض بوصف انه « حزب اشتراكى » . وحقق بوضوح بعض نقاط الشعبية خلال انتخابات الكنيست التى جرت فى يونيو عام ١٩٨١ باقدامه على ذلك العمل .

غير انه كان وراء هذه المواقف الاساسية ، طابع شخصى ايضا ، وعلى الارجح فان الدافع الوحيد الاكثر اهمية لتطوير العلاقة الشخصية

الوثيقة بين بيجين وفالول يتعلق بجيرالد اس . ستروبر وهو زعيم يهودى من نيويورك تربطه علاقة وثيقة بفالول وزعماء انجيليين آخرين ، وكان ستروبد قد كتب سيرتى كل من فالول والقس بيلى جراهام . وقال ستروبد خلال مقابلة معى « فى حوالى عام ١٩٧٠ أعرب عدد كبير من الزعماء الانجيليين بصورة ملموسة عن مشاعرهم الموالية لاسرائيل » .

وخلال هذا العام عرض بيلى جراهام فيلما تسجيليا يسمى « أرضة » يظهر بشدة تأييد جراهام الحار لاسرائيل . واضاف ستروبر أنه « منذ ذلك الحين بدات العلاقات فى النهوض . وتأييد جيرى فالول لاسرائيل هو اهم مظهر حتى الان للاهتمام الانجيلى بأمن اسرائيل فى أنه يجمع بين عناصر لاهوتية ايجابية وقوة سياسية كبيرة » .

وفى اسرائيل ، تجلت الرابطة الوليدة بين المؤسسة السياسية الاسرائيلية والحركة المسيحية الاصولية ، بشدة بعد قرار الكنيست باعلان القدس رسميا عاصمة لاسرائيل . فقد سارع ما يزيد على اثنتى عشرة دولة لها سفارات فى القدس بنقل هذه السفارات الى تل ابيب . وردا على ذلك ، افتتح القس البروتستانتى الهولندى جان ديرهويفين السفارة المسيحية الدولية فى القدس ليؤكد على تأييده لقرار الكنيست . وكان قد أوضح دوافعه هذه خلال حديث له عام ١٩٨٢ فى فيلادلفيا . فقال « اننا بالطبع نشعر بالسعادة والمباركة لما اظهره الرب لنا لنقوم به . غير أننى أعتقد برغم كل شىء أن المسيحية لم تقم بدورها ، وهنا يأتى وقت يصبح فيه من الاثم أن نلتزم الصمت » .

ولمس فان دير هويفين وحركته وترا حساسا بين عدد كبير من المسيحيين الانجيليين فى انحاء العالم الذين يرون أن عودة الشعب اليهودى الى اسرائيل مطلب اساسى لعودة المسيح النهائية . وقال هويفين « لذلك فان عودة اليهود الى أرضهم تمثل ضرورة مطلقة لنا جميعا ، ككاثوليك وبروتستانت ، وهى ضرورة تسبق كل ضرورة أخرى » . وواصل حديثه قائلا ان « السلام سيأتى من القدس ولاننى أؤمن بذلك فقد قلت باسم الصهاينة المسيحيين لتيدى كوليك (عمدة القدس) والرئيس (الاسرائيلى السابق) (اسحق) نافون باننا مؤيدين لاسرائيل فحسب بسبب اننا نتمنى لهم الخير ونربت على اكتفافهم ونقول « اننا نشعر بالذنب وسنصلى من اجلكم . ان الامر أعمق من ذلك بكثير . اننى أؤمن أن الذى يقف بجانب اسرائيل انما يقف لصالح العالم » .

ولذلك ، ورغم القلق الواضح الذى شعر به فى الاصل كثير من الاسرائيليين واليهود الامريكيين تجاه تشكيل تحالف سياسى مع اليمين المسيحى ، فقد بدا أن هناك نوعا من الاجماع على نطاق واسع

يلوح بأن اسرائيل لم تملك ترف اختيــار أصدقائها . وربما تشــعر الطائفة اليهــودية الليبرالية بصورة تقليدية بعدم الارتيــاح تجــاه مواقف اليمــين المسيحى « المؤيدة للاسرة » ، غير ان العديد من أهم زعماء اليهود فى البلاد على استعداد لقبول تأييد اسرائيل من جانب أى اتجاه . حتى أن الحاخام الكسندر شيندلر ، رئيس اتحــاد الطوائف الامريكية اليهــودية واصر اكثر النقــاد صراحة للاغلببة الاخلاقية والجماعات اليمينية الجــديدة الاخــرى ، اجتمع عام ١٩٨١ مع فالول لرؤية ما اذا كان يمكنهما الاتفــاق على الاختلاف حول كل شيء ــ سوى اسرائيل .

« وكتب شيندلر مقالا منذ بضعة أشهر يحذر فيه من أن « الغالبية الاخلاقية وتلك الجماعات السياسية والدينية الاخرى ، المؤتلفة معها تكشف عن نفسها بأنها تمثل تهديدا للديمقراطية الامريكية وليهود أمريكا ولذلك تمثل تهديدا أيضا لاسرائيل » . وقال أنه لا يعتبر فالول معاديا للسامية غير أنه « فى تأكيده الاستثنائى على أمريكا المسيحية والادوات التى يختارها لبنائها ، فانه يخلق مع اتباعه مناخا للرأى معاديا للتسامح الدينى . ومثل هــذا المناخ ، فى رأيى ، هو مناخ يسيء للحريات المدنية ، وحقوق الانسان ، والعدالة الاجتماعية وتفاهم المعتقدات المتبادلة والاحترام المتبادل بين الامريكيين . ولذلك ، فهو مناخ سيىء بالنسبة لليهود » .

ولذلك ، كانت حقيقة أن شيندلر على استعداد حتى للجلوس مع فالول ذات مغزى فى حد ذاتها .

غير أنه بعد ما يزيد على عام من تولى ادارة ريجان السلطةتلقى هؤلاء الاسرائيليون واليهــود الامريكيون الذين كانوا يعولون على اليمين المسيحى كدعامة لتدعيم اسرائيل فى الولايات‌المتحدة ، تلقوا صدمة فظة وكان ذلك الى حد كبير نتيجة السلوك اليمينى المحافظ خلال مناقشة صفقة الاواكس للسعودية . وفى مسألة ذات أهمية حرجة لاسرائيل ، ترك اليمين الجــديد اسرائيل تهوى على نحو سيىء .

وفى عــام ١٩٨١ ، حــدد المحللون السياسيون فى واشنطن ثمانية وعشرين سيناتورا جمهوريا كمؤيدين على نحـــو اساسى لليمين الجــديد أو الاغلبية الاخلاقية فيما يختص بنطاق واسع من قضــايا السياسة المحلية والخارجية . وعندما انتهت عملية المناداة على الاسماء لمعرفة المتغيبين خــلال التصويت على صفقة الاواكس ، صوت ستة وعشرون من بينهم فى صـــالح الصفقة . وكان الاستثناءان الوحيدان هما السيناتور الجمهــورى الفرنسى داماتو عن ولاية نيويورك والسيناتور باولا هوكينز عن ولاية فلوريدا . وكلاهما كانا يمثلان ولايتين بهمــا طوائف يهـــودية كبيرة وذات نفــوذ . والدرس المستفاد لاسرائيل والامريكيين اليهود هو أن : اليمين الجديد ربما يصـــطر

بعض التصريحات الطيبة عن اسرائيل بين حين وآخر ، بيد أنه عندما يصل الامر الى الاجراء الحاسم هو عملية المناداة على الاسماء فى مسالة بالغة الاهمية لاسرائيل فان تأييدهم ينهار ٠

وقد وقع فالول على اعلان فى صفحة كاملة فى صحيفة واشنطن بوست ضد هذه الصفقة ــ مع أربعة وعشرين آخرين من الزعماء المسيحيين من أنحاء البلاد ، ومن بينهم القس اليسوعى روبرت دريتان عضو الكونجرس الليبرالى السابق عن ولاية ماساشوستس وهو معارض شديد « للاغلبية الاخلاقية » ٠ غير أن فالول لم يبذل سوى القليل للغاية لتكوين معارضة للصفقة بين أتباعه فى مجلس الشيوخ ٠ واذا أجرى أى مكالمات هاتفية لاعضاء مجلس الشيوخ المترددين ليحثهم على معارضة الصفقة فانهم كانوا من بين أفضل من يكتمون الاسرار فى واشنطن ٠ وفى الواقع أصرت مصادر موثوق فيها على أن « شخصيات هامة فى البيت الابيض حذرت فالول فى وقت سابق من أن تكوين أى لوبى نشيط ضد الصفقة سيؤثر عكسيا على مسيرته من أجل تلك المسائل الاجتماعية التى تلقى اهتماما أكبر بالنسبة « للاغلبية الاخلاقية » ــ تعديل الحقوق المتساوية والاجهاض وأداة الصلاة فى المدارس ــ وبالنسبة لفالول لم تتحول صفقة الاواكس للملكة العربية السعودية الى مسألة كبرى ، حتى رغم معارضة صديقه رئيس الوزراء بيجين لهذه الصفقة بكل ما فى الكلمة من معنى ٠

وكان شيندلر سريعا فى الاشارة الى هذه الحقيقة ٠ فأعلن أمام أربعة آلاف مندوب كانوا يحضرون فى بوستن عام ١٩٨١ مؤتمر الطوائف اليهودية الامريكية الذى يعقد كل سنتين « ان الاغلبية الاخلاقية لم تقم بنشاطها على أكمل وجه تقريبا من جانبنا » ٠ وقال السيناتور الديمقراطى ادوارد كيندى عن ولاية ماساشوستس أمام نفس التجمع ان « زعيمها جيرى فالويل وقع اعلانا معاديا لصفقة الاواكس ، غير أن ذلك كان كل شىء ــ دون ارسال برقيات أو اجراء مكالمات هاتفية أو اقامة احتفالات لتأييد موقفه ٠ وفى الحقيقة كلما زاد تصنيف الاغلبية الاخلاقية كهيئة تشريعية كان من المحتمل أكثر أن يوافق على صفقة الاسلحة للمملكة العربية السعودية ٠ ان اسرائيل ليست فى حاجة الى أصدقاء فى أوقات الرخاء فقط ٠ كما لن يخدم اسرائيل ولا الولايات المتحدة سياسيون يصرحون بشىء ويفعلون شيئا آخر ٠ ولا يمكن لأحد هنا أن يعتمد على المحافظين من اليمين الجديد وهم يعلنون تحالفهم المقدس مع اسرائيل والذين يتحولون فى مواقفهم فى اجتماع واحد فى البيت الابيض ٠

وشارك العديدون من أنصار فالويل العقائديين الاكثر فاعلية فى اليمين الجديد رغم بلاغتهم فى تأييد اسرائيل فى الماضى ، شاركوا بالفعل فى قوة ضغط لصالح الصفقة. فريتشارد سيزرز مدير لجنة علاقات مجلس الامن الامريكى اليمينى فى الكونجرس ومدير جماعة التحالف من أجل السلام عن طريق القوة فى

واشنطن ، وهي جماعة محافظة متخصصة في شئون الدفاع ، تقدم وفقا لما ذكرته صحيفة واشنطن بوست تقدم كراس جرية للجهود التى بذلها اربع ، ثلاثون جماعة محافظة لتكوين قوة ضغط مع أصدقائهم في مجلس الشيوخ في صالح الصفقة . وقد اتسموا بالفاعلية على نحو واضح فى تحويل موقف السيناتور الجمهوري ويليام أرميسترونج عن ولاية كولورادو بالاضافة الى روجر جبسين وتشارلز جراسلي ، وكلاهما من ولاية آيوا .

وشرع آخرون ببساطة فى العمل طوال المناقشة التى استمرت شهورا . قال بول وايريتش ، الذى يرأس لجنة احياء « كونجرس حر » ، انه لم يؤيد هذه الصفقة بسبب أنه شعر أنها تمثل انتهاكا لحملة تعهدات ريجان . وذكرت صحيفة واشنطن بوست على نحو فضولي أن وايريتش الذى وقع على البرقية الاصلية لريجان فى بداية توليه الادارة ، محذرا من حدوث أى تخاذل فى تأييد اسرائيل ، أنه مؤيد لصفقة الاواكس . واضافت صحيفة واشنطن « ان جماعة ستانتون ، وهى جـــزء من شــبكة المنظمات المحافظة ، التى يديرها بول وايدينش . فقد مارست ضغطا من أجل الموافقة على الصفقة بين اتباعها ، وبصفة خاصة بين أعضاء مجلس النواب الجمهوريين الذين يربطهم علاقـات قوية بالجناح اليمينى . » . وقال وايريتش فى ادراك متاخر أنه كان يتعين على ارســال خطاب للصحيفة لتصحيح هذا الســجل » . وتشــير على ما يبدو الى حقيقة أنه لم يشعر بالضيق لكونه مهتما على الاطلاق بشأن هذا الخطأ — او صفقة الاواكس .

وكان الحاخام ديفيد سابيرشتين ، مدير مركز الديانة اليهودية الاصلاحية للعمل الدينى فى واشنطن ، احد الذين أعربوا عن شكوكهم فى وقت مبكر بشأن عمق تأييد اليمين المســيحى لاسرائيل . وفي عبارات سياسية صريحة ، شرح سابرشتين تحفظاته ، مشيرا ، على سبيل المثال ، الى أن عددا قليلا للغاية من الزعماء الأصوليين فى مجلس النواب او مجلس الشيوخ الامريكى قد صــوتوا فى صالح مشروع قانون المساعدات الاجنبية السنوية التى تعتبر اسرائيل أكبر دولة تتلقى مساعدات منها ، قال « اننى لا آراهم حتى الآن يدلون بأى تصريح فى صالح مجموعة المساعدات الاسرائيلية » . وأوضح سابيرشتين ، مشيرا الى « التقرير الدورى » عن الكونجرس عام ١٩٨٠ الذى وزعته جماعة الصــوت المسيحي فى عدد كبير من انتخابات الكونجرس ، الى أن اسرائيل لم تدرج في قائمة « المسائل الاخلاقية الرئيسية » البضع عشرة خلال إجتماع الكونجرس السادس والتسعين . وكان من بين هذه المسائل « الاخلاقية » مسألة قانون الامن فى تايوان ، والمساعدات لنيكاراجوا ، والتصديق على معاهدة سولت — ٢ » ويقال ان جماعة الصوت المسيحي الذى تتخذ من لوس انجيلوس مقرا لها تتمتع بتأييد سبعة وثلاثين الف رجل دين وحوالى مائة واربعين الف عضو .

والامر الذى يثير قلق سابير شتين والعناصر السياسية اليهودية النشيطة بصورة خاصة هو حقيقة أن اليمين المسيحى استهدف الحاق الهزيمة بعدد كبير من أصدقاء اسرائيل الاقوياء ، واذا كان تأييد اليمين المحافظ لاسرائيل قويا حقا، فلم كانوا قد وضعوا أبطـــالا موالين لاسرائيل مثل هنرى جاكسون عن ولاية واشنطن وادوارد كيندى عن ولاية ماساشوستس على رأس « القائمـــــة المستهدفة » من جانبهم . وتساءل سابيرشتين قائلا كيف يمكن أن يكونوا أصدقاء اذا كانوا يصوتون ضـــد المساعدات الأجنبية لاسرائيل ويعملون على هزيمـــة اصدقائنا فى الكونجرس ؟ » .

وفى مجلس النواب ، حيث رفضت صـــفقة الاواكس بأغلبية ٣٠١ الى ١١١ صوتا ، صوت ستة عشر من بين الســـبعة عشر الاعضاء السود وجميعهم من الحزب الديمقراطى ، كذلك أعضاء مجلس النواب الخمسة الذين هـــم من اصل اسبانى ، وجميعهم أيضـــا من الحزب الديمقراطى صوتوا ضد الصـــفقة . وكان العضو الاسود الوحيـــد الذى لـــم يتفق مـــع زملائه هو جاص سافيرج عضو الحزب الديمقراطى عـــن ولاية ايلنوى ، الذى دون فى السجلات على أنه « امتنع عن التصويت » .

واعرب عـــدد كبـــير من اليهود ايضـــا عن قلقهم بشأن التبرير اللاهوتى الاساسى الذى كان يبديه اليمين المسيحى فى تأييد اسرائيل . واعترف الحاخام ارا . اس يودوفين المدير التنفيذى لرابطة صهاينة أمريكا الاصـــلاحيين ، التى تتبع اتحاد الطوائف اليهوديـــة الامريكية بزعامة شيندلر بأن الاصوليين المسيحيين « كانوا منذ فترة طويلة من بين مؤيدى اسرائيل المخلصين » غير أنه أكـــد على ضرورة أن تدرس الطائفة اليهوديـــة الدوافـــع الكامنة وراء هـــذا التأييد . وقال ، مشيرا الى هـــذا الدافـــع الدينى ، انه ينظر الى عودة الشـــعب اليهودى الى ارضه التى ورد ذكرها فى الانجيل على أنها « شرط مسبق للمجىء الثانى للسيد المســـيح » غـــير أن يودوفين قال أنـــه لا يجب خلط ذلك بطريق الخطأ مـــع الصهيونية ، وأضـــاف أن « تجميـــع اليهود فى اسرائيل هى الخطوة قبـــل الاخـــيرة فى غاية الله وحينئذ ، فمن المتوقع أن يشـــارك اليهود فى تحول ضخم الى المســـيحية . واذا لـــم يقدموا على ذلك ، فسوف يكررون خطيئة اسلافهم فى القرن الاول الذين قاوموا المسيح » .

وتجنب فالويل نفســـه مناقشة هذا الجانب اللاهوتى فى تأييده لاسرائيل . واشار ، بدلا من ذلك ، الى وعد الله لابراهيم منذ أربعة آلاف عـــام : « سوف ابارك من يباركك وسوف العن من يلعنـــك » ولذلك يقول فالويل « من المنظور اللاهوتى ، أعتقد أنه يتعين على أمريكا ، دون تـــردد ، أن تقدم التأييد المـــالى والعسكرى الكامل لدولة اسرائيل » .

غـــير أن تصريحات فالويل المؤيدة لاسرائيـــل لم تعد الطمأنينة الى منتقديه فى الطائفة اليهودية الامريكية . وبصفة خاصة أولئك الذين ينتمون الى القيادة

الاصلاحية ، واكد البرت فورسبان ، مدير اللجنة الخاصة بالعمل الاجتماعى لليهودية الاصلاحية ، أن « الرؤية الانجيلية لامريكا يجب ان تدق ناقوس الخطر من قبل الاشخاص المعنيين ومن بينهم اليهود سواء كانوا ليبراليين أو محافظين ... ويمكن أن يكون هناك فى حماستهم المتعصبة لاسترداد أمريكا » كبلد مسيحى « تحليل من الشك بشأن الذين سيعتقدون انهم من بين صفوف أعدائهم » .

وفى بحث الدوافع الدينية لليمين المسيحى ، كان فى مقدور المعارضين اليهود ، الاشارة بتصريحات القس بيلى سميث ، اثناء توليه منصب رئيس المؤتمر المعمدانى الجنوبى ، التى ذكر فيها أن الله « لا يتقبل صلاة اليهودى » . وفيما بعد ، أعرب سميث ، فى ظل الضغط عليه ، عن « أسفه العميق » لادلائه بهذه التصريحات . وقام سميث فى وقت تال بزيارة أحيطت بدعاية كبيرة لاسرائيل ، نظمتها رابطة بناى بيرث المناهضة للتشهير .

واكد فالويل للحاخام مارك اتش تانينباوم الذى ينتمى الى الجماعة اليهودية الامريكية ، خلال اجتماع لمقداه فى ١٠ اكتوبر عام ١٩٨٠ ، بأنه يعارض الرأى الذى يفيد ان « الله لا يسمع صلاة اليهودى » مضيفا أنه ملتزم بمذهب التعددية الدينية . وقال فالويل ان « موقفى فى أن الله يحترم البشر جميعا ، ويحب البشر جميعا على قدم المساواة . ويسمع صرخة اى شخص مخلص يدعوه » .

ووعد فالويل : الذى قال ان « هناك علاقة صحيحة للغاية تتطور بين المسيحيين الذين يؤمنون بالانجيل ، فى أمريكا والطائفة اليهودية خلال العشرين عاما الماضية » ، وعد بمحاولة تدعيم هذا الحوار .

« وهذه العلاقة تفوق اية حملة سياسية .. وربما نتبنى مواقف لاهوتية مختلطة ، غير أنه يتعين علينا الا نسمح لذلك أن يفرق بيننا كامريكيين يحبون ويحترمون البعض كشعب متحد » .

ورحب الحاخام تانينباوم ، الذى تربطه علاقات بالمسيحيين الاصوليين منذ عام ١٩٦٥ ، بتصريحات فالويل قائلا انها « ضرورية وفى حينها » واضاف تانينباوم قائلا « خلال حوارنا الصريح والودى ، اكد لى القس فالويل أنه يعارض فكرة أمريكا « كجمهورية مسيحية » والتزامه العميق بالحظر الذى يفرضه الدستور الامريكى على اعتبار المعيار الدينى كأساس لانتخاب المرشحين السياسيين . بينما اعترف بأن هنك بعض الاشخاص فى الطائفة الانجيلية المحافظة يتبنون مثل هذه الآراء لا تمثل تفكيره وسيواصل معارضة هذه المواقف التى تتعارض مع مبادىء التعددية الديمقراطية » .

غير أن الضجة التى جاءت فى أعقــاب تأكيد سميث بشأن الله والصلوات واليهـــود ، وبينما كانت قد أخذت فى الخمـــود فى أعقاب تنصـــــل فالويل ، قد تجددت فى وقت مبكر من عام ١٩٨١ بسبب تصريحات أدلى بها رئيس الاغلبية الاخلاقية فى ولاية نيويورك القس دانيل س . فورد أن « اليهـــود لديهم اله مفترض ، وهو يتمثل فى قدرة خارقة للطبيعـــة تقريبا فى عملية جمع الامـــوال » مضيفا ان اليهود « يسيطرون على وســـائل الاعلام وهذه المدينة » يعنى مدينة نيويورك . وتعرض فور ، راعى كنيســـة متروبوليتان المعمدانية فى بروكلن الذى ولد فى تكساس ، على الفور لهجـــوم من اليهود وغير اليهـــود على السواء . اذ كتب فور سبان ، على سبيل المثال ، فى صحيفة نيويورك تايمز : « ان أسلوب مستر فور لتكرار العبـــارات القديمة المعـــادية للسامية والانتصـــار للمسيحية يتناول حركة الاغلبية الاخلاقية اكثر من تناوله لدعاياتها المتغطرسة ، والدعيـــة فى دينها والتى تصـــل بها الوقاحة للزعم بامتلاكها مفتـــاح الوصـــــول الى الله والفضيلة » .

وفى الوقت الذى يزداد فيه انتشـــار اليمين المسيحى فى امريكا ، وفى الوقت الذى تواصل فيـــه وسائل الاعلام وتركيز انتبـــاه الرأى العـــام على هـــــذا التطور ، يصبح اكثر وضـــوحا بصـــورة متزايدة أن هناك مجموعة متنـــوعة من الافكار فى اطـــار ظلال هذا التطور . وذلك ليس حجرا ضخما كما توضحها حقيقة ان القس بيلى جراهام ، عميـــد الزعمـــاء الأنجيليين فى هـــذا البـــلد ، قد اختلف بصورة علنية مع فالويل . اذ قال لمحلية باراد عام ١٩٨١ « ســـيكون من ســـوء الحظ حصول الناس على انطباع بأن كافة الانجيليين ينتمـــــون الى هذه الجمـــاعة ،وانا لا ارغب أن ننتسب اليهم » .

ومضى جراهام يقول « اننى مع الفضـــيلة . غير أن الفضيلة تتجاوز الجنس الى الحرية الانسانية والعدالة الاجتماعية . ونحن كرجال دين لا نعلم سوى النزر اليسير كى نتمكن من الحديث بهذأ الحق بشأن قناة بنمــــا مثـــلا او تفوق التسلح . ولا يمكن أنتســـاب الانجيليين بصورة وثيقـــة الى اى حزب او شخص .

ويتعين علينا ان نقف فى منتصـــف الطريق من أجل موعظة جميع الناس ســـواء كانوا يمينيين أو يســـاريين . ولم اكن امينـــا مع نصيحتى الخاصـــة فى الماضى . وسأكون امينـــا معها فى المستقبل » .

ويوحى تانينباوم بأن الطائفـــة اليهودية الامريكية تقرر بصورة نشيطة التعـــامل مع فالويل والمتشددين الذين ينتمون الى اليمين المسيحى الجـــديد . قال تانينباوم « اعتقـــد اننا يمكننا ان نتوصـــــل الى تفـــاهم معهم . وأننى بالتأكيد آمل أن نتمكن من ذلك » .

بيد أن الامر لم يخل من العقبات التى تقف فى طريق اجــــراء صحى . ومن بين أخطر العقبات الخــوف الواسع الانتشـــار فى الطائفة اليهــودية من أن يكون هدف المتشددين النهائى هو مجــرد تحويل اليهود الى المسيحية . وموقف فالويل تجاه هذه المسألة الدقيقــة ، مثل كثـــيرين من زملائه ، ليس واضحا تماما . فبينما يؤكد أنه يتمسك « بالتزام قوى تجاه حماية قدســـية ووجــود وأبدية الديانة اليهودية كما توجد الآن فى هذا البلد » فانه يؤكد ايضا على الحق « فى التعــليم والوعظ والتبشـــير » . واذا رغب اليهود فى الاقدام على نفس الشىء أو اذا أرادت الطوائف المسيحية الاخــرى محاولة تحــويل المتشددين عن موقفهم ، فان فالويل يقول : انه لن يكون لديه اعتراض . لندع هنــاك سوقا مفتوحة للافكار الدينيــة ، وندع الفكر الافضــل يفـــوز . وهذا بفظاظة ما يقوله . وينفى فالويل انه يريد « اضفاء الطــابع المســيحى « على أمريكا » ــ انه من السخف تصـــور انه يمكن اضفاء الطابع المســيحى على أمريكا ، كما انه من السخف تصور امكانية اضــفاء الطابع اليهــودى عليها . وأن تفــرد أمريكا يتمثل فى أننــا بوتقــة لكافة العالم . ومثل الحاخام تانينباوم ، يريد فالويل ان يتحــدث اليهود المتشددون مع بعضهم البعض . وقال « أعتقــد أن الاجابة ... هى اننا نريد أن تطور على الفــور حــوارا صحيا مع القيادة فى هذا البلد » .

وتمثل الجهــود التبشيرية التى يقوم بها الانجيليون ، وبصفة خاصــة فى اسرائيل ، مصــدر قلق شــديد فى اسرائيل . فوفقــا لعــــدد ربيـــع عام ١٩٨١ من مجلة ايفانجيليكال ريفيو ، فــان التحــول الى الديانة المسيحية قد زاد مؤخــرا فى اسرائيل . ونقل عن جى دى هوجى ، وهو مبشر معمدانى فى اسرائيل ، قوله ان « المجـــاهرة بالايمـــان والتعميــد كلاهما قد زاد بصــورة مفاجئة خلال عام ١٩٨٠ فى اسرائيل . واضـــاف هوجى ، وهـــو مسئول فى هيئة التبشـــير الخارجية التابعة للجمعية المعمدانية الجنـــوبية قائلا « اننى لا اعتقــد اننى رايت شيئا مثل ذلك خــلال فترة عملى كمــدير منطقة فى أوروبا والشرق الاوسط » .

وينطلق هذا الترسيخ للجهود التبشيرية عبر هيئة من كافة الجمـــاعات المتشـــدده تقريبا ، ويشير فالويل الى أن الاصولية الاســـلامية « هى اخطر حـــركة على وجه الارض » . واوضح مؤخــــرا أن « اى مبشر مسيحى فى اى ارض مسلمة يمكنه أن يقــول لك أن ذلك حقيقى . ومن الصـــعب للغاية ان توجد حتى جسديا كمبشر مسيحى فى بلـــد مسلم أصولى قوى . وهذا ليس صحيحا فى دولة اسرائيل . ونحن لدينــا العــديد من الزعمـــاء والعمال المسيحيين فى اسرائيل توفر لهم الحريات والامتيازات مثل الزعمـــاء اليهود والزعمـــاء المسيحيين فى هذا البلد » .

ويبذل فالويل جهــدا خاصا ليؤكد على أن الاغلبية الاطلاقية ليســت منظمة قاصرة على المسيحيين فقط . « فلدينا اعضاء يهود ، كما أن أعضـــاء روما كاثوليك ومارونيين وبروتســتانت ومتشـــددين . وكل ما نحتاجه هو مواطنون امريكيون والتزام بهذه القيم الاخلاقية المشتركة » . وفى الحقيقــة أعرب فالويل عن أمله خــلال الثمانينيات أن تجتــذب الاغلبية الاخـــلاقية عددا كبيرا للغــاية من الشعب اليهــودى » . وقال فالويل ان « المسيحيين المحافظين الذين يؤمنون بالانجيل » و « اليهود المحافظين » سوف « يقفون أو يسقطون معا » .

وبتوصلها للرد المناسب اضطرت الطـــائفة اليهودية ، كما مثلتهـا منظماتها الوطنية ، الى تقــدير قيمـــة مصالحها البعيدة المدى . وبالتأكيــد فان المواقف تجاه اسرائيل سوف تلعب دورا حساسا فى تحــديد ما اذا كانت القيــادة اليهودية ستتخذ موقفا فى نهاية الامر ، واذا تم التوصــل لموقف جمــاعى . وتشمل الخطوة الاولى حوارا قويا وصحيا مع كافة الجمـــاعات الدينية فى امريكا . كما سيكون من الضرورى اجـــراء اتصـــالات مباشرة وشخصية اذا ما لاح نجاح لها فى نتيجة هذه المناقشات .

الفصـــــل العاشر

هنرى كيســـــنجر واسرائيل

اخذ هنرى كيسنجر وزير الخارجية فى الضـحك بطريقة هســـتيرية اذ الممثل الكوميدى وانى كاى يروى قصصا بلهجاته الفرنسية والبريطـــانية والروسية الفريدة . وخلع وزير الخارجية ، الذى اكتســبت بشرته اللون الاسمر لتعرضه للشمس فى أعقــاب قضـــائه اجازة استمرت عشرة أيام فى جزر جامايكا ، نظــارته ليمسح دموع الضحك من عينيه . وفى ختـــام الوصلة التى قدمها كاى ، رفع كأســـه ، مقترحا نخبــا مزدوجــا تكريمــا لكيسنجر ووزير الخارجيـــة الاسرائيلى الزائر ايجـــال آلون .وقال كاى « فى صحتكم » فأجاب ما يزيد على مائة ضيف كانوا حاضرين فى حفـــل عشـــاء رسمى أقامته وزارة الخارجية ، وضم كبـــار أعضاء الكـــونجرس ومسئولى الادارة وصحفيين ، وزعمـــاء اليهـــود الامريكيين ، وضيوفهم ، « فى صحتكم » . وارتشـــفوا كؤوس الشمبانيا واخذوا فى التصفيق . ونهض آلون ، الذى بدا أنه فى حالة مزاجية طيبة بصـــورة غير عادية ، من مقعـــده ليقول « الليلة معنـــا شخصان يبـــدأ اسماهما بحرف ك » . وازداد الضحك بينما عاد كاى الى مقعده .

لكن عندما بدأ كيسنجر ــ الشخص الآخـر فى تلك اللحظة الذى يبـدأ اسمه بحـــرف ك ــ فى تقديم عازف الكمان الضيف فى الحفـــلة ، بدأ دانى كاى ، مخـــرج الاستعراضات المسرحية دائما ، والواعى بأنه عنده جمهـــور مقيم وانه ما حضر هؤلاء الا لهذا الغرض ، بدأ من جـــديد عرضه ، واذ بدأ كاى فى ترديد طبقة الصـــوت المألوفة لجمع الاموال عم القـــاعة مزيد من الضحك ، واخرج كيسنجر منديله وبدأ فى مسح عينيه .

وكان الضيوف فى حالة مزاجية طيبة فى تلك الامسية من شهر ينـــاير من عام ١٩٧٦ . وكانت نانسى كيسنجر مضـــيفة ســـاحرة ، وهى ترحـــب بأصدقائها الكثيرين . وتذكر كيسنجر فى النخب الذى اقترحه لتـــكريم آلون ، مدخله الشخصى للعلاقات الامريكية الاسرائيلية ، اذ قال : « فى عام ١٩٦١ ، كنت حينئذ استاذا فى علم السياسة فىجامعة هارفارد غير معـــروف نسبيا ، نزلت ضيفا على آولون فى كيبوتز جينوســار على بحـــر الجليـــــل ، ثم مضى كيسنجر يقول : « وشاهدت الصيادين فى البحـــيرة أسفل مرتفعات الجولان مباشرة ، ولن انسى مطلقا شجاعتهم » . ومضى وزير الخارجية ، مواصـــلا نخبـــة ، ليلقى تصريحا حارا ومثيرا للغـــاية مشيدا بالصداقـــة التقليـــدية الاسرائيلية ــ الامريكية .

وتذكر آلون ، من جانبـه ، صداقته المبكرة مع كيسـنجر « وتلك الحلقة الدراسية » التى اخذها مع كيسنجر عام ١٩٥٧ جامعة هارفارد . وقال آلون انه خلال هذا الصيف ، ركب مع كيسنجر السيارة من بوسطون الى نيويورك فى رحلة استمرت أربع ساعات . ناقشـا فيها الحربين اللتين خاضتها اسرائيل عامى ١٩٤٨ — ٤٩ وعام ١٩٥٦ . واشتكى آلون من أن وزراء الخارجية الامريكيين أجبروا اسرائيل على الانسحاب من سيناء مرتين، لكن دون مقابل للسلام . وقال كيسنجر ، الاستاذ بجامعة هارفارد ، لالون انه اذا كان يتعين على اسرائيل الاستيلاء على سيناء من جديد ، فلا يجب عليها الانسحاب الا اذا حصلت على السلام فى مقابل ذلك . وقال آلون : « هنرى ، بعد اثنى عشر عاما تقريبا ، كان هذا أحد الدروس التى تعلمتها منك ، وستدفع ثمنه الان » . ومرة اخرى انفجر كيسنجر والضـيوف فى الضـحك .

وكان حفل العشاء يبدو للمراقب الطارىء ، يشير الى أن كل الامـور تبدو طيبة فحسب فيما يتعلق بالعلاقات الاسرائيلية — الامريكية . غير انه كانت هناك مشاكل خطيرة فى الشرق الاوسط لا يمكن تجاهلها . ورغـم اتفاقية سيناء المؤقتة عام ١٩٧٥ وفترة الهدوء التى طال انتظارها فى حالـة التوتر فى الشرق الاوسط ، فقد ثبت أن احراز مزيد من التقدم يعد أمرا صعب المنال ، فالمعسكر العربى الراديكالى ، بقيـادة سـوريا ومنظمـة التحرير الفلسطينية والذي يسانده السوفييت ، يتبنى موقفا أكثر عدوانية . وتقـدم الولايات المتحدة بمحاولة يائسة لتجنب نشوب حرب أخرى فى الشـرق الاوسط ، وهى حرب تشعر بأنها ستصبح حتمية اذا لم يتم مواصلة شـكل ما من « التحرك الدبلوماسى » . غير أن كافة السبل كانت مسدودة ، ولـم يكن هناك أحد في واشنطن على يقين حقا بأفضل وسيلة لفتح هذه السبل . فالرئيس السورى حافظ الاسد الذى كان يعتبره المسـئولون الامريكيون فى ذلك الوقت بأنه معتدل نسبيا ، وواقعيا الى حـد بعيد ، ربما كان عـلى استعداد بالتأكيد بشروط سورية ، لدراسة عرض لانسحاب اسرائيلى على جبهة الجولان ، اذا تم انسحاب مباشرة فى أعقاب اتفاق سيناء . غير أن هذه اللحظة قد تركت تمر ، ولم تعرض اسرائيل سوى تغييرات شـكلية ، وأثار الاسد مطالبه . وأعرب بعض الامريكيين فيما بعد عن اعتقادهم بـأن الاسد قد وضع نفسه فى مأزق مع منظمة التحرير الفلسطينية ولـم يتزحزح دون حدوث تحرك اسرائيلى متزامن بشأن القضية الفلسطينية .

اما الملك حسين عاهل الاردن فكـان ايضـا فى موقف صعب . فمن المحتمل أنه كان سيفضل دراسة اقتراح اسرائيلى للتوصـل لاتفاقيـة فض اشتباك على طول نهر الاردن ، غير أن المسئولين الامريكيين فهموا أن اسرائيل

كان يتعين عليها اجراء انتخاباتها قبل الانسحاب من أى جزء من الضفة الغربية ، وكان رابين رئيس الوزراء لايبدو على استعداد لاجراء الانتخابات. وخشى حسين من نشوب حرب أخرى ، وهو يعلم أنه سيتعرض لضغوط هائلة للمشاركة فى أى معركة جديدة تنشب ضد اسرائيل . ومن المرجح ان حلفاءه العرب لن يقبلوا مبرراته هذه المرة كما فعلوا عام ١٩٧٣ . ومع ذلك كان الملك يخشى أن تحطم اسرائيل جيشه سريعا كما فعلت عام ١٩٦٧ .

وكان يعول على الرئيس المصرى انور السادات فى عام ١٩٧٦ ليظل رابط الجاش وينفذ اتفاقية سيناء المؤقتة دون احداث اى عراقيل كبرى . وكان الامريكيون يأملون فى أن تبدى المملكة العربية السعودية تعاونها خلال الأشهر التالية ، كما كان الاتحاد السوفيتى كما هو دائما ، يمثل علامة استفهام . فقادة الكرملين كانوا لا يريدون بأى حال من الاحوال اثارة غضب السوريين والعراقيين والليبيين او منظمة التحرير الفلسطينية . وسياستهم منذ عام ١٩٦٧ كانت ثابتة وتتمثل فى : دع القدر يغلى بسبب ان ذلك يخلق فرصا لتوسيع نفوذهم . غير أن السوفيت كانوا يريدون ، فى وقت متزامن ، بعد تعلمهم دروس التاريخ ، تجنب رؤية القدر ينفجر ورؤية عملائهم يخسرون امام اسرائيل المتفوقة عسكريا .

ولم يكن هناك حل واضح للمشكلة المعقدة الخاصة بمسالة مشاركة منظمة التحرير الفلسطينية فى المفاوضات ، وهو شرط مسبق طالبا به الغرب والاتحاد السوفيتى ، غير انه طالما رفضت منظمة التحرير الفلسطينية الاعتراف بوجود اسرائيل وقرارى مجلس الامن رقمى ٢٤٢ و ٣٣٨ ، فلن تعترف واشنطن أو القدس بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعى للفلسطينيين. وقد جعل كيسنجر ذلك واضحا للمسئولين الاسرائيليين . ولم يكن هناك امل واقعى كبير فى واشنطن بأن منظمة التحرير الفلسطينية سوف تغير من موقفها العلنى فيما يتعلق بشرعية دولة اسرائيل .

وكان كيسنجر وآلون ، اللذان ربما لم يحلما مطلقا وهما معا فى جامعة هارفارد أنهما فى يوم ما سيجريان مع بعضهما البعض مفاوضات ، يحاولان تنسيق مواقف بلديهما بطريقة ترضى المصالح الوطنية لكلتا الدولتين دون اثارة عداوة الآخرين علنا . وكانت المباحثات شاقة ولم ينكر أحد ذلك . ورغم ضحكات كيسنجر المدوية وحكايات آلون المسلية ودعابات دانى كاى ، فان دلائل النجاح فى الشرق الاوسط كانت لا تبدو مشجعة جدا فى ليلة عشاء وزارة الخارجية .

وهكذا بدا عام كيسنجر الاخير كوزير للخارجية . وتكشف فى نهاية الامر انه عام هادىء آخر فى الشرق الاوسط . وكان أحد الأسباب بالطبع هو أن الانتخابات الرئاسية الامريكية كانت ستجرى فى نوفمبر من ذلك العام .

وقد انتهى العرب وحلفاؤهم الى عدم طرح أى مبادرات دبلوماسية فى الاغلب تميل الى مواقفهم خلال الحملات الانتخابية الرئاسية .

وفى شهر يوليو من هذا العام ابتهج الدبلوماسيون الاسرائيليون وانصارهم الامريكيون بالبند الخاص بالشرق الاوسط فى البرنامج السياسى للحزب الجمهورى الذى كان اكثر تأييدا لاسرائيل من اى برنامج تبناه الحزب الجمهورى فى أى وقت مضى . ولم يخف الدبلوماسيون العرب ، من ناحية اخرى ، خيبة أملهم . وتوقع العرب أن يتضمن البرنامج السياسى للحزب الديمقراطى الذى صدر فى يونيو ، بيان تأييد قوى لاسرائيل ، وهو الامر الذى حدث بالفعل — غير انهم كانوا قد أعربوا عن املهم فى أن يظهر الجمهوريون الذين كانوا لا يزالون فى البيت الابيض مزيدا من « التوازن » فى صياغة بيانهم ، وأن يضعوا فى اعتبارهم المصالح العربية . وقد استعدت وزارة الخارجية لبعض ردود الفعل القاسية فى العالم العربى .

وقد اتخذ البيت الابيض ، الذى كان تواقا لجذب تأييد اليهود الذى ربما يقلب اصوات الناخبين المعلنة فى العديد من الولايات الكبرى ، قرارا بضرورة أن يكون البرنامج السياسى للحزب مؤيدا لاسرائيل بلا تردد ، رغم شكوك وزارة الخارجية من العواقب المحتملة التى قد تنجح فى العالم العربى.
واجتمعت مجموعة من اليهود الامريكيين من الحزب الجمهورى ، بقيادة ماكس فيشر من ولاية ديترويت ، مع رئيس هيئة العاملين فى البيت الابيض ريتشارد تشينى لمناقشة البند المقترح ، ووافق تشينى من حيث المبدأ على العمل على صياغة بيان شديد اللهجة ، حتى ولو تجاوز معناه بصورة طفيفة سياسة الادارة الحالية . وصاغت لجنة البرنامج السياسية البند الخاص بالشرق الاوسط . ولم يكن مصادفة عدم ورود أى ذكر « للمأزق » أو « الركود » فى دبلوماسية الشرق الاوسط ، وهى كلمات رمزية استخدمها فورد وكيسنجر علنا فى كثير من المناسبات السابقة لدفع اسرائيل الى قبول مزيد من التنازلات ، وفيما عدا عبارة مختصرة بشأن لبنان ، لم ترد سوى اشارة واحدة الى العلاقات الامريكية مع الدول العربية : « ان الادارات الجمهورية نجحت فى اعادة الاتصالات مع الدول العربية ، وحققت تقدما شاملا فى علاقاتنا الدبلوماسية والتجارية مع الدول العربية الاكثر اعتدالا » .

ولم يتناول معظم البند الاصلى الخاص بالشرق الاوسط سوى اسرائيل والتزام أمريكا تجاه الدولة اليهودية . وبعد ذلك ، صاغ الجمهوريون بالفعل مسودة البيان بقوة كما لو كانت اضافة شائنة لخسارة العرب . فقد دعت المسودة الاولى « لسلام عادل ودائم لكافة الاطراف فى المنطقة المعقدة » وعندما اشار شخص ما الى أن كلمة « الاطراف » ربما تفسر على أنها

تشمل منظمة التحرير الفلسطينية ، صوتت اللجنة بسرعة فى صالح تغييرها الى كلمة « دول » . وبالمثل فى الفقرة التى تدعو لاجراء « مفاوضات مباشرة وجها لوجه » استبدلت اللجنة كلمة « اطـــراف » بكلمة « دول » . ولـــم يتركوا منفذا ربما يحاول الديمقراطيون استغلاله فيما بعـــد ، وأبدى وزير الخارجية موافقته على جهـــود السياســـيين لحشـــد التأييد بين أصـــدقاء اسرائيل .

وشكل هنرى كيسنجر ، اكثر من أى أمريكى آخر طبيعة السياســـة الامريكية تجاه اسرائيل والشرق الاوسط طوال سنوات منذ حرب يوم كيبور عام ١٩٧٣ ، وكانت بصمته واضحة ، بالطبع ، خلال ادارتى نيكســـــون وفـــــورد .

غير ان بصمته ظلت لها انطباع دائم على السياسة خلال ادارتى كارتر وريجان ، اللتين جاءتا فى أعقاب خروجه من الحكومة .

وحتى هذا اليوم ، مازالت آراء كيسنجر بشأن الشرق الاوسط تلتمس بنشاط ، ومن المعترف به بصورة واسعة ان آراءه المعطاه لوزير الخارجيـــة جورج شولتز خلال صيف عام ١٩٨٢ ، بعد فترة قصيرة من تولى شـــولتز الوزارة خلفا لالكسندر هيج ، كانت تلك الاراء مفيدة فى صياغة أسلوب مبادرة الرئيس ريجان عن السلام العربى — الاسرائيلى التى طرحها فى الاول من سبتمبر عام ١٩٨٢ . وتوضح القراءة المتأنية لهذا الاقتراح والوثائق الهامشية المتصلة به ، وبصفة خاصة فكرة اتحاد الضفة الغـــربية مع الاردن ، نهجا كيسنجريا خالصا . وقد علق مسئول أمريكى مطلع قائلا أن « بصماته كانت فى كل مكـــان » .

وقد أرسى كيسنجر ، اثناء توليه منصب وزير الخارجية الامريـــكية ، عددا آخر من الاتجاهات فى سياسة الولايات المتحدة الذى ظل أيضا سارى المفعول بدرجة عظمى بعد عشر سنوات . فقد شجع ، على سبيل المثال ، فكرة عملية السلام خطوة خطوة التى كان يسعى من خلالها للتوصـــل الى اتفاقات جزئية تتناول أمورا اسهل الى حد ما ، بدلا من النهج الشامل الذى يدعو لحل كل شىء أو لا شىء . ويقوم أسلوبه الناجح على التصور بأنـــه بوضع مزيدا من الاتفاقات ، البسيطة موضع التنفيذ فان ثقة كلا الجانبين قد تزداد ، وأن التنازلات بشأن القضايا الاكثر حساسية التى تـــد تلوح فى البداية غير واقعية ، ستصبح بمرور الوقت ، اكثر قبولا . وكان هذا النهج هو الذى أدى الى التوصل لاتفاقيتى فض اشتباك القوات الاسرائيلية مع مصر وسوريا بعد حرب ١٩٧٣ واتفاق سيناء الثانى ، واتفاقات اطار كامب ديفيد فى عام ١٩٧٨ ، ومعاهدة السلام الاسرائيلية — المصرية فى عام ١٩٧٩ .

كما ظلت جهود وزير الخارجية السابق لتقليل هيبة ونفوذ الاتحاد السوفيتي في المنطقة كسياسة أمريكية بصفة عامة قائمة ، رغم أن كارتر قد انحرف عن هذا الهدف بتشجيعه البيان الامريكي ــ السوفيتي المشترك الذي صدر في الاول من شهر أكتوبر عام ١٩٧٧ بشأن احياء مؤتمر جنيف للسلام في الشرق الاوسط ، حيث يتم حل كافة القضايا نظريا بقفزة واحدة مهلكة ، ورغم ذلك خشى الرئيس المصرى انور السادات من أن يتعرض جدول الاعمال الجديد ، الذى كان على وشك أن يقدم وأن يتعرض التقدم الذى أحرز بشأن قضايا قديمة لتهديد رفض الرئيس السورى حافظ الاسد الذي يدعمه الآن الوجود السوفيتى على مائدة المفاوضات ، ولذلك فان السادات ، بعد شهر من ذلك ، قضى بصورة فعالة على خيار جنيف بالذهاب الى القدس . وبذا انتعش برنامج الخطوة خطوة لكيسنجر .

ووضع كيسنجر أيضا نموذج تزويد اسرائيل بمساعدات اقتصادية وعسكرية واسعة في مقابل تنازلات سياسية اسرائيلية في المفاوضات مع الدول العربية المجاورة . وبدأت حصص المساعدات الاجنبية التي بلغت مليارى دولار في العام لاسرائيل بفضل كيسنجر ، رغم أنها ، بالطبع حظيت بمساندة الرئيس ريتشارد نيكسون ومجموعة كبيرة ذات نفوذ من الحزبين من أعضاء مجلسى الشيوخ والنواب . وكان من المفترض في ذلك الوقت أن تتم مجموعة المساعدات الكبيرة في صفقة واحدة . غير أن المبالغ الضخمة استمرت منذ ذلك الحين . واليوم يعتبر معظم المراقبين في واشنطن هذه المبالغ الضخمة من المساعدات الاقتصادية والعسكرية لاسرائيل على انها شىء لازم .

ووضع وزير الخارجية السابق ايضا صيغة عدم التعامل مع منظمة التحرير الفلسطينية حتى تقبل شرطين هامين هما : حق اسرائيل في الوجود وقرارا مجلس الامن التابع للامم المتحدة رقما ٢٤٢ و ٣٣٨ . وقد أدرج هذان الشرطان في المذكرة الامريكية ــ الاسرائيلية في الاول من شهر سبتمبر عام ١٩٧٥ ، التى رافقت التوقيع على اتفاق سيناء الثانى . ووقع كيسنجر وآلون على هذه المذكرة التاريخية التى استمرت ادارتا كارتر وريجان فيما بعد في الالتزام بها ، الى درجة ، في أغلب الاحيان ، اثارة غضب عدد كبير من المسئولين الامريكيين كانوا حريصين على بدء اجراء اتصالات رسمية مع ياسر عرفات ومنظمة التحرير الفلسطينية . وكان من الممكن ان يشير اى تراجع من جانب الولايات المتحدة عن هذا الالتزام ، اخطر القضايا في القدس بشأن رغبة امريكا في الالتزام بكلمتها ، وكان من الممكن أن يقوض على نحو خطير الثقة الاسرائيلية في واشنطن . ولذلك ، لم يكن أمام جيمى كارتر المقاوم للغاية سوى خيار التمسك بالاتفاق رغم الالحاح القوى على الموقف العكسى من جانب بعض مساعديه المقربين .

وباقتران التفكك الذى حدث مؤخرا فى صفوف منظمة التحرير الفلسطينية وأفول نجم ياسر عرفات ، بسطوة سوريا كقوة مهيمنة فى تشكيل مختلف فصائل منظمة التحرير الفلسطينية ، لم يعد الالتزام بتعهد كيسينجر يثير كثيرا من التوتر . غير أنه من وجهة نظر اسرائيل ، فما من شك أن تعهد كيسينجر هو السبب الوحيد الاهم وراء عدم بدء الولايات المتحدة اتصالات رسمية مع منظمة التحرير الفلسطينية طوال هذه السنين .

واليوم ، ربما لم يعد كيسنجر مسئولا فى الحكومة ، الا ان دوره وراء الكواليس فى تشكيل السياسة الامريكية تجاه الشرق الاوسط يعتبر فى راى خبراء أمريكيين واسرائيليين وعرب رفيعى المستوى ، ذا تأثير كبير للغاية . وكان ذلك واضحا مباشرة فى أعقاب نسف مقر قيادة مشاة البحرية الامريكية فى بيروت بشاحنة ملغومة فى ٢٤ أكتوبر عام ١٩٨٣ . واصبحت نصيحة كيسينجر العلنية والسرية بمثابة فكر مهيمن داخل الادارة ، كما تأكد خلال زيارة كل من اسحق شامير رئيس الوزراء وموشيه ارينز وزير الدفاع لواشنطن خلال شهر نوفمبر . وتلقى الاسرائيليون من ريجان وشولتز وصانعى السياسة الامريكيين الاخرين التزاما قويا لتوثيق العلاقات العسكرية والاقتصادية والسياسية،وفى نهاية أكتوبر،صدق ريجان على اسلوب جديد للعمل تجاه اسرائيل ، بناء على توصية من كيسنجر قبل اسبوع فى برنامج شبكة تليفزيون ايه بى سى « هذا الاسبوع » مع المذيع ديفيد برينكلى . وقال كيسينجر « ينبغى على أن اشير الى أنها كظاهرة تشير للدهشة أن يتمركز الجيش الاسرائيلى على بعد كيلو متر من الموقع الذى يقتل فيه الامريكيون وأنه لايبدو أنهناك اىتنسق لسياساتنا على الاطلاق» .وحث الولايات المتحدة على اتخاذ خطوات محددة للاتحاد مع اسرائيل ، لتغيير توازن القوة فى المنطقة الذى كان حتى ذلك الحين يميل لصالح سوريا . وكان من الواضح لكيسينجر أن السوريين ليسوا على وشك اظهار اى مرونة فى المفاوضات الرامية لسحب قواتهم من لبنان حتى يحصلوا على حافز حقيقى ما للقيام بذلك ، وأن ذلك ربما لا يأتى عن طريق خشيتهم من الالة العسكرية الاسرائيلية . وقد وافق ريجان وشولتز ، وكانت النتيجة لذلك اليوم كثيرا من المباحثات لتدعيم التعاون الاستراتيجى مع اسرائيل .

وهناك ايضا حقيقة أن اثنين من أقرب مساعدى كيسينجر السابقين كان لهما تأثير فى دفع هذه الفكرة الخاصة بالتعاون الوثيق مع اسرائيل خلال المناقشات الداخلية التى دارت فى ادارة ريجان . فلورانس ايجلبرجر وكيل وزارة الخارجية للشئون السياسية كان يعتبر فى السابق اليد اليمنى لكيسينجر فى وزارة الخارجية . وفيما بعد كسب ايجلبرجر ثقة شولتز العميقة . كما عمل بيتر رودمان المسئول عن التخطيط السياسى فى وزارة الخارجية كمسئول شخصى لكيسينجر فى الفترة من عام ١٩٦٩ حتى ١٩٨٣ . وقد درس شئون الشرق الاوسط وهو يعمل مع كيسينجر .

غير انه سيكون من الخطأ استنتاج أن كل افكار كيسينجر التى وضعها موضع التنفيذ والتى ظلت سارية المفعول بدرجة كبيرة اليوم هى بالضرورة مفيدة لاسرائيل ، وأبدى معظم المسئولين الاسرائيليين والعناصر السياسية من أصل أمريكى اعادة نظر متباينة لحد ما تجاه تراث كيسينجر .

وقد أثير سخط عدد كبير ، على سبيل المثال ، بسبب فشل كيسينجر فى تعريف أعضاء منظمة التحرير الفلسطينية بأنهم ارهابيون ، ففى الجزء الاول من مذكرات كيسينجر « سنوات البيت الابيض » ، لم يشر مطلقا الى أعضاء منظمة التحرير الفلسطينية بأنهم ارهابيون ، ولا مرة فى الفصول الاربعة أو فى الـ ١٣٨ صفحة التى تناولت الشرق الاوسط . وحتى عندما ناقش كيسينجر عمليات الاغتيال والاختطاف والفظائع الاخرى التى ارتكبها الفلسطينيون ، تجنب بعناية هذا الوصف الازدرائى . واختار بدلا من ذلك وصفا من بين كلمات أكثر حيادا أو حتى مديحا مثل كوماندو أو رجال حرب العصابات أو الفدائيين ، والكلمة تترجم بصورة غير دقيقة من اللغة العربية على انها « الشهداء الدينيون » أو « الذين يرغبون فى التضحية بأرواحهم تاريخيا فى سبيل قضية عادلة » . وهذا يتطابق مع الوصف المتفق عليه لمنظمة التحرير الفلسطينية فى العالم العربى . وكان حذف كيسينجر لكلمة ارهابى أكثر وضوحا عندما سرد الاحداث المحيطة باختطاف الفلسطينيين للطائرات التجارية الامريكية والسويسرية والبريطانية التى كانت تقل عبره مئات من الركاب الى الاردن فى سبتمبر عام ١٩٧٠ وكتب كيسينجر يقول انه فى « السابع من سبتمبر عرضت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين اطلاق سراح كافة الركاب ماعدا الاسرائيليين وحاملى الجنسيات المزدوجة فى مقابل اطلاق سراح جميع الفدائيين المحتجزين فى سجون سويسرا وألمانيا وبريطانيا ، وكان يتعين احتجاز الاسرائيليين وحاملى الجنسيات المزدوجة فى مقابل الفدائيين المحتجزين فى السجون الاسرائيلية » . وكان كيسنجر قد أشار قبل صفحة من ذلك الى أن « المتطرفين بين الفدائيين » يعتبرون أن « هدفهم هو عدم احلال السلام مع اسرائيل بتدميرها » . والمرة الوحيدة التى ظهرت فيها كلمة ارهابى عندما أشار كيسنجر الى أن أعضاء منظمة التحرير الفلسطينية يعتبرون « من وجهة نظر اسرائيل مجرمين ارهابيين .

وبالنسبة لخبراء النزاع العربى ـ الاسرائيلى ، فانه لا يمكن النظر الى اختيار كيسنجر للكلمات على انه جاء مصادفة ، ومن الواجب أن يصدر قرار مدروس بعدم الاساءة للفلسطينيين وباقى العالم العربى .

وبعد توجيه هذا الانتقاد أشار كيسنجر فى بعض الأحيان الى منظمة التحرير الفلسطينية على انها منظمة للارهاب وكان ذلك فى الجزء الثانى من مذكراته . غير انه سيظل من الواضح ان كيسنجر لم يرغب فى تدمير الجسور مع العالم العربى بعد رحيله من الوزارة .

ومنذ يناير من عام ١٩٧٧ ، يحافظ كيسنجر فى الواقع على توازن دقيق على حبل الشرق الاوسط المشدود . وتبدو استراتيجيته بأنها تقوم على محورين: تجنب ازعاج العرب ، بينما يتعلق فى وقت متزامن اسرائيل وأنصارها اليهود من أصل أمريكى الذين يتكشف أنهم حلفاء نافعون — وقد بدأت هذه الاستراتيجية المزدوجة قبل انتخابات عام ١٩٧٦ ، عندما بدأ كيسنجر يظهر بصورة واسعة أمام الجمهور اليهودى . وقد أصيب كيسنجر بوخزة بصورة واضحة نتيجة لرد اسرائيل واليهود الحاد على « اعادة تقييمه » للسياسة الامريكية فى الشرق الاوسط لمدة ستة أشهر عام ١٩٧٥ ، التى أعقبت الانهيار الاول لجهود الوساطة التى كان يقوم بها للتوصل الى اتفاق سيناء الثانى . وفى الوقت الذى وقع فيه لاتفاق فى آخر الامر يوم الاول من شهر سبتمبر عام ١٩٧٥ ، فان عملية « اعادة التقنيين » شهدت واحدة من أقسى الفترات فى العلاقات الامريكية — الاسرائيلية التى تعود الى عام ١٩٤٨ .

وقد مثلت « اعادة التقييم » حدا فاصلا أصيلا ، فمازالت مصادر التوتر التى تطورت لها تأثيرها اليوم . وخلال هذه الازمة بدأ كيسنجر هجوما لقى دعاية واسعة على اسرائيل لوقوفها على ما يزعم فى سبيل التوصل لاتفاق . وسعى كيسنجر ايضا ، باضفائه شرعية على سياسة الضغط على اسرائيل ، كما سعى ايضا لاكراه اليهود الامريكيين بالتهديد اما ان يتخلوا عن تأييدهم لاسرائيل أو يعرضوا سمعتهم كزعماء أمريكيين نشيطين وطنيين للخطر . وحينما ينتقد وزير الخارجية اسرائيل علنا ، يلقى أنصار العرب فى هيئة موظفى وزارة الخارجية تشجيعا ويزيدون من ادانتهم « لتصلب » اسرائيل . وأصبح انتقاد اسرائيل العلنى ، على سبيل المثال متمشيا مع الموجة السائدة على الصعيد السياسى خلال فترة « اعادة التقييم » . ويمكن ارجاع معظم تراجع التأييد لاسرائيل فى وسائل الاعلام الى تلك الفترة ، عندما طرح كيسنجر خلال احاديثه الخاصة تبريره الفكرى لالقاء اللوم على اسرائيل بسبب انتقاد التقدم نحو السلام فى الشرق الاوسط . ومازالت واقعة ابلاغ وزير الخارجية يهودى لغير اليهود وان المرء يمكنه انتقاد اسرائيل دون القلق من أن يوصف بأنه معاد للسامية لها آثارها حتى اليوم .

غير أنه ، رغم ضيق افق اهداف حملة كيسينجر المعقدة للعلاقات العامة ورغم انه كان يعتزم أن تكون عابرة ، فانها فى وقت لاحق أصبحت السمة الرئيسية لادارة كارتر ، واتبع الرئيس كارتر مبادرة كيسينجر عندما قال لمجلة تايمز صراحة فى شهر اغسطس من عام ١٩٧٧ انه سيحاول حث الرأى العام على اقناع اسرائيل بقبول الموقف الامريكى فى مؤتمر جنيف للسلام الذى سيعاد عقده . وقال كارتر « سأحاول تنظيم التأييد للزعيم (الاسرائيلى) فى المقام الاول ، ثانيا تنظيم التأييد للرأى العام لشعبه فى الداخل وجمهور الناخبين الذى ربما يوجد فى بلادنا والذى له نفوذ فى أنحاء العالم ، والرأى العام يوجه فى المجموعة الاوروبية والدول العربية أيضا » .

وكان هذا الاتجاه ، الذى وضع على أساس حساسية اسرائيل وقابلية تعرضها للخطر أمام الرأى العام الامريكى ، قد وضعه فى الاصل كيسينجر.

ولم يذهب كارتر أبعد من دمج استخدام كيسنجر للمساعدات الاقتصادية والعسكرية ـ الامريكية ـ لاسرائيل كنفوذ اضافى لتحقيق هذا الهدف . وقد نسى مجموعة كبيرة من أصدقاء اسرائيل ، فى حنينهم الى ماضى كيسينجر ، أو لم يعوا على الاطلاق ، حقيقة أنه خلال « مرحلة اعادة التقييم» رفضت الولايات المتحدة التوقيع على أى صفقات جديدة للاسلحة مع اسرائيل وأجلت الادارة ، علاوة على ذلك ، لمدة ستة أشهر تقديم مشروع جديد للمساعدات الأجنبية للكونجرس . وكانت اسرائيل فى ذلك الوقت قد أصبحت تعتمد اعتماداً كبيرا على المساعدات ، الاجنبية الامريكية ، وهذا التاخير قد ضغط اسرائيل بشدة .

وفى التعامل مع اسرائيل ، هذب كيسنجر دبلوماسية الترغيب والترهيب بشكل متطور . فعندما تبدى اسرائيل بعض المرونة ، يمكن للولايات المتحدة أن تكافىء اسرائيل بتزويدها ببعض المساعدات العسكرية وقد ألقى كيسينجر فى كتابه « سنوات البيت الابيض » باللوم على وزارة الخارجية لمحاولتها ابقاء اسرائيل تحت « ضغط غير كاف » ، غير أنه يبدو فى الاغلب أن كيسينجر كان المهندس الرئيسى لهذه السياسة . (ورغم ذلك فمن الانصاف لكيسنجر الاشارة الى أن اسرائيل ، فى ظل حكومتى جولدا مائير واسحق رابين ، قد شجعت كيسينجر بصورة غير مباشرة على انتهاج هذه السياسة حيث ربطت بنفسها التنازلات بمزيد من أمدادات الاسلحة . لذلك قاد كثيرين من الاسرائيليين الى تحريف سياسة رابين الرسمية الخاصة « سياسة الارض مقابل السلام » الى « سياسة الارض مقابل السلاح » .

وبعد اجبار جيمس شليسنجر على الخروج من ادارة فورد كوزير للدفاع انتقد هذا الرجل علنا هذه المعاملة لصديق وحليف مفترض بأنها غير عادلة وفى خطاب له أمام اللجنة الامريكية الاسرائيلية للشئون العامة فى واشنطن فى الرابع من شهر مايو عام ١٩٧٦ ، لم يذكر كيسينجر بالاسم ، غيرأن هدفه رغم ذلك كان واضحا . وأدان سياسة فرض تنازلات من « جانب واحد» على اسرائيل . وقال ذلك ادى الى « وضع وصفه أحد الاشخاص بأنه (فتنمة) اسرائيل » . وقال شليسينجر مشيرا الى حاجة اسرائيل للمساعدات الاقتصادية والعسكرية الامريكية الواسعة : « اننى لا أشير الى هذا الاعتماد الذى يضعنا فى موقف يمكننا فيه فرض تنازلات عندما أشير الى فتنمة اسرائيل . ولا أشير الى تركيب دلفه اتصالات رئيس الوزراء رابين التى تشبه تركيب دلفه اتصالات الجنرال ثيو فى أوقات سابقة . والمسألة التى تقلقنى أكثر هى تقويض الاساس الاخلاقى لتأييد دولة اسرائيل . وأن ذلك

بالطبع ، له انعكاس فى تكتيكات متطابقة ، استخدمتها الولايات المتحدة في أوقات سابقة فى مفاوضاتنا فى جنوب شرق آسيا • وهناك اتجـاه لتحميل اسرائيل مسئولية عدم احراز تقدم وبطء التقدم فى المفاوضـات ، للتاكيـد أن الجمود سيىء وأن قوة الدفع والتقدم هما أمر طيب ، وأن الفشـل في تحقيق قوة دفع هو نتيجة مباشرة للتعنت الاسرائيلى • ويتم توجيه اصبع الاتهام الي إسرائيل » •

واضطر وزير الخارجية كيسينجر اضطرارا بسبب الهالة التى أحاطت « بفترة اعادة التقييم » وبصفة خاصة الهجمات المنظمة من جانب الاسرائيليين واليهود الامـريكيين ضده ، الى المبالغة فى تقييم قـوة ما يسـمى باللوبى اليهودى • واستاء بصورة شخصية من خطاب وجهه ستة وسبعون من أعضاء مجلس الشيوخ للرئيس فورد خلال « فترة اعادة التقييم » يدعو الى تأييد اسرائيل القوى والمستمر • وبعد هذه المحنة ، بدأ فى اعطاء انطباع للزائرين الاسرائيليين والمثقفين اليهود الامريكيين بأنه يعلم ما هو الافضل بالنسـبة لاسرائيل ، وقد كشف كيسينجر فى الجزء الاول من مذكراته النقاب عن أن الرئيس نيكسون فى أواخر عام ١٩٦٩ ،كتب الاتى بخط يده على مذكرة أعدها كيسينجر توضح تشـاؤم الملك حسين من موقف اسرائيل المتصلب : « لقد بدأت في التفكير فى أنه يتعين علينا دراسة اتخاذ خطوات قوية من جانب واحد لانقاذ اسرائيل من تدمير نفسها •

« ومع ذلك بدا فى وقت لاحق أن كيسينجر كان يتحرك نحو نفس هذا الاتجاه ، وأوضح ذلك على هذا النحو فى كتابه ، « سنوات البيت الابيض » « إن اجتماع مجلس الوزراء الاسرائيلى ملائم أكثر لالقاء مقترحات السلام الى طريق مسدود من تبنى وتطوير سياسة بعيدة المدى . وتجـد اسرائيل أحيانا أنه من الاسهل تحول مسئولية الخيار الصعب الى حليفتها الكبيرة بدلا من اتخاذ القرار بنفسها ، ويمكن أن يكون « الضغط الامريكى » عذرا لمـا يعرفه الكثير من الزعمـاء الاسرائيليين فى داخلهم بأنه ضرورة لاسرائيل فى الاحوال » •

وكشف نيكسون فى الثانى عشر من شهر مايو عام ١٩٧٧ ، النقـاب عن أن الولايات المتحدة قد اضطرت لاستخدام أساليب « الاب الروحى » لكبح جماح اسرائيل من تدمير الجيش الثالث المصرى خلال الايام الاخيرة من حرب يوم كيبور عام ١٩٧٣ • وكان كيسينجر في ذلك الوقت يتولى منصبي وزير الخارجية ومستشار الامن القومى • وفى مقابلة مع ديفيد فروست ، سـئل نيكسون عن الكيفية التى مارست بها الولايات المتحدة الضغط لمنع إسرائيل من سحق الجيش الثالث المحاصر ، الذى كان يتمركز في ذلك الوقت على الضفة الشرقية لقناة السويس • فقال الرئيس الاسبق « اننا لم نضـع

الاسرائيليين فى موقف حاولنا فيه تهديدهم ، لانهم لن يقبلوا ذلك التهديد ولن نضعهم فى هذا الموقف . وما فعلناه انما هو التفكير معهم بطريقة أننا نحن فى الواقع اذا كان لى أن أفسر كلمة الأب الروحى — « اعطيناهم عرضا لا يمكنهم رفضه » .

وقال الرئيس الاســـبق ان اسرائيل « كانت تصر على أسر وتدمير الجيش الثالث المصرى » . وقال نيكسون انه رفض هذا المطلب الاسرائيلى بسبب أنه كان من المحتمل أن يؤدى الى حدوث « انقلاب أو أسوأ من ذلك بقدر ما كان السادات قلقا . وكان من الممكن أن يتولى الســـلطة فى مصر شخصا ربما أسوأ من عبد الناصر — يتوجه نحو الموقف الراديكالى ، كما كان من الممكن أن تصبح مصر دولة تابعة للسوفييت بصورة تامة ، وكانت اسرائيل ستنتزع انتصارا بثمن باهظ جدا » ..

ووصف ساول بيلو روح كيسينجر خلال مقال كتبه فى مجلة نيويوركر خلال صيف عام ١٩٧٦ . فبعد لقائه مع كيسينجر ، كتب بيلو هذهالانطباعات عنه : « انه يقدم نفسه كمدافع قوى عن اسرائيل لا تلقى جهوده تقديرا ... والانطباع الذى يريد أن ينقله هو أنه وقف بين اسرائيل وأعدائها فى الحكومة الامريكية . وعندما يرحل ويتعين عليه الرحيل قريبا فســـوف يفتقده نفس الاشخاص الذين يهاجمونه الآن . ويتحلى مستر كيسنجر برشاقة أستاذ مناور ، غير اننى أشعر أن طابعه المميز ما زال لطيفا كما هو . وهو يريد بالنسبة للشىء الذى ربما يكون جديرا بالاقدام ، اقناعى بدفئه . ورغم ذلك ففى هذا الدفء مواقع باردة — تهديدات متناثرة يملك عادة توجيهها عندما يتحدث الى اليهود الامريكيين : — فقد كان لديهم تفهم افضل بأنهم بالسماح لانفسهم بأن يستغلوا من جانب زعماء اسرائيل كقوى ضغط ، فانهم لا يساعدون اسرائيل ولا أنفسهم وفى الحالة المأساوية لهزيمة اسرائيل ، سوف يعانون أيضا من تجربة اليمة لذلك ينبغى عليهم ، من الافضل .وقف القيام بضوضاء شديدة الصـــخب فى واشنطن واضعاف مكانة حاميهم الرئيسى هنرى كيسينجر » .

ويجب على المرء ، فى تحليل تصريحات كيســـينجر عن الصراع العربى — الاسرائيلى منذ تركه منصب الوزارة ، الا يفقد الرؤية الحقيقية بأن كيسينجر كان مدفوعة برغبة محو بعض السجل التاريخى والعودة الى وزارة الخارجية. وبالرؤية انطلاقا من هذا المنظور ، فان المقدار الوافر من تصريحاته « الموالية لاسرائيـــل » تمام الموالاة (التى أدلى بها دون اغضاب العرب صراحة) تتخذ حقيقة جديدة .

وخلال عام كيسينجر الاخير فى وزارة الخارجية ، باشر حملة محددة لتحسين صورته فى اسرائيل ولدى الطائفة اليهودية الامريكية . كما أنه حاول عرض نفسه كصديق عظيم لاسرائيل .. وجاء أول برهان علنى على ذلك ، فى التاسع من شهر

مايو عام ١٩٧٦ عندما القى خطابا امام عدة مئات من اليهود فى معبد شيزوك أمونو اليهودى فى بالتيمور . اذ قال « اننا جميعا أصدقاء اسرائيل الذين فى نفس الوقت نكرس جهودنا لتحقيق مزيد من التقدم نحو السلام ونفهم شكوك اسرائيل — وفى نفس الوقت نشاركها آمالها . ولن تكون هناك حلول مفروضة ، وينبغى ان تجرى هناك مفاوضات بين الاطراف التى لابد لها فى نهاية الامر أن تعيش فى سلام .

ووصل دفاع كيسنجر الى ذروة جديدة فى الحادى عشر من شهر يناير عام ١٩٧٧ ، بعد فوز كارتر فى الانتخابات ولكن فى حفل عقد قبـــل تنصيبه رئيسا فى العشرين من شهر يناير ، وكانت المناسبة تقديم ثناء مثير للعواطف وان كان مثيرا للاشمئزاز الى حد ما لكيسنجر من جانب مؤتمر رؤساء كبرى المنظمات اليهودية الامريكية . وبعد اشادة حادة به من جانب رئيس المؤتمر الحاخام الكسندر شيندلر، رئيس المؤتمر السابق مباشرة الحاخام اسرائيل ميلر ، والسفير سمحا دينتز ، تحدث كيسنجر عن علاقته باسرائيل والقيادة اليهودية المنظمة فى الولايات المتحدة، قال كيسنجر « من وجهة نظرى فمن المحتمل انه لم يؤذنى أى نقـــد أكثر من النقد الذى وجهته الى هذه الطائفة . ومن المحتمل من وجهة نظرى ، انه يصبح من المؤلم بصفة خاصـــة اذا حدثت خلافات بين الطائفة اليهـــودية وأول وزيـــر خارجية يهودى فى التاريخ الامريكى » .

وواصل كيسنجر حديثه المثير للعواطف قائلا : « اننى لم أنس قط أن ثلاثة عشر فردا من عائلتى قـــد لقوا مصرعهم فى معسكرات الاعتقـــال ، كما أننى لم أتمكن قط من نســـيان ماذا كان يعنى العيش فى المانيـــا النازية كفـــرد فى أقلية مضطهدة .

وقال كيسنجر فى ختام كلمته : « ان مشاكل الامن والســـلام فى الشرق الاوســـط ستلازمنا طالما ماثلة أمامنـــا . وســـأظل صديقا وفيـــا لاسرائيل ، وصديقا لهذه الجماعة طوال حياتى . وأود أن هذا الاجتمـــاع يعنى الكثـــير بالنسبة لى . وطوال تاريخ اليهود كانوا يقولون لانفسهم « سنلتقى العـــام القادم فى القدس » . وأود الاعتقـــاد أنه سيكون فى مقدورنا فى وقت قريب قول ذلك بمعناه الاعمق بأن هنـــاك دولة اسرائيل تعيش فى أمن ومعترف بهـــا وتعيش فى سلام . ويعنى الكثير دائما بالنسبة لى العمل مع هـــذه الجمـــاعة ومع أصدقائى فى اسرائيل لتحقيق هذا الهدف » .

وقد تبنى كيسنجر فى البداية بعد رحيله من الوزارة موقف الحـــديث بصورة قليلة بشأن الشرق الاوســـط . وقصر تعليقاته العلنية الى حـــد ادنى . وتجنب كيسنجر حتى فى حفـــل عشـــاء رسمى اقيم فى العاشرة من مارس عام ١٩٧٧ فى فندق ماديســـون بواشنطن عندما كان يمنح درجـــة الدكتوراه الفخرية من معهـــد وايزمان للعلوم ، تجنب الادلاء بأى تعليقات جوهرية مثيرة للجـــدل . واستمر موقفه هذا الصامت حتى الثالث عشر من شهر نوفمبر من نفس العام ،

قبل ايام فقط من اعــلان السادات قراره ، الذى أصـــاب العالم بذهـــول ، بالذهاب الى القدس ، وعندما خرج كيسنجر عن صمته . وكانت المناسبة فى حفـــل عشاء اقامة المؤتمر اليهودى الامريكى فى نيويورك تكريمـــا لجولدا مائير ، حيث قال كيسنجر « بافتراض مشاركتى الخاصة فى أدارة السياسة الخارجية خلال ثمانية اعوام ، فاننى اعتقد أنه من غير المناســـب منذ يناير المشـــاركة فى مناقشة تكتيكات يومية . غير أننى أود انتهـــاز هذه الفرصـــة لتفصيل بعض المبادىء العـــامة » .

وتضمن حديث كيسنجر تصريحا مشوبا بالعاطفة مؤيـــدا لاسرائيـــل . « لا يوجـــد شعب عانى أكثر نتيجة لغيـــاب السلام من شعب اسرائيل ، وكل ميل مربع من هذا البلد مخضب بدمـــاء روادها تلك التى لا يعترف بوجـــودها أى من الدول المجـــاورة لها » . واضفى كيسنجر نوعـــا من التخفيف لانتقاده سياسات ادارة كارتر ، ومن بينهـــا البيان الأمريكى ـــ السوفيتى المشترك الذى صـــدر فى الأول من شـــهر اكتـــوبر عـــام ١٩٧٧ عن الشرق الاوســـط الذى يدعـــو لعقد مؤتمر جنيف من جـــديد .

«ان معرفتى بالرئيس كارتر ووزير الخارجية فانس ، وكبار مســـاعديهما تقنعنى بأن هذه الادارة لن تعرض عن عمد أمن اسرائيل للخطر . غير أن هناك دائما خطر احتمال أن تؤدى اجراءات تتم بحسن نية وعن غير قصد الى نتائج غير متوقعة . واذا حدث مثل هذا الخطأ فى التقدير فاما أن تصبح اسرائيل معزولة تماما أو ان تصل الدبلوماسية على نحو مفاجىء الى طريق مسدود » .

واكد كيسنجر على ان « فن الدبلوماسية هو تحريك الاحداث بعناية وتشكيلها نحو غايات يمكن تحقيقها لكيلا تواجه الولايات المتحدة واسرائيل مطلقا مثل هذا الخيار المتصلب والمستحيل » .

وخلال مأدبة العشـــاء تلك ، تحدى كيســـنجر بصـــورة غير مباشرة النهج « الشامل » لادارة كارتر الذى زائفا فى ذلك الوقت نحو حل النزاع العـــربى الاسرائيلى فى اطار مؤتمر جنيف واسع النطاق بمشاركة السوفييت . قال كيسنجر ان « التوصل لحل شامل هو بالطبع الهدف النهائى . غير أن الواقع يجبرنا على التسليم بأن تحقيق هذا الهدف يشمل قضايا تتضمن تعقيدات ضخمة وأطرافا غير متساوية من حيث التزامهـــا نحو السلام . ويحتـــاج أيضا لعملية من الضرورى تأجيلها . ولذلك وبينما نناضل من أجل التوصل لتسوية شاملة ، فيجب علينا الانتباه لعدم اعاقة فرص أخرى ربما تطرح لتخفيف التوترات وتمكين شعوب المنطقة من بناء الثقة . ولا ينبغى أن نعترض على أكثر العناصر تصلبا فى المنطقة ، كما يجب علينا عدم السماح لقوى خارجية بالظهور لتأييد وجهة نظر تعوق تيار الاعتدال » .

واكد كيسنجر فى كتابه « سنوات البيت الأبيض » على أنه « عارض دائما » التوصل لحلول شاملة بسبب انه شعر انها سترفض من جانب اسرائيل والدول العربية ولن تخدم سوى الاهداف السوفيتية اما باظهار عجزنا ، أو ان تتحول الى نافذة عرض لما قد يتم ابتزازه من جانب الضغط السوفيتى ، وهدفى هو ايجاد مأزق يشجع موسكو على التوصل لحل وسط أو حتى ، على أفضل تقدير ، تقرر بعض النظم العربية المعتدلة ان الطريق لاحراز تقدم هو من خلال واشنطن » .

واشار كيسنجر الى ان « رصيد امريكا يتمثل فى اننا اذا لعبنا بأوراقنا على نحو صحيح فيمكننا تحقيق تقدم ملموس فى الدبلوماسية بينما يمكن للسوفييت الوعد بالمساعدة فى حالةالحرب فقط .

ويفيد القول المأثور الشائع اليوم أن كيسينجر كان سيواصل دبلوماسية الخطوة خطوة التى كان ينتهجها فى الشرق الاوسط اذا كان اعيد انتخاب فورد عام ١٩٧٦ ، وتجنبه فى السابق البحث الخادع عن اتفاق « شامل » ، رغى كيسنجر بنجاح اتفاقية جزئيين بين اسرائيل ومصر واتفاقا لفصل القوات الاسرائيلية والسورية فى مرتفعات الجولان فى أعقاب حرب ١٩٧٣ . وكان الاتفاقان مع مصر بالفعل يمثلان بشيرا لمعاهدة السلام الاسرائيلية ــ المصرية ، ومع أن كيسنجر كان فى الاغلب سيقع ايضا فى خطأ التبسيط غير انه هبأ على نحو عقلانى الفخ للتوصل الى سلة الذهب باكملها خلال العام الأول من ادارة رئاسية ، عندما وصلت الضغوط المحلية للطائفة اليهودية الى اضعف حد لها . وقد أوصى بهذا النهج تقرير معهد بروكينج فى شهر ديسمبر من عام ١٩٧٥ ، وكان يقوم على الاعتقاد بأنه لا يجب على الولايات المتحدة أن تضيع نفوذها على اسرائيل فى البحث عن « خطوة » أخرى « فقط » ، بل ينبغى أن تمضى نحو الحل الشامل .

ولذلك وطوال معظم عام ١٩٧٦ ، ضرب كيسنجر على وتر موضوع ان السلام بين اسرائيل وجيرانها العرب قد اصبح فى المتناول . اذ قال فى مؤتمر صحفى عقد فى بروكسل فى العاشر من شهر ديسمبر عام ١٩٧٦ بعد انتخاب كارتر للرئاسة ان « النزاع الذى لانهاية له سيكون له عواقب وخيمة للشعوب المعنية وعواقب عالمية وخيمة كذلك ، ولذلك ، فاننى أعتقد أن الاطراف اصبحت الآن أكثر استعدادا والظروف أكثر نضجا لبذل جهود مكثفة من اجل التوصل للسلام اكثر مما كان عليه الحال منذ فترة طويلة » .

وقبل ذلك بشهرين ونصف الشهر ، وفى ٢٩ سبتمبر قال كيسنجر لثمانية عشر سفيرا ووزيرا خارجية عربيا ، خلال مادبة غداء اقيمت فى الأمم المتحدة ان « الظروف القائمة الآن تجعل من التوصل لحلول شاملة نهجا مفيدا » يعنى فى الشرق الأوسط . وقال ان الولايات المتحدة تعتقد انه يمكن استئناف عملية البحث عن السلام « بنشاط وباقتناع » ، ونامل ان يكون فى الامكان تحقيق تقدم هام

خلال الشهور القادمة » . وأضاف أن الشرق الاوسط « أصبح أقرب لهدف من أى وقت مضى خلال جيل » ، وكان كيسينجر قد ذكر فى مايو أن : « الشرق الاوسط يعيش الآن مرحلة فرصة لم يسبق لها مثيل . ونحن لانستخف بالمشاكل العويصة والمخاطر التى تواجهها اسرائيل خلال مفاوضات ما ، غير انها تصغير باستمرار أمام الوضع الراهن » .

وقد دعم الاعتقاد بأن عملية دفع شاملة كانت ستأتى فى ظل كيسينجر عام ١٩٧٧ ، حقيقة أن فورد كان يتحدث أيضا عن اتفاقات « شاملة » فى عام ١٩٧٦ . ففى شهر مايو ، قال ان الولايات المتحدة قد « وصلت الى أقصى ماتستطيعه فى عملية الخطوة خطوة » وقد حان الوقت « لاجراء بعض الحديث الجاد بشأن التوصل لتسوية أوسع — وان ذلك يعنى ، بالطبع ، السلام والاعتراف باسرائيل » . ويبدو من غير المحتمل أن فورد كان سيقدم هذا الالتزام دون توضيحه مع كيسنجر .

وكان كيسنجر متمسكا بمعارضته لاقامة دولة فلسطينية مستقلة فى الضفة الغربية وغزة ، ودافع دائما عن التوصل لاتفاق اسرائيلى مع الاردن كبديل لذلك . وقال كيسنجر فى حفل عشاء أقيم فى السابع من شهر مايو عام ١٩٨٠ برعاية رابطة بناى بريث المناهضة للتشهير « عندما كنت أتولى الوزارة ، وبعد خروجى ، لم اعتقد مطلقا ، ومازلت لا أعتقد حتى الان ان حل مشكلة الضفة الغربية يمكن أن يكون باقامة دولة فلسطينية » . ثم مضى يقول انه كان قد وقع فى الاول من سبتمبر عام ١٩٧٥ على اتفاق مذكرة التفاهم الامريكية الاسرائيلية الذى ينص على أن الولايات المتحدة لن تعترف أو تتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية حتى توافق منظمة التحرير الفلسطينية على قرارى مجلس الامن التابع للامم المتحدة رقمى ٢٤٢ و ٣٣٨ وبحق اسرائيل فى الوجود ، بسبب أن ذلك كان يمثل السياسة الامريكية . « وان هذا الوعد لم يقدر كامتياز لاسرائيل ، ولم يأت نتيجة لمحاولة الاسترضاء أى جماعة فى هذا البلد ، وانما ينبع هذا البيان من اقتناعنا بأن ينبغى ان تشمل التسوية فى الضفة الغربية العرب الذين يريدون العمل من أجل السلام — وليس أكثر الجماعات تصلب التى لا يمكن ارضاؤها — بغض النظر عما تعلنه — بما يمكن تحقيقه » .

ورفض كيسنجر ايضا وجود أى ارتباط بين النزاع العربى الاسرائيلى وامداد البترول العربى للولايات المتحدة . « اننى اعتقد أنه من مصلحة الولايات المتحدة فصل مشكلة البترول بقدر الامكان عن أى مفاوضات سياسية . واعتقد انه كلما ربطنا مسألة البترول أو كلما تحدثنا مع أنفسنا فى ربط مسألة هذه المفاوضات توضنا — على نحو متناقض — موقف العناصر المعتدلة ، حتى فى العالم العربى — بسبب انه اذا اكدنا هذا الارتباط ، فانهم لن يتمكنوا من مقاومة هذا الارتباط . ولن يتمكنوا من معارضة العناصر الراديكالية ممن يؤيدون دائما ارتباطا واضحا بين البترول والتوصل لتسوية » .

غير أن كيسنجر كان يقول نفس الشىء وهو يتولى منصب وزير الخارجية ، حتى بينما كانت أعماله وسياساته تنقل عادة انطباعات مختلفة . وقد اذكت رغبته فى تزويد المملكة العربية السعودية بصفقات أسلحة واسعة ، على سبيل المثال ، فى أعقاب مباشرة مشاركتها فى خطر البترول العربى الذى فرض ضد الولايات المتحدة ، الممزوجة بالادراك الذى كان ملموسا بصورة بأن الولايات المتحدة تمارس ضغطا على اسرائيل لتقديم تنازلات بسبب مصالح البترول الامريكية ، اذكت ثقة العرب فى ورقة البترول التى يملكونها ودعمت احساسهم بأن المجالات الاقتصادية والعسكرية والدبلوماسية انما هى فى جانبهم . ويجب الا يغرب عن البال ان منظمة التحرير الفلسطينية لم تظهر كعامل سياسى هام الا فى أعقاب حظر البترول الذى استمر من ١٩٧٣ الى ١٩٧٤ ، وكان اعلان مؤتمر قمة الرباط بأن منظمة التحرير الفلسطينية هى الممثل « الشرعى والوحيد » للفلسطينيين ، كان فى شهر أكتوبر من عام ١٩٧٤ . وبعد ذلك بشهر القى عرفات خطابا أمام الجمعية العامة للامم المتحدة وكوفئت منظمة التحرير الفلسطينية فى شهر نوفمبر من عام ١٩٧٥ « بوثيقة سوندرز » التى جعلت الولايات المتحدة ، للمرة الاولى ، تتجه نحو ادراك العرب للمشكلة الفلسطينية ، فقد قال هارولد سوندرز نائب مساعد وزير الخارجية لشئون الشرق الادنى وجنوب آسيا للجنة الفرعية التابعة للجنة الشئون الخارجية لمجلس النواب الامريكى انه « من عدة نواح ، يعد البعد الفلسطينى للصراع العربى ـــ الاسرائيلى لب هذا الصراع » . وكان سوندرز أحد أكثر مساعدى كيسنجر نفسه لوزارة الخارجية . وابلغ كيسنجر فيما بعد السفير دينيتز أنه كان قد القى نظرة سريعة على الوثيقة ، غير أنــــه ، وفقا لسوندرز ، فان كيسنجر قد صاغ شخصيا مسودتين اوليين وقام بتنقيح النسخة النهائية .

وتعد هذه هى المرة الاولى التى تنحرف فيها الولايات المتحدة رسميا عن فكرة ان المشكلة الفلسطينية تعد بصورة واسعة مشكلة لاجئين ، كما جاء فى قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .

وما يجدر ذكره حقا ان قدرة كيسينجر المستمرة مازالت تؤثر على السياسة بعد سنوات من رحيله من الادارة الامريكية . ورغم أنه كان احد أهم مستشارى نيكسون ، فانه قد خرج من فضيحة ووترجيت دون ان يصاب بالفعل بأى أذى ، ومازالت سمعته نقية بصورة كبيرة اليوم وستظل كذلك دون شك بغض النظر عما اذا كان هناك رئيس ديمقراطى أو جمهورى فى البيت الابيض .

الفصل الحادى عشر

جيمي كارتر وكامب ديفيد

الطريق من ذورمونت بولاية ميريلاند ممهد لمدة أميال حتى جبال كاتوكتين ، عبر غابات مكبر ، الى كامب ديفيد المنتجع الرئاسى ، الواقع على بعد ستين ميلا أو ثلاثين دقيقة بالطائرة الهليكوبتر من البيت الابيض . وهناك خلف أسوار الاسلاك الشائكة المراقبة اليكترونيا والتى تحيط بمجموعة المنازل الواقعة على مساحة ١٤٣ فدانا فى ظل حراسة مشددة ، طلب الرئيس جيمى كارتر من مناحيم بيجين رئيس الوزراء الاسرائيلى والرئيس أنور السادات التوقيع فى سجل الضيوف التقليدى فى اسبين لودج المقر الرئيسى . وفى هذا المبنى الواقع على قمة هضبة مرتفعة ، أطل الزعماء الثلاثة من نافذة كبيرة لمشاهدة ما وصفه ضيوف فى وقت سابق بأنه مشهد مثير يأخذ بمجامع القلوب فى شمال ولاية ميريلاند ، وكان السادات يعرف حق المعرفة هذه البانوراما والحجرة المحلاة بألواح البلوط والمدفأة المصنوعة من الحجر . فقد كان هو الزعيم الاجنبى الوحيد الذى اجتمع فى وقت سابق مع كارتر فى كامب ديفيد ، اذ قد أمضى هو وعائلته عطلة نهاية اسبوع هناك ضيوفا على كارتر وكان ذلك فى شهر فبراير من عام ١٩٧٨ .

ومنذ أيام حكم الرئيس فرانكلين روزفلت ، كان الرؤساء يهربون من واشنطن الى كامب ديفيد . وفى ذلك الوقت لم يكن يطلق على هذا المكان اسم كامب ديفيد ، حيث أطلق عليه روزفلت اسم شانجرى ــ لا ، وهو اسم اكثر شاعرية من هاى ــ كاتوكتن ، وكان الاسم الاصلى للمكان عندما شيد عام ١٩٣٧ . وفى شهر ابريل من عام ١٩٤٢ بعد أن اختار روزفلت ، الذى كان يسعى لايجاد منطقة منعزلة خارج واشنطن ، هاى ــ كاتوكتين كمنتجع له ، تحولت المنطقة بأسرها الى منطقة أمنية وتم نشر مسئولين من مكتب العمليات الإستراتيجية (أو أس اس) السابق لجهاز « سى . آى ايه » وتوابت مشاة البحرية هناك . واكتمل بناء المبنى الرئيسى والاعمال الاخرى الضرورية لاقامة الرئيس خلال ذلك الصيف .

وكان هارى ترومان نادرا ما يذهب الى كامب ديفيد ، مفضلا عليه منتجع كى ويست بولاية فلوريدا . غير أن دوايت ايزنهاور ما لبث أن وقع فى حبه عندما زاره لفترة قصيرة بعد توليه الرئاسة عام ١٩٥٣ . وأعاد على عجل تسميته بكامب ديفيد تكريما لحفيده ديفيد ايزنهاور ، الذى ، بعد

قرابة عشرين عاما ، أمضى شهر العسل هناك مع زوجته جولي نيكسون . ووصفته جولى بأنه « فندق للراحة حيث تصبحون فيه الضيوف الوحيدين » .

وامضى ايزنهاور هناك فترة نقاهة من ازمة قلبية تعرض لها فى اواخر عام ١٩٥٥ .

وبعد اجراء تجديدات كبرى فى كامب ديفيد عامى ١٩٥٧ و ١٩٥٩ ، دعا ايزنهاور عددا من الزعماء الاجانب هناك من بينهم رئيس الوزراء البريطانى هارولد ماكميلان ، والرئيس المكسيكى ادولفو لوبيز ماتيوس والرئيس الفرنسى شارل ديجول ورئيس الوزراء السوفيتى نيكيتا خروشتشيف .

ولم يذهب جون إف كيندي الى كامب ديفيد بصورة متكررة وكان على وشك الاشراف على عملية بناء منتجع منعزل فى فيرجينيا عندما ادرك أن كامب ديفيد قائم لاستخدامه الشخصى .

وعندما أصبح ليندون جونسون رئيسا ، كانت مزرعته في تكساس من البعد بحيث لا تسمح له بالقيام بزيارات منتظمة لها ، وبذلك استأنف تقليد استقبال الضيوف الاجانب فى كامب ديفيد حيث استضاف رئيس الوزراء الكندى ليستر بيرسون عام ١٩٦٥ ورئيس الوزراء الاسترالى هارولد هولت عام ١٩٦٧ .

اما ريتشارد نيكسون فقد ألف التردد على كامب ديفيد بقدر أكبر ، حيث صاغ كثيرا من خطبه هناك ، وخلال فترة ووترجيت أمضى ساعات وساعات امام المدفأة الضخمة جالسا على كرسيه المفضل ذى الذراعين ، مع مجموعة من الورق والقلم القانونيين ، محاولا ايجاد تفسيرات للازمة ، وخلال فترة رئاسته الاولى ، قام بما يقرب من مائة وعشرين رحلة الى كامب ديفيد ، وقام بتجديد اسبين لودج . وكان من بين ضيوفه الاجانب تيتو ، وبومبيدو ، وبرانت ، ومريتشى ، واتشيفريا ، وهيث ، وهوفرية بوانيه ، وشاوشيسكو وبريجنييف .

واما جيرالد فورد فلم يجتمع فى كامب ديفيد الا مع زعيم أجنبى واحد هو : رئيس اندونيسيا سوهارتو . وقد استخدم فورد المكان بصورة متكررة لمتعته الشخصية كما فعل كارتر .

وكان الرئيس ، قبل عشرة أيام من توجيه سيروس فانس وزير الخارجية الى مصر واسرائيل فى أوائل اغسطس عام ١٩٧٨ — يحمل دعوتين خطيتين — قد اجتمع فى كامب ديفيد مع كبار مساعديه فى مجال السياسة الخارجية فى جلسة مفاجئة ادت الى التوصل لفكرة عقد مؤتمر القمة الثلاثى ، وقد اعتاد كارتر الاجتماع مع حكومته ومستشاريه الاخرين فى جو من الانبساط الباعث على الاسترخاء .

ومن الناحية الطبيعية ، يتمتع الموقع بالعدد الوفير من وسائل التسلية . ففى الغابات المحيطة توجد الايائل ، والراكون ، والزرياب ، ونقار الخشب . وللاسترخاء يوجد هناك حمام سباحة مكيف ، وحمام بخار وملعبان للتنس ، وملعب للبولينغ ونهر لتربية سمك السلمون المرقط وقاعات للعرض السينمائى وهكذا ... كما توجد هناك احدى عشرة كابينة للاقامة من بينها اسبين لودج . والمحتويات داخل جميع الكبائن متماثلة : موقد مصنوع من الحجر معرض لاشعة مكثفة وجوريفى بصورة عامة . غير انه لا يمكن تكوين راى خاطىء عنه — انه ريف مترف جدا . ولا يوجد احد فى كامب ديفيد يحيا حياة خالية من أسباب الراحة . واطلق على الكبائن اسماء الاجسام مثل ويتش هازيل وبيرش ، ودوجور ميل . وتسمى غرفة الطعام لوريل وتسمى الكبائن الاصغر ، التى تستخدم فى عقد المؤتمرات ، هاوثرورن ووالناط ، وسكامور وليندن ورد أوك وهيملوك .

ويتمركز حوالى مائة من أفراد البحرية ومشاة البحرية بصورة دائمة فى كامب ديفيد رغم أن عددهم ازداد بصورة كبيرة خلال مؤتمر السلام . وقد فرضت اجراءات امنية صارمة ، لدرجة أنه تم اغلاق الطريق الرئيسى المؤدى الى كامب ديفيد .

وكان الخطر الوحيد على كارتر وضيوفه ياتى من اللبلاب السام . فقد وقع فانس ضحية له خلال زيارته السابقة قبل أن يتوجه الى الشرق .

وكانت المرة الاولى التى سمح فيها للصحفيين والمصورين وفنيى التليفزيون ، بالدخول الى هذا المنتجع الجبلى الذى يفرض عليه حراسة مشددة بالفعل لرؤية كارتر وبيجين والسادات مساء يوم الخميس الموافق السابع من شهر سبتمبر خلال عرض اقيم عند الغروب استمر خمسا وأربعين دقيقة لمشاة البحرية الامريكية .

وفى ختام الاحتفال المثير للعواطف — الذى حضره كافة انصار الوفود الرسمية للدول الثلاث وعائلات بعض رجال مشاة البحرية المتمركزين فى كامب ديفيد ، وحوالى سبعين وجهت اليهم الدعوة من ممثلى وسائل الاعلام التى احبطت بصورة متزايدة من الرقابة وهى تسعى شغفا للحصول على بعض الانباء عزيزة المنال — طلب من السادات وكارتر وبيجين التوقيع فى كتاب سميك احمر اللون قدمه اليهم قائد قوات مشاة البحرية .

وكتب كارتر « لقد جعلتم جميعا أمتنا تشعر بالفخر » ودون السادات « انه لشىء رائع » . وكتب بيجين بخط صغير للغاية : « لقد كان اداء عظيما لجيش عظيم . وتقديرى العميق لسلاح مشاة البحرية الشهير » . واشار هؤلاء الذين يبدون اهتماما بالتفاصيل الصغيرة ، الى أن السادات

استخدم ثلاث كلمات فقط واستخدم كارتر ست كلمات بينما استخدم بيجين ست عشرة كلمة . وربما كان ذلك مؤشرا الى الاساليب المختلفة للزعماء الثلاثة . وأكد ذلك بالتأكيد على احترام بيجين المعروف للكلمة المكتوبة . ويعكس ذلك ايضا طريقة فهمهم للمفاوضات خلال تلك القمــة الاستثنائية .

فبيجين تفحص بتدقيق شديد فى كل كلمة محل بحث . فبينما درس كل من كارتر والسادات ايضا اللغة فى المسودات الأولى ، ولم يركزا اهتمامهما بشكل معقد على كل تفسير محتمل لكل كلمـــة .

وقد عقدت الاجتماعات المتعددة فى كامب ديفيد ، وتضم بالفعل كل مجموعة محتملة من الزعمـــاء والمساعدين . وكان الجـــو غـــير الرسمى الباعث على الاسترخاء مثمرا فى تطـــوير اتصالات شخصية باكبر قدر ممكن بين المسئولين الاسرائيليين والمصريين الزائرين . كما انه مكنهم من استكشاف عدد من الخيارات يمكن بلورته خلال المباحثات ، على الفـــور ، أو بصورة مسبقة ، عندما قامت الوفود الثلاثة باستعداداتها للمؤتمر .

ويتفق الذين كانوا على اتصال وثيق ببيجين خـــلال قمة كامب ديفيـــد على انه قد بدا انه يتمتع بصحة بدنية جيدة الى حـــد ما . وان هذا العامل كان له على نحـــو واضح تأثير ايجابى على سير اعمال القمـــة . فقد كانت حالة رئيس الوزراء الصحية هى احدى الامور التى ساعدته على اعادة التفكير فى بعض مواقف اسرائيل السابقة فى عملية البحث الصعبة عن السلام فى الشرق الأوسط . وهذا الرأى يتمثل فى ان بيجـــين كان أكثر ميلا للمخاطرة بمواجهـــة معارضة سياسية من جانب الجناح اليمينى فى حزب ليكود الذى يتزعمه عندما شعر بالقوة وبأنه يتمتـــع بالصحة . وعنـــدما يكون متعبا ومريضا فان رئيس الوزراء يعارض اتخاذ اى خطوات جريئة جديدة .

وفى كامب ديفيد كان وزير الدفاع عزرا فايتسمان ووزير الخارجية موشيه ديان عاملين مساعدين فى اقناع بيجين على تقبل بعض الكلمات الشفرية غير المقبولة — أو حتى غير الواردة — فى السابق والعبارات المضللة للدبلوماسية التى تبعث على السأم فى النزاع العربى — الاسرائيلى حتى يمكن أن تتوصل مصر للسلام مع اسرائيل . واذا كان فايتســـمان وديان لم يشاركا فى المحنة التى استمرت ثلاثة عشر يوما فى منتجع الرئيس كارتر ، لما كان قد تم التوصل لاتفـــاق .

وقد جاء فايتسمان الى كامب ديفيد وهو على اقتناع بأن السادات كان صادقا فى سعيه من أجل السلام . فكان وزير الدفاع الذى أمضى قبل قدومه الى كامب ديفيد وقتا أطول مع الزعيم المصرى من اى مسئول اسرائيلى آخر ، قد شعر فى وقت ما ان مصر ستكون على استعداد لابرام صفقة مع اسرائيل اذا ماقدمت اسرائيل فقط بعض « الوعود » لمساعدة السادات على التعامل

مع الضغوط الداخلية فى العالم العـربى . وقد اتفق بعض كبار المسـئولين الامريكيين مع وزير الدفاع الاسرائيلى فى هذا الشعور .

غير ان تقييم فايتسمان المتفائل قد وجد تحديا لمـدة شهور من جانب بيجين وديان ، اللذين كانا كلاهما غير واثقين الى حد كبير من نوايا السادات . ووصفا فايتسمان بأنه ساذج .

غير ان فايتسمان كان ابعـد مايكون عن السذاجة فقد فهم على نحـو صحيح معنى زيارة السادات للقدس فى نوفمبر عام ١٩٧٧ . فقد جاء السادات للتوصل للسلام مع اسرائيل على أساس بعض الأسس المعقولة ، حتى ولو اضطر للتوصل اليه بمفرده . وفى ذلك الوقت كان السادات متهما من جانب الكثير فى العالم العربى بأنه يقبل بمبدأ التوصل لاتفاق منفرد مع اسرائيـل . وقد نفى السادات ذلك بالطبع . وأكد الامريكيون ايضا علنا أن السادات لم يكن لديه مثل هذه الخطة ، وانه لن يوقع معاهدة سلام مع اسرائيل الا اذا تم التوصل لاتفاق شامل يضم كافة الدول العربية بالاضافة الى الفلسطينيين . وقد تكررت التأكيدات المصرية مرارا لدرجـة ان معظـم المراقبين فى الشرق الاوسط بداوا فى تصديقها .

واراد فايتسمان اتمام ما بداه السادات عندما قام بزيارة للقدس . غير ان فايتسمان كان فى حاجة الى حليف قوى فى مجلس الوزراء ، شخص ما ربما يكون له تاثير على رئيس الوزراء لانتهاز اكبر فرصة ذهبية امام اسرائيل للتوصل الى السلام مع دولة عربية . ورغم التوتر الشديد القائم فى العلاقات بين وزير الدفاع وديان علمـا بأن ديان هو الوحيد الذى فى امكانه القيام بذلك . وكان يتعين اقناع ديان بان السادات رجل مخلص .

واصبح ذلك احد اهداف كارتر الأولى فى كامب ديفيد . وظن كارتر ان مهمته فى جعل بيجين يتزحزح عن موقفه ستكون أسهل بمساندة ديان . وكان تاثير ديان على بيجين قد تجلى للأمريكيين فى الماضى ، واسترجعوا دوره الحاسم خلال مباحثات اكتوبر عام ١٩٧٧ التى ادت الى التوصل « لورقـة العمـل » الامريكية ــ الأسرائيلية بشأن مؤتمر جنيف . فقد أجرى ديان بنجاح مفاوضات بشأن شروط المؤتمر مع الامريكيين وبعد ذلك ارسلها لبيجين .

وكانت افضل وسيلة لكسب تاييده فى كامب ديفيد هى جعل المصريين ، بما فيهم السادات ، يتوددون الى ديان للبرهنة له على أن السلام الحقيقى بين الدولتين ليس ممكنا فحسب بل فى متناول اليـد بالفعل .

وفى الطريق الى المؤتمر ، رفض السادات الموافقة على الاجتماع على انفراد مع ديان ، وقد امتاء وزير الخارجية ، الذى يتمتع بحساسية عالية ، من ذلك . وطلب كل من فايتسمان والامريكيين من السـادات فى وقت سابق

لانعقاد القمة الموافقة على الاجتماع مع ديان على انفراد . وقيل للزعيم المصرى ان مثل هذه الجلسة قد تدفع ديان الى الاتجاه السليم .

وقد أمضى السادات عدة أيام فى كامب ديفيد يفكر مليا فى هذا الأمر ، ثم وافق عليه أخيرا . وكان الحديث التمهيدى بين ديان والسادات الذى لستمر تسعة أيام خلال المؤتمر عاملا رئيسيا فى تقريب وجهة نظر وزير الخارجية الى آراء فايتسمان . وقد ابلغنى ديان بذلك فيما بعد . وفى الوقت الذى وافق فيه كلا الجانبين على الصيغة النهائية للاتفاقات التى تتعلق باطار معاهدة السلام الاسرائيلية — المصرية والاطار الخاص بتحقيق السلام فى الشرق الأوسط ، كان بيجين قد وافق على بعض « الوعود » الجديدة التى كان يعتبرها فى السابق بغيضة ، وهى وعود ماكان من المحتمل ان يوافق عليها دون تعاون ديان .

وقد حاول رئيس الوزراء فيما بعد رفض ذلك ، غير انه تحول بوضوح من بعض مبادئه الايديولوجية السابقة .وقد اعترفت اسرائيل بصفة خاصة « بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى » . ووافقت اسرائيل على أنه يتعين حل المشكلة الفلسطينية « بكافة جوانبها » . ويتعين على اسرائيل فى موعد اقصاه ثلاث سنوات بعد قيام « سلطة الحكم الذاتى » الفلسطينى فى الضفة الغربية وغزة ، الموافقة على بدء مفاوضات مع الأردن ومصر والفلسطينيين « لتحديد الوضع النهائى » لهذه المناطق . (فى وقت سابق كانت اسرائيل تتمسك بأنه ليس من المحتمل عقد مثل هذه المناقشات الا بعد فترة انتقالية تستمر خمسة اعوام) .

وكان مفروضا أن تجرى هذه المفاوضات التى تشمل مستقبل هذه المناطق « على أساس كافة بنود ومبادىء قرار مجلس الأمن التابع للامم المتحدة رقم ٢٤٢ » الذى تدعو احدى فقراته « للانسحاب من أرض » .

وكانت الموافقة على ذلك بالنسبة لرجل مثل بيجين ، الذى يؤمن دائما بقوة الكلمات ، ليس أمرا هينا ، غير أنه بينما كان ديان وفايتسمان يختلفان بشأن عدد كبير من المسائل ، فكلاهما لم يكن يحركه تقريبا اتجاه أيديولوجى مثل بيجين . فقد كانا رجلين عمليين يريدان معرفة الكيفية التى ستتم بها ترجمة معنى هذه الكلمات الى واقع عملى — وماذا يعنى الاعتراف « بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى ؟ » وقد وضعا المفهوم الخاص بأنه يمكن دمج مثل هذه اللغة « المنفردة » فى الاتفاقيات شريطة أن تحدد عبارات أخرى بوضوح ما سيحدث . وكان لزاما أن يكون هناك قيود ثابتة على هذه الكلمات . وهنا يكمن جمال اللغة البارعة التصوير المجازى الدقيق التى صيغت فى الوثائق . فبينما أتاحت للسادات من ناحية أن يؤكد على انه لم يفرط فى « بوصة واحدة » من الارض أو السيادة العربية ، فقد مكنت أيضا بيجين من اعلان أن اسرائيل لم توافق على الانسحاب من يهودا والسامرا .

وكان ينبغى اعطاء كارتر وفريق مستشاريه وبصفة خاصة فانس وزير الخارجية ، قدرا كبيرا من الثقة فيما يتعلق بالاستراتيجية التى حققت نجاحا فى كامب ديفيد . ولم يتوقف الحث الامريكى الكيس لكل من بيجين والسادات خلال القمة ، غير أنه لم يذهب الى حد بعيد جدا ، متجاوزا الحد الذى لا يمكن ان يتحمله كلا الزعيمين . فكان دائما يتم توازنه فى نهاية الأمر مصحوبا بجهد ذاتى ناجح كاف للتشجيع على الانقياد .

وقام الامريكيون بواجبهم . فقبل المباحثات تلقى الرئيس كارتر لمحة مطولة عن نفسية كل من السادات وبيجين من وكالة المخابرات المركزية « سى.آى.ايه » وكان الخبراء هناك يقومون بدراسة متواصلة عن شخصية وعقلية كلا الزعيمين وقد شعر الامريكيون أنه اذا كان ينبغى زحزحة الزعماء المصريين والاسرائيليين عن مواقفهم ، فانه من الضرورى أن يفهم على وجه الدقة ما يجعلهم يقدمون على ذلك .

وقد ادرك كل شخص أن الايام القليلة الاولى لن تكون سهلة بالنسبة لاى احد — غير انه بفضل روزالين ، زوجة كارتر بدأت المفاوضات على اساس سليم ، فقد ادركت على نحو صحيح أن الزعماء الثلاثة يربط بينهم خيط مشترك واحد ، هو : ايمانهم الدينى الراسخ . وقد لعب الدين دورا هاما فى حياة الزعماء الثلاثة ، غير أن السادات كان غالبا اكثرهم تدينا . وكن يتسم بالتصوف تقريبا فى ورعه . وقد اقترحت السيدة الاولى ، المدركة لشدة معتقدات الزعيم المصرى الدينية ، على زوجها أن يبدأ الزعماء الثلاثة المؤتمر باصدار بيان مشترك ، يدعون فيه باقامة الصلوات فى انحاء العالم خلال الأيام القادمة وهم يبحثون عن السلام فى الشرق الأوسط . واعتبر كارتر هذه الفكرة فكرة طيبة .

وفى مساء الثلاثاء الموافق الخامس من سبتمبر ، بعد ساعات فقط من هبوط طائرة بيجين الهليكوبتر بالقرب من ملعب كسرة القدم فى كامب ديفيد ، سأله كارتر عن رد فعله تجاه مثل هذه الصلاة المشتركة . وقد أبدى بيجين اعجابه بالفكرة . وادرك رئيس الوزراء على الفور أن اى بيان مشترك يوقعه الزعماء الثلاثة ، بصرف النظر عن موضوعه ، سيكون له انعكاساته السياسية الهامة .

وفى الصباح التالى ، التقى كارتر مع السادات الذى وافق بسهولة على الفكرة . وكان السادات يتحدث لعدة شهور ، عن بناء مسجد وكنيسة ومعبد يهودى على قمة جبل سيناء تقديرا للاديان الثلاثة . ولهذا فالصلاة المشتركة تلائم باحكام خطته الشاملة للامور .

وفى ختام المؤتمر توصل الرجال الثلاثة إلى اتفاق على اقامة الصلاة معا طلبا لاتفاق باحلال سلام دائم . وكانت هناك لحظات خلال

المحنة تبدو قائمة . وقد تلا نوبات الشعور بالنشاط احباط شديد فى الوقت الذى بدت فيه الهوات واسعة التى تفصل بين الجانبين وغير قابلة للتقريب فيما بينها . وأشار مسئولون الى الجو « الانفعوانى » الذى ساد كامب ديفيد ، أى الصعود والهبوط فى دبلوماسية القمة .

غير انه تم التوصل لنهاية سعيدة للمأساة ، ولم يسمح الا بنشر اجزاء صغيرة منها للعالم الخارجى بينما كان يجرى العمل على التوصل للسلام . وكان لدى كل شخص فى الوفود الثلاثة الحق فى الشعور بالسعادة ، وسيشير المؤرخون يوما ما الى تجربة كامب ديفيد ، على انها أحد تلك الخطوط الفاصلة فى تاريخ العالم . غير أن اسعد شخصية كان من المحتمل كارتر أو فايتسمان ، فلقد دفعا أصعب الأمور نحو النجاح . وقد أرادا تحقيق النجاح اكثر من الشخصيات الأخرى التى شاركت فى القمة . وبالنسبة لفايتسمان سيطرت عملية التوصل لمعاهدة سلام مع مصر على أعماله وتفكيره منذ اول لقاء له مع السادات . وكان لا يريد أن تدخل اسرائيل حربا بعد ذلك على الاطلاق ، فقد تعرض نجله لاصابة بالغة على جبهة قناة السويس . وكان كارتر يراهن بسمعته السياسية . فاذا كانت القمة قد انتهت بالفشل ، كان سيتهم باضرار هيبة الرئاسة الامريكية على نحو طائش . وكان سينقض عليه معارضوه السياسيون من كل جانب ! وكان مركزه فى استطلاعات الرأى العام ، الذى كان منخفضا بالفعل ، سيزداد فى الهبوط . وكان كارتر مصر على الفوز ولم يستسلم حتى الساعة الخامسة من مساء السبت الموافق ١٧ سبتمبر عندما كلت أيدى مساعديه .

وفى وقت لاحق من مساء ذلك اليوم ، لم يكن كارتر يبالغ وهو يعلن للعالم أن الانجازات التى تحققت فى كامب ديفيد قد « فاقت كل التوقعات » . ولم يكن احد بالفعل يعتقد أنه سيرى الزعماء الثلاثة يوقعون وثائق رسمية تأذن بقدوم عهد جديد للسلام فى الشرق الأوسط . ولم يتوقع سوى « المتفائلين » الذين يتسمون بالسذاجة التوصل لنتيجة فى كامب ديفيد تفوق بكثير حل عدد من المسائل الصعبة يتلوها رغبة على مواصلة المفاوضات كما تنبأ « الواقعيون » بأنها ستكون مضيعة للوقت .

وعلى اية حال فمن منطلق الادراك المؤخر ، ربما لا ينبغى علينا أن نصاب بالدهشة لهذا الحد . فقبل ثلاث سنوات فى الأول من سبتمبر عام ١٩٧٥ ، كانت مصر قد وقعت بصورة مماثلة اتفاقية منفصلة مع اسرائيل وهى اتفاقية سيناء الثانية . وفى ذلك الوقت وصم السادات فى معظم انحاء العالم بأنه « خائن » . واتهم « بالتفريط » ، غير أن السادات قاوم هذا الهجوم الضارى . وقرر معظم نظراء السادات العرب آخر الأمر قبول قراره ، ولذلك يبدو تفسيرا ولو جزئيا على الاقل ، لما قرر

السادات التوقيع على « اطار » هذه الاتفاقات الجديدة . وكان الزعيم المصرى ، وفقا لما قاله مساعدوه ، على يقين من ان الزعماء العرب « الواعين » وبصفة خاصة في الاردن والمملكة العربية السعودية سوف يقبلون هذه الاتفاقات . غير انه كان ينبغي في البداية ان تحول الولايات المتحدة على كل من عمان والرياض .

وكان لزاما ان تبلغ واشنطن الملك حسين في عبارات جديدة ان اى رفض من جانب الاردن للمشاركة فى المباحثات سوف يؤثر بشدة على العلاقات الامريكية ـ الاردنية . وكان من المقرر ان يفكر الملك حسين الذي تعتمد بلاده على دعم الولايات المتحدة الاقتصادي والعسكري ـ مليا قبل ان يقول لا لرئيس الولايات المتحدة . ونفس الشيء كان ينطبق على السعوديين ، فلم يكونوا على وشك الخروج من المعسكر الامريكي ، فقد كان بقاء النظام الملكى السعودى هو مهمة الحماية المستمرة للمظلة النووية الامريكية .

وكان هناك توافق فى المصالح بين اسرائيل ومصر والاردن والمملكة العربية السعودية ، فكل منها كان يريد تقويض النفوذ السوفيتي فى الشرق الأوسط الى ادنى حد ممكن . وكان هذا الاعتبار الاستراتيجي يتسم باهمية لها وزنها ، وكذلك كانت المسائل الاكثر ضيقا فى النزاع العربى ـ الاسرائيلي .

وقد جمع جيمى كارتر خلال حملته الرئاسية عام ١٩٧٦ انصارا له من بين المؤمنين بمذهب الشكوكية في الولايات المتحدة وبصفة خاصة داخل الطائفة اليهودية الامريكية . وبعد انتهاء ترشيحه للرئاسة عن الحزب الديمقراطي قبل عدة اسابيع من انعقاد مؤتمر الحزب في نيويورك ، بدأ حاكم نيويورك السابق في توحيد صفوف الحزب حوله . واحس سكان واشنطن بانه الفائز وهرعوا للاصطفاف والانضمام الى ادارة كارتر ـ وكان الإكاديميون والمحامون في وول ستريت وماجورو الحزب التقليديون وعدد آخر يتنافسون للحصول على الوظائف الهامة التي ستتاح بعد الانتخابات ، وعلم كارتر ومساعدوه بالأمر وتحركوا بحذر . وركز الانتباه على الذين سيحصلون على هذه المناصب الهامة .

وبالنسبة لاسرائيل كانت الاجابة حاسمة ، فعام ١٩٧٧ سيصبح عاما حاسما في دبلوماسية الشرق الأوسط . وربما سبب فريق السياسة الخارجية الذي جمعه كارتر خلافا في تلك التعيينات غير ان الاشخاص المحيطين بكارتر اكدوا ان المرشح يتخذ كل خطوة في وقتها المناسب وانه رغم جمع ودراسة الاسماء لم يحدد حتى الآن قرارات تتعلق بهذه المناصب .

وعندما تولى كارتر الرئاسة فى ٢٠ يناير عــام ١٩٧٧ كان من المستحيــل اكتشاف اتجاه السياسة الامريكية فى الشرق الاوسط ، ورغم التطورات التى كانت تتوالى بصورة سريعة على ما يبدو مثل (توجه وزير الخارجية فانس الى المنطقة فى فبراير ، والزيارات الى كان من المقرر أن يقــوم بها الزعمـــاء الاسرائيليون والعرب بعد ذلك لواشنطن) فلم يكن لدى أحد فى واشنطن ، ومــن بينهم كبار خبراء الشرق الاوسط فى وزارة الخارجية ، انطباع واضح تماما عن كيفية اعتزام الرئيس الجديد التحرك فى نهاية الامر . وقال مسئولون امريكيون انهم لم يتلقوا اى توجيهات جوهرية بشأن السياسة التى ستنتهج فى الشرق الاوسط سواء من كارتر او من فانس . لذلك واصلت وزارة الخارجية التعامل مع تطورات الشرق الأوسط كما لو لم يحدث تغيير فى الادارات الامريكية ــ حيث انه لم يصل أى توجيه محدد من جانب القمة فقد أراد خبراء الشرق الاوسط السياسة كما كانت عليه الحال خلال عهد فورد ـــ كيسنجر .

واصرت مصادر فى الادارة الجديدة على انه لن تصدر اى خطوط توجيهية جديدة الا بعد أن تتاح الفرصة لفانس لتقييم التفكير السائد فى المنطقة وربمــا لا يكون ذلك الا بعد أن يجتمع كارتر شخصيا بالزعماء العرب والاسرائيليين الذين سيزورون الولايات المتحدة . ونفى المسئولون الامريكيون أن يكون الهدف من وراء رحلة فانس وزيارات الزعماء العرب والاسرائيليين فيما يهم لواشنطن هو فقط كسب بعض الوقت قبل الانتخابات العامة فى اسرائيل التى كانت ستجرى فى السابع عشر من شهر مايو ـــ غير انهم لم ينفوا أنه كانت هناك فوائد عملية يمكن أن تؤتى ثمارها نتيجة التأخير فى الاعلان عن اى تغيير فى الاتجاه .

وفى الحقيقة كان عدد كبير من الامريكيين على اقتناع بانه من المستحيل تحقيق تقدم هام فى المفاوضات قبل اجراء الانتخابات الاسرائيلية . ورغم ذلك كانت ادارة ريجان تريد الاستعداد بقدر الامكان للتوصل لتقدم حقيقى بعـــد بفترة قصيرة من تشكيل حكومة اسرائيلية جديدة . وكان ينظر الى المشاورات المسبقة مع مختلف الاطراف فى الشرق الاوسط بالاضافة الى المشاورات مـــع الاطراف المعنية الاخرى مثل الاتحاد السوفيتى على أنهــا مشاورات ضرورية لارســـاء الاســاس .

وكانت احداث الشغب غير المتوقعة فى مصر بسبب الوضع الاقتصادى والخبز ، والتى تعد اعنف احداث شغب تحدث فى مصر منذ ثورة ١٩٥٢ ، عاملا معرقلا لفريق كارتر . فقد كان السادات ، الذى كان من المتوقع أن يــزور واشنطن فى اوائل الربيع ، يعانى داخل مصر وفى العــالم العــــربى بسبب الاضطرابات . ولم يعتقد الخبراء الامريكيون ان نظام السادات يواجه بالفعل اى خطر وشيك للاطاحة به ، غير أن الموقف ظل متوترا ، وراقبت الولايات المتحدة التطورات عن كثب .

وفى حين يسعى كارتر لنقل الانطباع بأنه سيغير السياسة الامريكية تجاه الكثير من الاتجاهات المحلية وبعض المناطق الخارجية ، فانه ترك الانطباع الاول باستمرار السياسة الامريكية ازاء الشرق الاوسط . فرغم ان انتقال السلطة فى واشنطن اسفر عن ظهور قيادة عليا جديدة ، غير انه عندما تعلق الامر بالشرق الأوسط ظلت مناصب الصف الثانى يتولاها نفس الاشخاص .

فهل احيا كارتر مشروع روجرز خلال مؤتمر صحفى عقد فى الثامن من شهر مارس عام ١٩٧٧ ، وخلال اجتماعه فى المدينة فى السادس عشر من شهر مارس فى كلينتون بولاية ماساشوستس ، الذى شرح خلالهما بقدر كبير من التفصيل وجهة نظره بشأن التسوية العربية ـ الاسرائيلية ؟ وكانت خطة الرئيس تشبه بصورة ثابتة برنامج عمل معهد بروكينج فى ديسمبر عام ١٩٧٥ « نحو السلام فى الشرق الاوسط » ، غير انه كانت هناك تحليلات متضاربة بشأن ما اذا كان كارتر قد احيا عناصر مشروع روجرز ، وهو مشروع ، ينبغى التذكير بأنه قد رفض من جانب كل من اسرائيل والدول العربية . وكان هناك البعض الذى اكد ان وجهات نظر كارتر لم تكن تمثل اختلافا كبيرا عن مشروع روجرز ، رغم ان اعادة الدراسة المتأنية للاقتراحين توضح أن هناك بعض الاختلافات .

وقد ظهر ما عرف بمشروع روجرز فى التاسع من ديسمبر عام ١٩٦٩ ، بعد اقل من عام على تولى الرئيس ريتشارد نيكسون السلطة ، عندما القى وزير الخارجية وليام روجرز خطابا عاما بعنوان « سلام دائم فى الشرق الاوسط : وجهة نظر امريكية » ، وقد بدأ روجرز خطابه بالتأكيد على ان التوصل لتسوية سلمية فى الشرق الاوسط اصبح امرا حاسما « لا يوجد هناك منطقة فى العالم تفوقها اليوم من حيث الاهمية ، بسبب أنه يمكن بسهولة أن تصبح مصدرا لاندلاع حريق هائل آخر » .

وفيما بعد مضى كارتر خطوة ابعد ، بتحذيره من ان الشرق الاوسط هو « تلك المنطقة الحاسمة من العالم » وان اى حرب جديدة تندلع هناك « سرعان ما تنتشر الى بقية دول العالم الأخرى ـ وهو احتمال كبير لان يصبح الأمر كذلك » .

واصر روجرز على ان الاطراف انفسها فقط يمكنها التفاوض للتوصل لتسوية سلمية دائمة . (وان جهود القوى العظمى يمكن أن تساعد فى تلك التسوية ويمكن ان تكون هى حافزا ، ويمكنها بذلك حث الاطراف على اجراء مباحثات ، ويمكنها ان تشجع ويمكنها أن تساعد على تحديد اطار واقعى لاتفاق غير أن التوصل لاتفاق بين قوى أخرى لا يمكن ان يكون بديلا لاتفاق بين الاطراف انفسهم) . بينما قال كارتر بعد ما يزيد على سبع سنوات انه لا يتسنى لأحد سوى الدول العربية واسرائيل التوصل لسلام شامل . واننى أريد التأكيد مرة

أخرى ــ أننا عرضنا مساعينا الحميدة ــ وينبغي علينا القيام بدور الحافـــــز لدعم قدراتهم على التفاوض بنجاح مع كل منهما الآخر » .

واشار وزير الخارجية الأسبق ، الذى كان يتنبأ مرة أخرى بنهج كارتر الذى اتبعه بعد ذلك بعدة سنوات ، الى أن العرب سيلزمون بالموافقة على التوصل لسلام مع اسرائيل ، وستلزم اسرائيل بالانسحاب تقريبا الى خطوط ما قبل عام ١٩٦٧ . غير ان كارتر مضى الى حد كبير ابعد من اى رجل دولـــة أمريكى سابق فى قبول تعريف اسرائيل للســـلام على أنـــه توقف هش للنزاع المسلح . فقد قال كارتر انه ينبغى التوصـــل لاتفاق بشأن « حق اسرائيل فى الوجـــود فى سلام ــ وفتح الحدود أمام التبادل التجـــارى الحر والرحلات السياحية والتبادل الثقافى بين اسرائيل وجيرانها » . ــ بمعنى آخـــر ، استقرار الموقف فى الشرق الاوسط دون تهديد دائم لوجود اسرائيل .

وبينما لم يمحض روجرز بعيـــدا بهذا المعنى فى خطابه ، غير أن مشروعه تنبـــأ باصرار أمريكى على تعريف واسع للسلام . ومضى روجرز فى قوله ان « سياستنا تتمثل فى تشجيع العـــرب على قبول سلام دائم يقوم على اساس اتفـــاق ملزم . ونحن نعتقد أنه ينبغى تحـــديد شروط والتزامات الســـلام فى عبارات محددة . وعلى سبيل المثال يجب توضيح الحقـــوق فى قنـــاة السـويس ومضيق تيران . ويجب توضيح مبدا سيادة والتزامات الاطـــراف تجاه بعضها البعض ــ غير ان السلام بالطبع يشمل اكثر من ذلك بكثـــير . فانه أيضـــا مسالة مواقف ونوايا الاطراف . فهل هم على استعداد للتعايش كل منهم مع الآخـــر ؟ وهل سيحل مبدأ عش واترك غيرك يعيش محـــل الشك وسوء الظن والكراهية ؟ انه ينبغى أن يقـــوم اتفاق سلام بين الاطراف على أساس نوايا واضحة ومحددة ورغبـــة فى التوصل لتغيـــيرات اساسية فى الاتجاهات والظروف التى تميز الشرق الاوسط الآن » .

وتركز اختلاف آخـــر بين مشروع روجرز واقتراح كارتر على اعتراف كارتر بضرورة وجود خطوط دفاعية اسرائيلية أبعـــد من حدودها الشرعية . ومن الدقة القـــول ان كارتر قد مضى أبعـــد من روجرز فى توضيح هـــذه الضرورة . غير ان روجرز اكد ، كما سيفعل كارتر فيما بعـــد ، على ضرورة ان تتمتع اسرائيل بترتيبات أمنية خاصة ترفق بأى تســـوية شاملة . وقال روجرز انه « يجب تدعيم الســـلام الدائم بالاحساس بالامان علي كلا الجانبين، ولبلوغ هذا الهدف ، كما جاء فى قرار مجلس الامن رقم (٢٤٢) ينبغى ان تكون هناك مناطق منزوعة الســـلاح وترتيبات أمنيـــة متصلة تحظى بثقـــة يتمتعون بالموقـــع الانفـــــل للتوصـــــل الى طبيعة التفاصيل مثـــل هـــذه اكبر من الترتيبات التى طبقت فى المنطقة فى الماضى . ان الاطراف انفسهم... الترتيبات الامنية . فهى فى نهاية الامر مصالحهم المعرضه للخطر واراضيهم المعنيـــة لذا كان عليهم العمل وفقا للنتائج » .

وكان التشابه بين المشروعين والذى كان أكثر مثارا للاعتراض من جانب وجهة النظر الاسرائيلية هو أن كلا المشروعين افترضا انسحاب اسرائيل تقريبا الى خطوط عام ١٩٦٧ ، وسلم كارتر بانه يجب فقط « ادخال بعض التعديلات الطفيفة » على هذه الحدود . وقال روجرز أن أى تغييرات « ينبغى ان تقتصر على تعديلات طفيفة تكون ضرورية للامن المتبادل » .

ولذلك اذا كانت هناك جوانب تشابه جمة فقد كانت هناك الاختلافات . وربما شمل التغيير الاكبر فى التفكير الامريكى الذى حدث خلال فترة السبع السنوات التى فصلت بين تقديم المشروعين ، القضية الفلسطينية . فعندما تحدث روجرز قال ان هناك أربع مسائل كبرى يتعين حلها : « السلام والامن والانسحاب والارض » ، واحال القضية الفلسطينية ، مع وضع القدس ، الى مرتبة ثانوية ، لن يكون من الواجب تناولها الا بعد حل هذه المسائل الاربع الكبرى . « ان املنا ان يخلق الاتفاق بشأن المسائل الرئيسية للسلام والامن والانسحاب والارض ، مناخا يمكن من خلاله حل هذة المسائل الرئيسية للسلام والامن والانسحاب والارض ، مناخا يمكن من خلاله حل هذه المسائل المتعلقة باللاجئين والقدس علاوة على جوانب النزاع الاخرى ، فى اطار تسوية شاملة » .

وأعاد كارتر تحديد « المسائل الهامة » الى حد ما . وفى كليفتون وفى مكان آخر ، ذكر كارتر ثلاثة متطلبات نهائية للسلام وهى : قبول العرب باسرائيل ، والانسحاب ، والتوصل الى حل « للمشكلة الفلسطينية » .

وهكذا خلال هذه السنوات صعدت القضية الفلسطينية درجة لتصبح واحدة من المسائل الهامة .

ومن المهم ايضا الاشارة الى انه عندما ناقش روجرز القضية الفلسطينية ، كانمن الواضح انه كان من الضرورى التوصل لحل بين اسرائيل والاردن ، فى تلك الايام التى سبقت مؤتمر الرباط ، فلم يكن هناك حديث عن وطن فلسطينى . فقد كانت مجرد مسألة تتعلق بحل مشكلة لاجئين .

وخلال عام كارتر الاول فى البيت الابيض ، كان على نحو لافت للنظر ثابتا على المبدأ فى موافقة السياسية فى الشرق الاوسط رغم مابدا خلال الاسابيع الاخيرة من الحملة الرئاسية عام ١٩٧٦ من انه اتجاه موال لاسرائيل الى حد ما ، كما ظلت مواقفه بشأن المسائل الحساسة نفسها بالفعل ، برغم أنها صيغت بتأكيدات مختلفة فى أوقات مختلفة .

وقد كرس كارتر معظم وقته لدراسة النزاع العربى ـ الاسرائيلى فور مباشرته عمله أثناء طريقه الطويل الذى قطعه للوصول الى البيت

الابيض عـــام ١٩٧٥ . وطور نوعا من الخبرة بالقرون الدبلوماسية الدقيقة للمشكلة . وسيكون من السذاجة المفرطة الزعم ، كما فعل البعض ، بأن زبيجنيو برزيزينسكى مستشـــار الامن القومى او أن آخرين كانوا مسئولين عن مواقف كارتر .

وكان كارتر يعتقـــد أن الصـــيغ التى توصل اليها ـــ والتى تشمل الحاجة لبلوغ ســـلام شامل وحل المشـــكلة الفلسطينية وانسحاب اسرائيل من معظم الارض التى احتلتهـــا عـــام ١٩٦٧ ـــ هى صيغ عادلة ومتوازنـــة ومعقولة . وقـــد تمسك بهذه الآراء لفترة طويلة . وفى الحقيقة دخل كارتر البيت الابيض فى عشرين يناير عـــام ١٩٧٧ وقـــد عقد العزم تماما بالنسبة لهذه المسائل .

وفى بداية حملته الانتخابيـــة تحدث عن الحاجة الى انسحاب اسرائيل « فى النهـــاية الى حدود ١٩٦٧ » . وفى مناسبة اخرى فى بداية عام ١٩٧٦ ، قال كارتـــر « اننى أعتقـــد ، فى نهاية الامر ، أن التوصل لحل نهائى يستتبع الى حد كبير انسحاب اسرائيل اساسا الى حدود ١٩٦٧ » .

وقـــد اظهرت تصريحاته المبـــكرة ، بشأن القضية الفلسطينية ، نفس الثبات على المبـــدأ . ونصت أول وثيقـــة له بشأن الشرق الاوسط عـــلى ان اى تسوية سلمية نهائية ستشمل فى الاغلب « الاعتراف بالشعب الفلسطينى كدولة » . وقال ايضـــا انه « ينبغى ايضـــا الإعتراف بالحقوق الفلســـطينيه فى اطار أى حل » . وقال خلال مقابلة صحفية مع صحيفة نيويورك تايمز فى الثانى من أبريل عـــام ١٩٧٦ « اننى لن اعترف بالفلســـطينيين لكيان سياسى ـــ ولا بزعمائهم ـــ الا بعـــد ان يعترف هؤلاء الزعماء اولا بحق اسرائيل فى الوجود .

وقال كارتـــر « اذا منحت اسرائيـــل الارض للفلســـطينيين ، فانـــه سيفضل ان تكون فى الضـــفة الغربيـــة لنهر الاردن ، وتدار مـــن جـــانب دولة الاردن » .

وفى يناير عـــام ١٩٧٦ ، قال كارتر : « عنـــدما نركز التفكير عـــلى المراحل الاخـــيرة فى حل قضـــية الشرق الأوسط .. يصـــبح الاعـــتراف بالفلســـطينيين ككيان ، له الحق فى اقامة دولتـــه الخاصة به واختيار حكومته الخاصة بـــه ، والوجود فى أرض ممكن أن تكون الضـــفة الغربية او الضـــفة الشرقية لنهر الاردن ، هو جزء مكمل للتســـوية النهـــائية » ، ومضى الرئيس يقول ينبغى أن يكون للفلسطينيين مكان يمكن أن يصفوه بأنه وطن . وخـــلال الاسابيع الاخيرة من حملة كارتر الانتخـــابية ، تبنى موقفـــه المباشر الذى أكد على الحاجة الى التوصل لسلام شامل .

وبعد توليه الرئاسة ، تمسك بنفس هذه المواقف الجوهرية . فمن الضرورى على العرب التوصل لسلام حقيقى مع اسرائيل ، بما فى ذلك فتح الحدود واقامة علاقات دبلوماسية كاملة ، وعلاقات تجارية ، وفى مجالات الاتصالات والسياحة وهكذا . ومضى كارتر أبعد من أى رئيس سبقه فى توسيع هذا التعريف للسلام . فان على اسرائيل أن تنسحب الى حدود ما قبل عام ١٩٦٧ مع ادخال « تعديلات طفيفة » فقط يتم التفاوض عليها من جانب الاطراف ، وسيحتاج الفلسطينيون الى نوع ما من « الوطن أو الكيان » يكون له ، من المفضل اتحاد رسمى مع الاردن .

وسعى كارتر ومساعدوه ، فى التعبير عن آرائهم بشأن هذه المسائل الثلاث الجوهرية بصورة علنية ، الى توضيح الاطار العام لتسوية من اجل حث اسرائيل والعرب على التخلى عما اعتبرته واشنطن بأنها صيغهم البالية للماضى . وقرر الرئيس التوجه الى الرأى العام بسبب شعوره بخيبة امل شديدة تجاه الآراء التى أعرب عنها رئيس الوزراء اسحق رابين خلال زيارته لواشنطن فى مارس عام ١٩٧٧ ، وقد جاءت تصريحات كارتر فى المؤتمر الصحفى الذى عقد فى التاسع من شهر مارس ، والتى كانت بمثابة أول برنامج عمل أمريكى مفصل للسلام فى الشرق الاوسط منذ مشروع روجرز عام ١٩٦٩ ، فى الوقت الذى كان فيه رابين ما زال فى واشنطن بل بعد انتهاء مباحثاته مع كارتر . واشتكى الرئيس فى جلسة خاصة من أن رابين لا يريد سوى التحدث عن « التاريخ » وانه لم يقدم له اى شىء ينقله الى العرب لدفع مسيرة المفاوضات .

وشعر الرئيس ، خلال مباحثات اجراها بعد ذلك مع الرئيس المصرى انور السادات والملك حسين عاهل الاردن والرئيس السورى حافظ الاسد وولى العهد السعودى الامير فهد ، بأن الزعماء العرب قد ذهبوا فى تعبيرهم عن الاستعداد لاجراءمفاوضات بشأن السلام مع اسرائيل ، بما فى ذلك قبول اجراءات محددة تؤدى نحو تطبيع العلاقات ، ابعد مما ذهب اليه رابين فىتعبيره عن الاستعداد للانسحاب من الارض . وعلى النقيض من رابين لم يكن العرب يمعنون النظر فى التاريخ . فقد أبلغوا كارتر أنهم لا يريدون سوىاسترداد ارضهم وانهم على استعداد للعيش فى سلام مع اسرائيل . وكان العرب فى نظر كارتر يبدون معتدلين .

وكان بيجين رئيس الوزراء على علم بأن « الاطار » الذى طرحه الرئيس بصورة علنية للسلام لا يمثل مجرد مواقف كارتر وكبار مستشاريه فى السياسة الخارجية فحسب بل انه يمثل أيضا آراء نخبة السياسة الخارجية فى الحكومة الامريكية . فمنذ حرب ١٩٦٧ ، لم تنجح الحملة الاعلامية والدبلوماسية الاسرائيلية فى اقناع هذه النخبة بأن لاسرائيل حقا فى المطالبة بأكثر من

مجرد تعديلات طفيفة على خطوط ١٩٦٧ ، فقد تبنت ادارة الرئيس ليندون جونسون الديمقراطية ، بعد انتهاء حرب ١٩٦٧ مباشرة ، الموقف القاضي بأن اسرائيل سيتعين عليها فى نهاية الامر الانسحاب من كافة الارض تقريبا ، وحذت ادارتا ريتشارد نيكسون وجيرالد فورد الجمهوريتان حذوها ، كما فعلت ادارة جيمى كارتر الديمقراطية وادارة رونالد ريجان الجمهورية نفس الشىء فقد كان هناك اجماع حكومى قائم فى واشنطن بشأن الحدود ، فقد عارض الامريكيون اى تعديلات جوهرية على الارض ابعد من خطوط عام ١٩٦٧ ، فلم يصدر هناك اى تأييد رسمى لاحتلال اسرائيل اجزاء كبيرة من الضفة الغربية وغزة ومرتفعات الجولان .

ولم يخف هنرى كيسنجر وزير الخارجية الامريكى الاسبق الذى لم يتحدث علنا عن خطوط عام ١٩٦٧ ، آراءه فى أحاديثه الخاصة حتى مع الزعماء الاسرائيليين. فقد قال ايضا ان اى تسوية شاملة ستشمل عمليات انسحاب من سيناء ومرتفعات الجولان وقطاع غزة والضفة الغربية . اى الى خطوط عام ١٩٦٧ بالفعل . وكان هذا السبب وراء دفاعه عن نهج الخطوة خطوة ، فهذا النهج سيؤجل مؤقتا الحاجة لانسحاب اسرائيل الى هذه الخطوط . وفهم رابين واشار بهذا الموقف عندما اقترح على كيسنجر وفورد فى يناير عام ١٩٧٦ بأن تقصر اسرائيل والدول العربية توقعاتها على اتفاق ينهى فقط حالة الحرب . وقد فهم رئيس الوزراء وحكومته أن مثل هذا الاتفاق المحدود يعوق طبيعيا العودة لخطوط عام ١٩٦٧ . ووافق كيسنجر وفورد على الفكرة وحاولا اقناع الدول العربية بقبولها . ولم ترفض كل من مصر والاردن وسوريا على نحو مشجع هذا الاقتراح خلال المشاورات التمهيدية التى مرت عام١٩٧٦ . غير انه فى ذلك الوقت بدأت حملة الانتخابات الامريكية وفاز كارتر فى الانتخابات وتخلت الادارة الجديدة عن هذا السيناريو .

وبعد تولى كارتر الرئاسة ، دعا فقط الى التوصل لتسوية شاملة اذ قال مرارا ان دبلوماسية الخطوة خطوة قد ولى زمانها — وكانت التسوية الشاملة التى يتم تنفيذها خلال عدة سنوات ، هى الخيار الوحيد القابل للتطبيق .وقد صرحت بعض الاصوات الاكثر تشككا فى وزارة الخارجية من انه لا ينبغى اغلاق الباب تماما أمام اتفاقات جزئية اضافية اخرى ، غير أن هذه الاصوات قد خرست فى الوقت الذى تحدث فيه الرئيس الجديد بتفاؤل عن عام ١٩٧٧ بأنه عام السلام .

بيد انه ، فى منتصف الصيف الاول فى الحكم ، بدأ الرئيس وبرزيزينسكى ومؤمنون سابقون آخرون بنهج التسوية الشاملة بدأوا فى تغيير بعض آرائهم بعد اعادة النظر فى المسألة ، رغم أنهم لم يعربوا عنها مسبقا . وبانتخاب كتلة ليكود ، اتسعت الهوة فى المواقف بين اسرائيل والدول العربية ، غير

انه لم يوجد فى واشنطن من يريد أن يفشل النهج الدبلوماسى ، وخضعت المحاولة لايجاد بديل مناسب لبعض الدراسة .

عندما وصل بيجين رئيس الوزراء الى واشنطن فى شهر يوليو من عام ١٩٧٧ ، اكتشف على الفور انه يشارك الرئيس فى الاهتمام البالغ باعطاء انطباع بأن مباحثاتهما سوف تحرز نجاحا ، فقد كان بيجين حريصا على التأكيد لانصاره الاسرائيليين أنه قد يتفق مع واشنطن ، وبالمثل اراد كارتر أن يظهر لاصدقاء اسرائيل الامريكيين أنه لن يقف ضد اسرائيل فى صالح القضية العربية .

ولم يشعر البيت الابيض برضا تجاه رد فعل اليهود الامريكيين على مواقف الرئيس بشأن الشرق الاوسط . كما شعر كل من روبرت ليبثونز وستوارت آيزينشتايت العاملين فى البيت الابيض ، وكلاهما يهوديان وعملا كحلقة اتصال غير رسمية مع القيادة اليهودية الامريكية ، أن انصار اسرائيل الامريكيين لم يتصفوا بالانصاف فى انتقادهم .

واعتقد برزيزينسكى أنه تحول الى « هدف » بسبب أنه كان على ما يزعم مسئولا عن بعض مواقف الرئيس بشأن الحدود والفلسطينيين . وبذل برزيزينسكى جهدا خاصا لكى يصحح هذا الانطباع انطلاقا من حساسيته تجاه الاتهامات التي بدأت تندفع ضده سرا ، بقدر ما اعتاد كيسنجر على ذلك ؛ وعلى سبيل المثال أدلى برزيزينسكى بتصريح مشبوب العاطفة لتأييد اسرائيل خلال اجتماع مغلق مع حوالى خمسة وأربعين من زعماء اليهود الامريكيين فى البيت الابيض فى بداية يوليو عام ١٩٧٧ . ونقل أحد المشاركين فى الاجتماع عن برزيزينسكى قوله أن « الالتزام الامريكى تجاه اسرائيل يقوم على أساس مسألة اخلاقية أساسية . وان خيانتنا لاسرائيل تعنى خيانة لانفسنا » . وقال ايضا ان الولايات المتحدة لن « تهدد أمن اسرائيل » من اجل تحقيق اهدافها . « واننا لن نستخدم النفوذ الخاص بالأمن حتى اذا اختلفنا مع الموقف الاسرائيلي » .

وكان الرئيس مهتما ايضا خلال سعيه لاظهار النجاح فى مباحثاته مع بيجين ، فى جعل العرب يدركون أن الخيار الدبلوماسى ، مقارنا بالخيار العسكرى ، هذا يستمر . ولذلك حاول كل من بيجين وكارتر نقل هذا الانطباع بالتوافق التسلم أمام الرأى العام على الاقل ، اما فى الجلسات الخاصة فقد كانت هناك مباحثات شاقة ، كما اكد كارتر فى مذكراته .

وقد أوضح الرئيس وكبار مستشاريه فى السياسة الخارجية قبل انعقاد القمة ، انهم لن يكونوا سعداء لسماع عبارات بيجين العامة والغامضة بأن استعداد اسرائيل للتفاوض دون شروط مسبقة على أساس قرارى مجلس الامن التابع للامم المتحدة رقمى ٢٤٢ و ٣٣٨ ، وقد اراد كارتر أن يسمع

توضيحا من بيجين بأن اسرائيل تريد فى الحقيقة تقديم تنازلات اقليمية « على كافة الجبهات الثلاث » اى سيناء ، ومرتفعات الجولان ، والضفة الغربية وقطاع غزة . وقد شعر الرئيس انه لا يمكنه التوجه للعرب بحسن نية للضغط عليهم ليتوصلوا لسلام حقيقى مع اسرائيل اذا لم يحصل على مثل هذا التاكيد من جانب بيجين مسبقا . غير ان بيجين رفض اعطاء كارتر هذا التاكيد .

ولذلك طلب الرئيس من بيجين تقديم بديل • وتساءل كارتر « ما هو إقتراحكم لكى ندفع المفاوضات قدما نحو السلام ؟ »

وبينما تحدث بيجين وكارتر علانية بشأن رغبتهما في اعادة عقد مؤتمر جنيف في وقت لاحق من ذلك الخريف ، فقد فهما المصاعب المصاحبة لذلك ومخاطر مؤتمر سيىء الاعداد .

وحذر بيجين مسبقا من أن كارتر لا يريد سماعه يسرد تاريخ اسرائيل ومخاوفها وامالها • فقد سمع الامريكيون ذلك من قبل من جانب رابين ولن يتأثروا صراحة بأداء مكرر . وكان الرئيس الامريكى نافذ الصبر ، الشغوف بتحقيق انتصار للسياسة الخارجية فى الشرق الاوسط فى وقت كانت مبادراته الدولية الاخرى لا تحقق نجاحا كبيرا للغاية ، كان يريد سماع اقتراح ملموس عن كيفية تحقيق تقدم دبلوماسى فى عام ١٩٧٧ • وخلال جلسات العمل صد الرئيس ، الذي كان يتسم بالفظاظة غالبا ، بعض تصريحات رئيس الوزراء الخاصة مثل التصريح الخاص بأن اتفاقات الحكومة الإسرائيلية الجديدة ستحترم تعهدات الحكومات السابقة • وكان يعنى ذلك بالنسبة للامريكيين قبولا للقرار رقم ٢٤٢ ورغبة في الانسحاب على كافة الجبهات الثلاث • ووفقا لكارتر فان الضفة الغربية وقطاع غزة مطروحتان للمفاوضات بغض النظر عن مدى الارتباط التاريخي والديني الذى يشعر به بيجين واخرون في حكومته الجديدة نحو هذه المناطق . وعندما وصل الامر للاساس المنطقى الانجيلى الخاص باحتفاظ اسرائيل بالضفة الغربية وقطاع غزة لم يحرز نجاحا كبيرا مع الرئيس ورغم الخلفية الدينية الخاصة التى كان يتمتع بها كارتر •

وفيما يتعلق بالإسباب الامنية ، فهم الامريكيون ، بما فيهم كارتر ، رفض اسرائيل الانسحاب من الارضى ، غير انهم اقنعوا انفسهم بأنه يمكن تدبير « إجراءات أمنية » لتعويض مثل هذه الإنسحابات ، وقد ظهرت على السطح كافة أنواع الافكار • وقدمت للرئيس ، أوراق تحديد المواقف وكتيبات موجزة ومذكرات قانونية ، والتحليلات القانونية ، للاطلاع عليها ودراستها • وقد رفعت هذه الدراسات معنويات بيجين ، الذى كان على استعداد للرد على الإستفسارات المفصلة بشأن تقييم إسرائيل لمحطات انذار مبكر اضافية والضمانات الإمنية الامريكية وحتى وجود قوات أمريكية بصورة رسمية

فى اسرائيل . وبالطبع قدمت وعود بتقديم مساعدات اقتصادية وعسكرية واسعة لاسرائيل ٠

غير ان الامريكيين أبلغوا بيجين أيضا أن الكونجرس المتململ والرأى العام لن يكونوا على استعداد لمواصلة تزويد اسرائيل بمليار دولار فى العام فى اطار المنح العسكرية ومعظم ذلك فى اطار المساعدات الاقتصادية اذا لم « يكن فى المقدور رؤية ضوء ما فى نهاية النفق » ٠ وقال كارتر ان الرأى العام الامريكى يتطلع لرؤية نهاية للنزاع العربى الاسرائيلى ٠ ووافق بيجين غير أنه أوضح أن اسرائيل ليست العقبة التى تحول دون التوصل لحل سلمى ٠ وقال بيجين أن العرب ليسوا على استعداد للتوصل لسلام مع اسرائيل ، وأشار الى تصريحات أدلى بها مؤخرا السادات والاسد ذكرا خلالها أنهما لن يقبلا فى ظل أى ظروف تطبيعا كاملا للعلاقات مع اسرائيل ٠ غير أن كارتر رفض ذلك ، فقد كان يرى أن هناك تغييرا فى الموقف العربى . وعلى أية حال قال الرئيس ان اسرائيل ليست فى حاجة لتقبل أى شىء بالنوايا الحسنة وحدها وسيكون هناك وقت متسع للاختبار خلال التنفيذ المرحلى للاتفاق ٠ وحث بيجين على تحمل المخاطر من أجل السلام بسبب أن البديل الذى سيكون فى حكم المؤكد هو الحرب ٠

وقد كانت تلك هى المسألة — أى رغبة العرب فى العيش فى سلام مع اسرائيل — التى أظهرت الهوة الشاسعة بين الرؤية الامريكية والرؤية الاسرائيلية فى ذلك الوقت ٠ وظلت اسرائيل متشككة بشأن النوايا السلمية العربية ، وكان الامريكيون يشعرون بشكوك أقل من ذلك بكثير . وفى الحقيقة كان هناك اجماع فى البيت الابيض ووزراء الخارجية ومجلس الامن القومى والبنتاجون ووكالة المخابرات الامريكية س . آى . ايه « على أنه لا يوجد هناك أى مجموعة من الزعماء العرب أكثر « اعتدالا » من السادات والاسد وحسين وفهد . وكان الوقت قد حان للتوصل الى تسوية خلال ذلك العام كما كان يردد كارتر طوال الوقت ٠

وكانت تخيم على المباحثات نفس المخاوف الامريكية التى كانت قد سيطرت فى وقت سابق على التفكير فى حقبة فورد — كيسنجر التى كانت تتمثل فى أن : أى مأزق دبلوماسى فى المفاوضات قد يؤدى الى استئناف العمليات القتالية ، وفرض حظر آخر على البترول من جانب العرب ، واحتمال حدوث مواجهة بين القوتين العظميين ، فمنذ حرب عام ١٩٧٣ تركز التفكير الاستراتيجى الامريكى حول هذه المخاوف ، وقد كان هذا الاهتمام هو الذى دفع كيسنجر الى المضى قدما فى الاتفاقات الجزئية ٠ وكان ظهور التقدم سيفتدى وقتا ثمينا دون نشوب حرب ٠

وقد كانت هذه المخاوف هى التى أحييت فيما بعد مفاوضات الخطوة خطوة رغم الرغبة التى كانت تبدو من جانب الرئيس للتوصل الى اتفاق شامل ٠ غير

أن رحلة السادات المثيرة للقدس في نوفمبر عام ١٩٧٧ كانت هي التي أدت لحدوث تغيير في استراتيجية كارتر ٠

وكان عدم خبرة كارتر في السياسة الخارجية واضحة بصورة مؤلمة وهو يحاول دون أي نجاح اعادة عقد مؤتمر جنيف للسلام في الشرق الاوسط وذلك خلال عامه الاول في البيت الابيض ٠ وقد أنقذ كارتر القوى العزم ، وغير أنه كان لا يزال في ذلك الوقت يتسم بالسذاجة . من نكســـة دبلوماسية كبرى لعملية مفاجئة استمرت احدى عشرة ساعة قام بها بدافع اليأس زعيم عالمي أقل المتوقعة ، كانت محاولة كارتر لاشراك الاتحاد السوفيتي في عملية الســـلام قوة غير أنه أكثر خبرة ـ أنور السادات ٠ فبدون ضربة السادات الموفقة وغير ستحقق في الاغلب نجاحا لكنها تؤدي الى مازق . ويجب ايضا ارجاع الفضل الى بيجين لادراكه ياس اللحظة وقبول مبادرة السادات ٠

وعندما بدأ كارتر عامه الثاني في الحكم ، حاول الافادة من التقدم المفاجيء الجديد نحو السلام في الشرق الاوسط ، مقربا ادارته أكثر نحو التوافق مــع دور أمريكا الجديد الداعم ، وليس المسيطر ، في المباحثات ٠ وقـــد سمحت حقيقة اندماج كل من مصر واسرائيل في نهاية الامر في مفاوضات مباشرة وجها لوجه ، سمحت لواشنطن بالانزلاق الى الخط الجانبي الى حـــد ما ٠ وبلغة السياساسات الداخلية جعل هذا الوضع الجديد الحياة أكثر راحة لادارة كارتر غير أنه ـمرة أخرى ـ كان وضعا مؤقتا ٠ ومع ذلك كان ذلك امرامهما للبيت الابيض خلال عام ١٩٧٨ ، وهو انتخابات الكونجرس ٠

وقد حاولت الادارة اعطاء أكبر قدر من الثقة للامل الجديد الذي كان يلوح في الشرق الاوسط . ففي بداية يناير عام ١٩٧٨ قال زبيجنيو برزيزينسكي مستشار الامن القومي ان المؤرخين في المستقبل سينظرون الى عام ١٩٧٧ على انه العام الذي شهد أول خطوات هامة نحو التوصل لتسوية شاملة ٠

وأشاد السادات وبيجين ، اللذان ادركا أنه سيتعين عليهما التعامل مــع كارتر طوال ثلاثة أعوام أخرى على الاقل ، ومن المحتمل حتى سبع ســـنوات ، بالرئيس وذلك بتوضيح ان الولايات المتحدة قد خلقت في عهـــده مناخا مهيئـــا لمبادرة السلام الجديدة ولم يجد السادات أو بيجين اية غضاضة في الاشـــادة بالرئيس ، وهو أمر أقدما عليه في وضوح بالتطوع بابداء مثل هذه التعليقات غير أن الزعيمين المصري والاسرائيلي لم يؤمنا حقا بما قالاه حينئذ وبرغم كل شيء ، فقد تمكنا من اختراق حواجز الماضي البالية لتجنب حدوث أسوأ سيناريو للهيمنة السوفيتية المشتركة مع الولايات المتحدة الكـــامن في سياسات ادارة كارتر وكلاهما لم يكن سعيدا بشأن رغبة أمريكا للسماح باعطاء أصـــوات لسوريا الراديكالية والسوفييت والفلسطينيين للاعتراض على ايماءاتهم السلمية حقيقة واضحة في البيان الامريكي ـــ الاكثر اعتدالا ، وهي امكانيات اصبحت السوفيتي المشترك الذي صدر في الاول من أكتوبر عام ١٩٧٧ ٠

وبعد رحلة السادات لاسرائيل ، اكد لويس هاريس المتخصص فى استطلاع الرأى العام على ان كل شخص فى الولايات المتحدة يعلم أن : شعبية السادات قد زادت بين الامريكيين بصورة مثيرة . وقال هاريس انه لم يلمس قط مثل هذا الارتفاع المفاجىء الملحوظ فى تلك الشعبية ، بالفعل ، بين عشية وضحاها . وكان السادات دائماً اشهر زعيم فى الولايات المتحدة من بين الزعماء العرب ، حيث يعتلى القمة بجانب الملك حسين عاهل الاردن . وقد أجرى هاريس مع منظمته استطلاع سريعا للراى بعد اختتام مباحثات السادات — بيجين مباشرة . وقد أعرب عدد من الامريكيين — ضعف عددهم مقارنا بالعام السابق — اعربوا عن اعتقادهم بأن السادات يريد تحقيق سلام مع اسرائيل فعلا . وقد اسعد ذلك بالتأكيد السادات . ومنذ ذلك الحين قرر السادات الابتعاد عن الاتحاد السوفيتى والاتجاه نحو الولايات المتحدة ، وكان الرئيس المصرى شغوفا بكسب اصدقاء جدد فى أمريكا . ولا ينكر أحد أن شعبيته ومكانته المتزايدة بين الامريكيين كانت مكافأة هامة وملموسة للغاية للرحلة التى قام بها للقدس . وقال هاريس ان شعبية اسرائيل قد زادت ايضا نتيجة لرحلة السادات ، غير ان اسرائيل كانت تحظى بالفعل — من قبل ذلك — بشعبية كبيرة ، لذلك كانت الزيارة بالنسبة لاسرائيل اكثر هامشية بدرجة كبيرة .

ولو ان مصر لعبت بأوراقها بطريقة صحيحة ، لما وجدت صعوبة كبيرة فى تحويل شعبيتها الجديدة لدى الراى العام الامريكى الى نتائج ملموسة بدرجة اكبر ، ولأصبحت الولايات المتحدة بالنسبة لمصر ، بنفس النسبة لاسرائيل تقريبا هى الجهة الرئيسية للسعى من اجل الحصول على مساعدات اقتصادية وسياسية وعسكرية .

وبعد اعادة العلاقات مع واشنطن فى اعقاب حرب ١٩٧٣ ، أصبح السادات على وعى بصورة متزايدة بحقيقة أنه لن يكون له أمل فى الحصول على مساعدات هو فى مسيس الحاجة اليها طالما ظل الأحساس بأن مصر مستمرة فى نهجها المعادى لاسرائيل .. ورجح علماء السياسة ان الرأى العام ينعكس فى نهاية الأمر فى أعمال الكونجرس . وكان ذلك عاملا آخر من الضرورى ان يكون قد لعب دورا فى اقناع السادات بانه من الاهمية بمكان التوجه الى اسرائيل . وكان السادات الذى القى خطابا امام جلسة مشتركة لمجلسى الكونجرس خلال زيارته التى قام بها بعد شهرين من توقيع اتفاقية سيناء الثانية عام ١٩٧٥ ، يخطب ود أعضاء مجلس الشيوخ ومجلس النواب بصورة منتظمة للغاية . كما ان وزارة الخارجية كانت على علم بحقيقة ان الزعيم المصرى استقبل بصورة شخصية فعليا كل عضو كونجرس أمريكى زار مصر بعد حرب يوم كيبور مهما كانت مكانته كمشرع ضئيلة . وحتى رغم ان الكونجرس كان فى عطلة خلال التطورات المثيرة التى احاطت رحلته للقدس ، فان التأييد للسادات فى الكونجرس قد زاد بقدر كبير .

وكانت قضية المساعدات العسكرية الامريكية المتزايدة لمصر ، تمثل بالطبع ، مسألة أخرى . فطالما ظلت مصر واسرائيل فى حالة حرب ، فان العديد من المشرعين فى واشنطن سيرفضون تزويد المصريين بمعدات هجومية ، فقد تسلمت مصر من قبل ما يسمى بالمعدات غير المهلكة من الولايات المتحدة — طائرات نقل طراز س — ١٣٠ وطائرات استطلاع بدون طيار وأجهزة اتصالات وما اليها ، وكانت الادارة معنية بدرجة كبيرة ايضا ببرنامج يتم بموجبة تجديد محركات قاذفات القنابل المقاتلة طراز ميج — ٢١ التى زود السوفييت بها مصر ، فى اوروبا بمساعدة التكنولوجيا الامريكية . وادرك السادات أن بلاده ليس أمامها فرصة بالفعل مهما كانت للحصول من الولايات المتحدة على أسلحة أكثر تطورا طالما ظل نظامه معاديا على نحو لا يمكن تغييره تجاه اسرائيل ، لذلك لا يمكن للمرء أن يتجاهل العامل الامريكى فى قياسه لمدى نجاح أو فشل زيارة السادات للقدس وربما يكون الرئيس المصرى قد ادين فى كثير من دول العالم العربى ، وربما يكون قد تعرض لانتقاد من جانب الاتحاد السوفييتى ايضا ، وربما لم يحقق تحولا علنيا فى السياسة الاسرائيلية بشأن المسائل الرئيسية كما كان يأمل ، غير انه لم يكن هناك شك فى انه حقق نجاحا ملحوظا فى أمريكا . وهذا أمر لا يمكن الاستهزاء به .

وقد شعر السادات ايضا بسعادة لادراكه ان اليهود الامريكيين قد بداوا فى الموافقة ، بدرجة كبيرة ، على قبول رغبته المعلنة للسلام بالمعنى الظاهرى . فلعدة سنوات كانت الطائفة اليهودية فى الولايات المتحدة تشعر بارتياب تجاه نوايا السادات . ألم يتآمر مع سوريا لمهاجمة اسرائيل فى يوم كيبور ؟ فهل يمكن الثقة فى شخص مثله بعامة ؟ هناك سبب يدعو الى أن خطوة السادات العملاقة قد جاءت الى حد ما بدافع رغبته فى قبوله من جانب مزيد من اليهود الامريكيين كرجل سلام جدير بالثقة ، وهكذا تحسنت صورته فى اسرائيل كما ارتفعت شعبيته ايضا بين اليهود الامريكيين .

وقبل قيام السادات برحلته للقدس بعامين قام الدبلوماسيون المصريون فى الولايات المتحدة بمفاتحات قوية لدى زعماء يهود رئيسيين فى محاولة لكسب تأييدهم . ويعتقد المسئولون المصريون ، مثل كثيرين من الدبلوماسيين الاجانب فى واشنطن ، بأن الطائفة اليهودية الامريكية تمثل عاملا مؤثرا بدرجة كبيرة فى الحياة السياسية والاقتصادية الامريكية .

ودخل المعنيون مرحلة اعادة تقييم مواقفهم السابقة . فربما كانت هناك فرصة ذهبية لايجاد مخرج من ازمة الشرق الاوسط. فعلى المستوى الرسمى، أكد كارتر وكبار مستشاريه انهم شعروا بسرور لمبادرة السادات ونتيجتها . وقالوا انهم يشجعون المفاوضات المباشرة خلف الكواليس منذ توليهم السلطة فى يناير ويحاولون الحصول على بعض الثقة كخلق مناخ للزيارة. بيد أن الادارة

شعرت بالرضى تجاه حقيقة أن السادات وبيجين قد اتفقا ، على الاقل علنا ، على مواصلة جهودهما لبلوغ تسوية شاملة فى مؤتمر جنيف الذى سيعاد عقده . وقال بيجين والسادات انه لن تبذل اية محاولة للتوصل الى اتفاق منفصل بين مصر واسرائيل .

وفى البداية اعلنت الادارة ان الرحلة سوف تدعم آفاق اعادة عقد مؤتمر جنيف ، غير أنها تخلت فيما بعد عن هذا الاتجاه .

وقد كان الامر بالضرورة غريبا على كارتر وهو يجلس فى المنزل فى شهر نوفمبر يتابع الحادث — الذى لا يصدق — الذى يقع فى القدس . كان يجلس فى استرخاء فى البيت الأبيض مع ابنته آمى ، يشاهد ويستمع الى وولتر كرونكايت وباربارا وولترز وجون تشانسلور .

ومن الضرورى أن كارتر وبصفة خاصة مع بعض مستشاريه فى السياسة الخارجية قد شعروا بانه تم اهمالهم لحد ما ، وبغض النظر عن سياسة اعادة التفكير بعد ميلاد صفحة تاريخية جديدة فى القدس ، أعرب مسئولون فى واشنطن عن أملهم فى أن تكون هناك امكانية لحث زعماء عرب آخرين فى أن يحذوا حذو السادات . واذا تمكن السادات من اختراق الحواجز النفسية للماضى ، فربما يكون هناك أمل فى أن يفعل زعماء عرب آخرون المثل . وكان ذلك — اكيدا — واقعا ومشجعا لكارتر فى كامب ديفيد .

وبدأ كارتر يرتد بصورة متزايدة لاسلوبه البلاغى المؤيد لاسرائيل فى الوقت الذى دخلت فيه حملة الانتخابات الرئاسية لعام ١٩٨٠ ضد منافسه الجمهورى رونالد ريجان مرحلة الانحراف التام .

وقال كارتر لأعضاء مؤتمر الحزب الجمهورى فى حديقة ميدان ماديسون « اننى اشعر بالفخر بسبب أن نصف المساعدات التى قدمتها بلادنا لاسرائيل طوال اثنين وثلاثين عاما من وجودها قد جاءت خلال فترة ادارتى . وعلى عكس اسلافنا الجمهوريين ، فاننا لم نوقف أو نبطىء تقديم هذه المساعدات . وطالما اننى اتولى منصب الرئاسة فاننا لن نفعل قط ذلك فالتزامنا واضح وهو : ضمان الامن والسلام لاسرائيل والسلام لكافة شعوب الشرق الاوسط » .

واختص وولتر مونديل نائب الرئيس بالمثل اسرائيل بمعاملة خاصة ، حيث اعلن امام المؤتمر « اسمحوا لى ان اضيف كلمة خاصة بشأن اسرائيل — فاسرائيل هى صديقنا وضميرنا وشريكنا . وضمان صالحها هو من مصالحنا الاخلاقية والسياسية والاستراتيجية . اننى اقف امامكم لاقول ان شعب الولايات المتحدة يقف بجانب اسرائيل — فى هذه الفترة الرئاسية والفترة القادمة وعلى الدوام » .

وقد درست كلمات نائب الرئيس بعناية . فقد استهدف بصورة واسعة اقناع أصدقاء اسرائيل فى الولايات المتحدة بالعدول عن قبول المخاوف التى كانت سائدة بصورة واضحة ، بأن تولى ادارة ريجان فترة رئاسية ثانية - التى لا يتعين على أن القلق بشأن اعادتها - ربما تطلق العنان لوابل شديد من الضغوط ضد اسرائيل .

وقال كارتر ان « أحد الالتزامات الثابتة لاداراتى هو ضمان ان تكون اسرائيل قوية وآمنة فى سلام مع جيرانها ، وتعيش داخل حدود آمنة ومعترف بها . ولا يوجد هناك قضية كرست لها معظم وقتى وطاقتى أكثر من ضمان التوصل لسلام دائم بين اسرائيل وجيرانها . واتفاقات كامب ديفيد هى خطوة تاريخية نحو هذه النتيجة النهائية . وسياستنا فى الشرق الاوسط كانت وستظل تسترشد بهذه الاتفاقات » .

ومع ذلك ، كان كارتر على قناعة شديدة جدا بالحاجة الى مواصلة البحث عن وجود تقدم على صعيد الجبهة الفلسطينية . وان هذا حقا على وجه الدقة كان نوع التفكير ، وان هذا التركيز على مركزية القضية الفلسطينية ، هو الذى أصبح الجانب الوحيد الاكثر ثباتا فى سياسات كارتر فى الشرق الاوسط وكانت هناك تحولات مثيرة فى تكتيكات أمريكا خلال تلك السنوات الاربع التى قضاها فى البيت الأبيض ، وبصفة خاصة فى أعقاب رحلة السادات للقدس . غير ان هدف كارتر الرئيسى لتحقيق تسوية شاملة وحل القضية الفلسطينية ، ظل كما هو ، واستمر كارتر ، منذ خروجه من البيت الابيض ، فى توضيح هذا النهج فى تعليقاته المتكررة على الدبلوماسية العربية الاسرائيلية ، وبصفة خاصة فى كتابه : « دم ابراهيم » الذى نشر فى عام ١٩٨٥ .

وامضى الرئيس السابق قدرا كبيرا من وقته فى التفكير فى مشكلة الشرق الاوسط . فقد نظم مؤتمرا فى جامعة ايمورى بولاية اطلنطا فى أواخر عام ١٩٨٣ لاستكشاف خيارات جديدة لحل النزاع بين العرب والاسرائيليين ، وفى ذلك الحين قال خلال مقابلة أجريتها معه انه اتصل هاتفيا بمناحيم بيجين فى السابع عشر من شهر سبتمبر عام ١٩٨٣ بمناسبة حلول الذكرى الخامسة لتوقيع اتفاقات كامب ديفيد ، قال « لقد اتصلت به وأبلغته باننى افكر فى ذلك اليوم » .

واضاف انه كان دائما يعتبر اسرائيل كصديق خاص . « اننى اعتقد اننا نعمل دائما فى ظل احترام متبادل واعتراف بقيمة هذه العلاقة الوثيقة » .

وفى شهر مارس من عام ١٩٨٥ ، اسهب كارتر فى الحديث عن مسألة التأييد الامريكى لاسرائيل . اذ قال خلال مقابلة أخرى أجريتها معه « ان

المسألة ليست مجرد اننى ونيكسون وجونسون وفورد وترومان قـــد التزمنا بأسلوب رسمي بضمان أمن اسرائيل وبرخاء اسرائيل وعلى نحـــــو واضح بوجودها والامل فى أن تعيش فى سلام ، بل ان هذه ليست الصورة الكامـــلة للمسألة ، فجوهر هذه المسألة هو أن الشعب الامريكى يحس بهذا الشعور . ويشعر جيرانى فى الهول والشعب فى ميدل ويست أن هناك عـــلاقة طبيعية مشتركة بين دولتينا ــ هدف مشترك واعتقاد دينى واحد .. وفى نفس الوقت لا يتضمن ذلك بالنسبة لى كرئيس ، أو للشـــعب الامريكى ، موافقـــة على سياسات الحكومة الاسرائيلية وهى تتعامل مع الضفة الغربية وحقوق الانسان الضرورية للفلسطينيين ، وغزو لبنان ، مع ما يسببه ذلك من اراقـــة فادحة للدماء ، وهلم جرا . فيمكن ان يكون هناك خلافات حادة فى الرأس فى مثـــل هذه الامور » .

الفصل الثانى عشر

رونالد ريجان واسرائيل

تعرف علاقة رونالد ريجان باسرائيل بمتناقضاتها . ورغم حقيقة انــه وجد نفسه خلال فترة رئاسته الاولى أمام نزاعات مباشرة مع اسرائيل اكثر من أى رئيس أمريكى سابق فقد كان لا يوجد شك كبير فى أن عواطفه الداخليــة كانت موالية لاسرائيل الى حد كبير ، وقــد تردد أن ريجان ينزع الى ادارة الشئون الخارجية على أنها امتداد للعلاقات الشخصية بدلا من كونها تعبيرا عن مبادىء مجردة ، وأنه يميل لاختيار الاطراف فى النزاعات على أســـاس الصداقة والولاء أكثر من أى محاولة لتقييم نزيه لظروف كل نزاع على حدة . وعلى هذا الاساس فان عواطفه فى أى نزاع حيوى ستميل الى اسرائيــل ، حيثقادته تجربة عمر الى اعتبار اليهود جزءا من « جماعته » فى تكوينه الذهنى الذى يضع جماعته فى مواجهة الجماعات الاخرى .

ومن ناحية أخرى كان ريجان شخصية معروفة لعدد أكبر من اليهــود عن عدد الذين لا يعرفونه من العرب ، وبصفة خاصة خــلال فترة عمله فى هوليود واعتباره أن النجاح المهنى والتجارى والاجتماعى لليهود الامريكيــين هو تأكيد لعظمة الحلم الامريكى . وفى عام ١٩٤٨ وفى حادث غير معــروف الا لماما ، استقال ريجان من عضوية نادى ليك سايد كانترى فى لوس انجلوس بسبب رفض النادى قبول عضوية اليهود . وحيث ان ريجان لم يكن لديه ، من المحتمل ، فى ذلك الوقت أى طموحات سياسية جادة ، فلا يمكن وصف هذا التصرف ببساطة على أنه نوع من أنواع البراجماتية . ومن الأنسب القــول وفقا لشخصية ريجان أن استقالته كانت تمثل تصرف شخص يريد أن يظهر بمظهر من يقف بجانب أصدقائه .

وبالطبع لا يرى كثير من مستشارى ريجان نزاعات الشرق الاوســـط من نفس المنظور ، فحقا ان البعض قد لا يشارك على الأقل ريجـــان فى احساسه بالارتباط بصورة كبيرة باليهود أكثر من العــرب ، فطوال العشر سنوات الماضية بدأ عدد كبير فى مجتمع رجال الاعمال فى تمييز العرب عــلى نحو ودى كما يميز ريجان اليهود. ومن المستحيل بالفعل أن يحدد المرء على وجه الدقة مدى التوتر الذى نجم نتيجة تصادم اتجاه ريجان لصياغة سياسات الشرق الاوسط على أساس الولاء الشخصى والاتجاه الذى يتبناه مستشارون معينون يفضلون النظر الى كافة العلاقات الخارجية من منظور وحيــد هــو منظور المصالح الامريكية ـــ التجارية والاستراتيجية ـــ غير أنه من الواضح

ان ريجان يتعامل مع مشكلات الشرق الاوسط انطلاقا من الافتراض الواضح بأنه يتعامل مع مصير أصدقائه على المستوى الشخصي والقومي .

ورغم ذلك ، سيكون من التبسيط المخل اعتبار ميول ريجان الشخصية هي العامل الوحيد المسئول عن علاقاته الشخصية باسرائيل . وعلى مدى الايام ، اظهر ريجان بالتأكيد تفهما يتسم بالمهارة بالمسيرة السياسية الامريكية، ويمكن أن يكون هناك بعض الشك في أنه يتفهم حقيقة النفوذ اليهودي في الحياة السياسية الامريكية . وهناك أيضا جانب ديني يتعلق بهذا الامر ، فالتيار المسيحي المتشدد الذي يؤمن به الرئيس يقوم الى حد بعيد على أساس العهد القديم . وأخيرا ، وعلى الجانب الآخر ، يفهم الزعماء اليهود الامريكيون أن محاولات ريجان لاعادة ترسيخ المصداقية العسكرية الامريكية في الخارج في مواجهة التوسع السوفيتي تخدم الى حد بعيد الامن الذي تحتاجه اسرائيل .

وبدات هذه العوامل في التفاعل خلال مكالمة هاتفية اجراها الرئيس ريجان في الثامن عشر من أكتوبر من عام ١٩٨٣ مع توم داين ، المدير التنفيذي للجنة الامريكية الاسرائيلية للشئون العامة ليعرب عن شكره للمنظمة التي تشكل مجموعة ضغط لصالح اسرائيل لحث اعضائها في الكونجرس على تأييد تفسير الرئيس لقانون سلطات الحرب لارسال قوات الى لبنان . وقال داين « بصراحة لقد خضنا معركة شديدة للغاية بسبب اعتقادنا أن الولايات المتحدة كانت تحت الاختبار . واننا اعتقدنا أنك كرئيس للجمهورية وقائد أعلى ، تتعرض لاختبار من جانب السوريين . واننا كنا نشعر الى حد كبير أن هذا القرار الامريكي كان مناسبا في هذا المجال .

ورد ريجان ، كما ورد في نسخة حصلت عليها للمحادثة الهاتفية ، قائلا « أعتقد أنك كنت على صواب فيما أشرت اليه بشأن كلا الاعتبارين . وانني بالتأكيد اقدر ذلك . وانني على علم بمدى كيفية تعبئة اعضاء المنظمات لحشد التأييد لاسرائيل » .

ومن وجهة نظر ريجان ، كانت هذه مرحلة بالغة الصعوبة خلال فترة رئاسته وفي حياته . فقد لقيت أعداد كبيرة من الجنود الامريكيين — الذين ارسلوا الى لبنان في اطار قوة حفظ السلام — مصرعهم أو تعرضوا للتشويه . وقد اعترف الرئيس بأن الحديث مع آباء وزوجات وأقارب آخرين لهؤلاء الشباب كان أصعب التجارب وأشدها ألما وتعرض لها في البيت الابيض ، فقد شعر ريجان بالطبع بمسئولية شخصية لاتخاذه قرار ارسال هؤلاء الشباب الى لبنان.

وخلال محادثته مع داين ، ذكر أنه قد تحدث مع والدة أحد ضحايا مشاة البحرية الليلة السابقة . وقال الرئيس « ينبغي علينا التوصل لتسوية هناك . هل تعلم أنني قد عكفت على دراسة سير انبيائكم القدماء في العهد القديم والدلالات التي تنبأت بحدوث معركة فاصلة وتساءلت مع نفسي بشأن ما اذا كنا

هذا الجيل الذى سيشهد هذه المعركة الفاصلة . وانني لا أعلم ما اذا كنت قد اطلعت على أى من هذه النبؤات مؤخرا ، لكن ، صدقنى انها بالتأكيد تصف العصر الذى نمر به » .

ولم تكن هذه هى المرة الاولى التى أثار فيها ريجان شبح المعركة الفاصلة خلال محادثة مع يهودى ، فقد اثار ذلك فى مناسبات كثيرة فى وقت سابق ، كان من بينها مناسبة اثناء الحملة الانتخابية عام ١٩٨٠ . ففى اوائل ذلك العام أقام البرت شبيجل من ولاية لوس انجيليس ، وهو يهودى ينتمى الى الحزب الجمهورى ويمارس نشاطا منذ أمد بعيد ، اقام علاقات شخصية مع حاكم كاليفورنيا السابق وحفل استقبال لبعض زملائه اليهود للقاء ريجان فى نيويورك . وخاطب ريجان التساؤلات التى كانت تثور فى اذهان معظمهم ، بدءا باسرائيل هى الديمقراطية الوحيدة المستقرة التى يمكن أن نعتمد عليها فى منطقة يمكن أن تنشب فيها المعركة الحربية الفاصلة . وان المسئولية الاعظم التى تقع على كاهل الولايات المتحدة هى الحفاظ على السلام — ونحن نحتاج الى حليف فى هذه المنطقة .

ومضى ريجان ، الذى كان فى ذلك الوقت مرشحا للرئاسة ، يشرح سببا آخر دعاه الى تأييد اسرائيل قال « وينبغى علينا أن نحول دون تغلغل الاتحاد السوفيتى فى الشرق الاوسط . وقد نجحت ادارة نيكسون فى اخراجهم ، واذا لم تكن اسرائيل هناك ، فقد كان من المتعين أن تكون الولايات المتحدة هناك » .

وكان هذا الموقف المتشدد المعادى للاتحاد السوفيتى — وهو سمة دائمة تتغلغل فى جوانب رؤية ريجان العالمية الشاملة — بالتأكيد عاملا هاما فى دعم تأييده لاسرائيل . فاسرائيل تقف فى المعسكر الامريكى بينما الكثير من الدول العربية ، بقيادة سوريا ، يساندها السوفييت .

ويساعد ذلك ايضا فى تفسير السبب وراء كون ريجان أول رئيس أمريكى يصدق رسميا على اتفاق تعاون استراتيجى راسخ مع اسرائيل يهدف الى تقويض النفوذ السوفيتى المتزايد فى الشرق الاوسط . ولعدة سنوات كان هناك تعاون أمريكى اسرائيلى وثيق فى مجال المخابرات والمجال العسكرى ، وما فعله ريجان هو كشف النقاب ، عن كثير من هذه المجالات ، لكن ليس بأى حال من الاحوال جميعها .وخلال هذه المسيرة ، أظهر ريجان أنه على استعداد للمخاطرة باغضاب العرب .

وكان هذا الاتجاه واضحا اشد الوضوح عندما اتخذ ريجان خطوة غير عادية بكتابة خطاب شخصى لشيمون بيريز رئيس الوزراء فى الثانى عشر من شهر ديسمبر عام ١٩٨٤ يطلب فيه أن تسمح اسرائيل باقامة بضع محطات ارسال اذاعية تستهدف التغلب على التشويش السوفيتى لاذاعة صوت أمريكا وراديو

الحرية وراديو أوروبا الحرة اللتين تمولهما الولايات المتحدة ، حيث كان نادرا ما يكتب ريجان خطابات شخصية لرئيس وزراء اسرائيل . وكان من الاهمية بمكان أن هذا الخطاب يتناول عملية تستهدف تطوير الدعاية الامريكية فى الكتلة السوفيتية . وقد أضطر المسئولون الاسرائيليون الى ابداء الاهتمام ، فمثل هذه المسألة لم يكن ممكنا اثارتها بالطبع على أعلى مستوى فى الحكومة الامريكية.

وكتب ريجان يقول « عزيزى السيد رئيس الوزراء : لقد شعرت بسعادة للمباحثات التى آتت أكلها والتى أجريتها هنا فى واشنطن والتى اعتقد انها تشكل الاساس للتعاون الوثيق المستمر بين الولايات المتحدة واسرائيل . وانني أتعشم أن تستمر علاقاتنا التى تعد أمرا على جانب كبير من الاهمية لآفاق السلام والاستقرار الدوليين ، فى التوسع والتعميق وايجاد سبل جديدة للتعبير عن المنفعة المتبادلة لشعبينا .

واستطرد الرئيس بعد ذلك الى النقطة الرئيسية فى رسالته : وكما اوضح بدون شك السفير (الامريكى لدى اسرائيل صامويل لويس) فانني جعلت تحديث وتوسيع قدراتنا على البث الدولى احدى أولويات ادارتى القصوى ، وحيث ان اسرائيل تتمتع بموقع جغرافى مناسب للغاية لتطوير مثل هذه القدرة ، فانني اتعشم أن تبدى حكومتكم عناية شديدة ومتعاطفة لطلبنا الخاص ببناء منشآت لتقوية البث الاذاعى فى اسرائيل . وانني على يقين راسخ بأن الاذاعات الغربية توفر نوعا من أنواع المساندة الاخلاقية والروحية لا تقدر بثمن لهؤلاء المحرومين من الحقوق القومية والمدنية والثقافية والدينية الكاملة فى هذا الصدد . وتخدم هدفنا المشترك الخاص بالسماح بنشر الحقيقة والاظهار لشعوب الاتحاد السوفيتى بأننا لم ننسهم .

ومن الرائع معرفة كيفية رد فعل بيريز . فقد ألقى رده فى الحادى والثلاثين من شهر ديسمبر بعض الضوء على الطبيعة المعقدة للعلاقات الامريكية الاسرائيلية .

وقد كتب بيريز يقول « عزيزى السيد الرئيس ، لقد سلمنى السفير ليويس خطابكم فى الثانى عشر من شهر ديسمبر علم ١٩٨٤ » .

وبعد عدة فقرات تعبر عن تقديره للصداقة التى تربطه وتربط دولته بالولايات المتحدة بصفة عامة والرئيس ريجان بصفة خاصة كتب يقول : ـــ

لقد أوليت اهتماما بالغا لرسالتكم التى تتضمن الأهمية التى تعلقونها على تحديث وتوسيع قدرة البث الاذاعى الدولى للولايات المتحدة . وحقا وجدت نفسى متفقا تماما مع تصميمكم على توفير الفرصة لهؤلاء المحرومين من حق التعبير عن تنوع فى وجهات النظر ، للاستماع اليها . ولعلكم تتذكرون أننا وجدنا فى الماضى صعوبة فى تلبية الطلب باقامة محطة

تقوية للارسال الاذاعى فى اسرائيل . ورغم أن دولة اسرائيل ربما تتمتع بموقع جغرافى ملائم لهذا الغرض ، ونحن نتفق فى ادراك هذه الحاجة ، الا ان شعب اسرائيل يناضل حاليا ضد مشاكل ذات اهمية لا يمكن الا ان تؤثــــر على حكم وحريتنا فى العمل . وبصفة خاصة مصير ثالث اكبر طائفة يهودية فى العالم ـــ وهى داخل الاتحـــاد السوفيتى . وهذه الطائفة محرومة من اى وســـيلة تربطهـــا بوطنهـــا ، كما أن وجودها الروحى مهدد حيث تعرض افرادهـــا انفسهم لقهر مستمر . ولا يمكن لاحـــد منا التاكيد من أن بنـــاء محطات تقوية الارســـال فى اسرائيل لن يؤدى الى مزيد من اضطهاد النشاطات اليهودية فى أنحـاء الاتحـــاد السوفيتى .

ومع ذلك ، فاننا فور تلقينا لوجهـــة نظركم الشخصية ، فاننا شرعنـــا فى اعـــادة النظر فى موقفنا . واعتمادا على ملاحظاتنا بأن الالتزام الامريكى تجـــاه قضية اليهود السوفييت وحقهم فى الهجرة قد تدعم فى ظل زعامتكم ، فقد تبدد قلقنا الى حد ما . ونحـــن على ثقـــة ، سيدى الرئيس ، من ان معتقداتكم الراســـخة ، كما اعربتم عنهـــا فى محادثاتنا ، ســـوف تؤدى الى مزيد من الجهود التى ربما تخفف الموقف الذى تفاقم بصـــورة خطيرة خـــلال الاشـهر الاخـــيرة .

وفى اعقاب هذه المشاورات السابقة فاننى أقترح عقد اجتماع فى وقت مبكر للخبراء الامريكيين والاسرائيليين من اجـــل دراســـة الابعاد المختلفـــة للمشروع وافضل السبل لدفع اهدافنا المشتركة قدما . ووقع رئيس الوزراء على الخطاب « مع احـــر تحياتى ، المخلص شيمون بيريز » .

وبعد ثلاثة أشهر ، وافقت اسرائيل رســـميا على امكانية بنـــاء هـــذه المحطـــات .

وقد وجه الرئيس ايضا تقديره لاسرائيل لان عددا كبيرا من الد اعدائهـــا كانوا متورطين ايضا ، مع الاتحـــاد السوفيتى ، فى محاولة تقويض المصالح الامريكية فى مناطق اخرى من العالم وبصفة خاصة فى أمريكا الوســـطى . ولذلك كان فى امكان اسرائيل جزئيا اعتبـــار تورط ليبيـــا ومنظمة التحـــرير الفلسطينية فى أمريكا الوسطى مسئولا عن اهتمام أكبر من جانب ريجـــان نحـــو اسرائيل . وابلغ ريجان رابطة بناى بريث المناهضـــة للتشـــهير فى العاشر من شهر يونيو عام ١٩٨٣ انه « ليس من قبيل المصـــادفة أن نفس القـــوى التى تعمل على زعزعة الاستقرار فى الشرق الاوسط ـــ الاتحـــاد السوفيتى وليبيا ومنظمة التحرير الفلسطينية ـــ تعمل أيضا بالتعـــاون التام مع كوبا لزعزعة استقرار امريكا الوسطى ، واننى أرغب فى حثكم على تأييـــد جهـــود هذه الامة لمساعدة اصدقائنا فى أمريكا الوسطى » .

ومما لا شك فيه ان تراث الهولوكوست كان يحث ريجـــان ، رغم قراره المثـــير للجدل فى عام ١٩٨٥ أن يقوم بزيارة لمقبرة بيبرج العسكرية فى المانيا الغربيـــة . فقـــد كانت هنـــاك أصوات تردد مرارا فى ذاكرته منـــذ دخوله البيت الابيض بأن اسرائيل لم تتأسس الا بعـــد ابادة ستة ملايين يهـــودى خـــلال الحرب العالمية الثانية . وعلى سبيل المثال كان يشارك كل عـــام فى بعض الاحتفالات التى تحيى ذكرى الهولوكوست . ويبدو أنه يتأثر بهـــا بصدق كمـــا تتأثر بهـــا زوجته نانسى . ووعـــد ريجـــان حوالى عشرين ألفـــا من الناجين من الهولوكوست فى احتفـــال اقيم عـــام ١٩٨٣ ، قائلا « ان أمن دياركم الآمنـــة هنـــا وفى اسرائيل لن يتم تعريضـــه للخطر » .

غير أنه بينما كان لريجان مشاعر ايجابية واضحة للغاية تجاه اسرائيل ، الا انه لم يتجنب دخول صراعات مع الزعماء الاسرائيليين ، ومع ذلك فمنذ عام ١٩٤٨ ، واجه كل رئيس امريكى معضلة رئيسية فى بحث قضـــية الشرق الاوسط . فكيف يتسنى للولايات المتحدة ان تظهر تأييدها القوى لأمن وسلامة اسرائيل من ناحية ، وتبسط نفوذها فى العالم العربى ، حيث تملك الولايات المتحدة أيضا مصالح استراتيجية وسياسية واقتصادية هامة من ناحيـــة اخرى ؟ ولم يكن ريجان استثناء من ذلك .

وكانت هناك فترتان سابقتان فى العلاقات الامريكيـــة ـــ الاسرائيليـــة عندما سلمت ادارتان ديمقراطيتان مسئولية الحكم لرئيس جمهورى : فى عـــام ١٩٥٣ عندما خلف دوايت أيزنهاور ، هارى ترومان ، وفى عام ١٩٦٩ عندما حل ريتشارد نيكسون محل ليندون جونسون . وقد عاد هذان الانتقـــالان للسلطة الى الذاكرة عندما جاء ريجان خلفا لكارتر .

وكان أيزنهاور ، فى الوقت الذى كان فيه متعاطفا مع اسرائيل ، مهتما بالمعالجة أكثر من الولاء . فعندما هاجمت اسرائيل وبريطانيا وفرنسا مصر عام ١٩٥٦ بسبب تأميم قناة السويس مارس أيزنهاور ضغوطا ضـــخمة على اسرائيل للانسحاب من قطاع غزة وسيناء ، وربما مثـــل ذلك أدنى تدن فى العلاقات الامريكية الاسرائيلية .

كما ان نيكسون ، خلال حملته الانتخابية عام ١٩٦٨ ضد المرشـــح الديمقراطى هيوبرت هـ . همفرى ، لم يحصل الا علىحوالى خمس عـــدد أصوات اليهود ، فالسياسة هى السياسة ، فلم تأت السياسة بمفاجأة عندما كشف ويليام روجرز وزير خارجية نيسكون النقاب عن مشروع ســـلام يدعو اسرائيل للانسحاب فعليا من كافة الارض التى احتلتها خلال حرب ١٩٦٧ .

ومن المحتمل ان تكون هذه الاحداث قد تضـــافرت لتوعية العناصر النشيطة الاسرائيلية فى الايام التى أعقبت فوز ريجـــان فى الانتخابات على جيمى كارتر الديمقراطى .

ودخل ريجان البيت الابيض بسجل حافل فى تاييده لاسرائيل ، يشمل حضوره مؤتمرات شعبية نظمت خلال حرب الايام الستة عام ١٩٦٧ ، عندما كان يشغل منصب حاكم كاليفورنيا . وفى مقابلة معى تذكر البرت شبيجل من لوس انجيليس مشاركة ريجان فى احد مثل هذه المؤتمرات فى « مدرج الالعاب الرياضية فى هوليوود) . وكان شبيجل ، وهو رئيس سابق للتحالف اليهودى المؤيد لريجان — وبوش ، على معرفة بريجان لعدة سنوات . قال شبيجل « ورغم أن الأحداث تحركت على نحو سريع لذلك عقد المؤتمر الشعبى بعد يوم من انتهاء الحرب ، فقد استقبل ريجان بترحيب حار من جانب المشاركين فى المؤتمر الذين بلغ عددهم ثلاثين الف شخص داخل وخارج مدرج الالعاب الرياضية لشجاعته ولغته الودود فى الاعراب عن رايه بصرحة قبل الحرب ولندائه المحرك من اجل سلامة وأمن اسرائيل . وسأظل اتذكر هذا الخطاب لسبب آخر . فبعد يوم من انتهاء الحرب ، تنبأ ريجان بحدوث مشاكل تلازم عملية السلام . وحذرنا حينئذقائلا : « دعونا نتأكد : لن يكون هناك مجال على مائدة المفاوضات للدب الروسى » .

واضاف شبيجل : « وقلت للحاكم ريجان فى ذلك اليوم اننى لن انسى ولن ادع شعبى ينسى انه وقت شعورنا بالخطر والقلق قد تحدث بجراة نيابة عنا وجاء ليقف معنا . وعلاوة على ذلك وعدته اذا جاء يوم ما يمكننى فيه تقديم المساعدة له فى المقابل ساكون سعيدا للقيام بذلك » .

وكانت هناك مواقف أخرى اتخذها ريجان فى كاليفورنيا فى صالح اسرائيل . فعلى سبيل المثال ، كان لريجان دور فى سنة ١٩٧١ فى اقناع برلمان الولاية بالموافقة على مشروع يجيز للمصارف ومؤسسات الادخار القيام بالشراء والاستثمار فى بورصة السندات الاسرائيلية — ووقع عليه كقانون . قال شبيجل « لقد أبلغت ان ذلك كان أول قانون من نوعه يصدر فى الولايات المتحدة وكان بمثابة نموذج لقوانين مماثلة تصدر فى ولايات أخرى دعمت بصورة مثيرة للغاية مبيعات السندات الاسرائيلية فى هذا البلد » . وقد اقيم حفل عشاء تكريما لريجان فى بورصة السندات الاسرائيلية فى لوس انجيليس فيما بعد .

ومن المحتمل ان ريجان لم يقم بالفعل بأى زيارة لاسرائيل ، غير ان حملة ريجان ذات الاصداء الواسعة فى عام ١٩٨٠ قد أوحت لأكثر مؤيديه نشاطا فى الطائفة اليهودية بأنه سيظهر حقا كصورة مماثلة من تيودور هيرتزل فى البيت الابيض . وقال ريجان فى الثالث من شهر سبتمبر عام ١٩٨٠ فى خطاب القاه امام رابطة بنادى بريث فى واشنطن ان « اسرائيل ليست مجرد دولة بل انها رمز . وفى دفاعنا عن حق اسرائيل فى الوجود ، فاننا ندافع عن نفس القيم التى قامت على أساسها أمتنا » .

فـــير انه حتى اخلص النوايا لا تترجم الا تلقائيا الى سياسة بعـــد فرز أصوات الناخبين . وقـــد ادرك كثـــيرون من الرؤساء هذه الحقيقة الجوهرية للحـــكم . فقـــد ارغم ريجان على اتخاذ قرارات والقيـــام بأعمال كان سيعارضها فى حكم المؤكـــد فى وقت سابق . فهو بوصفه رئيســـا لا يتمتع بذلك القدر من الحرية الذى كان يتمتع بهـــا اثنـــاء الحملة الانتخابية . فهناك وزير الخارجية ووزير الدفاع ومستشار الأمن القومى ومديـــر وكالة الاستخبارات المركـــزية الامريكيـــة وعدد كبـــير آخر من المساعدين الذين يساهم كل منهم مســـاهمة هامة فى تحـــديد شكل القرارات النهائيـــة . وجميع هؤلاء المستشارين ، وهم رجال ونساء اقوياء بالأصالة ، يعرفون انـــه اذا لم يعط لآرائهـــم الشـــخصية وزنهـــا عنـــد التوصل الى قرارات فان الخيارات لا تعود محدودة محدوديـــة الخيارات التى كانت أمام المستشارين فى وقت من الاوقات ، فبوسعهم تسريب مواد الى الصحافة من شأنها أن تخلق جمهورا مؤيدا لمواقفهم الخاصة .

ونتيجة لذلك مرت اوقات طيبة وأوقات سيئة فى العلاقات بين واشنطن ــ والقدس خلال فترة حكم ريجان .

ورغم ذلك فوفقا لمـــا قاله مايكل جيل ، مسئول الاتصال السابق فى البيت الابيض بالطائفـــة اليهودية ، « ان العلاقات الامريكيـــة الاسرائيلية أساسا افضل اليوم مما كانت عليـــه عندما تولى رونالد ريجان الرئاسة ، وبرغم موافقتى عـــلى انه كان هنـــاك تأرجح فى تلك العـــلاقات فان العلاقات الجوهرية الوطيدة تعد الآن افضـــل .

وانك تتعامل فى نظـــام ديمقراطى حيث تـــركت الصـــحافة فى كل مـــن اسرائيل والولايات المتحدة الى اظهار الخلافات . بيد أن الطرفين ــ الولايات المتحدة واسرائيل ــ قـــد توصلا الى سبيل فى ظل الرئيس ريجان لمعـــالجة هذه الخـــلافات وحلها عن طريق الحـــوار والاتصال والرغبة فى معرفة آراء الجانب الآخر » .

وكانت هذه الضغوط المتضاربة واضحة منذ بداية فترة رئاسة ريجان . فقد تولى السلطة فى ٢٠ يناير عام ١٩٨١ . وفى أوائل فبراير وافق على زيـــادة نصيب المملكة العربية السعودية من طائرات مقاتلة من طراز اف ــ ١٥ بصواريخ هجومية ، وهى الصواريخ التى رفضت ادارة كارتر تزويد السعودية بها بصورة خاصة فى عام ١٩٧٨ عندما وافقت على صفقة طائرات ذلك النوع من الطائرات . ذلك فى أوائل ابريل ، وهو يرقد فى مستشفى جامعة جورج واشنطن يتعافى مـــن جرح نتج عن اصابته برصاصة فى صدره ، وقع ريجان على الاقتراح الأكثر اثارة للجدل الذى يدرج طائرات المراقبة الجوية « الاواكس » فى الصفقة ، وبذلك بدأ مرحلة من اكثر الفترات صعوبة فى العلاقات الامريكية ــ الاسرائيلية . وقد تمت الموافقة على الصفقة فى نهاية الأمر فى اعقاب تصويت فى مجلس الشيوخ فى صالح

الصفقة حيث أيدها اثنان وخمسون صوتا فى مقابل ثمانية واربعين صوتا ، غير أن هذه الموافقة ما كانت تتم الا بعد ان استخدم ريجان قدرا ضخما من رصيده السياسى الشخصى لتمهيد السبيل اليها .

كما اتخذت قرارات أخرى عام ١٩٨١ اثارت غضب اسرائيل . فعلى سبيل المثال بعد قصف الطائرات المقاتلة الاسرائيلية المفاعل النووى العراقى فى مركز المفاعل فى أوزيراك فى يونيو من ذلك العام ، فرض الرئيس ريجان حظرا مؤقتا على شحنات الطائرات لاسرائيل . كما فرضت ايضا عقوبات بعد الغارة الجوية الاسرائيلية ضد أهداف لمنظمة التحرير الفلسطينية فى لبنان فى ذلك العام ، وفى ديسمبر فرض حظر آخر على الطائرات بعد قيام اسرائيل رسميا بتطبيق قوانينها على مرتفعات الجولان ، التى احتلتها من سوريا خلال حرب ١٩٦٧ . كما علق اتفاق التعاون الاستراتيجى الامريكى ـ الاسرائيلى الذى كان قد مضى على توقيعه اسبوعان .

وفى الخامس عشر من فبراير عام ١٩٨٢ ، بعد اقل من شهرين ، وافق الكنيست على قرار خاص بأغلبية ثمانية وثمانين صوتا ضد ثلاث اصوات وامتناع سبعة اعضاء عن التصويت . ودعا هذا القرار الولايات المتحدة « الامتناع ـ التزاما بتعهدات الرئيس وقرار الكونجرس ـ عن تعويض أمن اسرائيل للخطر » وذلك بتزويدها الاردن بمعدات عسكرية متطورة مثل مقاتلات اف ـ ١٦ وصواريخ هوك المعدلة المضادة للطائرات .

وفى اليوم الثانى ، ارسل بيجين ، الذى كان يهوى تبادل الرسائل مع زعماء اجانب ، وبصفة خاصة زعيم البيت الابيض ، خطابا سريا الى ريجان ، حصلت انا على نسخة منه . قال بيجين فى خطابه « ان هذه حالة نادرة من الاجتماع غير الحزبى فى برلماننا الحر الديمقراطى بل والصاخب ، فهو فى الحقيقة تصويت وحدة وطنية . ويظهر ، كما وضح فى قرار الكنيست ، قلق شعبنا وممثليه المنتخبين العميق » .

وبعد ذلك ، مضى رئيس الوزراء فى هجوم شخصى على كاسبر واينبرجر وزير الدفاع ، الذى دافع عن صفقة الاسلحة الجديدة للأردن خلال زيارة قام بها فى وقت سابق لعدة دول عربية : « اسمح لى سيادة الرئيس أن اقول اننى لا أفهم السبب الذى جعل من الضرورى لوزير الدفاع الادلاء بتصريحاته المثيرة للقلق ، وحقا تصريحاته أو على الأقل تلميحاته المعادية لاسرائيل بينما كان يقوم بزيارة دول عربية ، كلها باستثناء دولة واحدة فى حالة حرب معنا وعلى استعداد حتى لشن حرب ضدنا . غير انه بالطبع اذا كان الوزير واينبرجر يرى انه من المناسب ان يدلى بهذه التصريحات (التى نراها سلبية للغاية من وجهة نظرنا) فى مثل هذه الاماكن فليس لى أن اطالبه أن يكف عن القيام بذلك ، على الأقل فى المستقبل »

وقد أصابت هذه العقوبات التى فرضت فى وقت سابق ، اسرائيل بالذهول وبصفة خاصة بيجين الذى كان يعلق آمالا قوية على فترة رئاسة ريجان — غير ان هذه العقوبات كانت معتدلة مقارنة بالتوتر الذى طرأ على العلاقات خـــلال حصار القوات الاسرائيلية لبيروت فى صيف عام ١٩٨٢ . وكانت المكالمات الهاتفية الغاضبة للغاية التى اجراها ريجان مع بيجين فى اوائل اغسطس ، بمثابة عوامل هامة فى اقناع اسرائيل بتجنب عمل خطط لدخول بيروت الغربية بالفعل ، وكانت هناك ايضا معارضة شديدة داخل اسرائيل نفسها تجاه مثل هذه الخطوة ، حتى من داخل الجيش والحكومة .

وفيما بعد ساد شعور من الاستياء الشديد فى حكومة بيجين عندما اصـــدر ريجان مبادرته من اجل السلام العربى — الاسرائيلى من الأول من شهر سبتمبر عام ١٩٨٢ ، فقـــد شـــعر الاسرائيليون بغضب لأن ريجـــان كان على استعداد لاستغلال اعتماد اسرائيل الضخم على التأييد العسكرى الأمريكى لاسرائيل لارغامهم على اجراء تغييرات فى السياسة الاسرائيلية . فلم يرفع ريجـــان الحظـــر على الطائرات الا بعد توقيع اتفاقية انسحاب القوات الاسرائيلية — اللبنانية فى السابع عشر من شهر مايو عام ١٩٨٣ ، وهى الاتفاقية التى الغتها لبنان فى آخر الأمـــر فى ظل الضغط السورى عندما رحلت قوات مشاة البحرية عن بيروت .

ويعد هذا الاستعداد لفرض عقوبات عسكرية ضد اسرائيل انحرافا عـــن سياسات جيمى كارتر ، الذى تولى الرئاسة عام ١٩٧٧ ووعد بعدم فرض اى « اعادة تقييم » للسياسة المتبعة تجاه اسرائيل وفقا لما كان متبعا فى فترة فورد — كيسينجر . وكان كارتر قد تعهد خلال حملة عام ١٩٧٦ ، بأنه لن يرغم اسرائيل مطلقاً على قبول موقف امريكى بتهديدها بقطع المساعدات العسكرية . وفى الحقيقة تذكر الرئيس السابق ، خلال مقابلة معى عام ١٩٨٣ ، هذا التعهد ، قال كارتر « اننا لم ننحرف مطلقا ، كما قد تتذكر ، عن سجل التزامنا تجاه اسرائيل . فلـــم توجه هناك اى تهديدات لاسرائيل مطلقا بسبب تأييدنا او اشياء من هذا النوع ، حتى ولو بدا على نحو واضح احيانا ان السياسات التى يتبناها رئيس الوزراء بيجين وآرائى على خلاف تام » .

وخلال الاجتماع الذى نظمه البرت شبيجل فى اطار الحملة الانتخابية عـــام ١٩٨٠ فى نيويورك ، قال ريجـــان وفقا لمذكرات دونهـــا ويليـــلم ســـافير كاتب العامود فى صحيفة نيويورك تايمز ، « اذا كان هنـــاك تصريح واحـــد أود ان اذكركم به فهـــو : فى ظل ادارتى لن يحـــدث هنـــاك بعـــد الآن اية خيـــانة من جانب الولايات المتحدة لاصدقائها وحلفائها .

غير ان الحقيقة هى أن ريجـــان لم يلتزم دائما التزاما كاملا بهذا التعهد . فاسرائيل لم تعامل دائما كحليف وثيق ، والدليل على ذلك بدا فى كل من تصنيف الرأى العام والتعليق المتكرر لصفقات الاسلحة . وفضـــلا على ذلك ، أدلى

الرئيس خلال مناقشة صفقة الاواكس ، ببعض المزاعم الخطيرة غير المباشرة ضد اسرائيل ، اثارت شبح الولاء المزدوج بين اليهود الامريكيين . فقد قال ريجان ان « المصالح الامنية الامريكية يجب أن تظل مسئوليتنا الداخلية . وأنه ليس من شأن الدول الاخرى أن تقوم بوضع السياسة الخارجية الامريكية » .

ومازالت العلاقات الامريكية ـ الاسرائيلية رغم هذه التوترات ، حقا اقوى الآن مما كانت عليه قبل تولى ريجان الرئاسة بكافة المعايير . غير أنه فى الوقت الذى ظهر فيه التزام ريجان بصدق تجاه اسرائيل . فقد اظهر بوضوح استعدادا للاعتماد بشدة على اسرائيل اذا كان ذلك ضروريا .

وخلال فترة رئاسة ريجان عرف عنه ، مثل كارتر من قبله ، شعوره بالاحباط تجاه الزعماء الذين يحكمون اسرائيل ، وبصفة خاصة تجاه رئيس وزرائها خلال جزء كبير من تلك الفترة ـ مناحم بيجين . فقد توصل ريجان، وفقا لما ذكره مقربون اليه من بينهم شبيجل ، بصدق الى اعتقاد بأن بيجين قد غرر به فى ثلاث مناسبات منفصلة .

ففى المناسبة الاولى ، خلال أول اجتماع بينهما فى البيت الابيض فى شهر سبتمبر من عام ١٩٨١ ، تردد أن ريجان قد اقتنع بأنه توصل لاتفاق مع بيجين بشأن رد الفعل الاسرائيلى المناسب على اقتراح الادارة الخاص بصفقة الاواكس الذى كان يقوم الكونجرس فى ذلك الوقت بدراسته . وقد فهم الرئيس ان بيجين قد احتفظ بحق معارضة الصفقة ، لكن سرا وبشكل روتينى فقط . وبدلا من ذلك خرج بيجين من البيت الابيض ليشن هجوما مريرا وعلنيا وبصورة متكررة ضد الصفقة خلال اجتماعات عقدها مع أعضاء فى الكونجرس وزعماء الطائفة اليهودية الامريكية ، بعد يوم واحد فقط من مغادرته البيت الابيض . وفى لقاء خاص ، مضى ريجان فى حديثه الى حد اتهامه بيجين بأنه كاذب . وقد استاء مسئولو البيت الابيض من تصريحات بيجين ، وقد انعكس ذلك فى تعليقات ادلى بها رئيس هيئة ضباط الجيش فى مجلس الامن القومى ، الميجور جنرال روبرت شيفايتزر . فقد قال مشيرا الى صفقة الاواكس .

انه لشىء مثير ان يكون من بين زعماء العالم الذين يؤيدون الصفقة رئيس الولايات المتحدة ومارجريت تاتشر رئيسة وزراء المملكة المتحدة وانور السادات . وان من بين الذين يعارضونها القذافى « مستر بيجين ومستر بريجنيف » . وقد شعر ريجان ايضا أنه كان يجب على بيجين قبول التأكيدات الامريكية المتكررة بكل ما تعنيه من معنى ، بأن الصفقة لن تؤثر بصورة سلبية على أمن اسرائيل وانه حرى باسرائيل أن تقبل تعهد الرئيس بشأن هذا الموضوع الذى التزم به خلال اجتماعاته الخاصة مع بيجين وكذلك خلال تصريحاته

العلنية — وكتب ريجان قائلا فى خطاب أرسله لاعضاء فى مجلس الشيوخ الامريكى يهدف الى اقناعهم بتأييد صفقة الاواكس « سوف نجعل من المناخ لاسرائيل الحصول على المعدات العسكرية التى تحتاجها لحماية ارضها وشعبها . وهذه الصفقة المقترحة للمملكة العربية السعودية لا تلقى الشكوك على هذا الالتزام او تعرض أمن اسرائيل للخطر » .

والمناسبة الثانية كانت عندما وثق ريجان بصدق فى تأكيد من جانب بيجين بأن حملة أسرائيل الاولية داخل لبنان فى يونيو عام ١٩٨٢ قد استهدفت تطهير منطقة امنية تمتد خمسة وعشرين ميلا لحماية مدن وقرى اسرائيل الشمالية من عمليات التسلل والهجمات بالصواريخ التى تقوم بها منظمة التحرير الفلسطينية . ونتيجة لذلك لم يصدر هناك سوى رد فعل امريكى معتدل الى حد ما تجاه الغزو . وبدلا من ذلك ، عندما دفعت إسرائيل قواتها على طول الطريق الى بيروت ، اقتنع الرئيس من جديد بأنه لا يمكن الوثوق فى بيجين . ونتيجة لذلك لم يقبل ريجان حقا التبريرات الاسرائيلية لتوسيع الغزو .

وفى المناسبة الثالثة ، عندما دفعت اسرائيل بقواتها داخل بيروت الغربية فور اغتيال الرئيس اللبنانى المنتخب بشير الجميل مباشرة ، فى شهر سبتمبر من عام ١٩٨٢ ، رغم تأكيدات سابقة من جانب اسرائيل لواشنطن ، اتهم الرئيس مرة اخرى فى لقاء خاص ، بيجين وحكومته بأنهم غير جديرين بالثقة .

وبيجين ، بدوره ، فقد الكثير أيضا من ثقته السابقة فى ريجان . فقد افضى للمقربين اليه انه قد ذهل من افتقار الرئيس للاطلاع على احدث الآراء فى فهم المشاكل المعقدة فى الشرق الاوسط . وقد انطبع ذلك داخليا بصورة خاصة لدى رئيس الوزراء خلال ما أصبح آخر اجتماع له مع ريجان فى البيت الابيض فى يونيو من عام ١٩٨٢ ، بعد فترة قصيرة من غزو اسرائيل للبنان .

وكان بيجين قد طلب عبر السفارة الاسرائيلية فى واشنطن عقد جلسة منفردة مع ريجان . فلم يكن رئيس الوزراء يرغب فى حضور اى مساعدين ، برغم أن الرئيس كان يرفض دائما عقد اى اجتماعات منفردة من هذا النوع ، وبصفة خاصة فيما يتعلق بمنطقة تتصف بالتعقيد مثل منطقة الشرق الاوسط . وكان مسئولو البيت الابيض ووزارة الخارجية يرفضون ايضا أن يقف ريجان وجها لوجه امام رجل فى خبرة ودهاء بيجين . وكانوا يخشون ، على سبيل المثال ، من احتمال أن يحصل بيجين بالفعل ، أو يفهم انه حصل على تعهد ما من جانب ريجان ، يكون من الصعب فيما بعد على الولايات المتحدة أن تنفذه . وكان هذا حقا ما يسعى اليه بيجين . فقد شعر بالثقة بأن فى امكانه

استخدام مواهبه الشخصية فى الاقناع لدفع ريجان اكثر الى جانب اسرائيل . وقد شعر أن ريجان لديه مشاعر ايجابية ، وأن مستشاريه هم مصدر المتاعب لاسرائيل .

وكان كل ما يحتاجه رئيس الوزراء ببساطة هو لقاء خاص لعرض قضية اسرائيل أمام الرئيس . وقد شعر بيجين أن الامر اصبح ملحا للغاية حيث انه لن يكون أمام ريجان خيار سوى التسليم .

غير أن مستشارى البيت الابيض عارضوا بشدة عقد مثل هذا اللقاء الخاص . وفى النهاية تم التوصل لاتفاق على حل وسط بان يحضر السفير الامريكى لدى اسرائيل ، صامويل ليويس ، والسفير الاسرائيلى لدى الولايات المتحدة موشيه أرينز الجلسة فى المكتب البيضاوى كمراقبين . وان يقوما بتسويد المذكرات بينما ريجان وبيجين يتحدثان . وأن يصبحا شاهدين اذا ظهرت فيما بعد أية تناقضات تتعلق بما قد حدث بالفعل — وكما وصف لى فيما بعد اثنان من اللذين شاركوا فى هذا الاجتماع ، فقد كان هو ما حدث .

فبعد اصطحاب المصورين والصحفيين ومهندسى الصوت خارج الحجرة ، أخرج ريجان ثلاثا من بين خمس ورقات من جيب سترته الداخلى وبدأ بعد ذلك فى قراءة بيان مطول معد من قبل يوضح الموقف الامريكى المتعلق بالحرب فى لبنان . وكان ذلك يبدو بصورة رئيسية إفراغا لعدة تصريحات علنية أعلنت فى وقت سابق ، فى قوالب جديدة . وقد استمع بيجين بأدب حتى فرغ الرئيس من القراءة .

وعند هذه اللحظة ، رد رئيس الوزراء ببيان مطول مفعم بالعاطفة وغير مسبق من جانبه ، فرد على كافة النقاط التى اثارها الرئيس . وبعد أن فرغ بيجين من بيانه ، تصور أن ريجان سيرد بتعليقات اضافية ، تمهد الطريق لتبادل جدى للاراء قد يكون لطرف واحد فيها تأثير على الطرف الآخر .

بيد انه وكما لو كان احد قد أعطى اشارة ، فور انتهاء بيجين من بيانه الافتتاحى ، ظهر ادوين ميس مستشار البيت الابيض أمام الباب ليعلن أن الاعضاء الآخرين من الوفدين الامريكى والاسرائيلى قد تجمعوا بالفعل فى قاعة روزفلت عبر الممر ، فى انتظار بدء الجلسة الموسعة والاكثر رسمية . واصيب رئيس الوزراء بالذهول . وعلم أنه لم يبق سوى احتمال ضئيل فى تغيير مواقف الرئيس خلال مثل هذه الجلسة الموسعة . وقد تصبح الزيارة باكملها لواشنطن مضيعة للوقت .

وغادر بيجين وارينز البيت الابيض يخالجهما شعور شــديد بالاحبــاط . فقــد ظنـــا ان مساعدى ريجـــان لم يكن لديهم ببســـاطة ثقة كافية فى رئيسهم تسمح بالمشاركة فى مناقشة منفردة مع الزعيم الاسرائيلى الزائر . وكان بيجين بالتأكيد يشعر باحســـاس شخصى دافىء تجـــاه ريجـــان ، وكان يعتقــد ان ريجـــان يمتلك شخصية ساحرة . غير أنه فقــد الكثير من احترامه السابق له بعــد هذا الحادث ، حيث قال لاحــد المقربين اليه « هذا هــو رئيس الولايات المتحدة الامريكية ـــ ان هذا الشىء لا يصدق » .

وكانت هذه الجلسة التى عقدت فى شهر يونيـــو فى البيــت الابيض ، وبالمناسبة ، لهــا الى حــد ما تأثير على رفض بيجين الحاد لمبــادرة السلام العربية ـــ الاسرائيلية التى طرحهــا ريجان فى الاول من سبتمبر . فقــد اعتبر رئيس الوزراء هذا الاقتراح ، الذى اخــذ اسرائيل على غرة ، مجــرد تحسين لمبادرة روجرز السابقة ، التى كانت تستهدف فرض انسحاب اسرائيل تام تقريبا الى خطوط ما قبــل عام ١٩٦٧ .

وعندما استقال بيجين فى شهر سبتمبر من عام ١٩٨٣ ، كان هنـــاك شعور جماعى بالراحــة فى دوائر البيت الابيض وعلى رأسهم ريجـــان . فقــد كان بيجين رئيس وزراء تعلم العــديد من المسئولين الامريكيين أن يشــعروا تجاهه بالبغض .

واستأنف ريجان من جانبه مواصلة طريقه التقليدى فى تأييد اسرائيل . ففى الرابع عشر من شهر سبتمبر عام ١٩٨٣ ، قــال ريجــان للصحفيين فى البيت الابيض : « اننى اعتقد ، وان هذا الاعتقـــاد ليس قاصرا على ادارتنا ، انه منذ عام ١٩٤٨ عنــدما اصبحت اسرائيل امة ، فــان ســياسة الحكومة الامريكية فى ظل الرؤساء وأعضاء الكونجرس ســواء من الحزب الديمقراطى أو الحزب الجمهورى ، كانت سياسة تحالف مع اسرائيل وضمان لاســتمرار اسرائيل كدولة واننى لا اعتقد ان اى ادارة امريكية تتخلى عن اسرائيل مطلقا » .

واليوم يبــدو ريجان اخيرا مستريحا تقــريبا لاســلوب الدبلوماســية العربية ـــ الاسرائيلية ـــ فخـــلال السنوات التى قضاها فى البيت الابيض ، اجتمع مع عدد كبير من الزعماء الاسرائيليين والعرب . كان يطلع على تقــارير الخبراء الامريكيين المتخصصين . وفى حين كان يمضى قدرا كبيرا من وقته قلقـــا بشأن حالة الاقتصاد الامريكى والعلاقات مع الاتحــاد السوفيتى ، فلا يمكــن انكار ان الشرق الاوســط كان يتصدر دائما مقدمة الامــور التى استنزفت طاقاته وبصفة خاصة خلال التجربة الامريكية المشئومة فى لبنــان والاحــداث التى احاطت بحادث اختطاف الطائرة التابعة لشركة تى دبليو ايه فى الرابـــع عشر من شهر يونيـــو عام ١٩٨٥ الى بيروت .

ولذلك كان ريجان يشعر بارتياح اكثر ابان مناقشته مسالة الشرق الاوسط وذلك خـــلال مقابلة اجراها فى الحادى عشر من فبراير عام ١٩٨٥ مع صحفيين من صحيفة نيويورك تايمز ، فقـــد كرر من جـــديد تاييده لمبـــادرته للســـلام التى طرحهـــا عام ١٩٨٢ ، وبرر فى رده على سؤال الحاجة لمواصـــلة الولايـــات المتحـــدة تزويد المملكة العربية السعودية ودول عربية أخـــــرى بصـــفقات الاســـلحة . قال ريجـــان ، ملخصا نهجه الاساسى منذ توليه الرئاسة « اننى اشعر بانه يتعين علينا ان نجعـــل الدول العربية المعتدلة تدرك اننا يمكن أن نكون اصدقاء لهم مع كوننا اصدقاء لاسرائيل » . ومضى ريجـــان يقـــول مشيرا الى العرب « ان من حقهم الحصـــول على بعض الاسلحة الدفاعية » ، غـــير انه سارع بوزن هذه العبـــارة بقوله مضيفا « وفى الوقت نفســـه اكـــدنا لاسرائيل أننا لن نتركهم يفقدون تفوقهم النوعى للحـــد الذى يتعرضـــــون فيه للخطر من جراء اى عمـــل تقـــوم به » . ولا يبدو هناك الا شـــك ضئيل فى ان ريجـــان كان يؤمن حقا بما يقـــول .

تـــم بحمـــد اللـــــه

مراجعة مطبعية : على كامل دسوقى

المحتـــــويات



مطابع الهيئة العامة للاستعلامات